

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الأنعام

مقصودها الاستدلال على مادعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاي<sup>١</sup> لجميع الكالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره ، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام ، لأن الإذن فيها - كما يأتي - مسبب عما ثبت له من الفلق<sup>٢</sup> والتفرد بالخلق ، هـ و تضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أسرها دينا ، لأنه لم يأن فيه ولا إذن لاحد معه ، لأنه المتوحد بالإلهية ، لا شريك له ، وحصر المحرمات من المطاعم التي هي جُلُّها في هذا الدين وغيره ، فدل ذلك على إحاطة علمه ، و سيأتي في سورة طه البرهان الظاهر على أن إحاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وسائر الكالات ، وذلك عين مقصود السورة ، ١٠ وقد ورد من عدة طرق - كما ينت<sup>٣</sup> ذلك في كتابي هـ مصاعد النظر<sup>٤</sup> ،

(١) مكية إلا آيات عند البعض ، وإلا ثلاث آيات أو ست آيات عند الآخرين ، و عدة آياتها عند الكوفيين مائة وخمس وستون ، وعند البصريين والشاميين ست وستون ، وعند الحجازيين سبع وستون - راجع روح المعاني ٢/ ٤١٩ (٢) في ظ : الحائر (٣) في ظ : العلو - كذا (٤) سقط من ظ (هـ) في ظ : ثبت (٦) في ظ : المنظر ، واسمه التام : مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور .

أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك ، لهم زجل بالتسبيح ،  
 وفي رواية : إن نزلها كان ليلا ، وإن الأرض كانت ترتج لنزولها .  
 وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المتبدعة<sup>١</sup> و القدرية و أهل الملل  
 الزائفة ، وعليها مبنى أصول الدين لاشتغالها على التوحيد و العدل و النبوة  
 ه و المعاد و إبطال مذاهب الملحدين . و إنزالها على الصورة المذكورة يدل  
 على أن أصول الدين في غاية الجلالة ، و أن تعلمه واجب على الفور  
 لنزولها جملة ، بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح . و لنزولها  
 ليلا دليل<sup>٢</sup> على غاية البركة لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا ،  
 و على<sup>٣</sup> أن هذا العلم لا يقف على أسرارهِ إلا البصراء الأيقاظ من ستة  
 ١٠ الغفلات ، أولو الألباب أهل الخلوات و الأرواح الغالبة على الأبدان  
 و هم قليل . (بسم الله) الذي بين دلائل توحيدهِ بأنه الجامع لصفات  
 الكمال (الرحمن) الذي أفاض على سائر الموجودات من رحمته بالإيجاد  
 و الإعدام ما حَيَّرَ لعمومه<sup>٤</sup> الأفهام . فضاقت به<sup>٥</sup> الأوهام (الرحيم) الذي  
 الذي حبا أهل الإيمان بنور البصائر حتى كان الوجود ناطقا لهم ،  
 ١٥ بالإعلام بأنه الحي القيوم السلام . (الحمد) أي الإحاطة<sup>٦</sup> بأوصاف  
 الكمال (الله) .

لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله<sup>٧</sup> في ذلك

(١) في ظ : المتبدعين (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لعموم (٤-٥) في ظ :  
 بالأوصاف الكاملة (٥) في ظ : الجلالة .

اليوم في ذلك الجمع ، ثم تحميد نفسه<sup>١</sup> المقدسة بشمول الملك والقدرة ،  
إذ الحمد هو الوصف بالجميل ؛ افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة<sup>٢</sup> بالإخبار<sup>٣</sup>  
بأن ذلك الحمد و غيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل  
إيجاد الخلق و بعد إيجادها سواء شكره العباد أو كفره ، لما له سبحانه وتعالى  
من صفات<sup>٤</sup> الجلال و<sup>٥</sup> الكمال - على ما تقدمت الإشارة إليه في الفاتحة - هـ  
فأتى بهذه الجملة الاسمية المفتحة باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أنواعه  
الدالة على الاستغراق ، / إما بأن اللام له عند الجمهور ، أو بأنها للجنس -  
كما هو مذهب الزمخشري ، ويؤلف<sup>٦</sup> إلى مذهب الجمهور ، فإن الجنس إذا  
كان مختصا به لم يكن<sup>٦</sup> فرد<sup>٦</sup> منه لغيره ، إذ الجنس لا يوجد إلا ضمن  
أفراده ، فتنى وجد فرد منه لغيره<sup>٢</sup> كان الجنس موجودا فيه فلم يكن<sup>١٠</sup>  
الجنس مختصا به وقد قلنا : إنه مختص ، وهذا التحميد صار<sup>٧</sup> بوصفه  
فردا<sup>٨</sup> من أفراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونها<sup>٩</sup> أمّا ، و عقبها سبحانه  
بالدليل الشهودى على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه  
بقوله : ﴿ الذى خلق ﴾ .

ولما كان تعدد السباوات ظاهرا بالكواكب في سيرها و حركاتها ١٥  
في السرعة والبطء واستتار<sup>١</sup> بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وغير<sup>٢</sup> ذلك

(١) زيد في الأصل : ثم تحمده لنفسه ، ولم تكن الزيادة في ظرفها (٢) سقط  
من ظ (٣) في ظ : الاخبار (٤-٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ ، وفي  
الأصل : موول - كذا (٦) في ظ : فلم يكن (٧) في ظ : سا - كذا (٨) في ظ :  
فرد (٩) في ظ : لكونه (١٠) من ظ ، وفي الأصل : استار .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ١) ج - ٧

ما هو محرر عند أهله : جمعها فقال : ﴿ السفوت ﴾ أى على علوها  
وإحكامها ، [ قدمها لما تقدم قريبا - ١ ] ﴿ و الارض ﴾ أى على تحليها<sup>٢</sup>  
بالمنافع و انتظامها .

ولما كان فى الجعل معنى التضمن<sup>٣</sup> فلا يقوم المجهول بنفسه قال :  
﴿ و جعل ﴾ أى أحدث و أنشأ لمصالحكم ﴿ الظلمت ﴾ أى الأجرام  
المتكاثفة كما تقدم ؛ ﴿ و النور ﴾ و جمع الأول تنبيها على أن طرق  
الشر و الهلاك كثيرة تدور على الهوى ، و قد تقرر بهذا ما افتتح به السورة ،  
لأن من تفرد باختراع الأشياء كان هو المختص بجميع المحامد ، و من  
اختص بجميع المحامد لم يكن إله سواه و لم يكن له شريك ، لا ثانى  
١٠ اثنين و لا ثالث ثلاثة و لا غير ذلك ، و ما أحسن ختمها - بعد الإشارة  
إلى هذه المقاصد المبعدة لأن يكفر به أو يعدل به شيء - بقوله :

﴿ ثم الذين كفروا ﴾ أى سترُوا ما دلتهم عليه عقولهم من أدلة وحدانيته  
التي لا خفاء بها عن أحد جرّد نفسه من الهوى ، و عاج أدواه بأنقع  
دواء ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، و زاد الأمر تقيحا عليهم بأبدال<sup>٤</sup>  
١٥ ما كان الأصل فى الكلام من الضمير<sup>٥</sup> بقوله : ﴿ برهم ﴾ أى المحسن  
إليهم الذى لم يروا إحسانا إلا منه ﴿ يعدلون ه ﴾ أى يجعلون غيره بمن  
لا يقدر على شيء معادلا له مع<sup>٦</sup> معرفتهم به<sup>٧</sup> بأنه الذى أبدع الأشياء ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : تخللها (٣) فى ظ : التضمين (٤-٤) سقط ما بين الرقین  
من ظ (ه) من ظ ، وفى الأصل : جعل (٦) فى ظ : بدل (٧) من ظ ، وفى  
الأصل : الضم (٨) - سقط من ظ .



كفرا نعمته وُبُعدا من رحمته ، فبعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه  
 من السماء كالنجوم ، أو من الأرض كالأصنام ، أو بعض ما ينشأ عن  
 بعض خلقه من الأعراض وهو خلقه كالنور و الظلمة ، والحال أن  
 تقلباتها<sup>١</sup> تدل بأدنى<sup>٢</sup> النظر على أمرين : الأول بُعدهما عن الصلاحية  
 للالهية لتغيرهما " قال<sup>٣</sup> لا احب الأقلين " ، والثاني قدرة خالقهما ه  
 ومغيرهما على البعث<sup>٤</sup> لإيجاد كل منهما بعد إعدامه كما هو شأن البعث -  
 إلى غير ذلك من الأسرار التي تدق عن\* الأفكار ، و تقديم الظلمة  
 مناسب لسياق العادلين ، والتعير بثم للتنيه<sup>٥</sup> على ما<sup>٦</sup> كان ينبغي لكل  
 راء<sup>٧</sup> لهذا الخالق من الإبعاد عن الكفر لبعده عن الصواب ، فقد لاح  
 أن<sup>٨</sup> مقصد السورة الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب الذي تبين ١٠  
 أنه الهدى من توحيد الله و الاجتماع عليه و الوفاء بعهوده بأنه سبحانه  
 وحده الخالق الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث وغيره ،  
 وما أنسب ذلك بختم المائدة بذكر يوم الجمع و أن لِعَلِكِهِ<sup>٩</sup> جميع الملك ،  
 وهو على كل شيء قدير ، وهذه السورة أول السور الأربع<sup>١٠</sup> المشيرة  
 إلى جميع النعم المدرجة تحت "النعم الأربع" التي اشتملت عليها الفاتحة ، ١٥  
 و كل سورة منها<sup>١١</sup> مشيرة إلى<sup>١٢</sup> نعمة من النعم الأربع<sup>١٣</sup> ، فقولهُ<sup>١٤</sup> "خلق  
 السموت و الأرض" - الآية ثم "خلقكم / من طين" ثم<sup>١٥</sup> "وما من

١٥٨ /

- (١) من ظ . وفي الأصل : تقلباتها (٢) من ظ ، وفي الأصل : باداني (٣) من  
 القرآن الكريم آية ٧٦ ، وفي الأصل و ظ : اني (٤) من ظ ، وفي الأصل :  
 البعض (٥) في ظ : على (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل : عليها (٧) في ظ : واحد .  
 (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : الملكة - كذا (١٠) من ظ ، وفي الأصل :  
 الأربعة (١١-١١) في ظ : الأربع النعم (١٢) في ظ : بقوله .

دابة في الارض - الآية، متكفل<sup>١</sup> بتفصيل نعمة الإيجاد الأول  
لجميع العالمين من السماوات والارض وما بينهما وما فيها من آدمي  
و غيره المشار إليه في الفاتحة رب العالمين كما تقدم .

ولما تكفلت السور<sup>٢</sup> المتقدمة بالرد على مشركي<sup>٣</sup> العرب و اليهود  
و النصرى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك، سبق مقصود  
هذه السورة في أساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق، وهم الثنوية<sup>٤</sup>  
من<sup>٥</sup> المجوس القائلون<sup>٦</sup> بالهين اثنين و بأصلين :<sup>٦</sup> النور و الظلمة، و يقرون  
بنبوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فقط، و الصابئة القائلون بالآوثان  
السماوية و الأصنام الارضية متوسطين إلى رب الأرباب، و ينكرون  
١٠ الرسالة في الصورة البشرية، و أصحاب الروحانيات، أغنى مدبرات  
الكواكب و الأفلاك، و ينتسبون<sup>٧</sup> إلى ملة إبراهيم عليه السلام، و يدعون  
أنه منهم - و قد أعاده الله من ذلك، و السمنية<sup>٨</sup> القائلون بالهية الشمس،  
مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة على أن جميع فرقهم يجتمعون في  
اعتبار النجوم، يتبين ذلك لمن نظر في كتب فتوح بلاد الفرس في أيام  
١٥ الصديق و الفاروق رضى الله عنهما، و قال تنكلوشا<sup>٩</sup> البابلي في أول كتابه

(١) في ظ تنكفل (٢) في ظ : السورة (٣) من ظ ، وفي الأصل : مشرك .  
(٤) وقع في الأصل : الثرية ، وفي ظ : بالثوية - كذا ، و التصحيح من كتاب  
البدء و التاريخ ٤ / ٢٤ حيث ذكر أديان من قال باثنين أو بأكثر (٥) في  
ظ : القائلين (٦) زبدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ فخذناها .  
(٧) في ظ : فيسون (٨) في ظ : الشمسية، و الضواب ما في الأصل - راجع البدء  
و التاريخ (٩) في ظ : سنكلوما - كذا .

في أحكام الدرج<sup>١</sup> الفلكية أن القدماء من الكسدانيين استنبطوا غوامض أسرار الفلك، وكان عندهم أجل العلوم ولم يكونوا يظهرون علم الفلك لكل الناس، بل كانوا يخفون أكثره عن عامتهم، و يعطونهم منه بمقدار ما يصلح، و يتدارسون الباقي بينهم مطويا<sup>٢</sup> بين علمائهم<sup>٣</sup> و حكماهم<sup>٤</sup>، ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلاثمائة و ستين، ثم قال: و قسموا الدرج ٥ أقساما كثيرة حتى قالوا: إن بعضها ذكور<sup>٥</sup> و بعضها إناث، و بعضها مسعدة و بعضها منحسة، ثم قال: كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل عليه في عالمنا و على أحوالنا حتى جعلوا لكل درجة عالما و خلقا منفردا بمدته<sup>٦</sup>، و أن ذلك العالم و الخلق يندرسون و ينشأ بعدهم غيرهم - إلى غير ذلك من الكلام الذي يرجع إلى اعتقاد تأثير النجوم بنفسها - ١٠ تعالى الله عن أن يكون له شريك أو يكون له<sup>٧</sup> كفوا أحد.

ولما قرر سبحانه أنه<sup>٨</sup> هو الذي خلق السماوات و الأرض اللتين منها و فيها الأصنام و الكواكب و الأجرام التي عنها النور و الظلة، ثبت وجوده على ما هو عليه من الإحاطة بأوصاف الكمال التي أثبتتها الحمد، فبطلت جميع مذاهبهم، فعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره، أتبع ذلك ١٥ اختصاصه بخلق هذا النوع البشري، و هو - مع ما فيه من الشواهد له

(١) من ظ، و في الأصل: المداير، وسمى هذا الكتاب في كشف الظنون ١/٧٤٠: درج الفلك - في الأحكام (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: مطلوباً. (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ: ذكورا (٦-٦) من ظ، و في الأصل: فتفرد بمدته.

بالاختصاص بالحمد والرد على المَظْطَرِّين لعيسى عليه السلام - المخلوق من الطين بمخلق أيهم آدم عليه السلام - مؤكداً<sup>١</sup> لإبطال مذهب التوبة، وذلك أنهم يقولون: إن النار خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، فإذا ثبت أنه الخالق<sup>٢</sup> لنوع الآدميين الذين منهم الخير والشر من شيء واحد، وهو الطين الذي ولد منه المني الذي يجعل منه الأعضاء المختلفة في اللون والصورة والشكل من القلب وغيره من الأعضاء البسيطة<sup>٣</sup> كالعظام والغضاريف<sup>٤</sup>، والرباطات والأوتار، ثبت أن خالق أوصافهم من الخير والشر واحد قدير عليم، لأن توليد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة لا يكون إلا ومبدعه واحد محتار، لا اثنان، وهو الذي خلق الأرض

/ ١٥٩

١٠ التي منها أصلهم، وهو الله الذي اختص بالحمد فقال: ﴿ هو الذي خلقكم ﴾ ولما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الأموات تراباً واختلاط تراب الكل بعضه ببعض وبتراب الأرض، فيتعذر التمييز<sup>٥</sup>، وكان تمييز الطين لشدة اختلاط أجزائه بالماء أعسر من تمييز التراب قال: ﴿ من طين ﴾ أي فيز طينة كل منكم - مع أن منكم الأسود والأيض ١٥ وغير ذلك والشديد وغيره - من طينة الآخر بعد أن جعلها ماء تخيّن له قوة الدفع ونماها إلى حيث شاء من الكبر.

(١) في ظ: مؤكداً (٢) في ظ: خالق (٣) من ظ، وفي الأصل: خالق .  
(٤-٤) في ظ: كالطعام والعطارييف - وهو خطأ، والغضاريف جمع غضروف وهو كل عظم رخيص، ويقال أيضاً: الغرضوف (٥) من ظ، وفي الأصل: التشابه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: التمييز (٨) من ظ، وفي الأصل: تمييز (٩) من ظ، وفي الأصل: كلا (١٠) من ظ، وفي الأصل: ثم .  
(٢) و لا

- ولما كان من المعلوم أن ما كانا<sup>١</sup> من شيء واحد كانت مدة بقائهما واحدة، نه بأداة التراخي على كمال قدرته واختياره من<sup>٢</sup> المفاوطة بين الآجال فقال: ﴿ ثم قضى ﴾ أى حكم حكما تاما وبت وأوجد ﴿ اجلا<sup>٣</sup> ﴾ أى وقتا مضروبا لانقضاء العمر وقطع التأخر لكل واحد منكم خيرا كان<sup>٤</sup> أو شريرا، قويا كان<sup>٥</sup> أو ضعيفا، من أجل يأجل أجولا - إذا ه تأخر، وجعل تلك الآجال - مع كونها متفاوتة<sup>٦</sup> - متقاربة لا مزية لأحد منكم بصفة على آخر بصفة مغائرة لها، وفاعل ذلك لا يكون إلا واحدا فاعلا بالاختيار.
- ولما ذكر الآجل الأول الذى هو الإبداع من الطين إشارة إلى ما فرع منه من الآجال متفاوتة، ذكر الآجل الآخر الجامع للكل، لأن ذكر البداية يستدعى ذكر النهاية، فقال مشيرا إلى تعظيمه بالاستئناف ١٠ والتكثير: ﴿ و اجل ﴾ أى عظيم ﴿ مسمى ﴾ أى لكم أجمعين لانقضاء البرزخ للاعادة التى هى فى مجارى عاداتكم أهون من الابتداء لمجازاتكم<sup>٧</sup> والحكم بينكم الذى هو محط حكمته ومظهر نعمته ونعمته فى وقت واحد، يتساوى فيه الكل، وسرعه عن الكل كما أشار إليه بالتكثير، وهذا لا يصح أن يكون إلا لواحد، لا متعدد، وإلا لتباينت المقادير ١٥ والإرادات واشتق كل مقدور فى صف<sup>٨</sup> لا يتعداه، وإلا لعل بعضهم على بعض وانتهكت<sup>٩</sup> أسرار البعض البعض - سبحانه الله وتعالى عما يصفون، وغير السياق إلى الاسمية إشارة إلى اختصاصه بعلمه وأنه ثابت لا شك فيه<sup>١٠</sup> ويؤكد<sup>١١</sup> إثبات قوله: ﴿ عنده ﴾ فى هذه الجملة وحذفها
- 
- (١) من ظ، وفى الأصل: كان (٢) فى ظ: فى (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: لمجازتكم (٦) فى ظ: صنعه (٧) من ظ، وفى الأصل: انتهكت (٨) فى ظ: مؤكدة.

من الأولى ' هنا <sup>٢</sup> وفي قوله " ثم يعثكم " فيه ليقضى اجل مسمى " وقدم  
المتبدأ مع تنكيره - و الاصل تأخير - إفادة <sup>٤</sup> لتعظيمه .

ولما كان في هذا من البيان لوحديته <sup>٥</sup> وتام قدرته <sup>٦</sup> لا سيما على  
البعث الذي هو مقصود حكمته ما يبعد ما يعدد معه الشك في الإعادة ، أشار إليه  
هـ بأداة التراخي و صيغة الافتعال فقال : ﴿ ثم اتم تمترون هـ ﴾ أى تكلفون  
أنفسكم الشك في كل من الوحداية و الإعادة التى هى أهون على مجارى  
عاداتكم من الابتداء ، بتقليد الآباء ، الركون إلى مجرد الهوى و الإعراض  
عن الأدلة [ التى - <sup>٧</sup> ] هى أظهر من ساطع الضياء ، وهذه الآية نظير آية  
الروم " اولم يتفكروا فى انفسهم " <sup>٨</sup> أى كيف خلقهم الله من طين ، وسلط بعضهم  
١٠ على بعض بالظلم و العدوان ، و جعل لهم آجالا فآتت بينها <sup>٩</sup> و سارى فى

ذلك بين الأصل و الفرع ، فأتبع هذا أنه ما خلق الله السماوات و الأرض  
" و ما بينهما " إلا بالحق ، أى <sup>٢</sup> بسبب إقامة العدل فى جميع ما وقع بينكم من  
الاختلاف كما هو شأن كل مالك فى عبيده " و اجل مسمى " - الآية . وقال  
الإمام أبو جعفر <sup>٣</sup> بن الزبير : لما بين سبحانه / و تعالى حال <sup>٤</sup> المتقدمين <sup>٥</sup>

/ ١٦٠

١٥ و هو الصراط المستقيم ، و أوضح ما <sup>٦</sup> " يظهر الحذر " [ من - <sup>٧</sup> ] جانبى  
الآخذ و الترك ، و بين <sup>٨</sup> " حال من تنكب عنه ممن كان قد يلحقه <sup>٩</sup> ، و هم

( ١ ) من ظ ، و فى الأصل : الاول ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ ) فى الأصل و ظ :  
نعثكم - كذا . و التصحيح من القرآن الكريم آية ٩٠ ، و الآية بالغيبة بلا خلاف .  
( ٤ ) من ظ ، و فى الأصل : لإفادة ( ٥ ) فى ظ : الوحداية ( ٦ ) فى ظ : القدرة ( ٧ ) زيد  
من ظ ( ٨ ) آية ٨ ( ٩ ) فى ظ : بعض ( ١٠ ) فى ظ : منها ( ١١ - ١٢ ) سقط ما بين  
الرقمين من ظ ( ١٣ ) فى الأصل : جعفر ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو أحمد  
ابن إبراهيم بن الزبير - راجع معجم المؤلفين ١ / ١٣٨ ( ١٣ ) فى ظ : المتقين .  
( ١٤ - ١٥ ) فى ظ : يحذر - كذا ( ١٥ ) فى ظ : من ( ١٦ ) فى ظ : تلحقه .

اليهود والنصارى، وكونهم لم يلتزموا الوفاء به<sup>١</sup> وحادوا عما أنهج<sup>٢</sup> لهم، وانقضى أمر الفريقين، ذمنا لحالهم وبياننا لنقضهم وتحذيرنا للمتقين أن يصيهم ما أصابهم، وختم ذلك ببيان حال المؤمنين في القيامة يوم ينفع الصادقين صدقهم، وقد كان انجرّ مع ذلك ذكر مشركي العرب وصممهم عن الداعي وعمامهم عن الآيات. فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالأناسي، أعقب<sup>٣</sup> ذلك تعالى بالإشارة إلى طائفة مالت<sup>٤</sup> إلى النظر والاعتبار، فلم توقع لإصابة الحق وقصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى. وليسوا ممن يرجع إلى شريعة قد حرفت، غيرت، بل هم في صورة<sup>٥</sup> من هتم<sup>٦</sup> أن يهتدى<sup>٧</sup> بهدى الفطرة ويستدل بما بسط الله تعالى في المخلوقات فلم يمعن النظر ولم يوفق فضل<sup>٨</sup> وهم المجوس وسائر الثنوية ممن كان قصارى<sup>٩</sup> أمره نسبة<sup>١٠</sup> الفعل إلى النور والإظلام، ولم يكن تقدم لهؤلاء ذكر ولا إخبار بحال فقال تعالى "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" فبدأ تعالى بذكر خلق السموات والأرض التي عنها وجد النور والظلمة، إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام، والنور عن أجرام نيرة محمولة فيها [وهي الشمس -<sup>١١</sup>] والقمر والنجوم، فكان الكلام: الحمد لله الذي<sup>١٥</sup> أوضح الأمر لمن اعتبر واستبصر، فلم أن وجود النور والظلمة متوقف بحكم السببية التي شاءها تعالى على وجود أجرام السموات والأرض

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: انعج (٣) من ظ، وفي الأصل: اومات - كذا (٤-٥) من ظ، وفي الأصل: منهم - كذا متصلا (٥) من ظ، وفي الأصل: يهتدى (٦) من ظ، أي غاية أمره، وفي الأصل: قصارين (٧) زيد من ظ.

وما أودع فيها، ومع بيان الأمر في ذلك حاد [ عنه - ' ] من عمى  
 عن الاستبصار "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" وقوله تعالى "هو  
 الذى خلقكم من طين" مما يزيد هذا المعنى وضوحاً، فانه تعالى ذكر  
 أصلنا والمادة التى عنها أوجدنا، كما ذكر للنور والظلمة ما هو كالمادة،  
 ه وهو وجود السماوات والأرض، وأشعر لفظ 'جعل' بتوقف الوجود  
 بحسب المشيئة على ما ذكر، وكان قد قيل: أى فرق [ بين - ' ]  
 وجود النور والظلمة عن وجود السماوات والأرض وبين وجودكم  
 عن الطين حتى يقع امتراء فيه<sup>٢</sup> عن نسبة الإيجاد إلى النور والظلمة، وهما  
 لم يوجد إلا بعد مادة أو سبب كما طرأ في إيجادكم؟ فالأمر في ذلك أوضح  
 ١٠ شئ، "ثم انتم تَمُوتُونَ"، ثم مرت السورة من أولها إلى آخرها منبهة  
 على بسط الدلالات في الموجودات مع التنبيه على أن ذلك لا يصل  
 إلى استثمار فائدته<sup>٢</sup> إلا من هبى<sup>٣</sup> بحسب السابقة فقال تعالى "انما يستجيب  
 الذين يسمعون" ثم قال تعالى "والموتى يعثهم الله"، وهو - والله أعلم -  
 من نمط "او من كان ميتاً فأحييناه"، أجمل هنا ثم فسر بعد في السورة  
 ١٥ بعينها، والمراد أن من الخلق من جعله الله سامعاً مطيعاً متيقظاً معتبراً بأول  
 وهلة، وقد أرى المثال سبحانه وتعالى في ذلك في قصة إبراهيم عليه  
 السلام في قوله "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض"  
 فكأنه يقول لعباده المتقين: تعالوا فانهجوا طريق الاعتبار ملة أبيكم  
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: فتدعى (٣) في ظ: زائدة (٤) في  
 ظ: هيا (٥) من ظ، وفي الأصل: كانه.



إبراهيم 'كيف نظر' عليه السلام نظر السامع المتيقظ! فلم يبرج في أول نظره على ما سبب وجوده بين<sup>١</sup> فيحتاج فيه إلى غرض في الكواكب والقمر والشمس، بل نظر فيها عنه<sup>٢</sup> صدر النور، لا في النور، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، فتأمل كونه عليه السلام لم يطول النظر بالصفات النور، ثم كان يرجع إلى اعتبار الجرم / الذى عنه<sup>٣</sup> النور، بل لما رأى ٥ / ١٦١

النور عن أجرام سماوية تأمل تلك الأجرام وما قام بها من الصفات، فرأى الأفول والطلوع والانتقال والتقلب فقال: هذا لا يليق بالربوبية لأنها صفات حدوث، ثم رقى<sup>٤</sup> النظر إلى القمر والشمس فرأى ذلك الحكم جاريا فيهما فحكم بأن وراءها مدبرا لها يتنزه عن الانتقال والغية والأفول فقال: "انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض"، ١٠

وخص عليه السلام ذكر هذين لحملهما أجرام<sup>٥</sup> النور وسببتهما<sup>٦</sup> في وجود الظلمة<sup>٧</sup>. ثم تأمل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص بالاعتبار أشرف الموجودين<sup>٨</sup> وأعلاهما، فكان في ذلك وجهان من الحكمة: أحدهما علو النظر ونفوذ البصيرة في اعتبار الأشرف الذى إذا بان منه الأمر فهو فيما سواه أمين، فجمع بين قرب التناول وعلو التهديد<sup>٩</sup>، ١٥

والوجه الثانى التناسب بين حال الناظر والمنظور فيه والتناول والجرى على الفطرة العلية، وهو من قبيل أخذ نبينا صلى الله عليه وسلم اللبن حين عرض عليه اللبن والخمر فاختر اللبن، فقيل له: اخترت الفطرة! ١

---

(١-١) سقط ما بين الرقمن من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: عند (٣) من ظ، وفي الأصل: رى (٤-٤) في ظ: النورية وسببهما (٥) من ظ، وفي الأصل: الوجودين (٦) أى الاسترشاد، وفي ظ: الهدى.

فكان قد قيل : هذا النظر و الاعتبار بالهام ، لا نظر من أدخل إلى الأرض  
فعد الضياء و الظلام ، و ينبغي أن يعتمد في قصة إبراهيم عليه السلام في  
هذا الاعتبار أنه صلى الله عليه وسلم في قوله : « هذا ربى » ، إما [قصد - <sup>١</sup>]  
قطع حجة من عبد شيئا من ذلك <sup>٢</sup> إذ كان <sup>٣</sup> دين قومه ، فبسط لهم الاعتبار  
و الدلالة ، و أخذ يعرض ما قد تنزه <sup>٤</sup> قدره عن الميل إليه ، فهو كما يقول  
المناظر لمن يناظره : هب أن هذا على ما تقول <sup>٥</sup> ، يريد بذلك إذعان خصمه  
و استدعاه <sup>٦</sup> للاعتبار حتى يكون غير <sup>٧</sup> مناظر له <sup>٨</sup> ما لا يعتقد ، لينبى على  
ذلك مقصوده ليقنع <sup>٩</sup> خصمه و هو على يقين من أمره ، فهذا ما ينبغي أن

يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء <sup>١٠</sup> "   
١٠ فالعصمة قد اكتفتهم عما يتوهمه <sup>١١</sup> المبطلون و يتقوله المقترون ، و يشهد  
لما قلناه قوله تعالى " و تلك حجتنا إتيها إبراهيم على قومه <sup>١٢</sup> " ، فهذه حال  
من علت درجته من الذين يسمعون ، فن الخلق من جعله الله سامعا بأول  
وهلة و هذا مثال شاف في ذلك ، و منهم الميت ، و الموتى على ضربين " :  
منهم من يزاح <sup>١٣</sup> [ عن - <sup>١٤</sup> ] جهله و عمه ، و منهم من يبقى في ظلماته  
١٥ ميتا لا حراك به ، يبين ذلك قوله تعالى " أو من كان ميتا فأحييناه و جعلناه

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : فكان (٣) من ظ ، و في الأصل : نزه (٤) في  
ظ : يقول (٥) في ظ : استدعاه (٦-٦) في ظ : منس قوله (٧) في ظ : ليقع .  
(٨) سورة ١٢ آية ٣٨ (٩) في ظ : يتوهمونه (١٠) من القرآن الكريم - راجع  
آية ٨٣ من الأنعام ، و في الأصل و ظ : قوله (١١) من ظ ، و في الأصل :  
جزئين - كذا (١٢) في ظ : يرح - كذا .

نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها“؛  
ولما كانت السورة متضمنة<sup>١</sup> جهات الاعتبار و محركا إلى النظر و معلنة  
من مجموع آياتها أن المعبر و المتأمل - و إن<sup>٢</sup> لم يكن<sup>٣</sup> متيقظا بأول  
وهلة، و لا سامعا أول محرك، و لا مستجيبا<sup>٤</sup> لأول سامع - قد يتقل  
حاله عن جموده؛ و غفلته إلى أن يسمع و يلحق بمن كان يتيقظ<sup>٥</sup> في ه  
أول وهلة؛ ناسب تحريك العباد و أمرهم بالنظر أن تقع الإشارة في  
صدر السورة إلى حالتين: حالة السامعين لأول وهلة، و حالة السامعين  
في ثانی حال، فقيل: / ”انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى  
يعتبرهم الله“ و لم تقع هنا إشارة إلى القسم الثالث مع العلم به، و هو  
الباقى على هموده و موته بمن<sup>٦</sup> لم يحركه زاجر و لا واعظ و لا اعتبار، و لأن<sup>١٠</sup>  
هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسل من ضعف همة، رجعت حالة  
ابتدائه، فقيل: ”و الموتى يعتبرهم الله“ و أطلق ليعمل الكل على هذا  
البعث من الجهل و التيقظ من سنة الغفلة كما دعا الكل إلى الله دعاء  
واحدا فقيل: ”يا أيها الناس اعبدوا ربكم“ ثم اختلفوا في إجابة الداعي  
بحسب السوابق هكذا، و ردّ هذا ”و الموتى يعتبرهم الله“ إسماعا للكل،<sup>١٥</sup>  
و في صورة التساوى مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد، حتى إذا  
انبسطت الدلائل و انشرفت الصدور لتلقيها<sup>٦</sup> و تشبثت<sup>٧</sup> النفوس  
(١) من ظ، و في الأصل: مضمنة (٢-٣) من ظ، و في الأصل: يكن.  
(٣) من ظ، و في الأصل: مسجيا - كذا (٤) في ظ: خموده (ه) في ظ:  
يعظ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: تسبب - كذا.

و تعلقت بحسب ما قدر، و فاز بالخير أهله، قال تعالى بعد آى: " او من كان ميتا فاحيينه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس " و كان قد قيل [لن - ١] انتقل عن حالة الموت فرأى قدر نعمة الله عليه باحيائه: هل يشبه الآن حالك النيرة<sup>٢</sup> - بما منحت حين اعثرت - بحالك الجمادية؟ فاشكر ربك

ه و اضرع إليه فى طلب الزيادة، و اتعظ<sup>٣</sup> بحال من لزم حال موته فلم تغن عنه الآيات، و هو المشار إليه [بقوله - ١] " كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها "، " انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه "، " ولو انا نزلنا اليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله "، " سواء عليهم ء انذرتهم ام لم تنذرهم [لا يؤمنون - ٤] "،

١٠ و كان القسم المتقدم الذى سمع لأول وهلة لم يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد أن أراه قدر هذه النعمة و إنقاذ المتصف بها من حيرة شك<sup>٦</sup> موقعها فيما تقدم من قوله " انما يستجيب الذين يسمعون " فذكر هنا ما هو واقع فى إراءة<sup>٥</sup> قدر نعمة الإنقاذ و التخليص<sup>٤</sup> من عمى الجهل، هذا حال من انتقل بتوفيق الله و حال من بقى على موته، أو يكون الضربان<sup>٧</sup> قد شملهما قوله " او من كان ميتا فاحيينه " و أما الثانى و هو الذى ثبتت<sup>٨</sup> فيه صورة النقل فأمره صريح من الآية و أما الضرب الاول و هو السامع لأول<sup>٩</sup>

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل: التزه - كذا، وفى ظ: البره (٣) من ظ: وفى الأصل: و النقص - كذا (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٦ (٥) فى ظ: ابعاد (٦) من ظ، وفى الأصل: شكه (٧) من ظ، وفى الأصل: اراه - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: التخلص (٩) وقع فى ظ: ضر - كذا مقطوعا (١٠) من ظ، وفى الأصل: بسبب (١١) فى ظ: الأول.

وهلة المكفي المؤنة لواقى العصمة من طوارق الجهل و الشكوك ، فدخله  
 [ تحت - ١ ] مقتضى هذا اللفظ من حيث أن وقايته تلك أو سماعه بأول وهلة  
 ليس من جهته ولا بما سبق أو تكلف ، بل بإسداء<sup>٢</sup> الرحمة و تقديم النعمة ، ولو<sup>٣</sup>  
 أبقاه لنفسه أو وكله إليها لم يكن كذلك ” وما بكم من نعمة فمن الله “ ، فهذا  
 النظر قد تكون الآية قد شملت الضروب الثلاثة وهو أولى ، أما سقوط  
 الضرب الثالث من<sup>٤</sup> قوله ” انما يستجيب الذين يسمعون “ فلما تقدم -  
 والله أعلم بما أراد ؛ ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار  
 وإبداء جهات النظر ما إذا تأمله المتأمل علم أن حجة الله قائمة على العباد ،  
 وأن إرسال الرسل رحمة ونعمة وفضل وإحسان ، وإذا كانت الدلالات<sup>٥</sup>  
 مبسطة و الموجودات مشاهدة مفصحة ، و دلالة النظر من سمع و أبصار ١٠  
 / وأقننه موجودة ، فكيف يتوقف عاقل في عظيم رحمته تعالى بإرسال  
 الرسل ! فتأكدت الحجة و تعاظمت البراهين ، فلما عرف الخلق لقيام الحجة  
 عليهم بطريق الإصغاء إلى الداعي<sup>٦</sup> و الاعتبار<sup>٧</sup> بالصنعة ؛ قال تعالى ” قل لله  
 الحجة البالغة “ ، ” فقد جاءكم بينة من ربكم و هدى و رحمة “ ، فبما<sup>٨</sup> عذر المعتذر  
 بعد هذا ؟ أتريدون كشف الغطاء و رؤية الأمر عيانا ! لو استبصرتم ١٥  
 لحصل لكم ما منحنم ، ” هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك  
 او ياتي بعض ايت ربك “ - الآية ، ثم ختمت السورة من التسليم و التفويض

(١) زيد من ظ (٢) في الأصل و ظ : بإسداء - كذا (٣) سقط من ظ .  
 (٤) سورة ١٦ آية ٥٣ (٥) في ظ : في (٦) في ظ : الدلائل (٧-٧) في ظ :  
 فلا اعتبار (٨) في ظ : فما .

بما يحدى مع قوله " فلو شاء لهدنكم اجمعين " و حصل من السور الاربع بيان أهل الصراط المستقيم و طبقاتهم<sup>١</sup> في سلوكهم و ما ينبغي لهم التزامه<sup>٢</sup> أو تركه ، و بيان حال المتكئين عن سلوكه من اليهود و النصارى و عبدة الأوثان و المجوس - انتهى .

٥ و لما كان علم جميع أحوال المخلوق دالا على أن العالم بها هو خالقه ، و<sup>٣</sup> أن من ادعى أن خالقه عاجز عن ضبط مملكته : عن كشف غيره لعوراتها و علم ما لا يعلمه هو<sup>٤</sup> منها ، فلم يكن<sup>٥</sup> إلها ، و كان الإله هو العالم وحده ، و كان المحيط العلم لا يعسر عليه تمييز التراب من التراب ، و كان صلى الله عليه وسلم يخبرهم عن الله من مغيبات أسرارهم و خفايا أخبارهم ١٠ مما يقصون منه العجب و يعلمون منه إحاطة العلم حتى قال أبو سفيان ابن حرب يوم الفتح : لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصاة<sup>٦</sup> ، قال تعالى عاطفا على " هو الذى " دالا على الوحدانية بشمول العلم بعد قيام الدليل على تمام<sup>٧</sup> القدرة و الاختيار ، لأن إنكارهم المعاد لأمرين : أحدهما ظن أن المؤثر فى الأبدان امتزاج الطبائع و إنكار أن المؤثر هو<sup>٨</sup> قادر ١٥ مختار ، و الثانى أنه - على تقدير تسليم الاختيار - غير عالم بالجزئيات ، فلا يمكنه تمييز بدن<sup>٩</sup> زيد عن أجزاء<sup>١٠</sup> بدن عمرو ، فاذا قام الدليل على

(١) فى ظ : تلقيا بهم - كذا (٢) فى ظ : التزامهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : او (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : و كان (٦) وفى سيرة ابن هشام ٢/٢١٩ : الحصى - و كلاهما واحد (٧) ريد بعده فى الأصل : علم ، ولم تكن الزيادة فى فى ظ فخذتها (٨) فى ظ : بدون .

كمال قدرته سبحانه و اختياره و شمول غلبه لجميع المعلومات : الكليات و الجزئيات<sup>١</sup>، زالت جميع الشبهات : ( وهو الله ) أى الذى له هذا الاسم المستجمع لجميع الاسماء الحسنى و الصفات العلى المدعو به تألها له و خضوعا و تعبداً ، و علق بهذا المعنى قوله : ( فى السموات ) [ لأن من فى الشئ . يكون متصرفا فيه -<sup>٢</sup> ] .

و لما كان الخطاب لمنكرى البعث أكد فقال : ( و فى الارض<sup>٣</sup> ) أى هذه صفته دائماً [ <sup>٢</sup> - على هذا المراد من أنه سبحانه ثابت له هذا الاسم الذى تفرد به على وجهه التأله ، و التعبد فى كل من جهتي العلو و السفلى ، و لا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من أنه محوى ، فان كل محوى منحصر محتاج إلى حاويه و حاصره ، ضعيف التصرف<sup>١٠</sup> فيما وراءه ، و من كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للألوهية و المشيئة لحديث الجارية : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، و محجوج بحديث " أنت الأول فليس قبلك شئ ، و أنت الآخر فليس بعدك شئ ، و أنت الظاهر فليس فوقك شئ ، و أنت الباطن فليس دونك شئ " فان ظاهره منافٍ لظاهر الأول ، و ظاهر هذا مؤيد بقاطع النقل من أنه غير محتاج ،<sup>١٥</sup> و مؤيد بصحيح النقل " ليس كمثل شئ " أى لا فى ذاته و لا صفاته و لا شئ من شئ ، و " قد كان الله و لا شئ معه " ، و حديث " ليس فوقك شئ " - رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه فى الدعوات و أبو داود فى الأدب عن أبى هريرة رضى الله عنه - و الله الموفق ] .

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : بهذا (٤) زيدت الواو بعده فى ظ لحذفها لاستقامة العبارة .

ولما كان المراد إثبات أن علمه تعالى محيط ، نسبة كل من الخفي والجلي إليه على السواء<sup>١</sup> ، و كان السياق هنا للخفي فانه في بيان خلق الإنسان و عجيب صنعه فيه بما خلق<sup>٢</sup> فيه من إدراك المعاني ؛ هياه له من قبل أن يقدر على التعبير عنه ، ثم أقدره على ذلك ؛ قدم الخفي فقال  
 ٥ شارحا لكونه لا يغيب عنه شيء : ﴿ يعلم سركم ﴾ .

ولما كان لا ملازمة بين علم السر و الجهر لانه قد يكون في الجهر لفظ شديد يمنع اختلاط الأصوات فيه من علمه ، صرح به فقال : ﴿ وجهركم ﴾ ؛ نسبة كل منها إليه على حد سواء<sup>٣</sup> ، ولا توصف واحدة منها بقرب في المسافة إليه ولا بعد ؛ ولما كان السر و الجهر شائعين في الأقوال ، وكانت الأقوال تتعلق بالسمع ، ذكرما يعمهما وهو شائع في الأفعال المتعلقة بالبصر فقال :

١٠ / ﴿ و يعلم ما تكسبون ﴾ / فأفاد ذلك صفتي السمع و البصر مع إثبات العلم ، فلما تظاهرت الأدلة و تضافرت الحجج و هم عنها ناكبون ، وصل بذلك في جملة حالية قوله ، معرضا عنهم إيذانا باستحقاقهم شديد الغضب :  
 ١٥ النفي بقوله : ﴿ من آية ﴾ أي علامة على صحة ما دعاهم إليه رسولهم صلى الله عليه وسلم . و بعض بقوله : ﴿ من آيت ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بنصب الأدلة وإفاضة العقول و بعث الرسول ﴿ الا كانوا عنها معرضين ٥ ﴾ أي هذه صفتهم دائما قصدا للعناد لثلاث<sup>٤</sup> يلزمهم الحجة ، ويجوز أن يكون

(١) من ظ ، وفي الأصل : استواء (٢) في ظ : تعلق (٣) في ظ : السواء (٤) في ظ : صفة (٥) من ظ ، وفي الأصل : تنافرة - كذا (٦) في ظ : دليلا - كذا .



ذلك معطوفاً على " يعدلون " .

ولما كان إعراضهم عن النظر سبباً لتكذيبهم ، وهو سبب لتعذيبهم قال<sup>١</sup> : ( فقد كذبوا ) أى أوقعوا تكذيب الصادق ( بالحق ) أى بسبب الأمر الثابت الكامل فى الثبات كله . لأن الآيات كلها متساوية فى الدلالة على ما تدل عليه الواحدة منها ( لما جاءهم<sup>٢</sup> ) أى لم يتأخروا هـ عند المجيء أصلاً لنظر ولا لغيره ، وذلك أدل ما يكون على العناد<sup>٣</sup> . ولما كان الإعراض عن الشيء هكذا فعل المكذب المستهزئ الذى بلغ بتكذيبه<sup>٤</sup> الغاية القصوى ، وهى الاستهزاء ، قال : ( فسوف يأتهم ) أى بوعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم وإن تأخر إتيانه ( انبأوا ما كانوا ) أى جبلة وطبعاً ( به يستهزءون هـ ) أى يحدرون هـ . الهزء به بغاية الرغبة فى طلبه ، وهو أبعد شئ عن الهزء ، والنبأ : الخبر العظيم ، وهو الذى يكون معه الجراء ، وأفاد تقديم الظرف أنهم لم يكونوا يهزئون بغير الحق الكامل - كما ترى كثيراً من المترفين لا يعجب<sup>٥</sup> من العجب ويعجب<sup>٦</sup> من غير العجب ، أو أنه عدل استهزاءهم بغيره بالنسبة إلى الاستهزاء به عدما .

١٥

ولما أخبر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم<sup>٧</sup> بتعذيبهم<sup>٨</sup> ، أتبعه ما يجرى مجرى الموعدة والنصيحة ، فعجب من تماديهم مع ما علوا (١) من ظ ، وفى الأصل : فقال ( ٢-٢ ) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن « الاستهزاء قال » والترتيب من ظ ( ٣ ) فى ظ : تكذيبه ( ٤ ) فى ظ : فلا تعجب . ( ٥ ) فى ظ : تعجب ( ٦ ) فى ظ : قد ( ٧-٧ ) فى ظ : بتعذيبهم .

من إهلاك من كان أشد منهم قوة وأكثر جماعاً و جنى<sup>١</sup> من سوايغ النعم بما لم<sup>٢</sup> يعتبروه فيه مع ما ضموه إلى تحقق<sup>٣</sup> أخبارهم من مشاهدة آثارهم وعجيب اصطناعهم في أبنيتهم وديارهم مستدلاً بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء ، فقال مقرراً منكراً موحياً معجبا: ﴿الم يروا﴾ ودل على كثرة المخبر عنهم تهويلاً للخبر بقوله: ﴿كم اهلكنا﴾ .

ولما كان المراد ناساً معينين لم يستغرقوا زمن القبل ، وهم أهل المكنة الزائدة كقوم نوح وهود وصالح ، أدخل الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ و بين<sup>٤</sup> ” كم “ بقوله: ﴿من قرن﴾ أى جماعة مقترنين فى زمان واحد ، و [م - ء] أهل كل مائة سنة - كما صححه القاموس - لقول النبى صلى الله عليه وسلم لغلالم<sup>٥</sup>: عش قرناً ، فعاش مائة . هذا نهاية القرن ،

والأقرب<sup>٦</sup> أنه لا يتقدر ، بل إذا انقضى أكثر أهل عصر قيل : انقضى القرن ، ودل على ما شاهدوا من آثارهم بقوله: ﴿مكنهم﴾ أى ثبتناهم بقوة الأسباب<sup>٧</sup> من البسطة<sup>٨</sup> فى الأجسام والقوة فى الأبدان والسعة<sup>٩</sup> فى الأموال ﴿فى الأرض﴾ أى بالقوة والصحة والفراغ ما لم تمكنكم ،  
١٥ و مكناهم بالخصب والبسطة والسعة<sup>١٠</sup> ﴿ما لم تمكن﴾ أى تمكيننا لم نجعله ﴿لكم﴾ أى نخضعكم به ، فالآية من الاحتباك أو شبهه ، والالتفات من

(١) من ظ ، وفى الأصل: حى - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل: له (٣) من ظ ، وفى الأصل: نقي (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) وهو عبد الله بن بشر - كما فى البحر المحيط ٤ / ٦٥ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : الأشياء (٩) فى ظ : البسط .

الغية إلى الخطاب لثلا يلتبس<sup>١</sup> الحال، لأن ضمير الغائب يصلح لكل من  
المفضول و<sup>٢</sup> الفاضل، ولا يُبْقَى اللبس التعبيرُ بالماضي<sup>٣</sup> في قوله: ﴿وارسلنا  
السَّمَاءَ﴾ / أى المطر تسمية للشيء باسم سببه أو السحاب ﴿عليهم﴾ .  
ولما كان المراد المطر، كان التقدير: حال كونه ﴿مداراً﴾ أى ذا سيلان  
غزير متتابع. لأنه صفة مبالغة من الدر، قالوا: ويستوى فيه المذكور  
والمؤنث .

ولما ذكر نفقهم بماء السماء، وكان غير دائم، أتبعه ماء الأرض  
لدوامه وملازمته للبساتين والرياض فقال: ﴿وجعلنا الأنهر تجري﴾  
ولما كان عموم الماء بالأرض<sup>٤</sup> وبعده مانعا من تمام الارتفاع بها، أشار  
إلى قربها وعدم عموم الأرض به بالجاء فقال: ﴿من تحتهم﴾ أى على  
وجه الأرض وأسكناه فى أعماقها فصارت بحيث إذا حفرت نَبَعَ منها  
[من -<sup>٥</sup>] الماء ما يجرى منه نهر .

ولما كان من المعلوم أنه من الماء كل شيء حى، فكان من أظهر  
الاشياء أنه غزر نباتهم واخضرت سهولهم وجبالهم، فكثرت زروعهم  
وثمارهم، فاستعت أحوالهم وكثرت أموالهم فتيسرت آمالهم، أعلم<sup>٦</sup>  
سبحانه أن ذلك ما كان إلا لهُوانهم استدراجاً لهم بقوله مسيياً عن ذلك:  
﴿فاهلكتهم﴾ أى بعظمتنا ﴿بذنوبهم﴾ أى التى كانت عن بطرهم<sup>٧</sup> النعمة

(١) من ظ، وفى الاصل: لثلا يلتبس (٢) فى ظ: من (٣) فى الأصل: بالماض،  
وفى ظ: لما مضى (٤) فى ظ: عظيم (٥) من ظ، وفى الأصل: للأرض .  
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بطونهم .

ولم نبال بهم و 'لا أغت' عنهم نعمهم .

ولما كان الإنسان ربما أبقى على عبده أو صاحبه خوفاً من الاحتياج إلى مثله ، بين أنه سبحانه غير محتاج إلى شيء فقال : ﴿ وانشأنا ﴾ ولما كان سبحانه لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعدهم ﴾ أى فيما كانوا فيه ﴿ قرنا ﴾ ودل على أنه لم يُبق من المهلكين أحداً ، وأن هذا القرن الثانى لا يرجع<sup>٢</sup> إليهم بنسب<sup>٢</sup> بقوله : ﴿ آخرين ه ﴾ ولم ينقص ملكنا شيئاً ، فاحذروا أن تفعل بكم كما فعلنا بهم ، وهذه الآية مثل آية الروم " أولم يسيرا في الارض " - الآية ، فتمكينهم<sup>٣</sup> هو المراد بالشدة هناك ، و التمكين لهم هو المراد بالعمارة ، والإهلاك بالذنوب هو المراد بقوله " فما كان الله ليظلمهم " - إلى آخر الآيتين .

ولما كانت ترجمة ما مضى : ثم هم<sup>٤</sup> يعدلون بربههم<sup>٤</sup> غيره<sup>٤</sup> ويكذبونك فيما جئت به من الحق مع ما أوضحت عليه من الحجج ونصبت من الدلائل ، و كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إيمانهم ، كان المقام يقتضى أن يقول لسان الحال : أنزل عليهم يارب ما ينتقلون به من النظر بالفكر إلى العيان كما اقترحوا على<sup>٥</sup> ، فأخبره أنهم لا يؤمنون بذلك ، بقوله عطفاً على " وما تاتيهم من آية " تحقيقاً له وتصويراً في جريته<sup>٦</sup> : ﴿ ولو نزلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عليك كتبنا ﴾ أى مكتوباً من السماء .

( ١ - ١ ) من ظ ، و في الأصل : اعتب - كذا ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ ) من ظ ، و في الأصل : مسبب ( ٤ ) آية ( ٥ ) من ظ ، و في الأصل : فتمكينهم ( ٦ - ٦ ) في ظ : بربههم يعدلون ( ٧ ) في الأصل : جربه ، و في ظ : خرقه - كذا .

( في قرطاس ) أى ورق ، إجابة لما أشار عليهم اليهود باقتراحه ، ثم حقق أنه واضح الأمر ، ليس بخيال ولا فيه نوع لبس بقوله : ( فلسوه ) أى زيادة على الرؤية . وزاد في التحقيق والتصوير ودفع التجوز بقوله : ( بأيديهم لقال ) وأظهر ولم يضمن تعليقاً للحكم بالوصف وتنبها على أن من الموجودين من يسكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال : ( الذين كفروا ) هـ  
أى حكماً بتأيد كفرهم ستراً للآيات عنادا ومكابرة ، ولعله أسقط 'منهم' إشارة إلى عموم دعوته ، أى من العرب ومن غيرهم من أمة دعوتك ولا سيما اليهود المشار إلى تمتهم\* وكذبهم بقوله " يسلك اهل الكتب ان تنزل عليهم كتباً من السماء " ( ان ) أى ما ( هذا الا سحر ) أى تمويه وخيال لا حقيقة له ، وزادوا في الوقاحة فقالوا : ( مبين هـ ) أى ١٠  
واضح ظاهر ، قال صاحب كتاب الزينة : معنى السحر فى كلام العرب التعليل<sup>٧</sup> بالشئ والمدافعة به والتعزير بشئ لا محصول له ، يقال : سحره - إذا علله وعززه وشبه عليه حتى لا يدري من أين يتوجه ويقلب عن وجهه / ، فكأن السحرة يعللون الناس بالباطل ويشبهون الباطل فى صورة الحق ويقلبونه عن جهته .

١٥

ولما بين ما يترتب على الإجابة إلى ما أشار إلى أن اليهود اقترحوه من إنزال الكتاب ، أخبر أنهم اقترحوا ظهور الملك [ لهم -<sup>٨</sup> ] . وبين لوازمه ، فانهم قالوا : لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون أكثر

(١) تأخر فى الأصل عن « ذلك فقال » (٢) فى ظ : تعدد (٣) من ظ ، وفى الأصل : حكمتا (٤) فى ظ : بسائر (٥) من ظ ، وفى الأصل : يفهم (٦) من ظ والقرآن الكريم آية ١٥٢ من سورة النساء ، وفى الأصل : ينزل (٧) من ظ ، وفى الأصل : التعليل (٨) زيد من ظ .

علما و أقوى قدرة و أظهر امتيازاً عن البشر ، فتكون<sup>١</sup> الشبهة في رسالته أقل ،  
والحكيم<sup>٢</sup> إذا أراد تحصيل مهم<sup>٣</sup> كان الأولى تحصيله بما هو أسرع إحصالا  
إليه ، فقال : ﴿ وقالوا لو لا ﴾ أى هلا و لِمَ لا ﴿ انزل عليه ملك ﴾ أى  
من السماء ظاهرا لنا يكلمنا و نكلمه و لا يحتجب عنا .

٥ ولما ذكر قولهم مشيرا إلى شبهتهم ، نقضه بقوله : ﴿ ولو ﴾ أى  
و الحال أنا لو ﴿ انزلنا ﴾ و أسقط أداة الاستعلاء لعدم الاحتياج في رد  
كلامهم إلى ذكرها ، و<sup>٤</sup> ثلثا يكون فيه تسليم لما لوحوا إليه من إنكارهم  
نزول الملك عليه بالوحي ﴿ ملكا ﴾ أى كما اقترحوه<sup>٥</sup> ، فلا يخلو إما أن  
يكون على صورته<sup>٦</sup> أو لا ، فان كان على صورته<sup>٦</sup> التى خلق عليها لم يثبتوا  
١٠ لرؤيته ، ولو كان كذلك ﴿ لقضى الامر ﴾ أى بهلاكهم ، و بناه<sup>٧</sup> للفعول  
إشارة على<sup>٨</sup> طريق كلام القادرين إلى غاية السرعة لسهولة الامر و خفة  
مؤته ، فانه لا ينظره أحد منهم إلا صعق ، و لئن أعطيناهم قوة يثبتون بها  
لنظره ليكون<sup>٩</sup> قضاؤه الامر و انفصال للزراع من وجه آخر ، و هو  
أن ذلك كشف للغطاء و فوات للايمان بالغيب ، و قد جرت عادتنا  
١٥ بالإهلاك عند ذلك ، فاذا هم هالكون على كل من هذين التقديرين ، و هو  
معنى قوله مهولا . لرتبته بحرف التراخي : ﴿ ثم لا ينظرون ه ﴾ أى على  
حالة من هاتين ، و أما إن جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله

- (١) من ظ ، و في الأصل : فيكون (٢) في ظ : الحكم (٣) في ظ : هم مهم .  
(٤) سقط من ظ (هـ) في ظ : اقروه (٦-٦) تكرر ما بين الرقین في الأصل .  
(٧) في ظ : بناوه (٨) من ظ ، و في الأصل : الى (٩) في ظ : ليكون .

على صورة رجل، فانها أكل الصور، وحيث يقع لهم اللبس الذى وقع لهم بدعائك، وهو معنى (ولو جعلته) أى مطلوبهم (ملكا) أى يمكن فى مجارى العادات فى هذه الدار رؤيتهم<sup>٢</sup> له وبقاؤهم بعد رؤيته (لجعلناه رجلا) أى فى صورة رجل، ولكنه عبر بذلك إشارة إلى تمام اللبس حتى [أنه - ٢] لا يشك أحد يراه فى كونه رجلا، كما كان هـ جبريل عليه السلام يزل فى بعض الأوقات على النى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبي، فاذا رآه بعض الصحابة رضى الله عنهم لم يشك أنه دحية رضى الله عنه (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم ما يلبسون هـ) أى لخلطنا عليهم بجعلنا إياه رجلا ما يخلطونه<sup>٤</sup> على أنفسهم وعى غيرهم فى قولهم: إن الرسالة لا تصح من البشر، فلو كان هذا [الذى يقول: ١٠ إنه رسول - ٢] رسولا لكان ملكا، فوقع اللبس عليهم بأنه لما كان [هذا - ٢] الذى<sup>٥</sup> يقول: إنه رسول، ملكا كان رجلا، ويجوز أن يقرر ذلك على وجه آخر، وهو أن يكون "ولو نزلنا" فى حيز "كانوا عنها معرضين"، أى أعرضوا عنها لو نزلناها عليك فى غير قرطاس، ولو نزلنا عليك من السماء كتابا فى قرطاس فجعلناه لهم فى ١٥ ذلك بين حس<sup>٦</sup> البصر واللس لا عرضوا، وقال الذين أبتدأ كفرهم عنادا

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: رويته (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: ما يخلطونه.  
 (٥) زيد بعده فى الأصل: يقول رسولهم الذى، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها.  
 (٦) فى ظ: لجعلناه (٧) فى ظ: حيز - كذا:

نظم الدرر ( سورة الأنعام: ٦: ١٠ و ١١ ) ج - ٧

ومكابرة: ما هذا إلا سحر ظاهر، ويكون "وقالوا" معطوفاً على "لقال الذين كفروا" ويكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الإسراء بقوله "وقالوا لن تومن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً" - إلى آخرها، فيكون إخباراً بمغيب.

٥. ولما قطع الرجاء لهداية من حكم بشقاوته، وكان طلبهم للإزال الملك ونحوه إنما هو على سبيل<sup>٢</sup> التعت<sup>٢</sup> والاستهزاء، وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضى الله عنهم غاية المشقة /، انتفتت النفس إلى الإراحة منهم وتوقعته لما تقدم من مظاهر العظمة، فأخبره أنه فاعل ذلك في سياق متكفل بقسليته، وأن<sup>٣</sup> ذلك لم يزل<sup>٢</sup> سنته<sup>٢</sup> فيمن فعل فعلهم، فقال - عاطفاً على قوله "فسوف ياتيهم انبؤا" - : (ولقد) أى هذا منهم إنما هو استهزاء بك ولقد (استهزئ) أى أوقع الهزء وأوجد من الأمم، وبنى للفعول لأن المنكى الاستهزاء، لا كونه من معين، وإشارة إلى أنه كان يقع لهم ذلك من الأعلى والأدنى (برسل).

١٥. ولما كان القرب في الزمن في مثل هذا مما يسلى، وكان كل من<sup>٦</sup> الاستهزاء والإرسال<sup>٦</sup> لم يستغرق الزمن<sup>٦</sup>، أدخل الجار فقال: (من قبلك) فأهلكنا من هزأ بهم، وهو معنى (لخاق) أى فأحاط

(١) آية ٩ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣-٣) في ظ: تلك لم تزل .  
(٤) من ظ، وفي الأصل: سنة (٥) من ظ، وفي الأصل: ذلك (٦-٦) في ظ: الإرسال والاستهزاء (٧) في ظ: الزمان.



(بالذين يخفوا منهم) أى من أولئك الوسل (ما كانوا به يستهزون<sup>٤</sup>)  
أى من العذاب الذى<sup>١</sup> كانوا يتوعدون به<sup>٢</sup>، و كان سببا لهنهم .

ولما [ علم الله تعالى أنهم يقولون فى جواب هذا : إن هذا إلا أساطير  
الأولين -<sup>٣</sup> ]، أمره صلى الله عليه وسلم بعد ما مضى من التعجب من كونهم  
لم ينظروا بقلوبهم أو أبصارهم مصارع الماضين فى قوله "الم يروا كم أهلكنا"<sup>٥</sup>  
أن يأمرهم بأن يشاهدوا مصارع من تمكن فى قلوبهم علم أنهم أهلكوا  
بمثل تكذيبهم من قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ليغيبهم<sup>٦</sup> ذلك عن  
مشاهدة ما اقترحوها فقال تعالى : (قل سيروا) أى أوقعوا السير  
للاعتبار ولا<sup>٧</sup> تغفروا بامهالككم وتمكينكم (فى الارض) - الآية<sup>٨</sup>، وهى<sup>٩</sup>  
كالدليل على قوله تعالى "لقال<sup>١٠</sup> الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين"<sup>١١</sup> .

ولما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل أخذ الأمم الماضية ،  
وكان قد سلف<sup>١٢</sup> أنه لا تقدمهم<sup>١٣</sup> عن آجالهم ، أمهلهم فى النظر فانه أقوى  
فى التهديد ، وأدل على القدرة ، وأدعى إلى النصفة<sup>١٤</sup> ولا سيما و السورة  
من أوائل القرآن نزولا<sup>١٥</sup> وأوائله ترتيبا فقال : (ثم انظروا) وأشار  
إلى أن هذا أهل لأن يسأل عنه بقوله : (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر<sup>١٦</sup>

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ :  
اولم (٥) فى الأصل : لتعتنهم ، و فى ظ : ليعينهم - كذا (٦) فى ظ : فلا .  
(٧-٧) فى ظ : وهو (٨) فى ظ : لقاه (٩) فى الأصل و ظ : اسف - كذا .  
(١٠) فى ظ : يقدمهم (١١) من ظ ، وفى الأصل : النص - كذا (١٢) من ظ ،  
وفى الأصل : ولا - كذا .

( المكذبين ) أى أنعموا النظر و بالغوا في التفكير و أطيلوا التدبر إذا رأيتم آثار المعذنين لأجل تكذيب الرسل ، فانكم إذا شاهدتم تلك الآثار كمل لكم الاعتبار و قوى الاستبصار ، وذلك إشارة إلى أن الأمر في غاية الانكشاف ، فكلما طال الفكر فيه ازداد ظهوراً .

٥ ولما أمرهم سبحانه بالسير ، سألهم هل يرون في مسيرهم<sup>٢</sup> و تطوافهم و جولانهم و اعتسافهم شيئاً لغير الله ؟ تذكرهم بما<sup>٣</sup> رحمهم به من ذلك في إيجاده<sup>٤</sup> لهم أولاً و تيسير منافعه و دفع مضاره ثانياً ، استعطافاً لهم إلى الإقبال عليه . و الإعراض عن الخضوع لما هو مثلهم أو أقل منهم ، وهو ملكه سبحانه و في قبضته ، و تقيحاً لأن يأكلوا خيره و يعبدوا غيره . فقال مقرراً لهم على إثبات الصانع و النبوة و المعاد ، و مبكثاً بسفاههم و شدة جهلهم و عنهمهم : ( قل لمن ) و به بتقديم المفعول على الاهتمام بالمعبود<sup>٥</sup> ( ما في السموات و الأرض ) .

و لما كانوا في مقام العناد حيث لم يبادروا إلى الإذعان بعد نهوض<sup>٦</sup> الأدلة و إزاحة كل علة ، أشار إلى ذلك بقوله معرضاً عن انتظار جوابهم<sup>٧</sup> ١٥ توبيخاً لهم بعدم<sup>٨</sup> النصفة التي يدعونها : ( قل لله ) أى الذى له الإحاطة الكاملة قدرة و علماً و لا كفوء له ، لا لغيره ، و هم وإن كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك ، لا سيما و جواب الإنسان عما سأله إنما يحسن (١) في ظ : اطلبوا (٢) في ظ : سيرهم (٣) في ظ : بما (٤) في ظ : إيجاد (٥) في ظ : بالمعبد (٦) في ظ : شهود (٧) من ظ ، و في الأصل : بعد .

١٦٨ / أن يتعاطاه هو بنفسه / إذا كان قد بلغ في الظهور إلى حد لا يقدر على إنكاره منكر، وهو هنا كذلك لأن آثار الحدوث والإمكان ظاهرة على صفحات الأكوان، فكان الإقرار به ضروري، لا خلاف فيه<sup>٢</sup>.  
ولما كان أكثر ما في هذا الكون منافع مع كونها حسنة لذيدة طيبة شهية، وما كان فيها<sup>٣</sup> من مضار فهي محجوبة بمنوعة عنهم<sup>٤</sup>، يقل<sup>٥</sup> وصولها إليهم<sup>٥</sup> إلا بتسيبهم<sup>٥</sup> فيها، والكل مع ذلك دلائل ظاهرة على وحدانيته وتمام علمه وقدرته، وكان ذلك أهلا لأن يتعجب منه لعموم هذا الإحسان، مع ما هم عليه من الإثم والعدوان، وتأخير العذاب عنهم مع العناد والطغيان، قال دالا على أن رحمته سبقت غضبه مستأنفا:  
(كتب) أي وعد وعدا هو كالمكتوب الذي ختم، وأكد غاية التأكيد،<sup>١٠</sup> أو كتب حيث أراد سبحانه.

ولما كانت النفس يعبر بها<sup>٦</sup> عن الذات على ما هي عليه قال:  
(على نفسه الرحمة<sup>٦</sup>) أي فلذلك أكرمكم هذا الإكرام بوجوه الإنعام، وأخر عنكم الانتقام بالاستئصال. ولو شاء [هو -<sup>٧</sup>] لسلط<sup>٨</sup> عليكم المضار، وجعل عيشكم من غير اللذيد كالتراب وبعض القاذورات التي يعيش بها<sup>١٥</sup> بعض الحيوانات.

(١) من ظ، وفي الأصل: الإنكار (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: فيه (٤) في ظ: منهم (٥ - ٥) في ظ: لانفسهم (٦) في ظ: عنها (٧) زيد من ظ (٨) في ظ: لسلطهم.

و لما كان ذلك 'مطعما للظالم البطر' ، و ممجبا محيرا مؤسفا 'لظلم' المنكر ، قال محذرا صرحا مبشرا ملتفتا إلى مقام الخطاب لأنه أبلغ وأنص على المقصود دالا على البعث بما مضى من إثبات أن الأكوان لله ، لأن كل ما فيها 'موصوف بصفات يجوز اتصافه بأضدادها ، فاختصاص كل جسم بصفته المعينة إنما يكون بتخصيص الفاعل المختار ، فيكون قادرا على ٥ الإعادة ، لأن التركيب الأول إنما كان لأن صانعه قادر على جميع الممكنات لكونه عالما بجميع المعلومات ، و الاتصاف بذلك لا يجوز انفكاكه عنه فهو ملك مطاع آمرناه مرسل من يبلغ عنه أوامره و نواهيه لإظهار ثمرة الملك من الثواب و العقاب في يوم الجمع : ﴿ ليجمعنكم ﴾ أى ١٠ و الله محشورين شيئا فشيئا ﴾ الى يوم القيمة ﴾ للعدل بين جميع العباد كائنا ﴿ لا ريب فيه ﴾ أى بوجه من الوجوه ، و ذلك الجمع لتخصيص الرحمة في ذلك اليوم بأوليائه و المقت و النعمة بأعدائه بعد أن كان عم بالرحمة الفريقين في يوم الدنيا ، و جعل الرحمة أظهر في حق الأعداء ، [ و بهذا الجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ، ولولاه ارتفع الضبط و كثر ١٥ الحبط كما كان في الجاهلية - ٢ ] .

و لما كان ذلك كذلك في عدم الريب لإخبار الله به على السنة رسله و لما عليه من الأدلة لما في هذا الخلق من بدائع الحكم مع خروج أكثر أفعال الحيوانات عن العدل ، فصار من المعلوم (١-٦) في ظ : مطعما (٢) في ظ : مؤسفا (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في الأصل و ظ : فيه - كذا (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم (٦) في الأصل و ظ : النعمة - كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

لكل ذى وهى أن البعث محط الحكمة لإظهار التحلى بالصفات العُلى لجميع  
الخلق : الشقى والسعيد القريب والبعيد ، كان كأنه قيل : فما  
لنا نرى<sup>١</sup> أكثر الناس كافرا به ، فقال جوابا : ( الذين خسروا انفسهم )  
أى باهلا كلهم إياها بتكذيبهم به لمخالفة<sup>٢</sup> الفطرة الأولى التى<sup>٣</sup> تهدى  
الأخرس ، وستر العقل<sup>٤</sup> السليم ( فهم ) أى بسبب خسارتهم لأنفسهم هـ  
باهمال العقل<sup>٥</sup> وإعمال الحواس والتقيد بالتقليد ( لا يؤمنون هـ )  
فصاروا كمن يلقى نفسه من شاحق ليموت لغرض من الأغراض الفاسدة ،  
لا بسبب خفاء فى أمر القيامة ولا لبس بوقع ربنا ، وصار المعنى : إن  
الذين لا يؤمنون فى هذا اليوم هم<sup>٦</sup> المقضى بخسارتهم فى ذلك اليوم .

ولما استنارت الأدلة / استنارة الشمس واتصبت البراهين حتى ١٠ / ١٦٩

لم يبق أصلا نوع لبس ، عم بالخبر عما تقدم مما يشاهدونه وغيره ، فقال  
ذاكرا<sup>٧</sup> الزمان بعد المكان<sup>٨</sup> . وقدمه لأنه أظهر ، والمعلم الكامل هو الذى  
يبدأ بالأظهر فالأظهر متربعا إلى الأخرى فالأخرى ، قم بذلك الخبر عن  
الزمان والزمانيات والمكان والمكانيات : ( وله ) أى وحده ( ما سكن )  
أى حل وتجهز<sup>٩</sup> وحصل ( فى الليل والنهار )<sup>١٠</sup> أى ما من شأنه أن يسكن هـ  
فيهما وإن كان متحركا ، ولكنه عبر بذلك دون التحرك لأنها  
دار الموت ، ودخل فى ذلك النور والظلة اللذان أشرك بهما من أشرك .  
ولما دل ما مضى على القدرة التامة ، وانقسم إلى متحرك وساكن ،  
( ١ ) فى ظ : لا ترى ( ٢ ) فى ظ : بمخالفة ( ٣ ) فى ظ : الذى ( ٤ ) من ظ ، وفى  
الأصل : العقل ( ٥ ) سقط من ظ ( ٦ ) فى ظ : هو ( ٧ - ٧ ) فى ظ : لزمان ( ٨ ) من  
ظ ، وفى الأصل : تحتر .

وكانت القدرة لا تتم إلا بالعلم، دل عليه بقوله: ﴿و هو﴾ أى لا غيره  
 ﴿السميع﴾ أى البالغ السمع لكل متحرك ﴿العليم﴾ أى العام العلم  
 بالبصر والسمع وغيرهما بكل متحرك وبكل ساكن من أقوالكم وأفعالكم  
 وغيرهما، فلا تطعموا<sup>١</sup> فى أن يترك شيء من مجازاتكم، والعليم هنا أبلغ  
 من البصير، وذلك مثل ما تقدم فى قوله: "قل اتعبدون من دون الله  
 ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم" وهو ترجمة قوله  
 "يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون".

ولما نهض من الحجج ما لم يبق معه لذى بصيرة شك، كان لسان  
 الحال مقتضيا لأن ينادى [بالإنكار عليهم فى الالتفات عن جنبه والإعراض  
 ١٠ عن بابه فأبرز - ٢] تعالى ذلك فى قالب الأمر له صلى الله عليه وسلم  
 بالإنكار على نفسه، ليكون أدعى لهم وأرفق بهم، ولأن ما تقدم منبئ  
 عن غاية المخالفة، منذر بما أندر من سوء عاقبة المشاققة، فكأنهم قالوا:  
 فهل من سبيل إلى الموافقة؟ فقيل: لا إلا باتخاذكم<sup>٣</sup> إلهى وليا، وذلك لعمرى  
 سعادتك فى الدارين، وبتطعمكم<sup>٤</sup> فى اتخاذى أندادكم أولياء، وهذا  
 ١٥ ما لا يكون أبدا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿قل﴾ أى مصرحا لهم بإنكار  
 أن تميل<sup>٥</sup> إلى أندادهم بوجه.

ولما كان الإنكار منصبا إلى كون الغير متخذا، لا إلى اتخاذ الولي،

(١) فى ظ: التام (٢) من ظ، وفى الأصل: فلا تطعموا (٣) زيد ما بين الحاجزين  
 من ظ (٤-٤) فى ظ: إلى أوليا - كذا (٥) فى ظ: بتطعمكم (٦) فى الأصل  
 و ظ: يميل.

أولى "غير" الهزمة [ فقال - ٢ ] : ( اغير الله ) أى الذى لا شئ يدانيه  
 فى العظمة ( اتخذ ) [ أى - ٣ ] أكلف نفسى إلى خلاف ما تدعو إليه  
 الفطرة الأولى و العقل المجرد عن الهوى كما فعلتم أتم و آخذ ( وليا )  
 أى أعبد له لكونه يلى جميع أمورى ، ثم وصفه بما يحقق ولايته و يصرف  
 عن ولاية غيره فقال : ( فاطر السموات و الارض ) أى خالقهما ابتداء ه  
 على غير مثال سبق ( و هو ) أى و الحال أن الله ( يطعم ) أى يرزق  
 كل من سواه بما فيه روح .

و لما كان المنفى كونه سبحاته مفعولا من الطعم ، لا كون ذلك من  
 مطعم معين ، بنى للفعول قوله : ( ولا يطعم ) [ أى - ٢ ] و لا يبلغ  
 أحد بوجه من الوجوه أن يطعمه ، و المعنى أن المنافع من غنائه ، و لا ١٠  
 يجوز عليه الاتضاع ، فامتنع فى العقل اتخاذ غيره وليا ، لأن غيره محتاج  
 فى ذاته و [ فى - ٢ ] جميع صفاته إليه ، و هو سبحاته الغنى على الإطلاق ،  
 و هذا التفات ه إلى قوله تعالى " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت  
 من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلن الطعام " و تعريض بكل من عبد  
 من دون الله و لا سيما الأصنام ، فانهم كانوا يهدون لها الاطعمة فتأكلها ١٥  
 الدواب و الطيور ، فعلوم أنها لا تطعم و لا تطعم ، روى الدارمى فى ١

(١) من ظ ، و فى الأصل : عن (٢) زيد من ظ ، غير أن فيه قال (٣) زيد  
 من ظ (٤) سقط من ظ (هـ) من ظ ، و فى الأصل : الالتفات (٦) سورة ه  
 آية ٧٥ (٧) من ظ ، و فى الأصل : فياكلها .

أول / مسنده بسند حسن عن الأعمش عن مجاهد قال : حدثني مولاى  
 أن أهله بعثوا معه بقدر فيه زبد و لبن إلى آلهم ، قال : ففنى أول  
 آكل الزبد عاقبتها<sup>١</sup> ، فجاء كلب فأكل الزبد و شرب اللبن ثم بال على  
 الصنم . و مولاة كانت شريك النبی صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ،  
 ٥ و اختلف فيه فقيل : هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران<sup>٢</sup>  
 ابن مخزوم ، و قيل : قريه السائب بن أبى السائب صيفى بن عائذ بن عبد الله  
 ابن عمر بن مخزوم ، و قيل : ابنه عبد الله بن السائب - و الله أعلم ؛ و له  
 عن أبى رجاء - هو<sup>٣</sup> العطاردى و هو مخضرم - قال : كنا فى الجاهلية  
 إذا أصبنا حجرا حسنا عبدناه ، و إن لم نصب حجرا جمعنا كثة<sup>٤</sup> من  
 ١٠ رمل ، ثم جئنا بالناقة الصنى<sup>٥</sup> فنفاج<sup>٦</sup> عليها فنحلبها<sup>٧</sup> على الكثة حتى  
 نروبها ، ثم نعبد تلك الكثة ما أقنا بذلك المكان . و فيه أيضا إيماء إلى  
 أنه كما خلقكم كلکم من طين على اختلافكم فى المقادير و الألوان  
 و الأخلاق و هو غنى عنكم ، فكذلك خلق المطعومات على اختلاف  
 أشكالها و طعومها و منافعها و ألوانها من طين ، و جعلها منافع لكم  
 ١٥ و هو غنى<sup>٨</sup> عنها ، و سیأتى التصريح بذلك فى قوله ” و هو الذى أنزل  
 (١) فى ظ : مخافة (٢) و فى الإصابة : و قيل فى نسبه : عبد الله بن عمر - بدل  
 عمران (٣) فى ظ : عن (٤) فى ظ : إذ (٥) فى ظ : كثية (٦) من الدارمى ،  
 و فى الأصل : الصيفى ، و فى ظ : العيفا - كذا ، و فى الدارمى : قال أبو عهد :  
 الصنى : الكثيرة الألبان (٧) أى نفرج بين رجلها - راجع أول الدارمى .  
 (٨-٨) من الدارمى ، و فى الأصل : عليه فيحلبها ، و فى ظ : عليه فيجعلها .  
 (٩) سقط من ظ .



من السماء ماء فآخرجنا به نبات كل شيء<sup>١</sup> "المستوفى" في مضماره "فكلوا  
 بما ذكر اسم الله عليه" وفي الآية كلها التفات إلى قوله أول السورة "ثم الذين  
 كفروا بربهم يعدلون" وقوله في التي قبلها "ولو كانوا يؤمنون بالله  
 والنبي<sup>٢</sup> وما أنزل عليه<sup>٣</sup> ما اتخذوهم أولياء" في أمثالها مما فيه تولى الكفار  
 لغير خالقهم سبحانه وتعالى، هذا لو لم يرد أمر<sup>٤</sup> من قبل الخالق كان ه  
 "النظر السديد" كافيا في التنزه عنه، كما كنت<sup>٥</sup> قبل النبوة لا ألتفت إلى  
 أصنامكم ولا أعتبر للعبادة شيئا من أنصابكم، فكيف وقد أمرت بذلك !  
 وهو معنى (قل انى امرت) أى من جهة من له الأمر، ولا أمر إلا له،  
 وهو من تقدم أن له كل شيء، وهو الله وحده (ان اكون) أى<sup>٦</sup>  
 بقلبي وقالي (اول من اسلم) في الرتبة مطلقا، وفي الزمان بالنسبة ١٠  
 إلى الامة .

ولما كان الأمر بالإسلام نهيا<sup>٧</sup> عن الشرك، لم يكتف به، بل صرح  
 به جمعا بين الأمر والنهى من هذا الرب الكريم الذى يدعو إحسانه  
 وكرمه إلى ولايته، وينهى تمام ملكه وجبروته عن شيء من عداوته،  
 في قوله عطفًا على "قل" على<sup>٨</sup> وجه التأكيد: (ولا تكونن) أى بوجه ١٥  
 من الوجوه في وقت من الأوقات أصلا<sup>٩</sup> (من المشركين) أى فى

(١) فى الأصل: المسرف، وفى ظ: المستوفى (٢ - ٣) سقط ما بين الرقيين  
 من ظ، وراجع آية ٨١ (٣) من ظ، وفى الأصل: امرا (٤ - ٥) فى ظ: البطر  
 الشديد (٥) من ظ، وفى الأصل: كتب (٦) من ظ. وفى الأصل: عدم.  
 (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: تقيا .

عدادهم باتباعهم في شيء من أغراضهم ، وهذا التأكيد لقطع أطاعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سؤالهم أن يطرد بعض أتباعه ليوالوه . ونحو ذلك مما كانوا يرجون مقارنته<sup>١</sup> منهم به ، إعلاما بأن فعل شيء مما يريدون مصحح للنسبة<sup>٢</sup> إليهم والكون في عدادهم « من تشبه بقوم فهو منهم » .

و لما كان فعل المنهى قد لا يعذب عليه ، قال معلما بأن المخالفة في هذا من أبلغ المخالفات ، فصاحبها مستحق لأعظم الانتقام ، وكل ذلك فطما<sup>٣</sup> لهم عن الطمع فيه ، وأكده لذلك ولإنكارهم مضمونه : ﴿ قل اني ﴾ و لما كان المقام للخوف ، قدمه فقال : ﴿ اخاف ان عصيت ﴾ أى شيء مما تريدون مني<sup>٤</sup> أن أوافقكم فيه بما<sup>٥</sup> أمرت به أو نهيت عنه ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى

١٠ ﴿ عذاب يوم ﴾ و لما كان عظم<sup>٦</sup> الظرف بعظم مظلوفه قال : ﴿ عظيم ه ﴾ .

/ و لما كان قد قدّم من عموم رحمته ما أطعم الفاجر ثم أياسه من ذلك بما أشير<sup>٧</sup> إليه من الخسارة ، صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم ، فقال واصفا لذلك العذاب مبينا أن الرحمة في ذلك اليوم على غير المعهود الآن ، فانها خاصة لا عامة دائمة السبوغ على من نالته ، لا زائلة .

١٥ وكذا النعمة ، هكذا شأن ذلك اليوم ﴿ من يصرف عنه ﴾ أى ذلك العذاب ؛ و لما كان المراد دوام الصرف في جميع اليوم ، قال : ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ يكون عذاب ذلك اليوم به<sup>٨</sup> ﴿ فقد رحمه ﴾ أى فعل به بالإنعام عليه فعل المرحوم<sup>٩</sup> ﴿ وذلك ﴾ أى لا غيره ﴿ الفوز ﴾ أى

(١) في ظ: مقارنته (٢) من ظ، وفي الأصل: للتنبيه (٣) من ظ، وفي الأصل: معلما (٤) من ظ، وفي الأصل: من (٥) في ظ: بما (٦-٧) من ظ، وفي الأصل: المكان عظيم (٧) في ظ: اشار (٨) سقط من ظ .

الظفر بالمطلوب ﴿ المينء ﴾ أى الظاهر جداء و من لم يصرف عنه فقد أهانه ، وذلك هو العذاب العظيم ،

ولما كان التقدير : فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قرت عينك ،

عطف عليه دليلا آخر لأنه لا يجوز فى العقل أن يتخذ غيره وليا ،

فقال معمما للحكم فى ذلك العذاب وغيره مبينا أنه لا مخلص لمن أوقع ه

به : ﴿ وان يمسك الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ؛ ولما

كان المقام للترهيب<sup>٢</sup> ، قدم قوله : ﴿ بضرب ﴾ أى هنا أو هناك

﴿ فلا كاشف له ﴾ أصلا بوجه من الوجوه ﴿ الا هو ﴾ أى لأنه لا كفوء

له ، فهو قادر على إيقاعه ، ولا يقدر غيره على دفاعه ، لأنه على كل

شئ قدير ﴿ وان يمسك بخير ﴾ أى فى أى وقت أراد . ١٠

ولما كان القياس على الأول موجبا لأن يكون الجزاء : فلا مانع له ،

كان وصفه من صفة قوله : ﴿ فهو على كل شئ ﴾ أى من ذلك وغيره

﴿ قديره ﴾ ولا يقدر غيره على منعه ، منها على أن رحمته سبحانه سبقت غضبه .

ولما كانت الجملتان من الاحتباك ، فأفادتاه بما ذكر وما دل عليه

المذكور بما حذف أنه تعالى غالب على أمره ، قال مصرحا بذلك : ١٥

﴿ وهو القاهر ﴾ أى الذى يعمل<sup>٣</sup> مراده كله ويمنع غيره<sup>٤</sup> مراده

إن شاء ، و صور قهره وحققه [ تمكن الغلبة -<sup>٥</sup> ] بقوله : ﴿ فوق عبادته ﴾

وكل ما سواه عبد ؛ ولما كان فى القهر ما يكون مذموما ، فناه بقوله :

﴿ وهو ﴾ أى وحده ﴿ الحكيم ﴾ فلا يوصل<sup>٦</sup> أثر القهر بايقاع المكروه

(١) من ظ ، وفى الأصل : انه (٢) فى ظ : لا يخلص (٣) فى ظ : للترتيب (٤) سقط

من ظ (٥-ه) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ : فاذا (٧) زيد فى ظ : بقوله .

(٨) من ظ ، ولا يتضح فى الأصل (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : فلا توصل .

إلا المستحق، وأتم المعنى بقوله : (الخير) أى بما يستحق كل شيء،  
فتمت الأدلة على عظيم سلطانه ، أنه لا فاعل غيره .

ولما [ ختم - ٢ ] بصفى الحكمة والخبرة ، كان كأنه قيل : فلم  
لم يعلم<sup>٣</sup> أنا تكذبك<sup>٢</sup> بخبرته فيرسل معك بحكمته من يشهد لك - على ما يقول  
هـ من أنه أمرك أن تكون أول من أسلم ، ونهاك عن الشرك لتصدقك -  
من ملك كما تقدم سؤالنا لك<sup>٥</sup> فيه<sup>٦</sup> أو كتاب في قرطاس أو غيرهما؟ فقال :  
قد فعل ، ولم يرض لى<sup>٧</sup> إلا بشهادته المقدسة فقال - أو يقال : إنه لما  
أقام الأدلة على الوحداية والقدرة ووصل إلى صفة القهر المؤذن بالانتقام ،  
لم يبق إلا الإشهاد عليهم إيدانا بما يستحقونه من سوء العذاب وإنذارا به  
١٠ ثلثا يقولوا إذا حل<sup>٨</sup> بهم : إنه لم يأتنا نذير ، فقال - : ( قل ) أى يا أيها  
الرسول لهم ( أى شيء أكبر ) أى<sup>٩</sup> أعظم وأجل<sup>٩</sup> ( شهادة<sup>٩</sup> ) فان  
أنصفوا وقالوا : الله ! قل : هو الذى يشهد<sup>٩</sup> لى ، كما قال فى النساء " لكن  
الله يشهد بما أنزل إليك " ، ولكنه قطع الكلام هنا إشارة إلى عنادهم  
أو سكوتهم ، أو إلى تنزيلهم منزلة المعاند ، أو العالم بالشئ العامل عمل  
١٥ الجاهل ، فقال آمرا له صلى الله عليه وسلم : ( قل الله<sup>٩</sup> ) أى الملك  
الاعظم المحيط علما وقدرة أكبر شهادة .

(١) فى ظ : فدلّت (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : لانا فلذلك (٤) فى ظ : بان .  
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : منه (٧) من ظ ، وفى الأصل :  
كل (٨-٨) فى ظ : اجل واعظم (٩) فى ظ : شهد (١٠) من ظ والقرآن الكريم -  
آية ١٦٦ ، وفى الأصل : اليه .

١٧٢ /

ولما / كانوا بمعرض أن يسلموا ذلك ويقولوا : إنه كذلك . ولكن  
 لم شهادته ا قال : (شهد) أى هو أبلغ شاهد يشهد (ينى و بينكم) <sup>١</sup>  
 أى بهذا القرآن الذى ثبت بعجزكم عنه<sup>٢</sup> أنه كلامه ، وبغيره من الآيات  
 التى عجّزتم عن معارضتها ؛ ولما قرر أنه أعظم شهيد<sup>٣</sup> ، وأشار إلى شهادته  
 بالآيات كلها ، نبه على أعظمها ، لأن إظهاره تعالى للقرآن على لسانه صلى  
 الله عليه وسلم على وفق دعواه شهادة من الله له<sup>٤</sup> بالصدق ، فقال ذاكرا  
 لفائدته فى سياق تهديد متكفل باثبات الرسالة وإثبات الوجدانية ، وقدم  
 الاول لأنه المقرر للثانى والمفهم<sup>٥</sup> له بغايته<sup>٦</sup> ، عاطفا على جملة<sup>٧</sup> 'شهد' بانيا للفعول ،  
 تنديها على أن الفاعل معروف للاعجاز ، وبني للفاعل فى السواد : (واوحى الى)  
<sup>٨</sup> وحقق الموحى به وشخصه بقوله<sup>٩</sup> : (هذا القرآن) ولما كان فى سياق ١٠  
 التهديد قال مقتصرا على ما<sup>١١</sup> يلائمه<sup>١٢</sup> : (لانذركم) أى أخوفكم وأحذرکم  
 من اعتقاد شائبة نقص فى الإله لا سيما الشرك<sup>١٣</sup> (به ومن) أى وأنذر به  
 كل من (بلغ<sup>١٤</sup>) أى بلغه ، قال الفراء<sup>١٥</sup> : والعرب تضرع الهاء فى صلات  
 'الذى' و'من' و'ما' . وقال البخارى فى آخر الصحيح : "لانذركم به"  
 (١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شهيدا (٣) فى ظ : الفهم (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
 فائقه - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : متعلق (٦ - ٧) تداخل ما بين الرقين  
 فى ظ بين « سياق التهديد » و « قال مقتصرا » (٧) فى الأصل : يدائمه ، وفى  
 ظ : ملائمة - كذا (٨) زيد بعده فى الأصل : الذى ومن وما وقال ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ لخذفها (٩ - ١٠) فى الأصل : للفرا ، والعبارة من هنا إلى « من  
 و ما » تقدمت فى الأصل على « وحقق الموحى » .

يعنى أهل مكة ، ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير . علقه بصيغة الجزم  
عن ابن عباس و وصله إليه ابن أبي حاتم كما أفاده شيخنا في شرحه .  
و قال عبد الرزاق في تفسيره : أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : بلغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه  
ه أمر الله . و قال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي في جواب  
سؤال ورد عليه سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة في أن النبي صلى الله عليه  
وسلم هل بعث إلى الجن - و من خطه نقلت - : الكتاب ، و السنة ناطقان  
بذلك ، و الإجماع قائم عليه ، لا خلاف بين المسلمين فيه ، ثم أسند الإجماع  
إلى أبي طالب القضاعى و أبي عمر بن عبد البر في التمهيد و أبي محمد بن  
١٠ حزم في كتاب الفصل<sup>٦</sup> و غيرهم ثم قال : أما الكتاب فأيات إحداها  
”لا نذكركم به و من بلغ“ قال محمد بن كعب القرظي<sup>٧</sup> : من بلغه القرآن  
فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، و قال ابن عباس - فذكره ، و قال

(١) راجع فتح البارى - كتاب الرد على الجهمية ، باب قوله تعالى ”بل هو  
قرآن مجيد“ ، و رواه الطبرى أيضا بسنده و أوصله إلى ابن عباس - راجع  
تفسير هذه الآية في جامع البيان (٢) و في تفسير الطبرى : بلغه ، و رواه هناك  
من عبد الرزاق بالسند المذكور (٣) هو عالم مشارك في الفقه و التفسير و الأصول  
و المنطق و القراءات و الحديث و الخلاف و الأدب و النحو و اللغة و الحكمة ،  
و كان قاضى الشام - راجع معجم المؤلفين ١٢٧ / ٧ (٤) في ظ : بالكتاب .  
(هـ) من ظ ، و في الأصل : ناطقا (٦) في ظ : الفضل ، و الصواب ما في الأصل -  
راجع معجم المؤلفين ١٦ / ٧ (٧) في ظ : القرطبي .

السدى : من بلغ<sup>١</sup> القرآن فهو له نذير ، وقال ابن زيد : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . وهذه كلها أقوال متفقة المعنى ، وقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا الكلام وأن<sup>٢</sup> ينذر بالقرآن كل من بلغه ، ولم يخص إنساناً لا جناحاً من أهل التكليف ، ولا خلاف أن الجن مكلفون - انتهى<sup>٣</sup> . وسأيت بما ذكر من الآيات وغيرها ما يابق بالاستدلال على هـ الإرسال إلى الملائكة عليهم السلام ، فالمعنى : فمن صدق هذا القرآن فقد أفلح . ومن كذب فليأت بسورة من مثله ، ثم عجزه شاهد على نفسه بالكذب ، وهو شهادة الله لى بالصدق ، ولأجل أن الله هو الشاهد لم تنقض الشهادة بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، بل استمرت على مرّ الأيام<sup>٤</sup> وكرّ الأعوام لبقاء الشاهد و تعالىه عن شوائب النقص و سمات ١٠ الحدث<sup>٥</sup> ، وإلى ذلك الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى<sup>٦</sup> ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . - أخرجه الشيخان عن أبى هريرة / رضى الله عنه . ولعل الاختصار على الإنذار مع ما تقدم إشارة إلى أن أكثر الخلق هالك ، وقد ذكر ١٥ فى نزول هذه الآية أن أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك بما تقول ،

(١) وفى تفسير الطبرى حيث أخرج هذا الحديث : بلغه - راجع فيه آية ١٩ من الأنعام (٢) من ظ ، وفى الأصل : انه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ما . (٥) من ظ ، وفى الأصل : الآثار (٦) من ظ ، وفى الأصل : الحديث .

ولقد سألنا عنك<sup>١</sup> اليهود والنصارى<sup>٢</sup> فرغموا أنه ليس عندهم منك ذكر،  
فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما زعم، فأنزها الله .

ولما لم يبق لمتعت شبهة، ساق<sup>٣</sup> فذلكة ذلك وقطب دأثرته - وهو  
لزوم التوحيد الذي جعلت الرسالة<sup>٤</sup> مرقى<sup>٥</sup> إليه، فاذا ثبت في قلب فاضت  
ه أنواره بحسب<sup>٦</sup> ثباته حتى أنها ربما ملأت الأكوان وعلت على كيوان<sup>٧</sup> -  
مساق استفهام على طريقة الإنكار والتعجب تعظيما لشأنه وتفخيما لمقامه<sup>٨</sup>  
وتنبيها لهم على أن يبعدوا عن الشرك فقال: ﴿ ائنكم لتشهدون ان مع الله ﴾  
أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ الهة ﴾ .

ولا كانوا لكثرة تعنتهم ربما أطلقوا على أسمائه سبحانه إله<sup>٩</sup> كما  
١٠ قالوا حين سمعوه صلى الله عليه وسلم يقول: يا الله يا رحمن - كما سيأتى  
إن شاء الله تعالى آخر الحجر وآخر سبحان، صرح بالمقصود على وجه<sup>١٠</sup>  
لا يحتمل النزاع فقال: ﴿ اخرى<sup>١١</sup> ﴾ ولما كان كأنه قيل: إنهم<sup>١٢</sup> ليقولون  
ذلك، فاذا يقال لهم؟ قال: ﴿ قل لا أشهد<sup>١٣</sup> ﴾ أى معكم بشيء مما تقولونه  
لأنه باطل، ولو كان حقا لشهدت<sup>١٤</sup> به .

١٥ ولما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه، اجتثته من أصله ورمته  
بقوله: ﴿ قل إنما هو ﴾ أى الإله ﴿ اله واحد ﴾ وهو الله<sup>١٥</sup> الذى

(١) فى ظ: عن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: مساق (٤) من ظ،  
وفى الأصل: بخبر - كذا (٥) بفتح اوله: اسم زحل بالفارسية (٦) من ظ،  
وفى الأصل: لشأنه (٧) من ظ، وفى الأصل: آلهة (٨) من ظ، وفى الأصل:  
بصه - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل: شهدت .



لا يعجزه شيء. وهو يعجز كل شيء، لانه واحد لا كفوء له، فانكم عجزتم  
عن الإتيان بسورة من مثل كلامه و أنتم أفصح الناس .

ولما كان معنى هذا البراءة من إنذارهم، صرح به في قوله مؤكدا

في جملة اسمية: ﴿وانى برىء مما تشركون؟﴾ أى الآن وفي مستقبل الزمان

إيعادا من تطمعهم أن تكون الموافقة بينه وبينهم باتخاذ الانداد أو شيئا هـ

منها ولما، فثبت التوحيد بهذه الآية بأعظم طرق البيان<sup>٢</sup> وأبلغ وجوه

التأكيد<sup>٣</sup>، ولقد امثل<sup>٤</sup> صلى الله عليه وسلم الأمر بإنذار من يمكن

إبلاغه القرآن، فلما استراح<sup>٥</sup> عن حرب<sup>٦</sup> قريش وكثير ممن حوله من

العرب في عام الحديبية، وهو سنة ست<sup>٧</sup> من الهجرة، وأعله<sup>٨</sup> الله تعالى

أن ذلك فتح مبين، أرسل إلى من يليه من ملوك الأمصار في ذلك ١٠

العام وما بعده، وكان أكثره<sup>٩</sup> عند منصرفه من [ ذلك - <sup>٩</sup> ] الاعتبار

يدعوهم إلى جنات وأنهار في دار القرار، وينذرهم دار البوار؛ قال

أهل السير: خرج صلى الله عليه وسلم - بعد رجوعه من عمرة الحديبية التي

صد عنها - على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فقال: أيها الناس! إن الله

بعثنى رحمة وكافة، وإنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم - وقال ابن ١٥

عبد الحكم في "فتوح مصر عن عبد الرحمن بن عبد القادر أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتشهد

(١) من ظ، وفي الأصل: يكون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: التوكيد.

(٤) من ظ، وفي الأصل: امثله (هـ - هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من

ظ، وفي الأصل: ستة (٧) من ظ، وفي الأصل: اعلم أن (٨) من ظ، وفي

الأصل: أكثرهم (٩) زيد من ظ (١٠) والعبارة من هنا إلى " وقال ابن

عبد الحكم " الآخر . ساقطة من ظ .

ثم قال : أما بعد فاني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم ، فأدرا  
عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون - وقال ابن عبد الحكم :  
بنو إسرائيل - على عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فقال المهاجرون :  
يا رسول الله ! والله لا نختلف عليك في شيء أبدا ، فرنا وابعثنا ، فسأله :  
كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ؟ قال : دعاهم إلى الذي -

/ ١٧٤

١٠ 'و في رواية' : لمثل الذي - دعوتكم / إليه ، وقال ابن عبد الحكم : إن الله  
تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أن ابعث إلى مقدس الأرض ،  
فبعث الحواريون - فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم ، وأما من  
بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و ثقله - قال ابن عبد الحكم : وقال : لا أحسن  
كلام من تبعثني إليه - فشكا ذلك عيسى عليه السلام إلى الله عز وجل ،  
فأصبح كل رجل - وقال ابن عبد الحكم : فأوحى الله تعالى إليه أني  
سأكفيك ، فأصبح المتناقلون و كل واحد منهم - يتكلم بلغة الأمة التي  
بعث إليها . فقال عيسى عليه السلام : هذا أمر قد عزم الله عليه فامضوا له .  
وقال الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي في القاموس : إن المكان الذي جمع  
١٥ فيه عيسى عليه السلام الحواريين و أتقدهم إلى النواحي قرية بناحية  
طبرية تسمى الكرسي . وقال ابن إسحاق : و حدثني يزيد بن أبي حبيب

(١-١) في الأصل : فإروايته - كذا (٢) من ظ و سيرة ابن هشام ٧٧/ ٣ ،  
وفي الأصل : الآية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : اليه (هـ) من ظ ،  
وفي الأصل : به (٦-٦) في ظ : قريب ناحية (٧) من ظ و القاموس ، وفي  
الأصل : الكرئين - كذا .

المصرى أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان و ملوك [ العرب و - ١ ] العجم و ما قال لأصحابه حين بعثهم، قال : فبعث به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه - فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم من الحواريين و التابع الذين كانوا بعدهم<sup>٢</sup> في الأرض بطرس الحواري<sup>٥</sup> و معه بولس - وكان [ بولس - ١ ] من التابع و لم يكن من الحواريين - إلى رومية<sup>٢</sup>، و أندرائس<sup>٤</sup> و متا<sup>٣</sup> إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس، و توماس إلى أرض بابل من أرض المشرق و قيليلىس<sup>٦</sup> إلى قرطاجنة<sup>٧</sup>، و هى إفريقية، و يحنس<sup>٨</sup> إلى أقسوس<sup>٩</sup> قرية [ الفتية - ١ ] أصحاب الكهف، و يعقوبس إلى أوراشلم و هى إيلياء قرية بيت المقدس، و ابن ثلثا<sup>١٠</sup> إلى الأعرابية، و هى أرض الحجاز، و سيمين<sup>١١</sup> إلى أرض البربر، و يهودا و لم يكن من الحواريين، فجعل مكان يودس<sup>١٢</sup> - انتهى - كذا رأيت فى

- (١) زيد من سيرة ابن هشام ٧٨/٣ (٢) فى ظ : كانوا بعثهم - كذا (٣) من ظ و السيرة، و فى الأصل : رومة (٤) فى ظ : اندراس (٥) فى ظ : مينا، و بهامش السيرة : قوله : و متا، فى نسخة : و متنا - بالثلثة (٦) من السيرة، و فى الأصل : بلس، و فى ظ : فيلس - كذا، و الصحيح أنه فيلس - كما يأتى من نص الإنجيل (٧) فى ظ : قرطاجيه (٨) من السيرة، و فى الأصل : محس، و فى ظ : بيجيس - كذا (٩) فى ظ : اقيوس (١٠) من ظ و السيرة، و فى الأصل : سلما (١١) من السيرة، و فى الأصل : سيمين، و فى ظ : سنين - (١٢) من ظ و السيرة، و فى الأصل : يورس - كذا.

نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام ، و كذا في مختصرها  
 للامام جمال الدين محمد بن [ المكرم - ١ ] الأنصارى عدد رسله و أسمائهم ،  
 و في آخرهم : قوله : مكان يودس ، و لم يتقدم ليودس ذكر ، و الذى  
 حررته أنا من الأناجيل التى بأيدى النصارى غير هذا ، و لعله أصح ،  
 ٥ و قد جمعت ما تفرق<sup>٢</sup> من ألفاظها ، [ قال - ٢ ] فى إنجيل متى ما<sup>٣</sup> نصه -  
 و معظم السياق له : ودعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر  
 و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح [ النجسة - ٥ ] لئلى يخرجوها  
 و يشفوا كل الأمراض ؛ و فى إنجيل مرقس : و صعد إلى الجبل و دعا  
 الذين أحبههم فأتوا إليه ، و انتخب اثنى عشر ليكونوا معه و لئلى يرسلهم  
 ١٠ ليكرزوا ، و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين ؛  
 و فى إنجيل لوقا : و كان فى تلك الأيام خرج إلى الجبل يصلى ، و كان  
 ساهرا فى صلاة الله<sup>٦</sup> ، فلما كان النهار دعا تلاميذه و اختار منهم اثنى  
 عشر ؛ و قال فى موضع آخر : و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة  
 و سلطانا على جميع الشياطين و شفاء المرضى ، و أرسلهم يكرزون  
 ١٥ بملكوت الله و يشفون<sup>٧</sup> الأوجاع ؛ و هذه أسماء<sup>٨</sup> الاثنى عشر الرسل :  
 سمعان المسمى بطرس - و نسبه فى موضع<sup>٩</sup> من إنجيل [ متى - ٢ ] :  
 ابن يونا - و أندراوس أخوه<sup>٩</sup> ، و يعقوب بن زبدي<sup>١٠</sup> و يوحنا أخوه -  
 ( ١ ) زيد من معجم المؤلفين ١٢ / ٤٦ ، و موضعه فى ظ : المكرم - كذا ( ٢ ) من ظ ،  
 و فى الأصل : تعرف - كذا ( ٣ ) زيد من ظ ( ٤ ) سقط من ظ ( ٥ ) زيد من  
 الإنجيل ( ٦ ) فى ظ : الليل ( ٧ ) فى ظ : يغفون - كذا ( ٨ ) من ظ ، و فى الأصل :  
 الاسماء ( ٩ ) راجع الأصحاح السادس عشر - آية ١٧ ( ١٠ ) فى ظ : زيدا - كذا .  
 قال ( ١٢ ) ٤٨

قال في إنجيل مرقس : و سماهما باسمي بوارجس<sup>١</sup> اللذين<sup>٢</sup> ابنا<sup>٣</sup> الرعد -

/ و فيلبس<sup>٤</sup> و برثولوماوس<sup>٥</sup> ، و توما و متى العشار ، و يعقوب بن حلفي ،

و لبائوس<sup>٦</sup> الذي يدعى تدائوس<sup>٧</sup> . و جعل في إنجيل مرقس بدل هذا :

تدي ، و في إنجيل لوقا بدلتهما : يهوذا بن يعقوب ، ثم اتفقوا : و سمعان

القائاني ، و قال في إنجيل لوقا : المدعو الغيور ، و يهوذا الإسخريوطي<sup>٨</sup>

الذي أسلمه - أي دل عليه في الليلة التي ادعى اليهود القبض عليه فيها -

هؤلاء الاثنا عشر<sup>٩</sup> الرسل الذين أرسلهم يسوع - و في إنجيل مرقس :

و دعا الاثني عشر<sup>١٠</sup> و جعل يرسلهم اثنين اثنين<sup>١١</sup> ، و أعطاهم السلطان

على الأرواح النجسة - قائلا : لا تسلكوا طريق الأمم ، و لا تدخلوا

مدينة السامرة ، و انطلقوا خاصة إلى<sup>١٢</sup> الخراف التي ضلت من بيت ١٠

إسرائيل ، و إذا ذهبتم فاكرزوا و قولوا : قد اقتربت ملكوت السماوات ،

اشفوا المرضى ، أقيموا الموتى ، طهروا البرص ، أخرجوا الشياطين ،

بجانا أخذتم بجانا أعطوا ، لا تكذبوا<sup>١٣</sup> ذهبا و لا فضة و لا نحاسا في مناطقكم

و لا هيئانا<sup>١٤</sup> في الطريق و لا ثوبين و لا حذاء و لا عصي ، و القائل

(١) من إنجيل مرقس ، و في الأصل : توارجس ، و في ظ : نرا برجس - كذا .

(٢) في ظ : الذين هم (٣) من ظ ، و في الأصل : ابن (٤) في ظ : فيلبس - كذا .

(٥) من إنجيل متى ، و في الأصل و ظ : لنا - كذا (٦) من ظ و الإنجيل ، و في

الأصل : بدائوس - كذا (٧-٧) في ظ : هو الاثني عشر - كذا (٨) من ظ

و الإنجيل ، و في الأصل : الاثنا عشر (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ : في (١١) من

ظ ، و في الأصل : لا تكذبوا - كذا (١٢) في ظ : هيئانا .

مستحق طعامه ؛ وفي إنجيل مرقس : وأمرهم أن لا يأخذوا<sup>١</sup> في الطريق غير عصي فقط ولا هميانا<sup>٢</sup> ولا خبزا<sup>٣</sup> ولا فضة<sup>٤</sup> ولا نحاسا في مناطقهم إلا نعالا في أرجلهم ولا يلبسوا<sup>٥</sup> قيصين ؛ وفي إنجيل لوقا : وقال لهم : لا تحملوا في الطريق<sup>٦</sup> شيئا ، لا عصي ولا هميانا<sup>٧</sup> ولا خبزا ولا فضة ، ولا يكون لكم<sup>٨</sup> ثوبان<sup>٩</sup> ، وأي مدينة أو قرية دخلتموها فخصوا<sup>١٠</sup> فيها عمن يستحقكم ، وكونوا هناك حتى تخرجوا<sup>١١</sup> ، فاذا دخلتم إلى البيت فسلموا عليه ، فإن كان البيت مستحقا لسلامكم<sup>١٢</sup> فهو يحل عليه ، وإب كان لا يستحق فسلامكم راجع إليكم ، ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من ذلك البيت و تلك القرية أو تلك المدينة انفضوا غبار أرجلكم ؛  
١٠. وفي إنجيل مرقس : وقال لهم : أي بيت دخلتموه أقيموا فيه إلى أن تخرجوا<sup>١</sup> منه ، وأي موضع لم يقبلكم ولم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار الذي تحت أرجلكم للشهادة عليهم ، الحق أقول<sup>٢</sup> لكم إنا إن لأرض<sup>٣</sup> سدوم و<sup>٤</sup> عامورا<sup>٥</sup> راحة في يوم الدين أكثر من تلك

(١) من ظ ، وفي الأصل : لا يؤخذوا (٢) في ظ : هميانا (٣-٣) ليس ما بين الرقيين في إنجيل مرقس (٤) من ظ ، وفي الأصل : لا تلبسوا (٥) زبدت الواو بعده في ظ (٦) زبدت الواو بعده في الأصل و ظ ، ولم تكن في إنجيل لوقا فحذفناها (٧) في ظ : لهم (٨) من ظ و إنجيل لوقا ، وفي الأصل : ثوبا (٩) من ظ ، وفي الأصل : اخصوا (١٠) من ظ و إنجيل متى ، وفي الأصل : يخرجوا . (١١) في ظ : لسلامكم (١٢) من ظ و إنجيل مرقس ، وفي الأصل : يخرجوا . (١٣) سقط من ظ (١٤) من إنجيل متى ، وفي الأصل و ظ : الأرض (١٥) من ظ ، وفي الأصل : عامور ، وفي الإنجيل : عمورة .

المدينة<sup>١</sup>، هو ذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب، كونوا حكماء كالحية وودعاء<sup>٢</sup> كالحمائم<sup>٣</sup>، أحمذوا من الناس، فانهم يسلمونكم إلى المحافل، وفي مجامعهم<sup>٤</sup> يضربونكم، ويقدمونكم إلى القواد والملوك من أجل شهادة لهم<sup>٥</sup> وللأمم - وفي إنجيل مرقس<sup>٦</sup>: شهادة عليهم وعلى كل الأمم، ينبغي ألا أن يكرزوا بالإنجيل - فاذا أسلموكم فلا تهتموا بما تقولون<sup>٧</sup> - وفي ٥ إنجيل مرقس: ولا ما ذا تجيئون - فانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، ولستم أنتم المتكلمين لكن روح أيكم - وفي إنجيل<sup>٨</sup> مرقس: لكن روح القدس يتكلم فيكم - وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والآب ابنه، ويقوم الأبناء على آياتهم فيقتلونهم، وتكونون<sup>٩</sup> مبغوضين من الكل من أجل اسمي، والذي يصبر إلى المنتهى يخلص، فاذا طردوكم<sup>١٠</sup> من هذه المدينة اهربوا إلى أخرى، الحق الحق<sup>١١</sup> أقول لكم! إنكم لا تكلمون مدائن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان، ليس تلميذ أفضل من معلمه، ولا عبد أفضل من سيده، وحسب التلميذ أن يكون مثل معلمه والعبد مثل سيده، إن كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحرى أهل بيته! فلا تخافوهم، فليس خفي إلا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعلم، الذي أقول لكم<sup>١٥</sup>

- (١) زبدت الواو بعده في ظ (٢) جمع وديع: هادئ ساكن، وفي الإنجيل: بسطاء (٣) من ظ والإنجيل، وفي الأصل: الخما - كذا (٤) في ظ: محافلهم. (٥) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: لكم (٦) العبارة من هنا إلى «إنجيل مرقس» - الآتي، ساقطة من ظ (٧) في الأصل: يقولون، ومبني التصحيح نص الإنجيل. (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: يكونون (٩) من ظ والإنجيل، وفي الأصل:

فی الظلة قولوه اتم فی النور . و ما سمعتموه بأذانکم فاكرزوا / به علی  
 السطوح ، و ' لا تخافوا من ' یقتل الجسد و لا یستطیع أن یقتل النفس ' ،  
 خافوا من یقدر أن یهلك النفس و الجسد جمیعاً فی جهنم ، [ ألیس - ۲ ]  
 عصفوران یباعان بفلس ، و واحد منها لا یسقط علی الارض دون  
 ۵ إرادة أیکم . و اتم فشعور ۱ رؤسکم کلها محصاة . فلا تخافوا ، فانکم أفضل  
 من عصافیر كثيرة ، لا تظنوا أنى جئت لآقی علی الارض سلامة ،  
 لكن سیفاً ، أتیت لأفوق الإنسان من أبه و الابنة ۲ من أمها ، و العروس  
 من حماتها ۳ ، و أعداء الإنسان ۴ أهل بیته ، من أحب أبا أو ۵ أما أكثر  
 منی فما یستحقنی ، و من وجد نفسه فلیهکها ، و من أهلك نفسه من  
 ۱۰ أجلی وحدها . و من قبلکم فقد قبلی ، و من قبلی فهو یقبل الذی  
 أرسلنی ، و من یقبل نییا باسم نبی فأجر نبی ۶ یاخذ ، و من یاخذ صدیقا  
 باسم صدیق فأجر ۷ صدیق یاخذ ، و من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء  
 بارد فقط باسم تلید ۸ - الحق أقول لکم ۹ - إن أجره لا یضیع . و لما  
 أكمل یسوع أمره لتلامیذه ۱۰ الاثنی عشر ، انتقل من هناك لیعلم و یکرز  
 (۱) سقط من ظ (۲) فی ظ : من (۳) زید من ظ و الإنجیل (۴) من ظ .  
 و فی الأصل : شعور (۵) فی ظ : سیف (۶) من ظ ، و فی الأصل : الأمة .  
 (۷) من ظ ، و فی الأصل : حماتها (۸) زید بعده فی ظ : من (۹) من إنجیل  
 منی ، و فی الأصل : و ، (۱۰) من ظ ، و فی الأصل : فی - کذا (۱۱) من  
 ظ ، و فی الأصل : فآخبر (۱۲) من ظ و الإنجیل ، و فی الأصل : التلید .  
 (۱۳) زید بعده فی ظ : ان أجره تلید الحق أقول لکم (۱۴) فی ظ : تلامیذه .



في مدنها<sup>١</sup> ؛ في إنجيل مرقس : فلما خرجوا - يعني الرسل - كرزوا بالتوبة وأخرجوا شياطين كثيرة ومرضى عبيدة<sup>٢</sup> يدهنونهم بالزيت فيشفون ؛ وفي إنجيل لوقا : ومن بعد هذا أيضا ميز الرب سبعين آخرين<sup>٣</sup> وأرسلهم اثنين اثنين قدام وجهه إلى كل مدينة وموضع أزمع أن يأتيه ، وقال لهم : إن الحصاد كثير و الفعلة قليلون<sup>٤</sup> ، أطلبوا [ من <sup>٥</sup> ] رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده ؛ وفي إنجيل متى ما ظاهره أن هذا الكلام كان<sup>٦</sup> للاثني عشر ، فانه<sup>٧</sup> قال قبل ذكر عددهم : فلما رأى الجمع تحزن عليهم لأنهم كانوا ضالين ومطرحين كالخراف التي ليس لها راع ، حينئذ قال لتلاميذه الاثني عشر - إلى آخر ما ذكرته عنه أولا ، فيجمع بأنه قاله للفرقتين<sup>٨</sup> - رجع إلى السياق الأول : اذهبوا ، هو ذا أرسلكم<sup>٩</sup> كالخراف بين الذئاب ، لا تحملوا هميانا ولا حذاء ولا مزودا و<sup>١٠</sup> لا تقبلوا أحدا<sup>١١</sup> في الطريق ، وأي بيت دخلتموه فقولوا<sup>١٢</sup> أولا : سلام لأهل هذا البيت ، فإن كان هناك ابن سلامكم<sup>١٣</sup> فإن سلامكم يحل<sup>١٤</sup>

---

(١) من ظ و الإنجيل ، وفي الأصل : مدينتهم (٢) في الأصل : عدة ، وفي ظ : عددهم ، وفي الإنجيل : كثيرين (٣) من إنجيل لوقا ، وفي الأصل و ظ : آخر . (٤) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ : قليل (٥) زيد من الإنجيل (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : وانه (٨) في ظ : للفقير من - كذا (٩-١٠) وفي إنجيل لوقا : لا تسلموا على أحد (١٠) في ظ : فسلموا (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقتين من ظ .

عليه ، وإلا فسلامكم راجع إليكم ، وكونوا في ذلك [ البيت - ١ ] ، كلوا  
واشربوا من عندهم<sup>٢</sup> ، فإن الفاعل مستحق أجرته . ولا تنتقلوا من بيت  
إلى بيت ، وأى مدينة دخلتموها و يقبلكم أهلها فكلوا مما يقدم لكم<sup>٣</sup> ،  
واشفوا المرضى الذين فيها ، و قولوا لهم : قد قربت ملكوت الله ، وأى  
مدينة دخلتموها ولا يقبلكم أهلها فاخرجوا<sup>٤</sup> من شوارعها و قولوا  
[ لهم - ٦ ] : نحن ننفض لكم الغبار الذى لصق بأرجلنا من مدينتكم ، لكن  
اعلموا أن ملكوت الله قد قربت ، أقول لكم : إن سدوم<sup>٥</sup> في ذلك  
اليوم لها راحة أكثر من تلك المدينة<sup>٦</sup> ، الويل لك يا كورزين<sup>٧</sup> ! و الويل  
لك يا بيت صيدا ! لأنه لو كان في صور و صيدا القوات التى كنّ فيكما<sup>٨</sup>  
١٠ جلسوا و تابوا بالمسوح و الرماد ، و أما صور و صيدا فلهما راحة في  
الدينونة أكثر منكم ، و أنت يا كفرنا حوم لو أنك ارتفعت إلى السماء  
سوف تهبطين<sup>٩</sup> إلى الجحيم . من سمع منكم فقد سمع منى ، و من جحدكم  
فقد جحدنى ، [ و من جحدنى - ٦ ] فقد شتم الذى أرسلنى ؛ فرجع  
السبعون بفرح قائلين<sup>١٠</sup> : يا رب ! الشياطين باسمك تخضع لنا<sup>١١</sup> يا رب<sup>١٢</sup> ! فقال  
١٥ لهم : قد رأيت الشيطان<sup>١٣</sup> سقط من السماء مثل البرق ، و هو ذا قد أعطيتكم

(١) زيد من الإنجيل (٢) فى ظ : عندكم (٣) سقط من ظ (٤) من الإنجيل ، وفى  
الأصل وظ : اخرجوا (٥) فى الإنجيل : إلى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل :  
سدومة (٨) فى ظ : كورزن (٩) من الإنجيل ، وفى الأصل : فيكون . وفى  
ظ : فيك (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تهبطن (١١) فى ظ : قتلون (١٢-١٣) ليس  
ما بين الرقنين فى الإنجيل (١٣) من ظ و الإنجيل ، وفى الأصل : الشياطين .

١٧٧ /

سلطانا / لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء،  
ولكن<sup>٢</sup> لا تفرحوا<sup>٣</sup> بهذا أن الأرواح تخضع لكم، افرحوا لأن أسماءكم  
مكتوبة في السماوات، وفي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح، والتفت  
إلى تلاميذه خاصة وقال: طوبى للآعين التي ترى ما رأيتم! أقول لكم:  
إن أنبياء كثيرين<sup>٤</sup> وملوكا اشتبهوا أن ينظروا ما نظرتم فلم ينظروا،<sup>٥</sup>  
و يسمعون ما سمعتم فلم يسمعوا؛ وفي إنجيل متى - بعد ما ادعى اليهود صلبه -  
أنه ظهر لتلاميذه الأحد عشر - وهم من تقدم غير يهوذا الإسخريوطي  
الذي أسلمه - في الجليل في الجبل الذي أمرهم به يسوع، وكلهم قائلاً:  
أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا الآن وتلبذوا كل  
الأمم؛ وفي آخر إنجيل مرقس أنه ظهر لهم وهم مجتمعون، وكانوا<sup>١٠</sup>  
في تلك الأيام سيكون وينوحون فبكتهم لقلّة إيمانهم وقسوة قلوبهم  
وقال لهم: امضوا إلى العالم أجمع<sup>٦</sup>، واكرزوا بالإنجيل في الخليقة  
كلها، فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدان، وهذه الآيات  
تتبع<sup>٧</sup> المؤمنين، يخرجون الشياطين [باسمى -<sup>٨</sup>] ويتكلمون بالسنّة  
جديدة، ويحملون بأيديهم الحيات ولا تؤذيهم، ويشربون السم القاتل<sup>١٥</sup>  
فلا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون؛ ومن بعد ما كلهم

(١) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: لتدوسوا (٢-٢) من الإنجيل، وفي الأصل  
وظ: تفرحون (٣) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: كثيرا (٤) من ظ. وفي  
الأصل: او (٥) من ظ، وفي الأصل: لغة - كذا (٦) في ظ: اجتمعوا.  
(٧) من الإنجيل، وفي الأصل: يتبعون، وفي ظ: يتبع (٨) زيد من الإنجيل.

يسوع ارتفع<sup>١</sup> إلى السماء ، فخرج أوثك يكرزون في كل مكان ؛ وفي  
 إنجيل لوقا : فلما خرجوا كانوا يطوفون في القرى و يبشرون و يشفون  
 في كل موضع - وفي آخره بعد أن ذكر تلامذته الأحد عشر<sup>٢</sup>  
 و كلاماً كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه : و فيما هم يتكلمون  
 ه وقف يسوع في وسطهم و قال لهم : السلام لكم<sup>٣</sup> ، أنا هو ! لا تخافوا ،  
 فاضطربوا و ظنوا أنهم ينظرون روحاً فقال : ما بالكم تضطربون ؟  
 و لم تأتى الأفكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجلي فاني أنا هو ! جسوني  
 و انظروا ، إن الروح ليس له لحم و لا عظم كما ترون أنه لى ؛ و لما قال  
 هذا أراهم<sup>٤</sup> يديه ورجليه ، و إذا هم غير مصدقين من الفرح ، قال لهم :  
 ١٠ أعندكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه<sup>٥</sup> جزءاً من حوت مشوى و من شهيد  
 عسل ، فأخذ قدامهم و أكل ، و أخذ الباقي و أعطاهم ، و قال لهم : هذا  
 الكلام الذى كلمتكم به إذا<sup>٦</sup> كنت معكم ، و أنه سوف يكمل كل شيء  
 هو مكتوب في ناموس موسى و الأنبياء و المزامير لأجل ، و حينئذ  
 فتح أذهانهم ليفهموا ، و قال لهم : اجلسوا أنتم في المدينة يروشلیم حتى  
 ١٥ تذرعوا<sup>٧</sup> لقوة من العلي ، ثم أخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ، فرفع يديه  
 و باركهم ، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم<sup>٨</sup> و صعد إلى السماء  
 أمامهم ، فرجعوا إلى يروشلیم بفرح عظيم ، و كانوا في كل حين يسبحون  
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الاحدى عشر (٣) في ظ :  
 عليكم (٤) من ظ ، و في الأصل : ارايتم (٥) في ظ : فأعطوهم (٦) في ظ : إذا  
 (٧) في ظ : تمدعوا - كذا (٨) في ظ : عليهم .

و يساركون الله - انتهى ما نقلته من الإنجيل . و ما<sup>١</sup> كان فيه من لفظ  
يوهم نقصا [ ما -<sup>٢</sup> ] فقد تقدم في أول<sup>٣</sup> آل عمران أنه لا يجوز في  
شرعنا إطلاقه على الله تعالى و إن كان صح إطلاقه في شرعهم ، فهو مؤول  
و قد نسخ ؛ و قال الإمام محي السنة البغوى في تفسير آل عمران فيما نقله  
عن وهب : فلما كان بعد سبعة أيام - أى من ادعاء اليهود لصلبه - قال الله ه  
تعالى لعيسى عليه السلام : اهبط على مريم المجدلانية في جبلها ، فانه لم يبك  
عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن [ عليك -<sup>٤</sup> ] أحد حزنها ، ثم لتجمع لك  
الحواريين فنبهم<sup>٥</sup> في الأرض دعاة إلى الله تعالى ، فأهبطه<sup>٦</sup> الله تعالى عليها  
فاشتعل<sup>٧</sup> الجبل حين هبط نورا ، / فجمعت له الحواريين فنبهم<sup>٨</sup> في الأرض  
دعاة ، ثم رفعه الله إليه ، و تلك الليلة هى التى تدخن<sup>٩</sup> فيها النصارى ، فلما ١٠  
أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى عليه السلام  
إليهم ، فذلك قوله تعالى ” و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين ”<sup>١١</sup>  
هذا ما ذكر<sup>١٢</sup> من شأن رسل عيسى عليه السلام أنهم كانوا دعاة ، و أما  
رسل<sup>١٣</sup> النبى صلى الله عليه وسلم فأنهم<sup>١٤</sup> كانوا مبلغين لمكتبته صلى الله عليه وسلم ،

(١) فى ظ : بما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من معالم التنزيل -  
راجع الخازن ٢٩٩/١ (٥) فى ظ : فهم (٦) من العالم ، و فى الأصل و ظ : فأهبط .  
(٧) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : فأسعد - كذا (٨) فى ظ : لبثهم (٩) من  
العالم ، و فى الأصل : يدخل ، و فى ظ : يدخر - كذا (١٠) راجع آية ه من  
آل عمران ، و زيد : الوار بعده فى ظ (١١) فى ظ : ذكره (١٢) زيد بعده  
فى الأصل : عيسى عليه السلام ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٣) فى ظ : فأنما .

فن قبل ذلك كان حظه من الله ، ومن أنى كان جوابه السيف  
 المالحق له<sup>١</sup> - كما ذكرته مستوفى في شرحى لنظمى للسيرة<sup>٢</sup> وهو مذكور  
 في فتوح البلاد؛ ولما بعث صلى الله عليه وسلم رسله اتخذ لأجل مكاتبة  
 الملوك الخاتم، أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضى الله عنه أن  
 ٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر - وفي رواية:  
 وأكيدر دومة و<sup>٣</sup> إلى كل جبار - يدعوهم إلى الله ؛ وأخرج الشيخان  
 في صحيحهما - وهذا لفظ مسلم - عن أنس بن مالك أيضا رضى الله عنه قال:  
 [لما<sup>٣</sup>] أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم - وفي رواية: إلى  
 العجم - قالوا: إنهم لا يقرؤون كتابا إلا محتوما، فاتخذ رسول الله صلى  
 ١٠ الله عليه وسلم خاتما من فضة كأنى أنظر إلى ياضه في يد رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ، نقشه محمد رسول الله . . فبعث دحية بن خليفة الكلبي رضى  
 الله عنه إلى قيصر ملك الروم وأمره أن يوصل الكتاب إلى عظيم  
 بصرى ليوصله إليه ، فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبلة وقراه  
 ووضعه على وسادة وعلم صدقه صلى الله عليه وسلم [و-<sup>٤</sup>] أنه  
 ١٥ سيغلب على ملكه ، فجمع الروم وأمرهم بالإسلام فأبوا ، فخافهم فقال:  
 إنما أردت أن أجربكم ، ثم لم يقدر الله له الإسلام ، فأزال الله حكمه  
 عن الشام وكثير من الروم على يدى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ؛  
 [ثم-<sup>٤</sup>] عن كثير من الروم أيضا على يد من بعدهم ، ومكن بها

(١) في ظ: السيرة (٦) - سقط من ظ (ب) زيد من ظ و صحيح مسلم - كتاب

البايعين (٤) زيد من ظ (هـ) في ظ: لحالم .

الإسلام، لكن أثابه<sup>١</sup> الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن أبقى ملكه في أطراف بلاده إلى الآن، وبلغنى أن الكتاب محفوظ عندهم إلى هذا الزمان؛ وبعث شجاع بن وهب الأسدي رضى الله عنه إلى الحارث بن أنى شمر الغساني - وقال القضاعي: المنذر بن أبي شمر عامل قبصر على تخوم الشام - [ثم - ٢] إلى جيلة بن الأيهم<sup>٢</sup> الغساني، فأما هـ الحارث أو المنذر فغضب من الكتاب وهم<sup>٣</sup> بالمسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقاتله، زعم فنهاه<sup>٤</sup> عن ذلك قبصر، فأكرم شجاعا ورده وأسلم<sup>٥</sup> حاجبه مري الرومي<sup>٦</sup> بما عرف من صفة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>٧</sup> في الإنجيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم<sup>٨</sup>: باد ملك الحارث، وفاز مري، فقلّ ما لبث الحارث حتى مات، وولى بعده [في مكانه - ٢] جيلة بن الأيهم<sup>٩</sup> ١٠ الغساني، وهو آخر ملوك غسان على نواحي الشام، فرد<sup>١٠</sup> إليه النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله عنه، فرد<sup>١١</sup> على النبي صلى الله عليه وسلم ردا جميلا ولم يسلم، واستمر يترصد حتى أسلم في خلافة عمر رضى الله عنه لما رأى من ظهور نور الإسلام وخمود نار الشرك، ثم إنه

- (١) من ظ، وفي الأصل: أثاره - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من سيرة ابن هشام ٧٨/٣، وفي الأصل: إلا انهم، وفي ظ: الا نهم - كذا (٤) في ظ: هو. (٥) من ظ، وفي الأصل: فنها (٦) من ظ، وفي الأصل: فاسلمه (٧) ذكر قصته في السيرة الحلبية مبسوطا من غير تعرض لاسمه - راجع ٣/٣٥٣ منها، ولكن ذكره في السيرة التي بهامش الحلبية فقال: وكان هذا الحاجب روميا اسمه مري - راجع ٣/٨٥ منها، وذكر اسمه أيضا في الخصائص الكبرى ٢/١١٠. (٨) سقط ما بين الرقین من ظ (٩) في ظ: فيرد (١٠) في ظ: فرد.

ارتد - ولحق ببلاد الروم - في لطفة أريد أن يقتص منه فيها<sup>١</sup>، فسبحان  
 الفاعل لما يشاء! وبعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه إلى كسرى  
 ملك الفرس، وأمره أن يدفع الكتاب / إلى عظيم البحرين ليوصله إليه،  
 فلما رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ<sup>٢</sup> باسمه الشريف مزق الكتاب قبل  
 أن يعلم ما فيه، فرجع عبد الله، فلما سكن غضب الخيث التمسه فلم يجد  
 فأرسل في طلبه فسبق الطلب، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن  
 تمزيق الكتاب، دعا على كسرى أن يمزق كل ممزق، فأجاب الله دعوته فشتت  
 شملهم وقطع وصلهم على يد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قتل يزدجرد  
 آخر ملوكهم في خلافة عثمان رضي الله عنه، فأصبح ملك الأكاسرة  
 ١٠ كأمس الدابر<sup>٣</sup>، وعم بلادهم الإسلام، وظهرت بها كلمة الإيمان، بل  
 تجاز الإسلام ملكهم<sup>٤</sup> إلى ما وراء النهر وإلى بلاد الخطا. وبعث حاطب  
 ابن أبي بلتعة<sup>٥</sup> رضي الله عنه إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية،  
 فعلم من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ما علمه قيصر من الإنجيل،  
 فأكرم الرسول وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا جميلا ولم يسلم.  
 ١٥ فأباد الله ملكه على يد عمرو بن العاص أمير لعمر رضي الله عنهما. وبعث  
 عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي فأمن رضي الله عنه وقال:  
 أشهد أنه النبي صلى الله عليه وسلم الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب،  
 وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام،  
 (١) وفي الروض الأنف ٢ / ٢٥٧: وهو الذي أسلم ثم تنصر من أجل لطفة  
 حاكم فيها إلى أبي عبيدة بن الجراح (٢) من ظ، وفي الأصل: بارا - كذا.  
 (٣) في ظ: الدابر (٤) سقط من ظ (٥) من ظ والسيرة، وفي الأصل: أبي ثعلبة.  
 ٦٠ (١٥) وأن



وَأَنَّ الْعِيَانَ لَيْسَ بِأَشْفَى مِنَ الْخَبَرِ<sup>١</sup>، وَأَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدَايَا<sup>٢</sup> كَثِيرَةً، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ بِإِسْلَامِهِ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْخَبَشَةِ، وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَمَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ قَوْمِي، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ آتِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلْتُ؛ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ؛ وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَنْذَرِ<sup>٥</sup> ابْنَ سَاوِي الْعَبْدِيِّ مَلِكَ الْبَحْرَيْنِ وَإِلَى أَسِيحَتْ<sup>٣</sup> مَرْزَبَانَ هَجْرًا بِكِتَابٍ يَدْعُوهُمَا فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزْيَةِ. وَأَرْضُ الْبَحْرَيْنِ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، لَكِنْ كَانَ الْفَرَسُ قَدْ غَلَبُوا عَلَيْهَا، وَبِهَا خُلِقَ كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَتَيْمٍ فَأَسْلَمَ الْمَنْذَرُ<sup>٤</sup> وَأَسِيحَتْ<sup>٣</sup> وَجَمِيعٌ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْعَرَبِ وَبَعْضُ الْعَجَمِ، فَأَقْرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمَلِهِ؛ وَبَعَثَ سَلِيطَ<sup>١٠</sup> ابْنَ عَمْرٍو الْعَامِرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَنَفِيِّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ، وَكَانَ عَامِلًا لِقَيْصَرَ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَرَأَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزُودَ رَدًا دُونَ رَدِّ مَفْصَافٍ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَاهِبٌ مِنْ دِمَشْقَ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَجِبْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: لَمْ؟ قَالَ: ضَنْنْتُ بِمَلِكِي<sup>٩</sup>. قَالَ الرَّاهِبُ: لَوْ تَبِعْتَهُ لَا قَرْكَ<sup>١١</sup> وَخَيْرٌ لَكَ فِي اتِّبَاعِهِ، فَانَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بِشْرُهُ<sup>١٥</sup>

(١) كَذَا وَقَعَ فِي الْمَصْبَاحِ الْمَضِيُّ، وَزَيْدٌ بَعْدَهُ فِيهِ عَنْهُ، وَكَذَا ذِكْرُهُ فِي السِّيَرَةِ الْحَلِيَّةِ ٣/٤٥، وَفِي السِّيَرَةِ بِهَامِشِ الْحَلِيَّةِ: وَانَّهُ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ - رَاجِعُ السِّيَرَةِ الْحَلِيَّةِ ٣/٧٣، وَهُوَ الصَّوَابُ (٢) فُظَّ: بِهَدَايَا (٣) مِنَ الْمَصْبَاحِ الْمَضِيُّ، وَفِي الْأَصْلِ: سَبَخَتْ. وَفِي فُظَّ: سَبَخَتْ - كَذَا، وَنُسِبَ هُوَ هُنَاكَ إِلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ. (٤) فِي فُظَّ: يَدْعُوهُمَا (هـ) مِنْ فُظَّ، وَفِي الْأَصْلِ: تَمْلِكِي.

عيسى عليه السلام ، قال هود للراهب : فالك لا تتبعه ؟ فقال : أجدني أحسنه . وأحب الخمر ، فكتب هود كتابا [ وبعث - ٢ ] إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهدية مكانه ذلك . وشعر به قومه [ فأتوه - ٣ ] فهددوه ، فرد الرسول واستمر على نصرانيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع إليه سبط : باد هود . باد ما في يده ! فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من فتح [ مكة - ٤ ] جاءه جبرئيل عليه السلام بأن هود مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إن إليامة سيخرج بها كذابا يتبأ ، يقتل بعدى . فكان كذلك كما هو مشهور من أمر مسيلة الكذاب ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي رضى الله عنه

١٨٠ / ١٠ إلى الحارث بن عبد / كلال الحميري ملك اليمن ، فلما بلغه رسالة النبي

صلى الله عليه وسلم قال الحارث : قد كان هذا النبي عرض نفسه على نخطت عنه ، وكان ذخرا لمن صار إليه ، وسأناظر ، وتباطأ به الحال إلى أن أسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود ، وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، وبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى

١٥ جيفر وعبد ابنى الجلندى " الأزديين ملكى عمان ، فتوقفا واضطرب "

(١) في ظ : بالك (٢) في ظ : اخذ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : وهددوه .

(٥) من ظ ، وفي الأصل : استمرت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل :

وكان (٨) من ظ و الروض الأنف ٢ / ٣٥٨ ، وفي الأصل : تخطيته - كذا .

(٩) من السيرة ٣ / ٧٧ ، وفي الأصل و ظ : حنيفة - كذا (١٠) في نسخة من

السيرة : عياذ (١١) في ظ : الحامدى - كذا (١٢) في ظ : اضرب .

رأيهما، ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جيفر: إنه والله قد دلتني على هذا النبي صلى الله عليه وسلم الأملى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، و [ لا - ١ ] ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يطرأ، و يغلب فلا يفجر<sup>٢</sup>، و أنه يوفى بالعهد و ينجز الوعد، و لا يزال يطع على سر قوم يساوى فيه أهله، و إنى أشهد أنه رسول الله، و أسلم أخوه أيضا، ه و كتبنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالسلامتهما، فقال خيرا و أتى خيرا، و كان في سير هؤلاء الرسل لعمري غير ما ذكر أحاديث عجائب و أفاصيص غرائب من دلائل النبوة و أعلام الرسالة، خشيت من ذكرها الإطالة و أن تمل و إن لم يكن فيها ما يقتضى ملاله. و قد شفيت في شرحى لنظمى للسيرة باستيفائها القليل في ترتيب جميل و نظم أسلوبه لعمري ١٠ جليل؛ هؤلاء رسل البشر، و أما الرسل من الجن فقد روى الطبرانى في الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى " و اذ صرفنا إليك نفرا من الجن<sup>١</sup> يستمعون القرآن<sup>٢</sup> " قال: كانوا<sup>٣</sup> تسعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم. قال الهيثمى: و في سنده النضر أبو عمر و هو متروك، و يؤيد عموم هذه الآية في ١٥ تناولها الملائكة عليهم السلام قوله تعالى " ليكون للعلين نذيرا<sup>٤</sup> " و إذا

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: فلا ينظر (٣) في ظ: فلا يضجر، و في الخصائص الكبرى ١٤ / ٢: فلا يهجر (٤) في ظ: كتب (٥) من ظ، و في الأصل: يقصن (٦-٦) سقط ما بين الرقمن من ظ، و راجع سورة ٤٦ آية ٢٩. (٧) في ظ: كنا - كذا (٨) سورة ٢٥ آية ١.

تأملت سياق الآيات التي بعدها مع آخر السورة التي قبلها قطعت بذلك  
 " لينذر من كان حيا " ، " انما تنذر من اتبع الذكر " اذ هم من جملة  
 العالمين ومن بلغه القرآن و ممن هوحي و ممن اتبع الذكر ،  
 و الخطاب بالإنذار وارد مورد التغليب ، إذ الإنس و الجن أهل له ،  
 ه فاتقوا ما يقال : إن الملائكة في غاية الخوف من الله تعالى مع عصمتهم  
 فليسوا بمن يخوف ، و يزيد ذلك وضوحا قوله تعالى " و من يقل منهم  
 اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين " و لا إنذار  
 أعظم من ذلك ، و إن عيسى عليه السلام من هذه الأمة و ممن شملته  
 ١٠ الآيات الدالة على عموم الرسالة بغير شك ، و أن النبي صلى الله عليه  
 و سلم قال : و الذي نفسي بيده ! لو كان موسى حيا لما رسعه إلا أتباعي ،  
 أخرجه الإمام أحمد و الدارمي و البيهقي في الشعب عن جابر رضي الله  
 عنه ، و مذهب أهل السنة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ،  
 و قد ثبتت رسالته إلى الأفضل المعصوم بالفعل لعيسى ، و بالتعلق بالحياة  
 ١٥ لموسى عليه السلام . و قد أخذ الله سبحانه ميثاق النبيين كلهم عليهم السلام  
 إن أدركوه ليؤمنن به . و قد خطب النبي صلى الله عليه و سلم -  
 و هو أشرف الخلق و أكملهم - بالإنذار في غير آية ، فهما أول به ذلك  
 في حقه صلى الله عليه و سلم / قيل مثله في حقهم عليهم السلام ،

/ ١٨١

(١) زيد بعده في ظ : هو (٦) زيد بعده في ظ : اذ هم من جملة العالمين (٢) في ظ :

فليس (٤) سورة ٢١ آية ٢٩ (٥) من ظ ، وفي الأصل : ثبت .

وما يرفع<sup>١</sup> النزاع ويدفع<sup>٢</sup> تعلل المتعلل بالإندار قوله تعالى "لتنذر به  
وذكرى للمؤمنين"<sup>٣</sup> فحذف مفعول 'تنذر' دال على عموم رسالته، وتعليق  
الذكرى<sup>٤</sup> بالمؤمنين مدخل لهم بلا ريب لأنهم من رؤسهم - عليهم السلام،  
وقوله تعالى "لتبشر به المتقين"<sup>٥</sup> - إلى غيرها من الآيات، فيكون عموم  
رسالته لهم زيادة شرف له، وهو واضح<sup>٦</sup>، وزيادة شرف لهم بحمل<sup>٧</sup>  
أنفسهم على طاعته والتقيده بما حده لهم من أعمال ملته طاعة لله<sup>٨</sup> تعالى  
زيادة في أجورهم ورفعة درجاتهم، وذلك مثل ما قال أبو حيان<sup>٩</sup> في  
قوله تعالى<sup>١٠</sup> "نخذ ما اتيتك وكن من الشكرين"<sup>١١</sup>: إن في<sup>١٢</sup> الأمر له  
بذلك مزيد تأكيد وحصول أجر بالامثال؛ وقال القاضي عياض<sup>١٣</sup>

في الفصل السابع من الباب الأول من القسم الأول من الشفا في قوله ١٠  
تعالى<sup>١٤</sup> "وإذا أخذ الله ميثاق النبي لما اتيتكم من كتب<sup>١٥</sup> وحكمة"<sup>١٦</sup> - الآية؛  
قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته<sup>١٧</sup>  
وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به، وبعض ذلك ما قال في أول الباب  
الأول: وحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل عليه السلام:

(١) في ظ يقع :- كذا (٢) في ظ : يمنع (٣) سورة ٧ آية ٢ (٤) من ظ ،  
وفي الأصل : الذكر (٥) سورة ١٩ آية ٩٧ (٦) زيد بعده في ظ : لهم (٧) في  
ظ : الله (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) سورة ٧ آية ١٤٤ (١٠) سقط  
من ظ (١١) هو ابن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض البحصبي  
المالكي، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي، واسم كتابه هذا: الشفا  
بتعريف حقوق المصطفى - راجع معجم المؤلفين وكشف الظنون (١٢) سورة ٣  
آية ٨١ (١٣) في ظ : بعثه - كذا .

هل أصابك من هذه الرحمة المذكورة في قوله تعالى " وما أرسلناك  
 إلا رحمة للعالمين " شيء ؟ قال : نعم ! كنت أخشى العاقبة فأمّنت  
 لثناء الله عز وجل علىّ بقوله " ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع  
 ثم أمين " وروى مسلم في كتاب الصلاة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن  
 ٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت  
 جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى  
 الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون .  
 وحمل من حمل الخلق على الناس - للرواية التى فيها « إلى الناس » تحكم ،  
 ١٠ بل العكس أولى لمطابقة الآيات ، وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل  
 بالدليل العقلى ، فبقى غيرهم داخلا فى اللفظ ، لا يحل لأحد أن يخرج  
 منه أحدا منهم إلا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع ، وقال عياض  
 فى الباب الثالث من القسم الأول : وذكر البزار عن على بن أبى طالب  
 رضى الله عنه : لما أراد الله تعالى أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ١٥ الأذان - فذكر المعراج وسماع الأذان من وراء الحجاب ثم قال :  
 ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم ، فقدمه ، فأمر بأهل السماء فيهم  
 آدم ونوح - انتهى . وروى عبد الرزاق عن سليمان الفارسى رضى الله عنه  
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان الرجل بأرض قى  
 (١) سورة ٢١ آية ١٠٧ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٨١ آية ٢٠ و ٢١ (٤-٤) سقط  
 ما بين الرقعين من ظ (٥) فظ : لى - كذا ، وفى اللسان : أبدلوا الواو ياء  
 طلبا للخفة ، وكسروا القاف لمجاورتها الياء - راجع (قوا) .

لحانت الصلاة فليتوضأ ، فان لم يجد الماء فليتييم ، فان أقام صلى معه ملكاه ، وإن<sup>١</sup> أذن و أقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه . قال المنذرى : القى - بكسر القاف و تشديد الياء ، وهى الأرض<sup>٢</sup> القفر . و روى مالك و الستة إلا الترمذى و أبو يعلى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال<sup>١</sup> : إذا قال الإمام " غير المغضوب ه عليهم و لا الضالين ، فقولوا " آمين - و فى رواية : إذا أمن الإمام فأمنوا - فانه من وافق [ تأمينه - <sup>٣</sup> ] تأمين الملائكة - و فى رواية : من وافق قوله قول الملائكة - غفر له ما تقدم من ذنبه . و فى رواية<sup>٤</sup> فى الصحيح : إذا قال أحدكم فى الصلاة : / آمين ، و قالت الملائكة فى السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم له من ذنبه . و فى ١٠ رواية<sup>٥</sup> لأبى يعلى : إذا قال الإمام " غير المغضوب عليهم و لا الضالين " قال الذين<sup>٦</sup> خلفه : آمين ، التفت<sup>٦</sup> من أهل السماء و أهل الأرض [ آمين - <sup>٧</sup> ] ، غفر للعبد ما تقدم من ذنبه . و للشيخين عن أبي هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا<sup>٨</sup> لك الحمد ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ١٠ ما تقدم من ذنبه ؛ و فى رواية : فإذا وافق قول أهل السماء قول<sup>٩</sup> أهل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ارض (٣) زيد من الخمسة . (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (ه) فى ظ : الذى (٦) من مجمع الزوائد ١١٣/٢ حيث سبق هذا الحديث ، و فى الأصل وظ : التفت - كذا (٧) زيد من المجمع (٨) زيدت الواو بعده فى ظ و نسخة من صحيح البخارى .

الأرض غفر له ما تقدم من ذنبه ؛ في أشكال ذلك بما يؤذن باتهام  
 الملائكة بأئمتنا ، وذلك ظاهر في التقيد<sup>١</sup> بشرعنا ، وروى أحمد  
 وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم -  
 وجزم ابن معين والذهلي بصحته - عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة .  
 وأدل من جميع ما مضى ما روى مالك والشيخان وأبو داود وابن خزيمة  
 عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من  
 اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب  
 بدنه ، ومن راح في الساعة<sup>٢</sup> الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في  
 الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة<sup>٣</sup> الرابعة  
 فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ،  
 فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون<sup>٤</sup> الذكر ؛ وفي رواية :  
 فإذا قعد الإمام طويت الصحف ، [ وفي رواية لأحمد عن أبي سعيد :  
 فإذا أذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف -<sup>٥</sup> ] ودخلوا  
 المسجد يستمعون الذكر . فان تركهم لكتابة الناس وإقبالهم على الاستماع  
 دليل واضح على الائتمام ، بما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أيضا  
 رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قلت لصاحبك

(١) في ظ : التقيد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في ظ : يستمعون .

(٤) زيد ما بين الحازرين من ظ ، و « على المنبر » كان ساقطة من ظ فأثبتناه

من مسند الإمام أحمد ٨١/٣ .



يوم الجمعة : أنصت ، والإمام يخطب<sup>١</sup> فقد لنوت<sup>٢</sup> ؛ قال الحلبي في الرابع من شعب الإيمان في الجواب عما أورد على قوله "لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله<sup>٣</sup>" من أن التخصيص بالإنس والجن لا يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه :  
 و أما الملائكة فلم يتحدوا على<sup>٤</sup> ذلك لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم<sup>٥</sup> لم يكن القرآن حجة عليهم ، فسواء كانوا قادرين على مثله أو عاجزين ، وهم عندنا عاجزون ؛ وقال في الخامس عشر في أن من أنواع تعظيمه<sup>٦</sup> الصلاة عليه فأمر الله عباده أن يصلوا عليه و يسلموا ، وقدم قبل ذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ،<sup>٧</sup> فأمر الله عباده<sup>٨</sup> لنبيهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم عن شريعته تتقرب<sup>٩</sup> ١٠  
 إلى الله تعالى بالصلاة و التسليم عليه<sup>١٠</sup> ، ليعلموا أنهم بالصلاة و التسليم عليه أول و أحق - هذا نصه في الموضوعين ، ولم يذكر لذلك دليلا ، ونسب الجلال المحلى في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك إلى البيهقي في الشعب فانه قال : و صرح الحلبي و البيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه عليه الصلاة و السلام لم يرسل إلى الملائكة ، و في الباب الخامس عشر ١٥ بانفكاكهم من شرعه ، قال : و في<sup>١١</sup> تفسير الإمام الرازي و البرهان النسفي<sup>١٢</sup>

(١) زيد في ظ : يوم الجمعة (٢) زيد بعده في ظ : لكن (٣) سورة ١٧ آية ٨٨ .  
 (٤) في الأصل و ظ : عن (٥) من ظ ، وفي الأصل : تعظيم (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في الأصل و ظ : يتقرب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : المسمى ، وهو برهان الدين محمد بن محمد النسفي الحنفي ملخص تفسير الرازي - راجع معجم المؤلفين ٢٩٥/١١ .

حكاية الإجماع<sup>١</sup> في تفسير الآية<sup>٢</sup> الثانية - أي "ليكون للعلمين نذيرا" أنه

لم يكن رسولا إليهم - انتهى . وهو شهادة نبي كما ترى ، لا ينهض بما

/ ذكرته من النصوص على أن الحلبي لم يقل بذلك إلا لقوله بأن الملائكة

أفضل من الأنبياء - كما نقله عنه الإمام غفر الدين في كتاب الأربعين

هـ والشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد وغيرهما ، ولم يوافق على

ذلك أحد من أهل السنة إلا القاضي أبو بكر الباقلاني ، فكلما لم يوافق على

الأصل لا يوافق على الفرع ، وأما البيهقي فانما نقله عن الحلبي وسكوته

عليه لا يوجب القطع برضاه<sup>٢</sup> ، قال الزركشي في شرح جمع الجوامع :

وهي مسألة وقع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل درس عندهم

١٠ وقال لهم : الملائكة ما دخلت<sup>٣</sup> في دعوته ، فقاموا عليه ، وقد ذكر

الإمام غفر الدين في تفسير سورة الفرقان<sup>٤</sup> الدخول محتجا بقوله تعالى

"ليكون<sup>٥</sup> للعلمين نذيرا" : والملائكة داخلون في هذا العموم - انتهى .

وهذا يقدر فيما نقل عنه من نقل الإجماع ، وعلى تقدير صحته ففيه أمور ،

أما أولا فالإجماع لا يرجع إلا<sup>٦</sup> إلى أهل الاطلاع على المنقولات من

١٥ حفاظ الآثار وأقارب السلف فيه<sup>٧</sup> ، وأما ثانيا فانه نقل<sup>٨</sup> يحتمل التصحيح

والتضعيف ، لأنه بطرقه احتمال أن يكون نقل<sup>٩</sup> عن لا يعتد به ، أو يكون

(١) في ظ : بالإجماع (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لرضاه (٤) في ظ : دخلت .

(٥) من ظ ، وفي الأصل : القرآن (٦) من ظ ، وفي الأصل : اليه (٧-٨) سقط

ما بين الرقيين من ظ .

أخذه

أخذه عن أحد مذاكره<sup>١</sup> و أحسن الظن به ، أو حصل له<sup>٢</sup> سهو ، ونحو ذلك ، فلا وثوق إلا بعد معرفة المنقول عنه و سند النقل و الاعتضاد بما يوجب الثقة ليقارم هذه الظواهر<sup>٣</sup> الكثيرة ، و أما ثالثاً<sup>٤</sup> فانه سيأتى عن الإمام تقي الدين السبكي أن بعض المفسرين قال بالإرسال إلى الملائكة ، وقال الإمام ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ زين الدين العراقي ه في شرحه لجمع الجوامع : و أما كونه مبعوثاً إلى الخلق أجمعين فالمراد المكلف منهم ، و هذا يتناول الإنس و الجن و الملائكة . فأما الأولان<sup>٥</sup> فبالإجماع ، و أما الملائكة فمحل خلاف فأين الإجماع ! هذا على تقدير صحة هذا النقل و أنى لمدعى ذلك به ! فأنى راجعت تفسير الإمام للآية المذكورة فلم أجد فيه نقل الإجماع ، و إنما قال : ثم قالوا : هذه الآية تدل على أحكام : ١٠ الأول أن العالم كل ما سوى الله ، فيتناول جميع المكلفين من الجن و الإنس و الملائكة ، لكننا نبئنا أنه عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة ، فوجب أن ينفي كونه رسولاً إلى الجن<sup>٦</sup> و الإنس<sup>٧</sup> جميعاً ، و بطل قول من قال : إنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض ، الثاني أن لفظ ” العلين ” يتناول جميع المخلوقات ، فتدل الآية على أنه رسول إلى المكلفين إلى ١٥ يوم القيامة ، فوجب أن يكون خاتم الأنبياء و الرسل - هذا لفظه في أكثر النسخ ، و في بعضها : لكننا<sup>٨</sup> أجمعنا - بدل : نبئنا - و هي غير صريحة في إجماع الأمة كما ترى ، و لم يعين الموضع الذى أحال عليه في النسخ

(١) في ظ : مذاكرة (٢) سقط من ظ (٣-٤) سقط ما بين الرقين من ظ .  
(٤) من ظ ، و في الأصل : الإيمان (ه) من ظ ، و في الأصل : لكن .

الآخري - فليطلب من مظانه و يتأمل<sup>١</sup>، و أما النسي فمختصر له - والله  
الموفق؛ ثم رأيت في خطبة كتاب<sup>٢</sup> الإصابة في أسماء الصحابة لشيخنا  
حافظ عصره أبي الفضل ابن حجر في تعريف الصحابي: و قد نقل  
الإمام نجر الدين في أسرار التنزيل الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم  
لم يكن مرسلًا إلى الملائكة، و نوزع<sup>٣</sup> في هذا النقل، بل رجح الشيخ  
تقي الدين السبكي أنه كان مرسلًا إليهم و احتج بأشياء يطول شرحها -  
انتهى . و العجب من الرازي في نقل هذا الذي لا يوجد لغيره مع أنه  
قال في أسرار التنزيل في أواخر الفصل الثاني من الباب الثالث في  
الاستدلال بمخلق الآدمي على وجود الخالق: الوجه الرابع - أي في  
١٨٤ / ١٠ تكريم بني آدم - أنه جعل أباهم / رسولًا إلى الملائكة حيث قال "انتهى

باسمائهم" و قد تقرر أن كل كرامة كانت لنبي من الأنبياء فلنينا صلى الله  
عليه وسلم [مثلها أو أعظم - °] منها، [و قال في تفسيره الكبير في  
"و علم آدم الاسماء": و لا يبعد أيضا أن يكون مبعوثًا إلى من يوجه  
التحذير إليهم من الملائكة، لأن جميعهم و إن كانوا رسلًا فقد يجوز الإرسال  
١٥ إلى الرسول لبعثة إبراهيم إلى لوط عليهما السلام - انتهى . و أنت خير  
بأمر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء - °]، و الحاصل أن رسالته  
صلى الله عليه وسلم إليهم - صلوات الله عليهم - رتبة فاضلة و درجة عالية

(١) من ظ ، وفي الأصل: تعامل - كذا (٢) في ظ: كتابه (٣) من خطبة  
كتاب الإصابة ٤/١، وفي الأصل: من راع، وفي ظ: يوزع - كذا .  
(٤) سورة ٢ آية ٣١ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

كاملة جائزة له<sup>١</sup>، لافقة بمنصبه، مطابقة لما ورد من القواطع لعموم<sup>٢</sup> رسالته وشمول دعوته، وقد دلت على حيازته لها ظاهر الكتاب والسنة مع أنه لا يلزم من إثباتها<sup>٣</sup> له إشكال في الدين ولا محذور في الاعتقاد، فليس لنا التجري<sup>٤</sup> على نفيها إلا بقاطع كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في آية الانعام "قل لا اجد فيها اوحى الى محرما" - ه الآية، قال: فاحتملت معنيين<sup>٥</sup>: أحدهما أن<sup>٦</sup> لا يحرم على طاعم يطعمه<sup>٧</sup> أبدا إلا ما استثنى الله عز وجل، وهذا المعنى الذي إذا ووجه<sup>٨</sup> رجل مخاطبا به كان الذي يسبق إليه أنه لا يحرم [عليه -<sup>٩</sup>] غير<sup>١٠</sup> ما سمى الله<sup>١١</sup> عز وجل محرما، وما كان هكذا فهو الذي يقال له أظهر المعاني وأعمها وأغلبها [والذي -<sup>٩</sup>] - لو احتملت الآية معاني سواء - كان<sup>١٠</sup> هو المعنى الذي يلزم أهل العلم القول به إلا أن تأتى ستة للنبي صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي - تدل على معنى غيره مما<sup>١٢</sup> تحمله الآية، فنقول<sup>١٣</sup>: هذا معنى ما أراد الله عز وجل، ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد [منهما -<sup>٩</sup>]، ولا يقال

- (١) سقط من ظ (٢) في ظ: بعموم (٣) في ظ: اتيانها (٤) في ظ: التحرى .  
 (٥) في ظ: تعيين (٦) في ظ: انه (٧) سقط من الرسالة ٢٩ (٨) في ظ: وجه،  
 وفي الرسالة: واجهه، وما في الأصل أقرب صوابا (٩) زيد من الرسالة .  
 (١٠-١١) في ظ: المعنى - كذا (١٢) من الرسالة، وفي الأصل و ظ: يقول .  
 (١٣) من ظ والرسالة، وفي الأصل: فما (١٤) من الرسالة، وفي الأصل: مقول،  
 وفي ظ: فيقول - كذا .

بخاص حتى تكون الآية 'تحتمل أن تكون' أريد بها ذلك الخاص،  
 فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لا تحتمل<sup>٢</sup> الآية - انتهى .  
 وشرحه الإمام أبو محمد ابن حزم في المحلى فقال: ولا يحل لأحد أن  
 يقول في آية أو [في -<sup>٢</sup>] خبر: هذا منسوخ<sup>٣</sup> أو<sup>٤</sup> مخصوص في بعض  
 ما يقتضيه ظاهر لفظه، ولا أن لهذا النص تأويلاً غير مقتضى ظاهر لفظه،  
 ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده<sup>٥</sup> إلا بنص آخر  
 وارد بأن هذا النص كما ذكر، أو باجماع متيقن بأنه كما ذكر، أو بضرورة  
 حس<sup>٦</sup> موجبة أنه كما ذكر<sup>٧</sup>، برهانه: "وما أرسلنا من رسول<sup>٨</sup>  
 إلا ليطاع باذن الله"<sup>٩</sup>، "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين  
 لهم"<sup>١٠</sup>، وقال "فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم"<sup>١١</sup> فتنه"<sup>١٢</sup>،  
 ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه [في اللغة العربية، لا كل  
 ما يقتضيه -<sup>١٣</sup>] فقد أسقط بيان النص،<sup>١٤</sup> وأسقط<sup>١٥</sup> وجوب الطاعة له  
 بدعواه الكاذبة، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه

---

(١-١) من الرسالة، وفي الأصل: يحتمل أن يكون، وفي ظ: تحتمل أو يكون -  
 كذا (٢) من الرسالة، وفي الأصل و ظ: يحتمل (٣) زيد من المحلى ١/٤٩ .  
 (٤) من المحلى، وفي الأصل و ظ: منصوص (٥) في المحلى: وهذا (٦) من المحلى،  
 وفي الأصل و ظ: وردوه - كذا (٧) في ظ: خبر (٨) زيد في المحلى: وإلا فهو  
 كاذب (٩) العبارة من هنا إلى « من رسول » ساقطة من ظ (١٠) سورة ٤  
 آية ٦٤ (١١) سورة ٤ آية ٤ (١٢) من ظ و المحلى و القرآن الكريم سورة ٢٤  
 آية ٦٣، وفي الأصل: يصيبهم (١٣) زيد من ظ و المحلى ١/٥٠ (١٤-١٥) سقط  
 ما بين الرقعين من ظ .

من سائر ما يقتضيه - انتهى . وقال أهل الأصول : إن الظاهر [ ما -<sup>١</sup> ]  
 دل على المعنى دلالة ظنية أى راجحة ، والتأويل حمل الظاهر على المحتمل  
 المرجوح ،<sup>٢</sup> فإن حمل عليه لدليل فصيح<sup>٣</sup> - أو لِمَا ظن دليلا وليس في  
 الواقع بدليل - ففاسد<sup>٤</sup> ، أو لا شئ فلعب لا تأويل ، [ قال الإمام  
 الغزالي في كتاب المحبة من الإحياء في الكلام على أن رؤية الله تعالى في هـ  
 الآخرة هل هي بالعين أو بالقلب : و الحق ما ظهر لأهل السنة و الجماعة  
 من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ، ليكون لفظ الرؤية و النظر  
 و سائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة  
 الظواهر إلا لضرورة - انتهى -<sup>١</sup> ] ، وقال الإمام تقي الدين السبكي في جواب  
 السؤال عن الرسالة إلى الجن الذي تقدم في أول الكلام على هذه الآية ١٠  
 أنى رأيت بخطه<sup>٢</sup> : الآية العاشرة : ” ليكون للعلمين نذيرا<sup>٣</sup> “ قال المفسرون  
 كلهم في تفسيرها : للجن و الإنس ، و قال بعضهم : و الملائكة .<sup>٤</sup> الثانية  
 عشرة<sup>٥</sup> ” و ما أرسلتك إلا كافة للناس<sup>٦</sup> “ ، قال المفسرون : معناها<sup>٧</sup> :  
 إلا إرسالاً عاما شاملا لجميع الناس ، أى ليس بخاص ببعض الناس ،  
 فقصود الآية نفي<sup>٨</sup> الخصوص و إثبات العموم ، و لا مفهوم لها فيما وراء ١٥  
 الناس ، بل قوتها في العموم يقتضى عدم<sup>٩</sup> الخصوصية فيهم و حيثئذ يشمل  
 (١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : قال أحمل الدليل بصحيح (٣) في ظ : تفاسد .  
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : بخط (٥) سورة ٢٥ آية ١ (٦-٦) في ظ : الثانية .  
 (٧) سورة ٣٤ آية ٢٨ (٨) من ظ ، وفي الأصل : معناه (٩-٩) تكرر ما بين  
 الرقمين في الأصل ، و ثبتت صفحة ١٨٥ من الأصل في العبارة المتكررة بعد  
 • إثبات العموم • .

الجن، ولو كان مقصود الآية حصر<sup>١</sup> رسالته في الناس لقال: وما أرسلناك إلا إلى الناس، فإن كلمة 'إلا' تدخل على ما يقصد الحصر فيه، فلما أدخلها على "كافة" دل على أنه المقصود بالحصر، ويبقى قوله "لناس" لا مفهوم له، أما أولاً فلا<sup>٢</sup>ته مفهوم قلب<sup>٣</sup>، وأما ثانياً فلا<sup>٤</sup>ته لا يقصد بالكلام، وأما ثالثاً فلا<sup>٥</sup>ته قد قيل: إن "الناس" يشمل الإنس والجن، أى على القول بأنه مشتق من النوم، وهو التحرك، وهو على هذا شامل لللائكة أيضاً، ومن صرح من أهل اللغة بأن "الناس" يكون من الإنس ومن الجن<sup>٦</sup> الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي في كتابه ديوان الأدب<sup>٧</sup>، قال السبكي: السابعة عشرة<sup>٨</sup> "إن ١٠ هو الاذكر للعلمين<sup>٩</sup>"، الثامنة عشرة<sup>١٠</sup> "إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب<sup>١١</sup>" ونحوهما كقوله<sup>١٢</sup> "لتنذر من كان حياً<sup>١٣</sup>" وكذا قوله "هدى للتيقين<sup>١٤</sup>"، وأما السنة فأحاديث: الأول حديث مسلم<sup>١٥</sup> عن أبي هريرة رضى الله عنه: "وأرسلت إلى الخلق كافة"، إلى الخلق، عام يشمل الجن بلا شك، ولا يرد على هذا أنه ورد في روايات هذا الحديث من طرق أخرى في صحيح البخارى وغيره "الناس"، موضع الخلق، لأننا نقول: ذلك من رواية جابر، وهذا من رواية أبي هريرة؛ فلهما حديثان، وفي رواية الخلق زيادة معنى على الناس، فيجب

(١) في ظ: حضور (٢) في الأصل وظ: لقب - كذا (٣) سقط من ظ.  
(٤) في ظ: يكونون (٥) زيد بعده في ظ: قال (٦) في ظ: عشر (٧) سورة ٣٨ آية ٨٧ (٨) سورة ٣٦ آية ١١ (٩) في ظ: لقوله (١٠) سورة ٣٦ آية ٧٠.  
(١١) من ظ، وفي الأصل: سلمة.



الآخذ به<sup>١</sup> إذ لا تعارض<sup>٢</sup> بينهما، ثم جوز أن يكون من روى «الناس» روى بالمعنى فلم يوف به، قال: وهذا الحديث يؤيد قول من قال: إنه مرسل إلى الملائكة ولا يستنكر هذا، فقد يكون ليلة الإسراء يسمع<sup>٣</sup> من الله كلاماً فبلغه لهم في السماء أو لبعضهم، وبذلك يصح أنه مرسل إليهم، ولا يلزم من كونه مرسلًا إليهم من حيث الجملة أن يلزمهم جميع الفروع التي تضمنتها هـ شريعته، فقد يكون مرسلًا إليهم في بعض الأحكام أو في بعض الأشياء التي ليست بأحكام، أو يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادة إيمان، ولهذا جاء فيمن قرأ سورة الكهف: فنزلت عليه مثل الظلة، ثم قال في أثناء كلام: بخلاف<sup>٤</sup> الملائكة، لا يلزم أن هذه التكليف كلها ثابتة في حقهم إذا قيل بعموم الرسالة لهم، بل يحتمل ذلك ويحتمل في شيء ١٠ خاص كما أشرنا إليه فيما قبل - انتهى. قلت: ولا ينكر اختصاص الأحكام ببعض المرسل إليهم دون بعض في شرع واحد في الأحرار والعبيد والنساء والرجال والخطّابين والرعا بالنسبة إلى بعض أعمال الحج وغير ذلك مما يكثر تعداده - والله الموفق؛ ومن تجرأ<sup>٥</sup> على نفي الرسالة إليهم من أهل زماننا بغير نص صريح يضطره إليه، كان ضعيف العقل<sup>٦</sup> ١٥ مضطرب الإيمان من زلزل اليقين سقيم<sup>٧</sup> الدين، ولو كان حاكياً لما قيل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: لا يعارضه - كذا (٣) في ظ: سمع (٤) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ فخذناها (٥) من ظ، وفي الأصل: يجرء (٦) في ظ: القلب (٧) من ظ، وفي الأصل: سيعصم.

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ٢٠ و ٢١) ج - ٧

على وجه الرضى به، 'فاكل' ما يُعَلَّم يقال، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث  
بكل ما سمع، ولعمري! إن الأمر لعلى ما قال صاحب البردة وتلقته  
الامة بالقبول، وطرب عليه فى المحافل والجموع:

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم  
وما أثبت شهادة الله تعالى له<sup>٢</sup> بالتصديق بأنه محق، وكان ذلك

ربما أوهم أن غير الله تعالى لا يعرف ذلك، لاسيما وقد ادعى كفار  
قريش أنهم سألوا أهل الكتابين فادعوا<sup>٣</sup> أنهم لا يعرفونه، أتبعه بقوله  
على طريق الاستئناف: (الذين اتينهم) أى بما لنا من العظمة / من ١٨٦

اليهود والنصارى (الكذب) أى الجامع لخيرى الدنيا والآخرة،  
١٠ وهو التوراة والإنجيل (يعرفونه) أى الحق الذى كذبتم به لما جاءكم

وحصل النزاع بينى وبينكم فيه لما عندهم فى كتابهم من وصفى الذى  
لا يشكون فيه، ولما هم بمثله آتسون بما أثبت به من المعجزات، ولما فى

هذا القرآن من التصديق لكتابهم والكشف لما أخفوا من أخبارهم،  
ولاساليبه<sup>٤</sup> التى لا يرتابون فى أنها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادتها

١٥ بالإعجاز<sup>٥</sup>، فهم يعرفون هذا الحق (كما يعرفون أبناءهم<sup>٦</sup>) أى من بين  
الصبيان بحُلام ونعوتهم معرفة لا يشكون<sup>٧</sup> فيها، وقد وضعتهم موضع

(١-١) فى ظ: فكل (٢) فى ظ: تلقى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى  
الأصل: بما (٥) فى ظ: وادعوا (٦) فى الأصل: لاسالته، وفى ظ: لاسالته -  
كذا (٧) فى ظ: لاعجاز (٨) من ظ، وفى الأصل: لاسكون.

الوثوق ، وأنزلتموهم منزلة الحكم بسؤالكم لهم عن غير مرة ، وقد آمن  
بى جماعة منهم وشهدوا لى ، فالكم لا تابعونهم ! لقد بان الهوى وانكشف  
عن ضلالكم الغطاء .

ولما كان أكثرهم يخفون<sup>١</sup> ذلك ولا يشهدون به ، قال جوابا لمن  
يسأل عنهم : ﴿ الذين خسروا ﴾ أى منهم ، ولكنه حذفها للتعميم<sup>٥</sup>  
﴿ انفسهم فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لما سبق لهم من  
القضاء بالشقاء الذى<sup>٢</sup> خسروا به انفسهم بالعدول عما دعت إليه الفطرة  
السليمة والفكرة المستقيمة ، ومن خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد !  
فقد بينت<sup>٣</sup> هذه الجملة أن من لا يشهد منهم فهو فى الحقيقة ميت أو بوات ،  
لأن من ماتت نفسه كذلك ، بل هم أشق<sup>٤</sup> منه ، فلقد أدام<sup>٦</sup> ذلك<sup>١٠</sup>  
الشقاء إلى أن حرفوا كتابهم وأخسوا كثيرا مما يشهد لى بالنبوة ، فكانوا  
أظلم الخلق بالكذب فى كتاب الله للكذب لرسول الله .

ولما كان التقدير : خسروا فقاتهم الإيمان ، لأنهم ظللوا بكميان  
الشهادة ، فكان الظلم سبب خسرانهم ، فمن أظلم منهم<sup>٧</sup> عطف عليه  
ما يؤذن<sup>٨</sup> بأنهم بدلوا كتابهم ، أو نسبوا إليه ما ليس فيه ، فقال واضعا<sup>١٥</sup>  
للظاهر موضع<sup>٩</sup> ضميرهم لذلك : ﴿ ومن أظلم من اقترى ﴾ أى تعدد

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذين (٣) فى ظ : ثبت (٤) من ظ ، وفى  
الأصل : أسر - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : ههناهم (٦) زيد بعده فى الأصل :  
الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) فى ظ : من (٨-٨) سقط ما بين الرقين  
من ظ .

﴿ على الله كذبا ﴾ كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم ونسبوا إلى الله ما لم يقوله ،  
 زيادة كتبوها بأيديهم لا أصل لها<sup>١</sup> ، إضلالا منهم<sup>٢</sup> لعباده ﴿ او كذب بآياته ﴾<sup>٣</sup>  
 أى الآتى بها الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات كالمشركين ، لا أحد  
 أظلم منهم فهم لا يفعلون ﴿ انه لا يفلح الظالمون ٥ ﴾ أى فكيف بالآظلمين !  
 ٥ ولما كان معنى هذا أنهم أكذب الناس ، دل عليه بكذبهم يوم  
 الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال : ﴿ ويوم ﴾ أى اذكر كذبهم على  
 الله<sup>٤</sup> و تكذيبهم فى هذه الدار ، و اذكر أعجب من ذلك ، و هو كذبهم  
 فى عالم الشهادة عند كشف الغطاء و ارتفاع الحجب يوم ﴿ نحشرهم ﴾  
 أى نجتمعهم بما لنا من العظمة و هم كارهون صاغرون ﴿ جميعا ﴾ [ أى -<sup>٥</sup> ]  
 ١٠ أهل الكتاب و المشركين و غيرهم و معبوداتهم ، و أشار إلى عظمة ذلك  
 اليوم و طوله و مشقته و هوله بقوله بأداة التراخى : ﴿ ثم نقول ﴾ أى  
 بما لنا من العظمة التى انكشفت لهم أستارها و تبدت لهم<sup>٦</sup> بحورها و أغوارها<sup>٧</sup>  
 توبيخا و تنديما ﴿ للذين اشركوا ﴾ أى سموا شيئا من دوننا<sup>٨</sup> إلها و عبده<sup>٩</sup>  
 بالفعل من الأصنام أو عزير أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك ،  
 ١٥ [ أو -<sup>٩</sup> ] بالرضى بالشرك ، فان الرضى بالشىء فعل له لا سيما إن انضم  
 إليه تكذيب الحق و الشهادة للبطل بأن دينه خير<sup>١٠</sup> ﴿ اين شركاؤكم ﴾  
 أضافهم إلى ضميرهم لتسميتهم<sup>١١</sup> لهم بذلك ﴿ الذين كنتم تزعمون ٥ ﴾ أى  
 (١) فى ظ : لهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : انه (٤) زيد من  
 ظ (٥-٥) فى ظ : بحورها و اعوارها (٦) فى ظ : دونها (٧) من ظ ، وفى الأصل :  
 عبودها (٨) فى ظ : خيرا (٩) فى ظ : لتسميتهم .

أنهم شركاؤنا بالعبادة أو الشهادة بما يؤدي إليها، ادعوا اليوم لينقصوكم<sup>١</sup> عما نريد من ضرركم، / أو يرفعوكم عما نريد من وضعكم، وسؤالهم هذا يجوز ١٨٧/ أن يكون مع غيبة الشركاء عنهم وأن يكون عند<sup>٢</sup> إحصائهم لهم، فيكون الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم، فكأن غيبته<sup>٣</sup> غيبتهم .

ولما كان إخبارهم بغير الواقع في ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب ه

عن الأحوال وإظهار الزلازل والأوجال<sup>٤</sup>، أشار إليه بأداة البعد فقال :

( ثم لم تكن فنتهم ) أى عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السؤال وأمثاله من

البلايا التي من شأنها أن يميل<sup>٥</sup> ماخالطته فتحيله - [و-<sup>٦</sup>] لو أنه جبل -

عن حاله بما ناله من<sup>٧</sup> قوارعه وزلزاله إلا كذبهم في ذلك الجحيم ، وهو

معنى قوله : ( الآن قالوا ) ثباتا منهم فيما هم عريقون فيه من وصف ١٠

الكذب : ( والله ) فذكروا الاسم الأعظم الذي تندك لعظمته الجبال

الشم، وتنطق بأمره الأحجار الصم، الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى

التي ظهر لهم كثير منها في ذلك اليوم، و أكدوا ذلك بذكر الوصف

المذكر بتريتهم ودوام الإحسان إليهم فقالوا : ( ربنا ) فلم يقنعوا<sup>٨</sup>

بمجرد الكذب حتى أقسموا، ولا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع ١٥

و الوصف المحسن ( ما كنا مشركين ه ) أى إن تكذيبهم لك أوصلهم إلى

حد يكذبون<sup>٩</sup> فيه في ذلك اليوم بعد كشف الغطاء تطمعا بما لا ينفعهم،

(١) في ظ : لينفعوكم (٢) في ظ : عنده (٣) في ظ : عليه (٤) من ظ ، وفي الأصل :

الآجال (٥) في ظ : تمين (٦) زيدت الواو كي تستقيم العبارة (٧) في ظ : عن .

(٨) من ظ ، وفي الأصل : هموا - كذا (٩) في ظ : يكونون .

كما ترى الحائر المدهوش في الدنيا يفعل مثل ذلك فهو إيثاس<sup>١</sup> من فلاح  
الجميع : المشركين و أهل الكتاب ، أو يكون المعنى تنديما لهم و تأسيفا :  
أنه لم يكن عاقبة كفرهم الذي اقتنوا به في لزومه و الافتخار به  
و القتال عليه - لكونه دين الآباء - إلا جحوده و البراءة منه و الحلف  
ه على الاتقاء من التدين به ، و المعنى على قراءتي النصب و الرفع في  
'فتنة' على جعلها خبرا أو اسما واحداً ، فعنى قراءة النصب : لم يكن  
شيء إلا قولهم - أى غير قولهم الكذب - فتنتهم ، أى لم يكن شيء  
فتنتهم إلا هذا القول ، فهذا القول وحده فتنتهم ، فنفى عن فتنتهم و سلب  
عنها كل شيء غير قولهم هذا ، فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب ،  
١٠ 'و الكذب' قد يكون ثابتا لغيرها ، أى إنهم يكذبون من غير فتنة ،  
بل في حال الرخاء<sup>٢</sup> ، و هذا بعينه معنى قراءة ابن كثير و ابن عامر و حفص  
برفع 'فتنة' ، أى لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم ، فقد نفيت<sup>٣</sup> فتنتهم  
عن كل شيء غير الكذب ، فانحصرت فيه ، و يجوز أن يكون ثابتا  
في حال<sup>٤</sup> غيرها - على ما<sup>٥</sup> مر ، و هذا التقدير نفيس عزيز الوجود  
١٥ دقيق المسلك - يأتي إن شاء الله تعالى عند "و ما كان صلاتهم عند البيت<sup>٦</sup>"  
في الأنفال ما ينفع هنا فراجع .

و لما كان هذا من أعجب العجب ، أشار إليه بقوله : ﴿ انظر ﴾  
و بالاستفهام في قوله : ﴿ كيف كذبوا ﴾ و بالإشارة إلى أنهم فعلوه

(١) من ظ ، و في الأصل : بائس - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .  
(٢) في ظ : الرجاء (٤) في ظ : بقيت (٥) سقط من ظ (٦) راجع آية ٢٥ .

مع عليهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله : ﴿ على أنفسهم ﴾  
و هو نحو قوله ” فيحلفون له كما يحلفون لكم ” - الآية .

و لما كان قولهم هذا مرشدا إلى أن شركاءهم غابوا عنهم ، فلم ينفعوهم<sup>١</sup>  
بنافعة ، و كان الإعلام بفوات ما أنهم مقبل عليه فرح به ، سارا<sup>٢</sup>  
لخصمه<sup>٣</sup> جالبا لغمه ، صرح به في قوله : ﴿ و ضل ﴾ أى غاب ﴿ عنهم ﴾ هـ  
إما حقيقة أو مجازا ، أو هما بالنظر إلى وقتين ، ليكون إنكار ﴿ ما كانوا  
يفترون هـ ﴾ أى يتعمدون الكذب في ادعاء شركته<sup>٤</sup> عنادا لما على ضده  
من الدلائل الواضحة .

و لما علم أن هذه الآيات قد ترابطت / حتى كانت آية واحدة ،  
و ختم بأن مضمون قوله ” فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ” - الآية ، قد صار ١٠  
وصفا لهم ثابتا حتى ظهر في يوم الجمع ، قسم الموسمين<sup>٥</sup> بما كانت  
[ تلك - ٧ ] الآية سيالها ، و هو الإعراض عن الآيات المذكور في قوله  
” الا كانوا معرضين ” ، فكان كأنه قيل : ففهم من أعرض بسكيتة ،  
فدطف عليه قوله : ﴿ و منهم من يستمع اليك ع ﴾ أى يصغى بجهده  
كما في السيرة عن أبي جهل بن هشام و أبي سفيان بن حرب و الأخنس ١٥  
ابن شريق أن كلا منهم جلس عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم في الليل  
يستمع القرآن . لا يعلم أحد منهم بمجلس صاحبه ، فلما طلع الفجر  
(١) سورة ٨ آية ١٨ (٢) في الأصل : فلم ينفعهم و هم ، و في ظ : فلم ينفعهم -  
كذا (٣) في الأصل : سارا ، و في ظ : سار - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل :  
لطة - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : شتر - كذا (٦-٧) في ظ : قم المؤمنين .  
(٧) زيد من ظ .

انصرفوا فضمهم الطريق فثلاثوا وقالوا: لو رأيكم ضعفاؤكم لسرعوا إليه ، و تعاودوا على أن لا يعودوا ، ثم عادوا تمام ثلاث ليال . ثم سأل الأخنس أبا سفيان عما سمع فقال: سمعت أشياء عرفت المراد منها ، وأشياء لم أعرفها ولم أعرف المراد منها ، فقال : وأنا كذلك ، ثم سأل أبا جهل فأجاب بما يعرف منه أنه علم صدقه وترك تصديقه حسدا وعنادا ، وذلك هو المراد من قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ أى والحال أنا قد جعلنا ﴿ على قلوبهم اكنة ﴾ أى أغطية ، جمع كنان أى غطاء ﴿ ان ﴾ أى كراهة أن ﴿ يفقهوه ﴾ أى القرآن ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا يمنع من سماعه حق السمع ، لأنه يمنع من وعيه الذى هو غاية السماع ، فهم لا يؤمنون بما يسمع منك لذلك .

ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ، ذكر ما يظهر للعين ، معبرا بما يعي السمع وغيره من أسباب العلم فقال : ﴿ وان يروا ﴾ أى بالبصر أو البصيرة ﴿ كل آية ﴾ أى من آياتنا سواء ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لما عندهم من العناد والنخوة فى تقليد الآباء والأجداد ﴿ حتى ﴾ كانت غابتهم فى هذا الطبع على قلوبهم أنهم مع عدم فقههم ﴿ اذا جاءوك يحادلونك ﴾ أى بالفعل أو بالقوة ، والغاية داخلية ، وكأنه قيل تعجبا : ماذا يقولون فى جدالهم ؟ فقال مظهرها للوصف الذى أدام إلى ذلك : ﴿ يقول الذين كفروا ﴾ أى غطوا لما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع ﴿ ان ﴾ أى ما

(١) من ظ ، وفى الأصل : سمع (٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : فكأنه .



( هذا ) أى الذى وصل إلينا ( الاساطير ) جمع سطور و أسطر جمع سطر وهى أيضا جمع إسطار وإسطير بكسرهما و أسطور ، وبالهاء فى الكل ( الاولين ) وقد قال ذلك النضر بن الحارث ، فصدق قوله إخبار هذه الآية ( وهم ) حال من فاعل " يستمع " أى يستمعون إليك والحال أنهم ( ينهون عنه ) أى عن الاستماع أو عن اتباع القرآن ه ( وينثون ) أى يبعدون ( عنه ) أى كما وقع لابن جهل وصاحبه فى المعاهدة على ترك المعاهدة للسماح وما يتبعه ( وان ) أى وما ( يهلكون ) أى بعبادتهم ومكابدتهم ( الآ انفسهم ) أى وما هم بضاريك ولا بضارى أحد من أتباعك فيما يقدر فى المقهور من إرسالك من إظهار الدين ومحو الشرك وإذلال<sup>٢</sup> المفسدين ( وما يشعرون ) ١٠ أى وما لهم نوع شعور بما يؤديهم إليه الحال ، بل هم كالبهائم ، بل هى أصح حالا منهم .

ولما جعل عدم إيمانهم<sup>١</sup> فى هذه<sup>٢</sup> بشيء من الآيات موصلا لهم إلى غاية من الجهل عظيمة موصلة من ادعائهم فى هذه الدار ، وهى مجادلتهم له صلى الله عليه وسلم ، وختم الآية بما رأيت من عظيم التهديد استشرفت ١٥ النفس / إلى معرفة حالهم عند ردهم إلى الله تعالى والكشف لهم [ عما - \* ] ١٨٩ / هددوا<sup>٦</sup> به ، فأعلم<sup>٥</sup> نبيهم صلى الله عليه وسلم أن حالهم إذ ذاك الإيمان ،

- (١) فى ظ : تلك (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : بضائريك ولا بضائرى (٣) من ظ ، وفى الأصل : الادلال - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (ه) زيد من ظ . (٦) فى ظ : عاهدوا (٧) فى ظ : واعلم .

حيث يسر غاية السرور تصديقهم له ، وتمنيهم متابعتهم لما يركبهم<sup>٢</sup> من  
الذل ويحيط بهم من الصغار ، ولا يزيدهم ذلك إلا ضررا وعمى  
وندما وحسرة ، فكأنه قيل : فلو رأيت حالهم عند كشف الغطاء -  
وهو المطلع - لرأيتهم يؤمنون : ﴿ ولو ترى آذ ﴾ أى حين ﴿ وقفوا ﴾  
هـ فى الحشر ، [ و - ٢ ] بنى للجهول لأن المشكى<sup>٣</sup> الإيقاف ، لا كونه من  
معين ﴿ على النار ﴾ أى عندها ليدخلوها<sup>٤</sup> مشرفين<sup>٥</sup> على كل ما فيها من  
أنواع النكال ، ذلك أعظم فى النكاية . أو على الجسر وهو [ على - ٣ ]  
الصراط وهى تحتهم ، أو عرفوا حقيقتها ومقدار عذابها من قولك :  
أوقفته على كذا - إذا عرفته آياه ﴿ فقالوا ﴾ تمنيا للحال<sup>٦</sup> ﴿ يلبتنا نرد ﴾  
١٠ أى إلى الدنيا .

ولما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين - جوابا للتمنى -  
أ. أحدهما : فطبع ، عطف على الجملة قوله : ﴿ ولا ﴾ أى والحال  
أنا لا ، أو ونحو لا ﴿ نكذب ﴾ إن<sup>٧</sup> رددنا ﴿ بآيت ربنا ﴾ أى المحسن  
إلينا<sup>٨</sup> ﴿ ونكون من المؤمنين ه ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، والتقدير  
١٥ عند ابن عامر فى نصب الثالث : لبتنا نرد ، و لبتنا لا نكذب فنسعد<sup>٩</sup>  
و أن نكون<sup>١٠</sup> ، وعلى قراءة حمزة والكسائى وحفص بنصب الفعلين :  
(١) فى ظ : فبايعته (٢) فى ظ : فزائنهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : المبكى .  
(٥) من ظ ، وفى الأصل : ليدخلها (٦) فى ظ : مرددين (٧) فى ظ : للحال .  
(٨) من ظ ، وفى الأصل « و » (٩) فى ظ : اى (١٠) سقط من ظ (١١) فى  
ظ : فنشهد (١٢) فى ظ : يكون .

لينا زد فتسعد ، وأن لا نكذب و أن نكون<sup>١</sup> ، و المعنى : لو رأيت إيقافهم<sup>٢</sup>  
 و وقوفهم في ذلك الذل و الانكسار و الحزى و العار و سؤالهم و جوابهم  
 رأيت أمرا هائلا فظيلا و منظرا<sup>٣</sup> كريها شنيعا ، و لكنه حذف تفخيما  
 له لتذهب<sup>٤</sup> النفس فيه كل مذهب<sup>٥</sup> ، و جاز حذفه للعلم به في الجملة .  
 و لما أخبروا<sup>٦</sup> في قراءة الرفع<sup>٧</sup> - عن أنفسهم بما تمنوا لأجله الرد ، ه  
 و تضمنت قراءة النصب الوعد ، فانه كما لو قال قائل : ليت الله يرزقني  
 مالا فأكاقتك على صنيعك ، فانه ينجر<sup>٨</sup> إلى : إن رزقني الله مالا كافاتك ،  
 فصار لذلك مما يقبل التكذيب ، أضرب عنه سبحانه تكذيبا لهم بقوله :  
 ﴿ بل ﴾ أى ليس الامر كما قالوا ، لأن هذا التمنى ليس عن حقيقة  
 ثابتة في أنفسهم من محبة مضمونه و ثمرته ، بل ﴿ بدا ﴾ أى ظهر ﴿ لهم ﴾ ١٠  
 من العذاب الذى لا طاقة لهم به ﴿ ما كانوا يخفون ﴾ أى [ من - <sup>٩</sup> ]  
 أحوال الآخرة و مرانهم<sup>١</sup> على باطل<sup>١</sup> و لما كان إخفاؤهم ذلك في بعض  
 الزمان قال : ﴿ من قبل <sup>٢</sup> ﴾ أى يدعون أنه خفى ، بل لا حقيقة له ،  
<sup>١</sup> و يسترون<sup>٣</sup> ما تبديه الرسل من دلائله [ عنادا منهم مع أنه أوضح  
 من شمس النهار - <sup>٤</sup> ] بما يلبسون من الهية فلذلك تمنوا ما ذكروا<sup>٥</sup> ١٥  
 ﴿ و لو ردوا ﴾ أى إلى الدنيا ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ أى من الكفر

(١) في الأصل و ظ : تكون - كذا (٢) في ظ : اتقادهم (٣) في ظ : منكرا (٤) في  
 ظ : انتهذب (٥) في ظ : مهذب (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في  
 الأصل : تتحد ، و في ظ : يتحل - كذا (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و في  
 الأصل : زانهم - كذا .

والفضائح التي كانوا عليها وستر ما اتضح لقولهم من الدلائل  
 (وانهم لكاذبون ه) أي فيما أخبروا به عن أنفسهم من مضمون  
 تنبيههم أنهم يفعلونه لوردوا، وأكد طبعهم على الكفر بقوله عطفًا على  
 قوله "لعادوا": (وقالوا) أي بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت  
 ه في إنكار البعث (ان هي) أي ما هذه الحياة التي نحن ملابسوها  
 (الاحيائنا الدنيا) أي التي كنا عليها قبل ذلك (وما نحن)  
 وأغرقوا في النسي فقالوا: (مبعوثين ه) أي بعد أن نموت، وما رؤيتنا  
 لما رأينا قبل هذا من البعث إلا سحر لا حقيقة له، ولم ينفعهم مشاهدة  
 البعث بل ضررتهم، هذا / محتمل وظاهر، ولكن الأنسب لسياق الآيات  
 ١٠ قبل وبعد أن يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه وسلم في هذه  
 الدار عطفًا على قوله "وقالوا لولا أنزل عليه ملك" على الوجه الأول،  
 وقوله: (ولو ترى) متصل بذلك، أي قالوا هذا القول لما أخبرتهم  
 بالبعث، فسألك ذلك من قولهم والحال أنك لو رأيت اعترافهم به إذا  
 سألهم خالفهم لسرك ذلك من ذلهم وما يؤل إليه أمرهم، وعبر بالمضارع  
 ١٥ تصويراً لحالهم ذلك، وقوله: (اذ وقفوا على ربهم ط) مجازاً عن  
 الحبس في مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه إضافة الرب إليهم،  
 أي الذي طال إحسانه إليهم<sup>٤</sup> وحله عنهم، فأظهر لهم ما أظهر في ذلك

---

(١) من ظ، وفي الأصل: على (٢) زيد بعده في ظ: الموت (٣) من ظ، وفي  
 الأصل: ضرهم (٤) من ظ، وفي الأصل: تصورا (ه-ه) سقط ما بين الرقین  
 من ظ (٦) من ظ، وفي الأصل: مجاز (٧) في ظ: الجنس (٨) من ظ، وفي  
 الأصل: عليهم.

المقام من<sup>١</sup> تبيكتهم و تويخهم و تقرعهم ، و أطلهم بما<sup>٢</sup> يقتضيه أداة الاستعلاء - على ما له سبحانه من صفات العظمة من الكبرياء والانتقام من<sup>٣</sup> الترية إذ<sup>٤</sup> لم يشكروا إحسانه في تربيتهم ، و سياق الآية يقتضى أن يكون الجواب: لرايتهم قد منعتهم الهبة و عدم الناصر و شدة الوجل من الكلام ، فكان سائلا قال : المقام يرشد إلى ذلك حتى كأنه مشاهد ، ه  
فهل يكلمهم الله لما يشعر<sup>٥</sup> به التعبير بوصف الربوبية ؛ قيل : نعم ، لكن كلام إنكار و إخزاء و إذلال ( قال اليس هذا ) أى الذى أتاكم به رسول من أمر البعث و غيره مما ترونه الآن من دلائل كبريائى ( بالحق<sup>٦</sup> ) أى الأمر الثابت الكامل فى الحقيقة<sup>٧</sup> الذى لا خيال فيه ولا سحر ( قالوا ) أى حين إيقافهم عليه ، فكان ما أراد : ( بلى ) ، ١٠  
و زادوا على ما أمروا به فى الدنيا القسم فقالوا<sup>٨</sup> : ( وربنا ) أى الذى أحسن إلينا بأنواع الإحسان ، و كأن كلامهم هذا منزل على حالات تنكشف لهم فيها أمور بعد أخرى ، كل أمر أهول مما قبله ، و يوم القيامة - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - ذو<sup>٩</sup> ألوان<sup>٩</sup> : تارة لا يكلمهم<sup>١٠</sup> الله ، و تارة يكلمهم<sup>١١</sup> فيكذبون ، و تارة يسألهم عن شئ فينكرون ، فتشهد ١٥  
(١) فى ظ : عن (٢) فى ظ : بما (٣) فى ظ : فى (٤) فى ظ : اذا (٥) من ظ ،  
وفى الأصل : يسعر (٦) فى ظ : الحقيقة (٧) فى ظ : الاول - كذا (٨) من ظ ،  
وفى الأصل : دل - كذا (٩) فى ظ : الران - كذا (١٠) فى ظ : فلا يكلمهم .  
(١١) زيد فى ظ : الله .

جوارحهم، وتارة يصدقون كهذا<sup>١</sup> الموقف ويحلفون على الصدق .  
ولما أقروا<sup>٢</sup> قهرا بعد كشف الغطاء وفوات الإيمان بالغيب<sup>٣</sup> بما  
كانوا به يكذبون، تسبب عنه إهاتهم، فلذا قال مستأنفا: ﴿ قال ﴾ أى  
الله مسيئا عن اعترافهم حيث لا ينفع، وتركهم فى الدنيا حيث كان  
ينفع ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى كنتم به توعدون ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾  
أى بسبب دوامكم على ستر ما دلنكم عليه عقولكم من صدق رسولكم،  
ولا شك أن الكلام -<sup>٢</sup> وإن<sup>٢</sup> كان على هذه الصورة - فيه نوع إحسان، لأنه  
أهون من التعذيب مع الإعراض فى مقام " اخسؤا فيها ولا تكلمون"<sup>٣</sup>  
ولذلك<sup>٤</sup> [ كان ذلك -<sup>٥</sup> ] آخر المقامات .

١٠ ولما أنتج هذا ما تقدم الإخبار به عن خسرانهم لانفسهم فى القيامة  
توقع السامع ذكره، فقال تحقيقا لذلك، وزاده الحمل فانه من ذوق العذاب:  
﴿ قد خسر ﴾ وأظهر موضع الإضمحار تعميا وتنبها على ما أوجب لهم  
ذلك فقال: ﴿ الذين كذبوا بلىقاء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له  
الأمر كله، ولا أمر لأحد معه، [ قد -<sup>٥</sup> ] خسروا كل شئ. يمكن  
١٥ إحرازه من الثواب العظيم واستمر تكذيبهم ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾  
أى الحقيقية، وكذا الموت الذى هو مبدأها فان [ من -<sup>٥</sup> ] مات جاءت  
ساعته، وحذرهم منها بقوله: ﴿ بغتة ﴾ أى باغتة، أو ذات / بغتة،  
أو بغتهم<sup>٦</sup> باتيانها على حين غفلة، لا يمكن أن يشعروا بعين الوقت الذى

/ ١٩١

(١) فى ظ: لهذا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) سورة ٢٣ آية ٨-١٠ (٤) فى  
ظ: لذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: العباد (٧) من ظ، وفى الأصل: بغيتهم .

تجىء فيه نوعا من الشعور ( قالوا يحسرتنا ) أى تعالى احضرنا<sup>١</sup> أيها  
الحسرة اللاتقة بنا فى هذا المقام<sup>٢</sup> فانه لا نديم لنا سواك، وهو كناية  
عن عظمة<sup>٣</sup> الحسرة وتنيه عليه، لينتهى الإنسان عن أسبابها  
( على ما فرطنا ) أى قصرنا ( فيها ) أى بسبب الساعة، فقاتنا  
ما يسعد فيها من تهذيب الأخلاق المهيئة<sup>٤</sup> للسباق<sup>٥</sup> بترك اتباع الرسل<sup>٦</sup>، ه  
وذلك أن الله خلق المكلف وبعث<sup>٧</sup> له النفس الناطقة القدسية منزلا لها  
إلى العالم السفلى، وأفاض عليه نعمة ظاهرة وهى<sup>٨</sup> الحواس الظاهرة  
المدركة والأعضاء والآلات الجثمانية، ونعمة باطنة وهى العقل والفكر  
وغيرهما، ليتوصل باستعمال هذه<sup>٩</sup> القوى والآلات إلى تحصيل المعارف  
الحقيقية<sup>١٠</sup> والأخلاق الفاضلة التى تعظم منافعتها بعد الموت، وبعث الأنبياء<sup>١١</sup>  
عليهم السلام للهداية وأظهر عليهم المعجزات ليصدقوا، فأعرضوا  
عما دعوا إليه من تزكية النفس، وأقبلوا على استعمال الآلات والقوى فى  
اللذات<sup>١٢</sup> والشهوات الفانية فقاتت الآلات البدنية التى هى رأس المال<sup>١٣</sup>،  
وما ظنوه من اللذات<sup>١٤</sup> التى عدوها أرباحا فأتفققدوا الزاد<sup>١٥</sup>، ولم يهتسوا  
بالنفوس للاهتمام، فلا رأس مال ولا ربح، فصاروا فى غاية الانقطاع<sup>١٦</sup>  
والغربة، ولا خسران أعظم من هذا .

(١) فى ظ : احضرنا (٢) فى ظ : عدم (٣) فى ظ : الممتحنة (٤) من ظ ، وفى  
الأصل : السابق (٥) فى ظ : الرسل (٦) من ظ ، وفى الأصل : مقت (٧) فى  
ظ : هو (٨) من ظ ، وفى الأصل : هذا (٩) من ظ ، وفى الأصل : الحقيقة .  
(١٠) فى ظ : الذات (١١) سقط من ظ .

ولما كان هذا أمرا مفضلا، زاد في تفضيله بالإخبار في جملة حالة  
 بشدة تعبهم في ذلك الموقف ومن ظهورهم بذنوبهم، حتى كأن عليهم أحمالا  
 فقالوا فقال: ﴿وهم﴾ أى و' قالوا ذلك والحال أنهم ﴿يحملون أوزارهم﴾  
 أى أحمال ذنوبهم التى من شأنها أن يثقل، وحق الامر وصوره  
 ٥ بقوله: ﴿على ظهورهم﴾ لاعتقاد الحمل عليه، كما يقال: ثقل عليك  
 كلام فلان، ويجوز أن يحسد أعمالهم أجسادا ثقلا، فيكلفوا حملها؛  
 ولما كان ذلك الحمل أمرا لا يبلغ الوصف الذى يحتمله عقولنا كل  
 حقيقة ما هو عليه من البشاعة والثقل، أشار<sup>٢</sup> إلى<sup>٣</sup> ذلك بقوله جامعا  
 للذام: ﴿الاساء ما يزدون هـ﴾.

١٠ فلما تأكد أمر البعث غاية التأكد<sup>٤</sup>، ولم يبق فيه لذى لب وقفة،  
 صرح بما اقتضاه الحال من أمر هذه الدار، فقال منبها على خساستها<sup>٥</sup>  
 معجبا منهم فى قوة رغبتهم فى إثارة لذاتها، معلما بأنه قد كشف الحال  
 عن أن ما ركنوا إليه خيال، وما كذبوه به حقيقة ثابتة ليس لها زوال،  
 عكس ما كانوا يقولون: ﴿وما الحياة الدنيا﴾.

١٥ ولما كان السياق للخسارة<sup>٦</sup>، وكانت أكثر ما تكون<sup>٧</sup> من اللعب -  
 وهو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع، و بصرع<sup>٨</sup> انقضاؤه -

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: إشارة (٣) زیده بعده فى الأصل:  
 ان، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤) فى ظ: التاكيد (هـ) فى ظ: حسانتها -  
 كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: يكون (٧) فى الأصل: شرع، وفى  
 ظ: تشرع.



قدمه فقال : ﴿ الالعب ولهو<sup>١</sup> ﴾ [ أى - ' ] للاشقياء ، وللحياة الدنيا شر للذين يلعبون ، واللهو ما من شأنه أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه ، فيكون سببا للغفلة عما ينفع ، [ فتأخيره إشارة إلى أن الجهلة كلما قتروا في اللعب وهو اشتغال بالأمور السافلة والشواغل الباطلة بعلو النفوس<sup>٢</sup> أثاروا الشهوات بالملاهي - ' ] ، هـ والمعنى أنه تحقق من هذه الآيات زوال الدنيا ، فتحققت سرعته ، لأن كل آت قريب ، فحيث<sup>٣</sup> ما هي<sup>٤</sup> إلا ساعة لعب ، يندم الإنسان على ما فرط فيها ، كما يندم اللاعب - إن كان له عقل - على تقويته<sup>٥</sup> الأرباح إذا رأى ما حصل أولو الجد وأرباب العزائم .

و لما كان التقدير / بما أرشد إليه المعنى : \* وما<sup>٦</sup> الدار الآخرة إلا جد ١٠ / ١٩٢  
و حضور و بقاء للاشقياء . أتبعه قوله مؤكدا : ﴿ و للدار الآخرة خير ﴾  
و لما كان الكل مآلهم<sup>٦</sup> إلى الآخرة ، خصص<sup>٧</sup> فقال : ﴿ للذين يتقون<sup>٨</sup> ﴾  
أى يوجدون التقوى ، وهى الخوف من الله الذى يحمل على فعل الطاعات وترك المعاصي ، ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله ، فذكر حال الدنيا و حذف تيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه ، ١٥  
و حذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه ، فهو احتباك ؛  
و لما كان من شأن العقلاء الإقبال على الخير وترك غيره ، تسبب عن

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ فأسقطناها لاستقامة العبارة ،  
ويمكن أن يكون جواب « كلما قتروا » سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين  
الرفقين من ظ (٤) فى ظ : تقوية (هـ-هـ) فى ظ : فاما (٦) فى ظ : لهم - كذا .  
(٧) فى ظ : خصوص .

إقبالهم على الفانى وتركهم الباقي قوله منكرا: ﴿ افلا يعقلون<sup>٥</sup> ﴾ .

ولما كرر في هذه السورة أمره بمقاولتهم<sup>٢</sup>، وأطال في الحث على مجادلهم، وختم بما يقتضى سلبهم العقل مع تكرير الإخبار بأن المقضى<sup>٣</sup> بخسارته منهم لا يؤمنون الآية<sup>٤</sup> من الآيات، وكان من المعلوم أنهم حال إسماعهم ما أمر به لا يسكتون لما عندهم من عظيم النخوة وشماعة الكبر وقوة الجراءة. وأنه لا جواب لهم إلا التبعة<sup>٥</sup> والبذاءة كما هو دأب المعاند المغلوب، وأن ذلك يحزنه<sup>٦</sup> صلى الله عليه وسلم لما جبل عليه من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة<sup>٧</sup>، كان الحال محتاجا إلى التسلية فقال

تعالى: ﴿ قد نعلم ﴾ والمراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر إلى زمان،  
١٠ وعدل عن الماضى ثلثا يظن الاختصاص به، فالمراد تحقق التجدد  
لتعلق العلم بتجدد الأقوال ﴿ انه ليحزنك ﴾ أى يوقع على سبيل التجديد  
والاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التى كدرها  
﴿ الذى<sup>٨</sup> يقولون ﴾ أى من تكذيبك، فقد علنا امثالك لأوامرنا  
فى إسماعهم ما يكرهون<sup>٩</sup> من تنزيها، وعلنا ردهم عليك بما لا يرضيك،  
١٥ وعلنا أنه يبلغ منك، فلا تحزن<sup>١٠</sup> "لأن من علم" أن ربه يرضى المطيع له

(١) هذا على قراءة ابن كثير، وأما فى مصاحفنا فعلى الخطاب (٢) من ظ، وفى  
الأصل: بمعاولتهم (٣) فى ظ: المقتضى (٤) فى ظ: الآية (٥) فى الأصل: السعة،  
وفى ظ: السعة - كذا (٦) فى ظ: يحزنه - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى  
الأصل، ولم تكن فى ظ لحذفناها (٨) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل:  
الذين (٩) فى ظ: يكون (١٠ - ١٠) فى ظ: لمن .

ويجزى عاصيه . وهو عالم بما ينال<sup>١</sup> المطيع في طاعته لا ينبغي أن يحزن بل يسر ، وهو كقوله تعالى في سورة يس " فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون<sup>٢</sup> " ولا شك أن الحزن عند وقوع ما يسوء<sup>٣</sup> من طبع البشر الذي لا يقدر على الانفكاك عنه ، فالنهي عنه إنما [ هو - ] نهى عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدى إلى الجزع المؤدى إلى عدم الصبر<sup>٥</sup> ونسيان ما يعزى ، فهو من النهى عن السبب للبالغة في النهى عن المسبب ، وما أنسب ذكر ما يحزن بعد تقرير<sup>٥</sup> أن الدنيا لأهلها لعب ولهو وأن الآخرة خير للثقتين ، ومن المعلوم أنهما ضدان ، فلا تنال إحداهما<sup>٦</sup> إلا بضد ما<sup>٧</sup> للآخرى ، فلا تنال<sup>٨</sup> الآخرة إلا بضد ما لأهل الدنيا من اللعب واللهو ، وذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف<sup>١٠</sup> كما روى في حديث قدسي " أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى<sup>٩</sup> " .

ولما أخبره سبحانه بعله بذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فأنهم ﴾ أى فلا يحزنك ذلك فأنهم ﴿ لا يكذبونك ﴾ بل أنت عندهم الأمين ، وليكن علمنا بما تلقى منهم سيال زوال حزنك ، وكذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك ، بل أنت عندهم في نفس الأمر أمين غير متهم<sup>١٠</sup> ولكنهم لشدة عنادهم<sup>١٥</sup> ووقوفهم مع الحظوظ وعجزهم عن جواب يبرد غلظهم<sup>١٢</sup> ويشفي غلظهم<sup>١٣</sup>

- (١) من ظ ، وفي الأصل : يقال (٢) راجع آية ٧٦ (٣) في ظ : يسر (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : تقدم - كذا (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : فلا يقال احد مى - كذا (٧) سقط من ظ (٨) في الأصل : فلأما ، وفي ظ : فلا ينال - كذا . (٩) من ظ ، وفي الأصل : اجل (١٠-١١) من ظ ، وفي الأصل : لم نهم - كذا . (١١) من ظ ، وفي الأصل : فساد (١٢-١٣) سقط ما بين الرقين من ظ .

ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيقتها<sup>١</sup>، فليخفف<sup>٢</sup> حزنك لنفسك

ما اتهمكوه من حرمة من أرسلك<sup>٣</sup>، والآية من الاحتباك : حذف من

الجملة الأولى - إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم وأدبا معه - سبب

الحزن، / وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه، ومن الثاني النهى عن

المسبب لدلالة الأولى عليه؛ روى الطبري<sup>٤</sup> في تفسيره عن السدي أنه

لما كان يوم بدر<sup>٥</sup> قال الأخنس بن شريق لبني زهرة<sup>٦</sup>: إن محمدا

ابن أختكم، وأتم أحق من كف عنه، فانه إن كان نيا لم تقتلوه<sup>٧</sup>

[اليوم -<sup>٨</sup>]، وإن كان كاذبا [كنتم -<sup>٩</sup>] أحق من كف عن<sup>١٠</sup>

ابن أخته، ففوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم، فان غلب محمد رجعت سالمين،

١٠. وإن غلب محمد فان قومكم " لن يصنعوا " بكم شيئا، فيومئذ سمي

الأخنس<sup>١١</sup>، و كان اسمه دأبي، فالتقى<sup>١٢</sup> الأخنس وأبو جهل،

فخلا الأخنس به فقال: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب،

فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك<sup>١٣</sup> يسمع كلامنا، فقال

أبو جهل: ويحك! والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن

(١) في ظ: بحقيقتها (٢) من ظ، وفي الأصل: فليخفف - كذا (٣) في ظ:

الطبراني (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده في ظ: كان (٦) زيد بعده في الطبري:

يا بني زهرة (٧) في ظ: لم يقتلوه (٨) زيد من الطبري (٩) زيد من ظ

و الطبري (١٠) في ظ: عنه (١١-١٢) في ظ: لا يصنعون (١٢) من الخنوس،

وهو الاقباض عن الشيء والتأخر عنه (١٣) في ظ: فالتقى (١٤) من ظ

و الطبري، وفي الأصل: غيري.

إذا ذهب بنو قصي<sup>١</sup> باللواء والحجابه والسقاية والنوبة فماذا يكون  
 لساتر قريش او عن ناجية قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم :  
 ما تهملك<sup>٢</sup> و لكن تههم<sup>٣</sup> الذي جئت به ، فأنزل الله الآية . و على ذلك  
 يدل قوله تعالى : ( و لكن ) ، و قال : ( الظلمين ) في موضع الضمير  
 تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ، أى الذين كانوا فى مثل الظلام ( بابيت ) أى ٥  
 بسبب آيات ( الله ) أى الملك الأكبر الذى له الكمال كله ( يمحذون )  
 قال أبو على الفارسي فى أول كتاب الحجة : أى يمحذون ما عرفوه من  
 صدقك و أماتك ، و علق بآء الجر ' بالظالمين كما هى فى قوله " و اتينا  
 ثمود الناقة مبصرة فظلبوا بها " ، و نحوها ، و قال ابن القطاع<sup>٤</sup> فى كتاب  
 الأفعال : جحد الشيء جمدا و جحودا : أنكره و هو عالم به . هذا قصدم ١٠  
 غير أنه لا طريق لهم إلى إنكار<sup>٥</sup> الآيات إلا<sup>٦</sup> بالتكذيب ، أو ما يؤول  
 إليه ، و أنت تعلم أن الذى أرسلك على كل شيء قدير ، و هو القاهر  
 فوق عباده ، هو الحكيم الخبير ، فاقتضت قدرته و قهره و انتصاره لأهل  
 ولايته و جبره أن يحمل بأعدائهم سطوة تجل عن الوصف ، و اقتضت  
 حكمته عدم المعالجة بها تشريفا لك و تكثيرا لأمثك . ١٥

و لما سلاه<sup>٨</sup> بوعده النصره المسبية عن علم المرسل القادر ، و بأن

( ١ - ١ ) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : ذهبت بنواقص - كذا ( ٢ ) من ظ  
 و الطبرى ، و فى الأصل : ما يتهمك ( ٣ ) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : يتهم .  
 ( ٤ ) فى ظ : الجزاء ( ٥ ) سورة ١٧ آية ٥٩ ( ٦ ) و هو على بن جعفر بن على السعدي  
 - راجع معجم المؤلفين ٥٢/٧ ( ٧ - ٧ ) فى ظ : لا ( ٨ ) فى ظ : تلاه .

تكذيبهم إنما هو له سبحانه ، وهو مع ذلك يصبر عليهم ويحلم عنهم ،  
يل ويحسن إليهم بالرزق والمافع ، زاده أن ذلك سنة في إخوانه من  
الرسل فقال : ﴿ ولقد ﴾ ولما كان المنكى هو التكذيب لا كونه من  
معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ كذبت رسل ﴾ .

٥ ولما كان تكذيبهم لم يستغرق الزمان ، [ وكان الاشتراك في شيء  
يهوته ، وكلما قرب الزمان كان أجدر بذلك - ] أدخل الجار فقال :

﴿ من قبلك ﴾ بأن جحد قومهم ما يعرفون من صدقهم وأماتهم كما  
فل بك ﴿ نصبروا ﴾ أى قسب عن تكذيب قومهم لهم أنهم صبروا<sup>١</sup>  
﴿ على ما كذبوا واذنوا ﴾ أى نصبروا أيضا على ما أؤذوا ، ثم أشار  
١٠ إلى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال : ﴿ حتى ﴾ أى وامتد صبرهم حتى

﴿ انهم نصرنا<sup>٢</sup> ﴾ أى فليكن لك بهم أسوة ، وفيهم مسلاة ، فاصبر حتى  
يأتيك النصر كما أتاهم ، فقد سبقت كلتا لعبادنا المرسلين أنهم لهم  
المنصورون ، في قولنا " فان حزب الله هم الغالبون " ﴿ ولا مبدل لكلمات الله<sup>٣</sup> ﴾  
أى لأن له جميع العظمة فلا كفوء له ، ودل سبحانه على صعوبة مقام  
١٥ الصبر جدا بالتأكيد فقال : ﴿ ولقد جاءك ﴾ ودل على عظيم ما تحملوا

بقوله : ﴿ من نبأ المرسلين<sup>٤</sup> ﴾ أى خبرهم العظيم في صبرهم واحتمالهم  
وطاعتهم وامتثالهم ورققهم بمن أرسلوا إليهم ونصرنا / لهم على من نبأ<sup>٥</sup>  
عليهم ، وبجى<sup>٦</sup> نبأهم<sup>٧</sup> تقدم إجمالا وتفصيلا ، أما إجمالا ففى مثل قوله

(١) من ظ : وفى الأصل : يحله (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل : صبر ، وسقط  
من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) سورة . آية ٥٦ (٦) فى ظ : بقى .  
(٧) من ظ ، وفى الأصل : بيانهم .

”وكان من نبي قتل معه ريون كثير“، ”افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى  
انفسكم“، وأما تفصيلا ففي ذكر موسى<sup>٢</sup> وعيسى<sup>٣</sup> وغيرهما؛ وفي قوله  
”فصبروا“ أدل دليل على ما تقدم من أن النهي عن<sup>٤</sup> الحزن نهى عن  
تابعه المؤدى إلى عدم الصبر، والتعير بمن التبعية تهويل لما لقوا،  
فهو أبلغ في التعزية .

ولما سلاه بما هو في غاية الكفاية في التسلية، أخبره بأنه لا حيلة  
له غير الصبر، فقال عاطفا على ما تقديره: قسّل<sup>٥</sup> واصبر كما صبروا،  
وليصفر عندك ما تلاقى منهم في جنب الله: (وان كان كبر) أى عظم  
جدا (عليك اعراضهم) أى عما يأتهم<sup>٦</sup> به من الآيات الذى قدمنا الإخبار  
عنه بقولنا ”وما تاتهم من آية من آيات ربه الا كانوا عنها معرضين“<sup>١٠</sup>  
وأردت أن تنقل - في إخبارنا لك بأنه لا ينفعهم الآيات المقترحات -  
من علم اليقين إلى عين اليقين (فان استطعت ان تبغى) أى تطلب  
بجهدك وغاية طاقتك (نفقا) أى منفذا (في الارض) تنفذ فيه  
إلى ما عساك تقدر على<sup>٧</sup> الانتهاء إليه (او سلا في السماء) أى جهة<sup>٨</sup>  
العلو لترتقى فيه إلى ما تقدر عليه (فاتهم بآية<sup>٩</sup>) أى بما اقترحوا عليك<sup>١٥</sup>  
فأفضل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند إتيانك<sup>١١</sup> بها إلا إعراضا كما<sup>١٢</sup> أخبرناك،

(١) سورة ٣ آية ١٤٦ (٢) سورة ٢ آية ٨٧ (٣ - ٢) سقط ما بين الرقنين من  
ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: على (٦) في ظ: فليس (٢) في الأصل: ياتهم،  
وفي ظ: تاتهم (٨) من ظ، وفي الأصل: ينفذ (٩) في ظ: الى (١٠) من ظ،  
وفي الأصل: بهذا - كذا (١١) من ظ، وفي الأصل: ثباتك (١٢) في ظ: عما.

لأن الله قد شاء ضلال بعضهم، والمراد بهذا بيان<sup>١</sup> شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بأنه لو قدر على<sup>٢</sup> أن يتكلف النزول إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل.

ولما كان هذا السياق ربما أوهم شيئاً<sup>٣</sup> في القدرة، فناه إرشاداً إلى تقدير ما قدرته فقال: ﴿ولو شاء الله﴾ أى الذى له العظمة الباهرة والقدرة الكاملة القاهرة ﴿لجمعهم على الهدى﴾ أى لأن قدرته شاملة، وإيمانهم فى حد ذاته ممكن، ولكنه قد شاء إقراقهم باضلال بعضهم؛ ولما كان<sup>٤</sup> صلى الله عليه وسلم - بعد إعلام الله له بما أعلم من حكمه بأن الآيات لا تنفع من حتم<sup>٥</sup> بكفره - حريصاً على إجابتهم إلى ما يقترحونه ١٠ رجاء جمعهم<sup>٦</sup> على الهدى لما طبع عليه [من - °] مزيد الشفقة<sup>٧</sup> على الغريب<sup>٨</sup> فضلاً عن القريب، مع ما أوصاه الله به ليلة الإسراء من غير واسطة - كما أفاده الحوالى - من<sup>٩</sup> إدامة الشفقة على عباده والرحمة لهم والإحسان إليهم واللين لهم وإدخال السرور عليهم، فتظافر على ذلك الطبع والإيحاء حتى كان<sup>١٠</sup> لا يكف عنه إلا<sup>١١</sup> لأمر جازم<sup>١٢</sup> أو<sup>١٣</sup> نهى ١٥ مؤكداً صارم، سبب عن ذلك قوله: ﴿فلا تكونن﴾ فأكد الكلام سبحانه ليعلم صلى الله عليه وسلم أنه قد حتم بإقراقهم، فيسكن إلى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: سبباً (٣) فى ظ: ختم (٤) فى ظ: جميعهم (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) فى ظ: عن القرب (٧) من ظ، وفى الأصل: كانا (٨ - ٨) من ظ، وفى الأصل: مرجاز - كذا (٩) فى ظ «و».



و يخالف ما جبل عليه<sup>١</sup> من شدة الشفقة عليهم ﴿ من الجهلين ه ﴾ أى  
 إنك أعلم الناس مطلقا و لك الفراسة التامة و البصر النافذ و الفكرة<sup>٢</sup>  
 الصافية بمن لم تعاشره ، فكيف بمن بلوتهم<sup>٣</sup> ناشئا و كهلا و يافعا<sup>٤</sup>  
 فلا تعمل بحجة ما أوصاك<sup>٥</sup> الله به من الصبر و الصبح<sup>٦</sup> ، و جلك<sup>٧</sup> عليه  
 من الأناة و الحلم<sup>٨</sup> فى ابتغاء إيمانهم بخلاف<sup>٩</sup> ما يعلم من خسرانهم ، فلا تطمع<sup>١٠</sup>  
 نفسك فيما لا مطمع فيه ، فان ما شاءه لا يكون [ غيره -<sup>١١</sup> ] ، فهذه  
 الآية و أمثالها - مما فى ظاهره غلظة - من الدلالة / على عظيم رتبته صلى الله  
 عليه و سلم و من لطيف أمداح القرآن له - كما بين<sup>١٢</sup> " إن شاء الله تعالى  
 فى سورة التوبة عند قوله تعالى " عفا الله عنك " .

١٩٥ /

و لما أنهم هذا القضاء الحتم أنه قد صار حالهم [ حال -<sup>١٣</sup> ] من ١٠  
 حتم بالموت ، فلا يمكن إسماعه إلا الله<sup>١٤</sup> ، و لا يمكن أن يستجيب عادة ،  
 قال : ﴿ انما يستجيب ﴾ أى فى مجارى عاداتكم ﴿ الذين يسمعون<sup>١٥</sup> ﴾  
 أى فيهم قابلية السمع لأنهم أحياء فيتدبرون حيثذ ما يلقي إليهم  
 فينتفعون به ، و هؤلاء قد ساروا<sup>١٦</sup> الموتى فى عدم قابلية السماع للختم  
 على مشاعرهم ﴿ و الموتى ﴾ أى كلهم حسا و معنى ﴿ يعيشهم الله ﴾ أى ١٥

(١) فى الأصل : على ، و سقط من ظ (٢) فى ظ : الفكر (٣-٣) فى ظ : باشيا  
 و كيلا و ناعما - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اوصلك (٥) فى ظ : الصلح .  
 (٦) من ظ ، و فى الأصل : حملك (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (٨) من ظ ،  
 و فى الأصل : بخلا - كذا (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ثين .  
 (١١) آية ٤٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : لله (١٣) من ظ ، و فى الأصل :  
 ساروا .

الملك المحيط علما و قدرة، فهو 'قادر على بعثهم بافاضة الإيمان على الكافر و إعادة الروح إلى الهالك' فيسمعون حينئذ، فالآية من الاحتباك: حذف من الأول الحياة لدلالة "الموتى" عليها، ومن الثاني السماع لدلالة "يسمعون" عليه.

٥. ولما قرر أن [من - ٢] لا يؤمن كالملت، حثا' على الإيمان وترغيا فيه، و قدره قدرته على البعث، خوفاً من سطواته بقوله: ﴿ثم إليه﴾ أى وحده ﴿يرجعون ٥﴾ أى معنى فى الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء منهم، لا يخرج شئ من أحوالهم عن مراده أصلا وحسا بعد الموت، فيساقون قهرا إلى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم وظالمه.

١٠. ولما سلاه صلى الله عليه وسلم فيما أخبرته من أحوالهم بما شرح صدره وسر خاطره، وأعله تخفيفا عليه أن أمرهم إنما هو بيده، ذكره بعض كلامهم الآتى إلى التكذيب عقب إخباره بالحشر الذى يجازى فيه كلا بما يفضل، فقال عطفا على قوله "وقالوا ان هى الاحياتنا الدنيا" وقوله "وقالوا لو لا انزل عليه ملك" يعجب منه تعجبا آخر: ١٥ ﴿وقالوا﴾ أى مغالطة أو عنادا أو مكابرة ﴿لو لا﴾ أى هلا ﴿نزل﴾

(١) من ظ، وفى الأصل: فهذا (٢) من ظ، وفى الأصل: الهلاك (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: حقا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: ترجعون - كذا، ولا خلاف فى أنه على الغيبة، والخلاف فى أنه بالبناء للفاعل أو المفعول (٧) فى ظ: على (٨) فى ظ: ذكر (٩) فى ظ: لعجب - كذا (١٠) من ظ، وفى الأصل: تعجبا (١١) من ظ والقرآن، وفى الأصل: انزل - كذا، والفعل بالتشديد بلا خلاف.

أى بالتدرج ﴿ عليه ﴾ أى خاصة ﴿ آية ﴾ أى واحدة تكون ثابتة بالتدرج لا تنقطع ، وهذا منهم إشارة إلى أنهم لا يعدون القرآن آية و<sup>٢</sup> لا شيئاً مما<sup>٣</sup> رآه<sup>٤</sup> منه صلى الله عليه وسلم من غير<sup>٥</sup> ذلك نحو انشقاق القمر ﴿ من ربه ﴾ أى المحسن إليه على حسب ما يدعيه لنستدل بها على ما يقول<sup>٦</sup> من التوحيد والبعث .

- و لما كان فى هذا - كما تقدم - إشارة منهم إلى أنه لم يأت بآية على هذه الصفة إما مكابرة وإما مغالطة ، أمره بالجواب بقوله<sup>٧</sup> : ﴿ قل ان الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر ﴿ قادر على أن ﴾ وأشار بتشديد الفعل إلى آية القرآن المتكررة عليهم كل حين تدعوهم إلى المبارزة<sup>٨</sup> و تتحداهم<sup>٩</sup> بالمبالغة و المعاجزة فقال : ﴿ ينزل ﴾ وقراءة ابن كثير بالنخيف مشيرة<sup>١٠</sup> إلى أنهم بلغوا فى الوقاحة الغاية ، وأنهم لو قالوا : لو لا أنزل ، أى مرة واحدة ، لكان أخف فى الوقاحة ، [ أو إلى أنه أنزل عليهم أى آية ، كانت تلجئهم وتضطرم إليهم فى آن واحد كما قال تعالى : " ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين " ]<sup>١١</sup> ولكنه لا يسأل ذلك إلا بالتدرج كما يشير إليه -<sup>١٢</sup> [ صيغة التفعيل فى قراءة<sup>١٣</sup> غيره المذكورة<sup>١٤</sup> ]<sup>١٥</sup>

- (١) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٢) من ظ ، وفى الأصل : يعدلون .  
(٣-٣) فى ظ : لا سيما ما - كذا (٤) فى الأصل و ظ : رواه - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : غر - كذا (٦) فى ظ : تقول (٧) من ظ ، وفى الأصل : لقوله .  
(٨) زيد بعده فى ظ : كله (٩) من ظ ، وفى الأصل : يدعوه (١٠) فى ظ : المبادرة (١١) من ظ ، وفى الأصل : يتحداهم (١٢) سورة ٢٦ آية ٤ (١٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، وزيد الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذفتها (١٤-١٤) فى الأصل : غيره مذكورة ، وفى ظ : غير المذكورة .

بأن آية القرآن لا تنقضي<sup>١</sup>، بل كلما سمعها أحد منهم أو من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصله إليه، فهو أبلغ من مطلوبهم آية<sup>٢</sup> ينزل عليه<sup>٣</sup> وحده، والحاصل أنهم طلبوا آية باقية محضة، فلوح لهم إلى آية هي - مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف - عامة لكل من بلغته، باقية طول المدى ﴿آية﴾ أى مما اقترحوه ومن غيره، لا يعجزه شيء، وفى كل شيء له من الآيات ما يعجز الوصف، وكفى بالقرآن العظيم مثالا لذلك ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أى ليس فيهم قابلية العلم، فهم لا يتفكرون فى شيء من ذلك الذى يحده من مصنوعاته ليدلهم على<sup>٤</sup> أنه على كل شيء قدير، فلا فائدة لهم فى إنزال ما طلبوه، وأما غير<sup>٥</sup> الأكثر فهو<sup>٦</sup> سبحانه يردم بآية القرآن<sup>٧</sup> أو غيرها<sup>٨</sup> مما لم يقترحوه<sup>٩</sup>.

ولما عجب منهم<sup>١٠</sup> فى قولهم هذا<sup>١١</sup> الذى يقتضى أنهم لم يروا [له -<sup>١٢</sup>] آية قط<sup>١٣</sup> بعد ما جاءهم من الآيات الخاصة به ما ملأ الأفقار، ورد إلى الصم الأسماع، وأثار من العمى الأبصار، ذكرهم بآية غير آية القرآن تشتمل<sup>١٤</sup> على آيات مستكنة كافية لصلاحهم، رتبها<sup>١٥</sup> سبحانه

(١) من ظ، وفى الأصل: لا تنقص (٢) فى ظ: انه (٣) من ظ، وفى الأصل: عليهم (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل: فايد، وفى ظ: يدة - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: عن (٧) من ظ، وفى الأصل: فهذا (٨ - ٨) من ظ، وفى الأصل: لو غيرها - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل: لم يفرحوه (١٠ - ١٠) فى ظ: هو (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ، وفى الأصل: فقط (١٣) فى الأصل: يشتمل، وفى ظ: يشتمل (١٤) من ظ، وفى الأصل: وبها.

١٩٦/

قبل سؤالهم / تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث وغيره .  
 من الآيات التي طلبوها وغيرها وعلى تفرد به بجميع الأمر ، إذا تأملوها  
 حق تأملها كفتهم<sup>١</sup> في جميع ما يراد منهم فقال تعالى : ﴿ وما ﴾ أى  
 قالوا ذلك والحال أنه ما ، وهى ناظرة<sup>٢</sup> أتم نظر إلى قوله ” هو الذى  
 خلقكم من طين “ أى فعل ذلك بكم<sup>٣</sup> ” وما “ ﴿ من دابة فى الارض ﴾ ٥  
 أى تدب أى تتنقل برجل وغير رجل ﴿ ولا ظئر يطير ﴾ وقرر الحقيقة  
 بقوله<sup>٤</sup> : ﴿ بجناحيه ﴾ وشمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر ، لأن  
 سيرها فى الماء إما أن يكون ديبا أو طيرانا مجازا .

ولما كان المراد بالدابة والظائر الاستغراق قال : ﴿ الآام ﴾<sup>٥</sup> أى

- يقصد كل منها فى نفسه ، ويقصد هو نوعه وينضم إلى شكله ﴿ امثالكم ﴾<sup>٦</sup> ١٠  
 أى فى ذلك وفى أنا خلقناهم ولم يكونوا شيئا وحفظنا جميع أحوالهم ،  
 وقدرنا كل أرزاقهم وآجالهم ، وجعلنا لكم<sup>٧</sup> فيهم أحكاما جددناها لكم ،  
 وجعلنا لكل منهم أجلا للموت لا يتعداه بعد أن فارتنا بينهم فى الحياة ،  
 وللكل أجل فى علنا فى البرزخ مثبت قبل أن نخلقهم ، لا ينقص ذرة  
 ولا يزيد خردلة ، وجعلنا فى هذه الحيوانات ما<sup>٨</sup> هو أقوى منكم وما هو ١٥  
 أضعف ، وجعلناكم أقوى من الجميع بالعقل ، ولو شئنا لجعلنا له بين قوة  
 البدن والعقل ، وربما سلطنا الأضعف<sup>٩</sup> عليكم كالجراد والقار والدود  
 بما تعجز عنه عقولكم ، ولو شئنا لسلطنا عليكم من أضعفها خلقا - البعوض -

(١) فى ظ : كثر (٢) زيد بعده فى ظ : الى (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : جعلناكم (٦) فى ظ : ما (٧) تكرر فى ظ .

ما أخذ بأنفاسكم<sup>١</sup> و منعكم القراو<sup>٢</sup> و أخرجكم<sup>٣</sup> عن حركات  
الاختيار إلى أن أهلككم جميعا هلاك نفس واحدة - إلى غير ذلك  
من أمور تكل عنها العقول<sup>٤</sup> و تقف دونها نوافذ الفكر، و هذا كله  
معنى قوله: ﴿ ما فرطنا ﴾ أى تركنا و أغفلنا لما لنا من السقودة  
الكاملة<sup>٥</sup> و العلم الشامل ﴿ فى الكشب ﴾ أى اللوح المحفوظ و القرآن،  
و أعرق فى النقي بقوله: ﴿ من شيء ﴾ أى ليذهب ذكره كما يذهب العقد  
الذى ينقطع سلكه فيتفرط، بل ذكرنا جميع أحوال خلقنا من الجن  
و الإنس و الملائكة و غيرهم من كل ناطق و صامت، فصارت فى غاية  
الضبط حتى أن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين و غيره  
١٠ آخر النهار<sup>٦</sup> على ما كان مثبتا فى أم الكتاب فيجدونه كما هو، لا يزيد  
شيئا و لا ينقص، فيزدادون إيمانا، و أثبتنا فى هذا القرآن مجامع الأمور،  
فهو تبيان لكل شيء من الأحكام الأصلية و الفرعية [ و - ٦ ]  
الدلالات على كل ذلك و أخبار الأولين و الآخرين و كل علم يمكن  
أن يحتاجه المخلوق، فمن أراد الهداية هداة بدقيق<sup>٧</sup> أسرار، و من  
١٥ أعرض أوقعه فى الردى، و عمى حتى عن<sup>٨</sup> واضح<sup>٩</sup> أنواره، و الآية  
كما قال تعالى ” ان فى خلق السموات و الارض - إلى أن قال: و بث  
فيها<sup>١٠</sup> من كل دابة - لأيت لقوم يعقلون“

(١) من ظ، و فى الأصل: نأفاسكم - كذا (٢) فى ظ: أخرجكم (٣) من ظ،  
و فى الأصل: القول (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: حر البها  
- كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بتوفيق (٨) من ظ، و فى الأصل: واضح -  
(٩) فى ظ: فيها (١٠) - سورة ٢ آية ١٦٤ .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

أفلا يكون لكم في ذلك آيات تغنيكم عن إرسال الرسل فضلا عن أن  
توقفوا<sup>٢</sup> بعد إرسالهم ولا ترضوا<sup>٣</sup> منهم من خوارق العادات إلا  
بما تقترحونه<sup>٤</sup>.

ولما أشار إلى ما شارك فيه سائر الحيوان للآدميين\* من أحوال ه  
الحياة وغيرها، نص على الحشر الذي هو محط الحكمة فقال: (ثم)  
أى بعد طول الحياة والإقامة في البرزخ (إلى ربهم) أى خاصة،  
[و بنى<sup>٦</sup> للفعل على طريق كلام القادرين قوله = <sup>٧</sup>]: (يحشرون ه)  
[أى يجمعون كرها<sup>٨</sup> -] بعد أن يعيدهم كلهم كما بدأهم، وينصف كل  
مظلوم منهم من ظالمه، كل ذلك [عليه - <sup>٩</sup>] هيئ<sup>١٠</sup> "ما خلقكم ولا بشتمكم  
الا كنفس واحدة"<sup>١١</sup> والكل محفوظون في كتاب مبين<sup>١٢</sup> على اختلاف  
أنواعهم<sup>١٣</sup> و تباين حقائقهم وأشخاصهم وزيادتهم في الجد على أن يوجه<sup>١٤</sup>  
نحوهم العد - سبحانه من أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا،  
إن ذلك على الله يسير، وهو على كل شيء قدير.

ولما كان التقدير بعد التذكير بهذه الآية التي تنوعت<sup>١٥</sup> فيها الآيات ١٥ / ١٩٧

(١) من ظ، وفي الأصل: تعينكم (٢) في الأصل و ظ: يتوقفوا (٣) من ظ،  
وفي الأصل: لا تعرضوا (٤) في الأصل: يفرحونه، وفي ظ: يقترحونه - كذا.  
(هـ) في ظ: الآدميين (٦) في ظ: بناء - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفي  
الأصل: حين (٩) سورة ٣١ آية ٢٨ (١٠) من ظ، وفي الأصل: بين (١١) من  
ظ، وفي الأصل: أنواعكم (١٢) من ظ، وفي الأصل: يوجد (١٣) في ظ:  
يتوعد - كذا.

و تكررت وتكررت فيها الدلالات : فالذين آمنوا أحياء سامعون لا قوالنا ،  
 ناطقون بمحمدنا راؤن<sup>١</sup> لا فاعلنا ، عطف عليه قوله : ( و الذين كذبوا )  
 أى أوقعوا التكذيب ( بآيتنا ) أى على ما لها من العظمة المقضية  
 لإضافتها إلينا ، مرتبة كانت أو<sup>٢</sup> مسموعة ، تكذيبا متكررا على عدد  
 ٥ الآيات بالفعل أو بالقوة ولو<sup>٣</sup> بالإعراض عنها ( صم ) أى أموات  
 فهم<sup>٤</sup> لا يسمعون ( و بكم ) لا ينطقون ( فى الظلمت<sup>٥</sup> ) أى عمى  
 لا<sup>٦</sup> يبصرون ، فلذلك<sup>٧</sup> لا يزالون خابطين<sup>٨</sup> خبط العشواء<sup>٩</sup> ساعين غابة  
 السعى إلى الردى<sup>١٠</sup> ، لأن ذلك شأن من فى الظلمة ، فكيف بمن هو فى  
 جميع الظلمات<sup>١١</sup> و<sup>١٢</sup> لعله جمعها إشارة إلى أن المكذب لا ينفع يبصر  
 ١٠ ولا يبصيرة ، و ذلك أنهم لما لم يتفعموا بحياتهم و لا بأسماعهم و لا نطقهم  
 و لا أبصارهم و لا عقولهم كان كل ذلك منهم عدما .

و لما بين أن الأصم الأبكم الأعشى لا تمكن<sup>١٣</sup> هدايته ، بين<sup>١٤</sup> أن  
 ذلك إنما هو بالنسبة لغيره سبحانه فطما عن طلب إجابتهم إلى ما يقترحون  
 من الآيات ، و أما هو سبحانه ففعال<sup>١٥</sup> لما يريد ، فقال فى<sup>١٦</sup> جواب من  
 ١٥ كأنه قال : إنما تمكن هدايتهم : ( من يشا الله ) أى<sup>١٧</sup> الذى له الأمر  
 كله و لا أمر لأحد معه<sup>١٨</sup> إضلاله ( يضله<sup>١٩</sup> و من يشا ) هدايته

(١) فى ظ : راوينا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لا .  
 (٤) زيد بعده فى الأصل : صم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (ه) فى ظ :  
 فذلك (٦-٦) فى ظ : العشو - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : الراد (٨) فى  
 ظ : لا يمكن (٩) فى ظ : فعال (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .



( يجعله )<sup>١</sup> وأشار إلى تكميته بأداة الاستعلاء فقال: ( على صراط مستقيم )  
 بأن يخلق الهداية في قلبه - و من يهد<sup>٢</sup> الله فإله من مصل و من يضل الله<sup>٣</sup>  
 فإله من هاد، مع أن الكل عباده و خلقه، متقلبون في نعمه، غادون  
 راحمون في بره و كرمه - إن في ذلك على وحدانيته و تمام قدرته لآيات  
 بينات لقوم يعقلون .

و لما كانت هذه الآية - بما فيها من التصريح بالكذب - شديدة  
 الاعتناق لقوله " و من اظلم من اقترى على الله كذبا " و قوله " كذبوا  
 بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا " - الآيتين، رجع<sup>٤</sup> بالذی بعدها إلى  
 فذلك<sup>٥</sup> التفاصيل الماضية و واسطة عقدها و فريدة درها<sup>٦</sup>، و هو التوحيد  
 الذي أبانته الأدلة قبل الآيتين، فقال دالا على اعتقادهم القدرة التي استلزم<sup>٧</sup>  
 نعتهم بطلب الآية نفيها<sup>٨</sup>، و اعتقادهم للتوحيد في الجملة و هم يكذبون به<sup>٩</sup>،  
 بيانا لأنهم في الظلمات مقهورون بيد المشيئة لعدم تحاشيهم من التناقض  
 معجبا منهم: ( قل اريدكم )<sup>١٠</sup> أى أخبروني يا من كذب بالآيات و القدرة<sup>١١</sup>  
 عنادا<sup>١٢</sup> و شهد<sup>١٣</sup> أن مع الله آلهة أخرى، و عدل<sup>١٤</sup> بالله الذي يعلم السر  
 و الجهر، و هو مع من يدعو في كل سماء و كل أرض بغايته<sup>١٥</sup> و نصره .  
 و لما كانت حقيقة " اريدكم " : هل رأيتم أنفسكم، و كان هذا

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: يهدى (٣) سقط  
 من ظ (٤) في ظ: وجع (٥) في ظ: تلك (٦) في الأصل و ظ: ردها -  
 كذا (٧) في ظ: معها (٨) من ظ، و في الأصل: العقدة (٩) في ظ: اشهد .  
 (١٠) من ظ، و في الأصل: غدر - كذا (١١) في الأصل: بغايته، و في ظ:  
 بغايته - كذا .

لكونه سؤالاً عن معلوم لا يحمله أحد - مشيراً<sup>١</sup> إلى أن السؤال عن غيره بما قد يخفى من أحوال النفس، كان كأنه قيل: عن أى أحوال نفوسنا نُسأل؟ فقيل تنبيهاً لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد أو العناد الذى يصير فى العلم به كالسؤال عن رؤية النفس سواء: ﴿ان اتكم﴾ أى قبل مجيء الساعة كما أتى من قبلكم ﴿عذاب الله﴾ أى المستجمع لمجامع العظمة، فلا يقدر أحد على كشف ما يأتى به ﴿او اتكم الساعة﴾ أى القيامة بما فيها من الأحوال.

ولما عجب منهم بما مضى - كما مضى، قال مجيباً للشرط موبخاً لهم منكرًا عليهم عدم استمرارهم على دعائه<sup>٢</sup> ولزوم سؤاله وندائه، ويجوز أن يكون جواب الشرط محذوفاً تقديره: من تدعون؟ ثم زاده تويخاً وتبكيًا بقوله -<sup>٣</sup>]: ﴿اغير الله﴾ أى الملك الذى له العظمة كلها ﴿تدعون﴾ أى لشدة من تلك الشدائد، ولا تدعون الله مع ذلك الغير ﴿ان كنتم صدقين﴾ أى فى أن غير الله يغنى شيئاً حتى يستحق الإلهية، وجواب الشرط محذوف تقديره: فادعوا ذلك الغير، وهذه حجة لا يسعهم معها غير التسليم، فإن عادتهم كانت مستمرة أنهم إذا اشتد الأمر وضاق الخناق لا يدعون غير الله ولا يوجهون الهمم إلا إليه، فإن سلكوا سبيل الصدق الذى له يتحلون وبه يتفاخرون فقالوا: لا ندعو غيره، فقد لزمهم الحجة فى أنه لا يعدل به شيء ولا شريك له،

(١) من ظ، وفى الأصل: مشير (٢) فى ظ: دعايهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: لا يستغفهم - كذا (٥) فى ظ: عدانهم - كذا.

وإن عانداً نطق<sup>١</sup> لسان الحال أنهم على محض الضلال، وإن سكتوا  
 أثبت عليك الخطاب<sup>٢</sup>، وهي مع ذلك - كما ترى - دليل على ما أخبرت  
 به الآية<sup>٣</sup> قبلها من أن الأمر كله لله، أي إنكم كلكم مشتركون في وضوح  
 الأمر في أنه لا ينصرف إلا إليه؛ وقد افترقتم<sup>٤</sup> فصدق بعض<sup>٥</sup> وكذب  
 آخرون، فلو أن الأمر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على هـ  
 نهج واحد، هذا ونقل أبو حيان عن الفراء أنه قال: للعرب في 'أرأيت'  
 لغتان ومعنيان: أحدهما أن تسأل<sup>٦</sup> الرجل: أرأيت زيداً<sup>٧</sup>، أي بعينك، فهذه  
 مهموزة، وثانيهما أن تقول<sup>٨</sup>: أرأيت، وأنت تريد<sup>٩</sup>: أخبرني، فهنا<sup>١٠</sup> ترك  
 الهمزة إن شئت، وهو أكثر<sup>١١</sup> كلام العرب، وتسمى<sup>١٢</sup> إلى ترك الهمزة للفرق  
 بين المعنيين؛ ثم قال أبو حيان: وكون 'أرأيت' و'أرأيتك' بمعنى<sup>١٣</sup>  
 'أخبرني'<sup>١٤</sup> نص عليه سيويه وغيره من أئمة العرب، وهو تفسير معنى  
 لا تفسير إعراب، لأن 'أخبرني'<sup>١٥</sup> يتعدى بعن، و'أرأيت' متعد<sup>١٦</sup>  
 لمفعول به صريح وإلى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني؛ وقال

---

(١) سقط من ظ (٢) في الأصل: الخطاب، وفي ظ: الحقايب - كذا (٣) في  
 ظ: العادة (٤-٥) في ظ: لا يتصرف إلا الله (٥) من ظ، وفي الأصل:  
 احترقتم - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: بعضهم (٧) من البحر المحيط ١٢٥/٤،  
 وفي الأصل: يئس، وفي ظ: أما إن قيل - كذا (٨) في ظ: زيد (٩) من  
 البحر، وفي الأصل وظ: بقول (١٠) في البحر: تقول - كذا (١١) في ظ: وهما.  
 (١٢) في ظ: الأكثر (١٣) من ظ والبحر، وفي الأصل: وقرئ (١٤-١٥) سقط  
 ما بين الرقيين من ظ (١٥-١٥) في ظ: رايت يتعدى - كذا.

نظم الدرر ( سورة الأنعام ٦ : ٤١ و ٤٢ ) ج - ٧

في سورة يونس عليه السلام: تقدم في سورة الأنعام أن العرب تضمن  
'أرأيت' معنى 'أخبرني' وأنها تتعدى<sup>١</sup> إذ ذاك إلى مفعولين، و<sup>٢</sup> أن  
المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام، ينعقد منها وما قبلها مبتدأ  
و خبر، يقول العرب: أرأيت زيدا ما صنع؟ المعنى: أخبرني<sup>٣</sup> عن زيد  
٥ ما صنع! وقبل دخول<sup>٤</sup> 'أرأيت' كان الكلام: زيد ما صنع - انتهى .  
قلت: و حقيقة المعنى كما مر: هل رأيت زيدا؟ فلما استفهم عن رؤيته -  
و المراد الخبر لا البصر - علم أن السؤال عن بعض أحواله، فكأنه قيل:  
ماله؟ فقيل: ما صنع؟

ولما كان استفهام الإنكار بمعنى النفي، كان كأنه قيل: لا تدعون<sup>٥</sup>  
١٠ غيره، فعطف عليه قوله: (بل إياه) أي خاصة (تدعون) أي  
حيث؛ ولما كان يتسبب<sup>٦</sup> عن دعائهم تارة الإجابة وأخرى<sup>٧</sup> غيرها قال:  
(فيكشف) أي الله في الدنيا أو<sup>٨</sup> في الآخرة، فانه لا يجب عليه شيء،  
ولا يقبح منه شيء (ما تدعون إليه) أي إلى كشفه (ان شاء) أي  
ذلك تفضلا عليكم كما هي عادته معكم في وقت شدائدكم، ولكنه لا يشاء  
١٥ كشفه في الآخرة، لأنه لا يبدل القول لديه وإن كان له أن يفعل  
ما يشاء، ولو كان يحبيكم دائما وأتم لا تدعون غيره، لكان ذلك كافيا  
في الدلالة على اعتقادكم أنه لا قادر إلا هو، فكيف وهو يحبيكم في الدنيا

(١) من ظ، وفي الأصل: متعدى (٢) سقط من ظ (٣) تكرر في ظ (٤) في  
ظ: لا بدعون (٥) من ظ، وفي الأصل: تسبب (٦) من ظ، وفي الأصل:  
الاحرى (٧) في ظ و و (٨) من ظ، وفي الأصل: على .

إذا دعوتهم<sup>١</sup> تارة وبجيكم أخرى ، و<sup>٢</sup> مع ذلك<sup>٣</sup> فلا يردكم عدم إجابته عن  
اعتقاد قدرته و دوام الإقبال عليه في مثل تلك الحال لما ركز في العقول<sup>٤</sup>  
السليمة والفطر<sup>٥</sup> الأولى من أنه الفاعل المختار ، وعلى ذلك دل قوله  
عظما على " تدعون " : ( و تنسون ) أى تتركون في تلك الأوقات  
دائما ( ما تشركون ٦ ) أى من معبوداتكم الباطلة لعلكم أنها لا تقى ٥ .  
شيئا ، كما هي عادتكم دائما في أوقات الشدائد رجوعا إلى حال الاستقامة .  
أفلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك في وقت الرخاء خوفا من  
إعادة الضراء !

و لما أقام لهم بهذه الآية على توحيده الدليل حتى استنارت<sup>١</sup> السبل<sup>٢</sup>  
في تذكيرهم أن التضرع قد يكشف به البلاء ، أخبرهم أن تركه<sup>٣</sup> يوجب ١٠  
/ الشقاء ، ترغيبا في إدامته و ترهيبا من<sup>٤</sup> مجابته فقال : ( ولقد أرسلنا<sup>٥</sup> )  
أى بما لنا من العظمة ( إلى<sup>٦</sup> أمم ) أى أناس يؤم بعضهم بعضا ، و هم  
أهل لأن يقصدهم الناس ، لما لهم من الكثرة و العظمة .

و لما كان المراد بعض الأمم ، و هم الذين أراد الله إشهادهم<sup>١</sup> و قص<sup>٢</sup>  
أخبارهم ، أدخل الجار فقال : ( من قبلك ) أى رسلا يخالفونهم ، و حسن ١٥  
هذا الحذف<sup>٣</sup> كونه مفهوما ( فاخذنهم ) أى فكان إرسالنا<sup>٤</sup> إليهم سببا

(١) في ظ : دعوتكم (٢-٢) في ظ : في ذلكم (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : الفكر .  
(٥) في ظ : استنار (٦) من ظ ، وفي الأصل : السيل (٧) في ظ : تركهم (٨) في  
ظ : في (٩-٩) في ظ : شهادتهم وخص (١٠) من ظ ، وفي الأصل : الحديث .  
(١١) من ظ ، وفي الأصل : أرسلنا .

لأن أخذناهم بعظمتنا، ليزجموا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم<sup>١</sup> إليه الرسل ﴿بالأساء﴾ من تسليط القتل عليهم ﴿والضراء﴾ بتسليط الفقر والوجاع ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أي ليكون حالهم حال من يرجي خضوعه و تذللته على وجه بليغ<sup>٢</sup>، بما يرشد إليه - مع صيغة الفعل<sup>٣</sup> - الإظهار، ولأن مقصودها الاستدلال على التوحيد، وعند الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة، بخلاف ما يأتي في الأعراف<sup>٤</sup>.

ولما لم يقع منهم ما أوجبت الحال رجاءه، تسبب عنه الإنكار عليهم، فقال معبرا بأداة التخصيص ليفيد مع النفي أنهم ما كان لهم عذر في ترك التضرع: ﴿فلو لا﴾ أي فهلا ﴿اذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ ١٠. [ولما - °] كان معنى الإنكار أنهم [ما - °] تضرعوا قال: ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ أي فلم يذكروا ربهم أصلا ﴿وزين لهم الشيطان﴾ أي بما دخل عليهم به<sup>٥</sup> من باب الشهوات ﴿ما كانوا يعملونه﴾ من العظامم والمناكر إلى أوجبها النكس بالرد أسفل سافلين ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي فتسبب<sup>٦</sup> - عن تركهم التذكير<sup>٧</sup> والخذل ١٥ بفائدته التي هي التخشع والتسكن<sup>٨</sup>، كما هو اللائق بهم لاسيما في تلك الحالة - أنا ﴿فتجتا﴾ أي بما يليق بعظمتنا ﴿عليهم ابواب كل شيء﴾ أي من الخيرات والأرزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم ونقلناهم من

(١) في ظ: يدعوهم (٢) سقط من ظ (٣) سقط ما بين الرقين من ظ .  
(٤) راجع آية ٤٤ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل: فسبب .  
(٧) في ظ: التذكر (٨) في ظ: التمكن ، وهو مرادف لما في الأصل .

الشدّة إلى الرخاء، وذلك استدراجاً لهم، ومددنا زمانه و طولنا أيامه  
 ﴿ حتى إذا فرحوا ﴾ أى تنامى بهم الفرح ﴿ بما أوتوا ﴾ أى معرضين  
 عن آتاهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلام بذلك، فلم أنهم [ فى - ١ ]  
 غاية من الغباوة، لا يرتدعون بالتأديب بسياط<sup>٢</sup> البلاء، ولا ينتفعون بسياط<sup>٣</sup>  
 المنّة و الرخاء، بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان، و الرخاء باستحقاقهم.  
 الامتنان، فلم أن قلوبهم لا يرجى لها ابتاه بحار ولا بارد ولا رطب  
 ولا يابس ﴿ اخذتهم ﴾ بعظمتنا، وإنما أخذناهم فى حال الرخاء ليكون  
 أشدّ لتحرّم ﴿ بقتة ﴾ فلم نمكنهم<sup>٤</sup> من التضرع عند خفوق الأمر،  
 ولا أمهلناهم أصلاً بل نزل عليهم من أفعال العذاب، و أباح بهم من  
 أحوال الشدائد و صروف البلايا ما أذهلهم و شغلهم عن كل شىء حتى ١٠  
 بهتوا ﴿ فاذا هم مبلسون ﴾ أى تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا<sup>٥</sup>  
 السكوت على ما فى أنفسهم و اليأس تحسراً و تحيراً<sup>٦</sup>، واستمروا  
 بعد أن سكتوا إلى أن همدوا و خفتوا<sup>٧</sup>، ففى نفى<sup>٨</sup> التضرع عن المتقدمين  
 بعد أن أثبتة لمشركى<sup>٩</sup> هذه الأمة استعطاف لطيف، و<sup>١٠</sup> فى ذكر استدراج  
 أولئك بالنعم عند نسيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بقتة من قواصم<sup>١١</sup> ١٥  
 النقم غاية التحذير .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ : فلم يمكنهم .  
 (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : فاذا (٥) زيد فى ظ : او (٦) فى  
 ظ : تحسيرا (٧) فى ظ : احقنوا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى  
 الأصل : لمشرك (١٠) فى ظ : قواصم .

ولما كان من عادة الغالب من<sup>١</sup> أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش  
وُشَدَّابهم<sup>٢</sup> لملل أصحابه من الطلب وضجرهم<sup>٣</sup> من النصب والتعب وقصورهم  
عن الإحاطة بجميع الأرب، أخبر تعالى أن أخذه على غير<sup>٤</sup> ذلك، وأن  
نيله للآخر<sup>٥</sup> كنيته للأول على حد سواء، فقال مسييا عن الأخذ  
الموصوف مشيرا بالبناء<sup>٦</sup> للفعول إلى تمام القدرة، وبالدار إلى الاستئصال:

(فقطّع دابر<sup>٧</sup>) أى آخر (القوم الذين ظلّوا<sup>٨</sup>) أى بوضع الشيء فى  
غير موضعه دأب<sup>٩</sup> الماشى فى الظلام، ووضعوا لقسوة موضع الرقة/ التى  
تدعو إليها الشدة، ووضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد إلى

الشدة، كما ظلمتم أنتم بدعاء الأصنام وقت الرخاء وكان ذلك<sup>١٠</sup> موضع  
١٠. دعاء من أفاض تلك النعم، ودعوتهم الله وقت الشدة وكان ذلك موضع

دعاء<sup>١١</sup> من عبدتموه وقت الرخاء، لئلا تقعوا<sup>١٢</sup> فيما جرت عادتكم بالذم به .  
وإذا "تكون كربة" أدعى لها وإذا يحاس الحيس<sup>١٣</sup> بدعى جذب

ولما كان استئصالهم من أجل النعم على من عادوهم فيه من الرسل  
عليهم السلام وأتباعهم رضى الله عنهم، نبه على ذلك بالجملة<sup>١٤</sup> مع ما يشير

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سداتهم - كذا (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
مضجهم (٤) فى ظ : البناء (هـ) فى ظ : ذات (و) فى ظ : كل (٧) من ظ ،  
وفى الأصل : ذكر (٨) زيد بعده فى الأصل : افاض ، ولم تكن الزيادة فى  
ظ لخذفناها (٩) من ظ ، وفى الأصل : لئلا تقعوا (١٠ - ١١) من اللسان ، وفى  
الأصل : يكون كربه ، وفى ظ : يكون كربة - كذا ، واليت لهنى بن أحر  
الكثانى ، وقيل : هو لزرافة الباهل (١١) من ظ واللسان ، وفى الأصل :  
الحسين - كذا (١٢) من ظ ، وفى الأصل : بالحد .



إليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال: ﴿ والحمد ﴾ أى قطع أمرهم كله و الحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ المفرد بنعوت الجلال والجمال ﴿ رب العلين ﴾ الموجد لهم أجمعين ، أى له ذلك كله بعد فناء الخلق على أى صفة كانوا من إيمان أو كفر ، كما كان له ذلك قبل وجودهم و عند خلقهم على كل من حالتهم - كما أشير إليه بأول السورة ، ه فكأنه قيل : الكمال لله الذى خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فقطع دابرهم ، و الكمال له لم يتغير ، لأنه لا يزيده وجود موجود ، و لا ينقصه فقد مفقود ، فهو محمود حال الإعدام و المحق كما كان محمودا حال الإيجاد و الخلق ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فانه لا يخرج شئ عن إيمانهم<sup>١٠</sup> و لا كفرانهم<sup>١٠</sup> عن إرادته سبحانه ، فلا عليك منهم اقترحوا الآيات أولا . فانه ليس عليك إلا البلاغ .

ولما قدم التنبيه باتيان مطلق العذاب فى مطلق الأحوال ، و كان الإتيان بالكاف ثم مشيرا مع إفادة التأكيد إلى أن ثم نوع مهلة ، و أتبعه أن أخذ الأمم كان بغته ، أعقبه التنبيه بعذاب خاص تصور شناعته بهذا<sup>١٥</sup> الأركان و يقطع الكبر و يملأ الجنان ، فانه لا أشنع حالا من أصم أعمى مجنون ، فقال مشيرا - باسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالأخذ الذى عهد أنه للبغت بالسطوة و القهر - إلى غاية التحذير من سرعة أى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لهم (٣-٢) من ظ ، و فى الأصل : بين من (٤) فى ظ : اجترحوا (٥) لى يقطع قطعاً سريراً .

الآخذ<sup>١</sup>: ﴿قل ارأيتم﴾ فكانت حقيقة المقترن بالكاف: هل رأيتم أنفسكم،  
 وهذا هل رأيتم مطلق رؤية، لما تقدمت الإشارة إليه من الإيماء إلى طلب  
 الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب وإن كان المراد في الموضعين:  
 أخبروني ﴿ان اخذ الله﴾ أى القادر على كل شيء العالم بكل شيء ﴿سمعكم﴾  
 ٥ وأفرده<sup>٢</sup> لقلة المفاوطة<sup>٣</sup> فيه، لأنه<sup>٤</sup> أعظم الطرق لإدراك القلب الذى  
 لا أعظم من المفاوطة فيه حتى للانسان الواحد بالنسبة إلى الاحول  
 المختلفة، ليكون ذلك أدل على الفعل بالاختيار ﴿وابصاركم﴾ أى فأصمكم  
 وأعماكم عمى وصمما ظاهرين وباطنين بسلب المنفعة ﴿وختم على قلوبكم﴾  
 فجعلها لا تعى أصلا أو لا ينتفع بالوعى ﴿من اله﴾ أى معبود بحق،  
 ١٠ لأن له؛ إحاطة العلم والقدرة؛ ثم وصف هذا الخبر بقوله: ﴿غير الله﴾  
 أى الذى له جميع العظمة ﴿ياتيكم به<sup>٥</sup>﴾ أى بذلك الذى هو أشرف معانى  
 أشرف أعضائكم، أو بشيء منه.

ولما بلغت هذه الآيات - من الإبلاغ فى البيان فى وحدانيته  
 وبطلان كل معبود سواه - أعلى المقامات، نه على أنه؛ على ذلك، بالامر  
 ١٥ بالنظر فيها وفى حالهم بعدها، دالا على<sup>٦</sup> ما تقدم<sup>٧</sup> من أن المقترحات لا تنفع<sup>٨</sup>  
 من أراد سبحانه شقاوته فقال: ﴿انظر كيف نصرف﴾ [أى -<sup>٩</sup>]  
 بما لنا من العظمة ﴿الأيئت﴾ أى نوحياها لهم ولغيرهم فى كل وجه

(١) من ظ، وفى الأصل: لآخذ (٢) من ظ، وفى الأصل: افرد.  
 (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و و.  
 (٦) تكررت فى ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: قدم (٨) فى ظ: لا ينتفع (٩) زيد  
 من ظ.

من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ بالعقول و يدهش الآلباب ،  
و يكون كافيا في الإيصال إلى المطلوب ؛ و لما كان / الإعراض عن مثل  
هذا في غاية البعد ، عبر بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم هم ﴾ أى بعد هذا البيان  
بصميم ضمائرهم ﴿ يصدفون ﴾ أى يعرضون إعراضا لازما لهم لزوم الصفة<sup>٢</sup>.

و لما قرن الأخذ بالفت تارة صريحا و تارة إشارة باسقاط الكاف ؛ ه  
كان ربما وقع في وهم السؤال عن حالة الجهر ، أتبع ذلك ذكره مفصلا  
لما أجمل من الأحوال في الآيتين قبل فقال : ﴿ قل اراءيتكم ﴾ و لما كان  
المعنى : أخبروني ، و كان كأنه قيل : عما ذا ؟ قيل : ﴿ ان انكم عذاب الله ﴾  
أى الذى له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شيء ﴿ بقتة ﴾<sup>٣</sup> أى بحيث  
لا يرى إلا ملتسبا بكم من غير أن يشعر به و يظهر شيء من أماراته<sup>٤</sup> ، ١٠  
﴿ او جهرة ﴾ أى بحيث ترونه مقبلا إليكم مقدما عليكم ﴿ هل ﴾ .

و لما كان المخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر إلى تعيين الفاعل ،  
بنى للفعول قوله : ﴿ يهلك ﴾ أى فى واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك ،  
<sup>٢</sup> و هو هلاك السنخ<sup>٢</sup> ﴿ الا القوم ﴾ أى الذين لهم قوة المدافعة و شدة  
المقاتلة فى زعمكم و المقاومة ﴿ الظالمون ﴾ أى بوضع الأشياء فى غير مواضعها ١٥  
من إعطاء الشيء لمن لا يستحقه و منع المستحق ما له ، و أما المصلح  
فانه ناج<sup>٦</sup> إما فى الدارين و إما فى الآخرة التى من فاز فيها<sup>٧</sup> فلا توى

(١) من ظ ، و فى الأصل : تصميم (٢) فى ظ : الصعد - كذا (٣ - ٣) سقط  
ما بين الرقمين من ظ (٤ - ٤) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « مقدما عليكم » .  
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : باح - كذا (٧ - ٧) فى ظ :  
فاوتها - كذا .

عليه ، وذكر أبو حيان [ أنه - ١ ] لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل أهواله . ما لا يعلم ، كان التوعد به أهول<sup>٢</sup> ، فلذلك أكد فيه في الآيتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب ، و التوعد بأخذ السمع وما معه من جملة الأنواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق<sup>٣</sup> فأعزى ه من حرف الخطاب .

و لما كان ذلك كله في منازلة من كذب الرسل ، و أعرض عما أرسلهم به ربهم من الآيات التي ما<sup>٤</sup> منها إلا<sup>٥</sup> ما آمن على مثله البشر ، و طلبه منهم<sup>٦</sup> ما لا يقدر عليه إلا مرسلهم من الإتيان بغير ما أتوا به من الآيات ، بين لهم حقيقة الرسالة إشارة إلى ظلمهم في طلبهم من الرسل ١٠ ما لا يطلب إلا من الإله ، فقال عاطفا على ” ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك “ : ﴿ وما أرسل )) أي ” بما لنا من العظمة (( المرسلين )) أي نوجد هذا الأمر في هذا الزمان ، و كل زمان ” من الماضي ” و غيره ﴿ الا مبشرين )) لمن أطاع (( و منذرين<sup>٧</sup> )) لمن عصى ، عريقين في كل من الوصفين ، لا مجيبين<sup>٨</sup> إلى ما يقترح الأمم ، : لا معذبين لمن يعاندهم ؛ ه ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من ” النفع و الضر ” فقال :

﴿ فمن آمن و أصلح )) أي تصديقا لإيمانه (( فلا خوف عليهم )) أي في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الآخرة فواضح ، و أما في الدنيا

(١) ريد من ظ (٢) من ظ . وفي الأصل : اهون (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : منه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : محسنين . (٧ - ٧) من ظ ، وفي الأصل : الضر و النفع .

الغاية فلأن خوفهم فيها<sup>١</sup> يزيد أمنهم في الآخرة الباقية ، فهو إلى فناء  
ثم إلى سرور دائم ، فهو عدم ﴿ ولا هم يحزنون ه ﴾ أي حزنا يضر<sup>٢</sup>  
بحياتهم<sup>٣</sup> الأبدية .

ولما بين حال المصلحين ، أتبعه حال المفسدين فقال : ﴿ والذين كذبوا  
بآياتنا ﴾ أي على<sup>٤</sup> ما لها بنسبتها إلينا من العظمة ﴿ يمسهم العذاب ﴾ أي الدائم ه  
المتجدد<sup>٥</sup> ، وكفى عن قربه<sup>٦</sup> بأن جعل له قوة المس ، كأنه يحيي مريد<sup>٧</sup>  
فقال : ﴿ بما كانوا ﴾ أي<sup>٨</sup> جبلة وطبعاً ﴿ يفسقون ه ﴾ أي يديمون  
الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من الإيمان وما يقتضيه ، وأما الفسق  
العارض فإن صاحبه يصدر التوبة منه فيعفى عنه .

ولما بين وظيفة الرسل ، وقسم المرسل إليهم ، أمره بنبي ما يتسبب<sup>٩</sup> ١٠  
عنه قولهم من أن البشر لا يكون رسولا ، واقترأهم عليه الآيات من  
ظن قدرته على ما يريد<sup>١١</sup> ، أو أن كل ما يقدر عليه يديه لهم<sup>١٢</sup> ، أو لإزماء  
بذلك<sup>١٣</sup> ، منها لهم على وجه ظلمهم بغلظهم أو عنادهم فقال : ﴿ قل ﴾  
[ أي - ١٠ ] في جواب قولهم ” لو لا أزل عليه آية “ ونحوه .

ولما [ لم - ١٠ ] يكن لهم عهد بأن بشرا يكون عنده الخزان ، ١٥  
يتصرف فيها بما يريد ، وكان يأتيهم من الآيات من انشقاق القمر / ٢٠٢ /

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يصير (٣) في ظ : بحياتهم - كذا .  
(٤) في ظ : التجرد (٥) من ظ ، وفي الأصل : قوته (٦ - ٦) من ظ ، وفي  
الأصل : مريد حي (٧) في ظ : ينسب (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) زيد  
بعده في ظ : منها (١٠) زيد من ظ .

ومشى الشجر وكلام الضب والحجر ونبع الماء والحراسة بشواظ  
النار وفحل الجبال ونحو ذلك مما هو معلوم في دلالات النبوة بما ربما  
أوقع في ظنهم أن لازمه دعواه لأنه يملك الخزائن، فكانوا يقترحون  
عليه الآيات الدالة [إلزاماً له -<sup>٢</sup>] بذلك لقصد التكذيب. نفى ما ظنوا  
٥ أنه يلزمه دعواه فقال: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ أى لآن ولا فيما يستقبل  
من الزمان، ولما كان تعالى قد أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، فأبأها،  
تواضعاً لله سبحانه، قيد بقوله "لكم" إيهاماً لما يخبر به المؤمنين من ذلك  
ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وأما الكفرة فإن إخبارهم بذلك مما يغريهم  
على الاقتراحات استهزاء فلا فائدة له ﴿عندى خزائن الله﴾ أى الملك  
١٠ الأعظم الذى له الغنى المطلق والعزة البالغة، فلا كفوء له أى<sup>٢</sup> فأتيتكم  
ما تقترحون<sup>٥</sup> من الآيات وما تشتهونه<sup>٦</sup> من الكنوز وما<sup>٧</sup> تستهزؤون به<sup>٧</sup>  
من العذاب، وإنما الخزائن بيده، يفعل فيها ما يشاء.

ولما كانوا يعهدون أن بعض البشر من الكهان يخبرون بشيء من  
المغيبات، وكان الكهان يخلطون الصدق بالكذب، وكان النبی صلی الله  
١٥ عليه وسلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال دائماً لا خلف في شيء  
منها ولا زيادة ولا نقص، فصاروا يظنون أنه يعلم الغيب، ولكنهم

(١) فى ظ: وقع (٢) زيد من ظ (٣) -قط من ظ (٤) فى ظ: وإبأها (ه) فى  
ظ: يقترحون (٦) فى ظ: يشتهونه (٧-٧) فى الأصل: يشتهون به، وفى ظ:  
يستهنونه -كدا.

يظنونه من آيات الكهان حتى أطلقوا عليه أنه كاهن ، فكانوا يسألونه  
عن وقت العذاب الذي يتوعدهم به وعن غيره ، لهم <sup>٢</sup> 'يظفرون عليه'  
بشيء مما يقوله الكهان ولا يكون ، فيعدونه عليه ؛ نفى ما ظنوه غيره  
على هذا المقام أن ينسب<sup>٣</sup> إلى غير مالكة الذي لا يجوز أن يكون  
لغيره ، فقال نفيا له من أصله ، لا للقول فقط كما في سابقه ولاحقه ، ه  
عاطفا على " لا " أقول " لا على " عدى " : ﴿ و لا أعلم الغيب ﴾  
أى فأخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم من مطلق العذاب أو قيام  
الساعة ، فان هاتين الحالتين - ملك الخزان وعلم الغيب - ليستا<sup>٤</sup>  
إلا لمرتبة<sup>٥</sup> الألوهية ، وإنما لم أدع الأول كما ألزمتوني به ، ولا اتصفت  
بالتالى بما ظنتم .

١٠

ولما كانوا يظنون أن الرسول لا يكون إلا ملكا ، فكانوا يلزمونه  
بدعواه الرسالة دعوى الملائكة ليلزموه بذلك ادعاء ما هو ظاهر البطلان ،  
قال : ﴿ و لا أقول ﴾ أى بدعوى الرسالة ؛ ولما كان صلى الله عليه وسلم  
أعلى<sup>٦</sup> الأنبياء صفاء ، أنورهم قلبا وأندم<sup>٧</sup> فى كل هدى إضاءة وأنقام  
من نقائص البشر ، و كان هذا أمرا من الله له ، قيد بقوله : ﴿ لكم ﴾ ١٥  
إفهاما لأنه " لا يمتنع " عليه أن يقول ذلك ، بل لو قاله كان صادقا ،

(١) فى الأصل : بابه ، وفى ظ : آياته - كذا (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل :  
يظفرون عليهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : يسب - كذا (٤) سقط من ظ ،  
(٥) فى ظ " و " (٦) فى ظ : ليسا (٧) فى ظ : لرتبة (٨) فى ظ : على (٩) من  
ظ ، وفى الأصل : اسدهم (١٠-١٠٠) فى ظ : يمتنع .

نظم الدرر (سورة الأنعام: ٥٠ و ٥١) ج - ٧

و مثله كثير في مجازاتهم و مجازى عاداتهم<sup>١</sup> [ في محاوراتهم -<sup>٢</sup> ] ، و أما إسقاط "لكم" في قصة نوح من<sup>٣</sup> سورة هود<sup>٤</sup> عليها السلام فتواضعا منه لكونه من قوله ، من غير تصريح بأسناد الأمر فيه إلى الله تعالى ﴿إني ملك<sup>٥</sup>﴾ فأقوى على الأفعال التي تقوى<sup>٥</sup> عليها الملائكة من التحرز<sup>٦</sup> عن المأكول ه و المشرب و غيرها من أفعال الملائكة .

فلما اتقى عنه ما ألزمه به و [ ما -<sup>٧</sup> ] ظنوه فيه من كونه إلها أو ملكا ، انحصر الأمر في أنه رسول واقف عند ما حده له مرسله ، فقال على وجه النتيجة : ﴿ان﴾ أى ما ﴿اتبع﴾ أى بغاية جهدى ﴿الا ما يوحى﴾ إلى<sup>٨</sup> أى ما رتبى إلا امثال ما يأمرنى به ربى في هذا القرآن الذى ١٠ هو - بعجزكم عن معارضته - أعظم شاهد لى ، و لم يوح إلى فيه أن أقول شيئا مما تقدم نفيه ، و أوحى إلى لآندركم به خصوصا ، و أنذر به كل من بلغه عموما ، و ذلك / غير منكر في<sup>٩</sup> العقل و لا مستبعد<sup>٩</sup> بل قد وقع الإرسال لكثير من البشر ، و قد قام على ثبوته لى<sup>١٠</sup> واضح الدلائل و ثابت الحجج و قاطع البراهين ، فان كان فيه الإذن لى<sup>٩</sup> باراز خارق ١٥ أرزته ، و ان كان فيه الإعلام بمغيب أديته . و إلا اقتضت على الإبلاغ

(١) من ظ ، و في الأصل : عادتهم (٢) زيد من ظ غير أن فيه : مجاوزاتهم (٣) من ظ ، و في الأصل : في (٤) راجع آية ٣١ (٥) من ظ ، و في الأصل : تقول (٦) في ظ : التجرد (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : مستبعدا (١٠) في ظ : الى .



مع التحدى ، و هو مخبر بأن الله - الذى ' ثبت بعجزكم عن معارضته أنه قوله - شاهد لى بصحة الرسالة و صدق المقالة .

ولما ' ثبت بهذا أنهم عمى الأبصار و البصائر ، لا يهتدون إلى ما يفهمهم ، و لا يقدرين على إغاثم خصم و لا التنصى عن وهم و لا رصم ، بل هم كالسالك بين المهالك ، يتبين بادئ بدئه فى دعواه الحكمة زوره ، و كذبه و فجوره لا تباع الهوى الذى هو أدرا [ أدواء - ٢ ] ، و أنه ٢ صلى الله عليه و سلم أبصر البصراء و أحكم الحكماء لا تبعه علام الغيوب ، و كان موضع أن يقال : ما يوحى إليك فى هذا المقام ؟ قال على وجه التنبكيت لهم : ﴿ قل ﴾ أى لكل من يسمع ٣ قولك بعد هذا البيان الفات لقوى الإنسان ﴿ هل يستوى ﴾ أى يكون سواء من غير مرة ١٠ ﴿ الاعمى و البصير ٤ ﴾ فان قالوا : نعم ، كابروا الحس ، و إن قالوا : لا ، قيل : فمن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ، و من أعرض عنها فهو العمى ، و من سوى بين الخالق و بين شىء من خلقه فهو أعمى العمى ، ثم أمره بعد الإنكار للتسوية بينهما بأن ينكر عليهم فساد نظرهم و عمى فكرهم بقوله : ﴿ افلا تفكرون ٥ ﴾ أى فإردكم فكركم ٦ عن هذه الضلالات ٧ . ١٥ و لما أمره ٦ بتوبيخهم ، أمره - عاطفا على قوله " قل " - بالإنداز ٨ على وجه مخز لهم أيضا فقال : ﴿ و انذر به ﴾ أى بما يوحى إليك ، و ليس المراد تخصيص الإنذار بالخائف ، بل الإشارة إلى جلافتهم و عظيم بلادتهم (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : به (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الضلالة (٦) فى ظ : امرهم (٧) فى ظ : بالإنكار .

و كشافهم في عدم تجويز الجائز الذي هو أهل لأن يخافه كل واحد<sup>١</sup>  
بقوله: ﴿الذين يخافون﴾ أى تجويزاً للجائز عقلاً و عادة .

و لما كان المرهوب الحشر نفسه ، لا بقيد كونه من<sup>٢</sup> معين ؛  
بنى للفعول قوله: ﴿ان يحشروا﴾ أى يجمعوا و هم كارهون ﴿الى ربهم﴾  
ه أى<sup>٣</sup> المحسن إليهم بالإيجاد و الترية مع التقصير في الشكر ، حال كونهم  
﴿ليس لهم﴾ و أشار إلى تحقير ما سواه و سفولة بالجار فقال :  
﴿من دونه﴾ أى من المنزلة التى هى تحت منزلته ، و من المعلوم أن  
كل شيء تحت<sup>٤</sup> قهر عظمتة و متضائل<sup>٥</sup> عن رتبته ، ليس لهم ؛ ذلك ،  
أى<sup>٦</sup> على وجه الانفراد أو<sup>٧</sup> التوسل ﴿ولى﴾ يتولى أمورهم فينقذهم  
١٠ قهراً مما يخافون ﴿ولا شفيع﴾ ينقذهم بحسن سفارته<sup>٨</sup> و عظيم رتبته  
و ترتيبه ﴿لعلهم يتقون ه﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى أن يجعل  
بينه و بين عذاب الله وقاية .

و لما أمره بدعاء من أعرض عنه و بجاهرته ، أمره بحفظ من تبعه  
و ملاطفته ، فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾ و هم الفقراء من  
١٥ المسلمين ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم عكس ما عليه الكفار في دعاء  
من لا يملك لهم ضراً و لا نفعاً ؛ ثم بين من حالهم من الملائمة ما يقتضى  
الإخلاص فقال: ﴿بالفدوة و العشى﴾ أى في طرفي النهار مطلقاً

(١) في ظ : احد (٢) سقط من ظ (٣) أى متقاصر ، وفي الأصل : متصايل ،  
و في ظ : مصال - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : بهم (٥) في ظ : ه و ه .  
(٦) في الأصل : سفار به ، و في ظ : شعارته - كذا .

أو بصلاتيها أ. يكون كناية عن الدوام ؛ ثم أتبع ذلك نتيجة<sup>١</sup> فقال  
معبرا عن الذات بالوجه ، لأنه أشرف - على ما تتعارفه<sup>٢</sup> - و تذكره  
يوجب التعظيم و يورث الحجل من التقصير : ﴿ يريدون وجهه<sup>٣</sup> ﴾ أى<sup>٤</sup>  
لأنه لو كان رياء<sup>٥</sup> لاضمحل على طول الزمان و تناوب الحدثن  
باختلاف الشأن .

و لما كان أكابر المشركين و أغنياؤهم قد وعدوه صلى الله عليه و سلم  
الاتباع إن طرد من تبعه بمن يأنفون<sup>٦</sup> من مجالستهم<sup>٧</sup> ، و زهدوه فيهم  
بفقرهم و بأنهم غير مخلصين في اتباعه ، إمام دعاهم إلى ذلك الحاجة ؛  
بين له تعالى أنه لا حظ له في طردهم و لا في اتباع أولئك بهذا الطريق

إلا من جهة الدنيا التي هو<sup>٨</sup> مبعوث للتفكير عنها ، فقال معللاً لما مضى ١٠ / ٤ :  
أو مستأنفا : ﴿ ما عليك ﴾ قدم الأهم عنده و هو تحمله ﴿ من حسابهم ﴾  
و أغرق في النفي فقال<sup>٩</sup> : ﴿ من شيء ﴾ أى ليس لك إلا ظاهرهم ،  
و ليس عليك شيء من حسابهم ، حتى تعاملهم بما يستحقون في الباطن  
من الطرد إن كانوا غير مخلصين ﴿ و ما من حسابك ﴾ قدم أهم ما إليه  
أيضا ﴿ عليهم من شيء ﴾ أى و ليس عليهم شيء من حسابك فتخشى ١٥  
أن يحيفوا<sup>١٠</sup> عليك فيه على<sup>١١</sup> تقدير غشهم<sup>١٢</sup> ، أو ليس عليك<sup>١٣</sup> من رزقهم

- (١) من ظ ، و في الأصل : ملجئة - كذا (٢) في ظ : يتعارفه (م) - قط من ظ .  
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) في ظ : ماعون - كذا (٦) من ظ ،  
و في الأصل : لستهم - كذا (٧) في ظ : هم (٨) من ظ ، و في الأصل : صار .  
(٩) من ظ ، و في الأصل : يخففوا (١٠) من ظ ، و في الأصل : عتهم - كذا .  
(١١) من ظ ، و في الأصل : لك .

شيء فيثقلوا به عليك ، وما من رزقك عليهم من شيء فيضعفوا عنه  
لفقرهم ، بل الرزاق لك<sup>١</sup> ولهم الله ؛ ثم أجاب النبي مسيئا عنه فقال :  
( فطردهم ) أى فتسبب عن أحد الشئين<sup>٢</sup> طردك لهم ليقبل عليك  
الأغنياء فلا يكلفوك ما كان أولئك يكلفونك<sup>٣</sup> ، وإن كلفتهم ما كان  
أولئك عاجزين عنه أطاقوه ؛ والحاصل أنه يجوز أن يكون معنى جملى  
” ما عليك من حسابهم “ - إلى آخرهما راجعا إلى آية الكهف ” ولا تعد  
عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا “ فيكون المعنى ناظرا إلى الرزق ،  
يعنى أن دعاءك إلى الله إنما مداره الأمر الآخرى ، فليس شيء من  
رزق هؤلاء عليك حتى تستغفر<sup>٤</sup> بهم وترغب فى الأغنياء ، ولا شيء  
١٠ من رزقك عليهم فيعجزوا<sup>٥</sup> عنه ، وفى اللفظ من كلام أهل اللغة

ما يقبل هذا المعنى ؛ قال [ صاحب -<sup>٦</sup> ] القاموس وغيره : الحساب : الكافى ،  
ومنه ” عطاء حسابا “ وحسب فلان فلانا : أطعمه و سقاه حتى شبع  
وروى : <sup>٧</sup> قال أبو عبيد الهروى : يقال : أعطيته فأحسبته ، أى أعطيته  
الكفاية حتى قال : حسى<sup>٨</sup> ، وقوله ” يرزق من يشاء “ بغير حساب  
١٥ أى بغير ” تقدير و تضيق “ ، وفى حديث سماك : ما حسبوا ضيفهم ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) من ظ ، وفى الأصل : السن - كذا .  
(٣) فى ظ : يكلفونكه (٤) آية ٢٨ (٥) فى ظ : يستثقل - كذا (٦) من ظ ،  
وفى الأصل : فتعجزوا (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : حسبنى .  
(١٠) من ظ . وفى الأصل : رزق من نشاء ، وقد ورد فى عدة مواضع  
من القرآن بالنحية (١١ - ١١) من ظ ، وفى الأصل : تعبر و لصق - كذا .  
أى (٣٢) ١٢٨

أى ما أكرموه، و قال ابن فارس فى المجلد : و أحسبته : أعطيته ما يرضيه ،  
و حسبته أيضا ، و أحسبى الشيء : كفى .  
و لما نهاه عن طردهم مبينا أنه ضرر لغير فائدة ، سبب عن هذا  
النهى قوله : ﴿ فتكون من الظالمين ٥ ﴾ أى بوضعك الشيء فى غير محله ،  
فان طردك هؤلاء ليس سببا للإيمان أولئك ، و ليس هدايتهم إلا إلينا ، ٥  
و قد طلبوا منا فىك لما فتاهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من  
قولهم ” لو لا أنزل عليه ملك “ و نحوه مما أرادوا به الصرف عنك ، فكما  
لم يقبلهم<sup>٢</sup> فىك فلا تقبلهم أنت فى أوليائنا ، فانا فتاهم بك حتى سألوا  
[ فىك ما سألوا -<sup>٣</sup> ] و تمنوا [ ما تمنوا -<sup>٢</sup> ] ﴿ وكذلك ﴾ أى ، و مثل  
ما فتاهم بارسالك ﴿ فتنا ﴾ أى فعلنا فعل المختبر قسرا بما لنا من العظمة ١٠  
﴿ بعضهم يعرض ﴾ بالتخصيص بالإيمان و الغنى و الفقر و نحو ذلك  
﴿ ليقولوا ﴾ أى إنكارا لأن تفضل غيرهم عليهم احتقارا لهم و استصغارا  
﴿ أهؤلاء ﴾ أى الذين لا يساؤوننا بل لا يقاربوننا فى خصلة<sup>٦</sup> من  
خصال الدنيا ﴿ من الله ﴾ أى على جلاله<sup>٧</sup> و عظمه ﴿ عليهم ﴾ أى  
وقفهم لإصابة الحق و ما يسعدهم عنده و هم فيما زى من الحقارة ١٥  
﴿ من بيننا ﴾ فالآية<sup>٨</sup> ناظرة إلى ما يأتى فى هذه السورة من قوله تعالى  
” حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله “ .

(١) فى ظ : بغير (٢) فى ظ : لم يقبلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
انكار (٥) فى الأصل : الذ ، وفى ظ : الذى - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل :  
حصه (٧) فى ظ : جلا - كذا (٨) سقط من ظ .

ولما كان الإنكار لا يسوغ إلا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين ،  
وأن المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به ، أنكر إنكارهم  
بقوله : ﴿ اليس الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر ، فلا اعتراض عليه  
﴿ باعلم بالشكرين ٥ ﴾ أى الذين يستحقون أن يفضلوا لشكرهم على  
غيرهم لكفرهم .

ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، علمه كيف يلاطفهم فقال  
[ عاطفا على ما تقديره : وإذا جاءك الذين يحقرن الضعفاء من عبادى  
فلا تحفل<sup>٢</sup> بهم - ٢ ] : ﴿ وإذا جاءك ﴾ وأظهر موضع الإضمار دلالة  
على الوصف الموجب لإكرامهم / وتعبيا لغيرهم فقال : ﴿ الذين يؤمنون ﴾

١٠. أى هم أو غيرهم أغنياء كانوا أو فقراء ، وأشار بمظهر العظمة إلى أنهم

آمنوا بما هو جدير بالإيمان به فقال : ﴿ بآيتنا ﴾ على ما لها من العظمة

بالنسبة إلينا ﴿ فقل ﴾ أى لهم بادئا بالسلام إكراما لهم و تطييبا لحواطهم

﴿ سلم عليكم ﴾ أى سلامة منى ومن الله ، ونكره لما يلحقهم فى الدنيا

من المصائب<sup>٦</sup> : ثم علل ذلك بقوله : ﴿ كتب ربكم ﴾ أى المحسن إليكم

١٥ ﴿ على نفسه الرحمة لا ﴾ ثم علل ذلك [ بقوله - ٢ ] و<sup>٧</sup> استأنف بما حاصله

أنه علم من الإنسان النقصان ، لأنه طبعه على طبائع الخسران إلا من جعله

موضع الامتحان<sup>٨</sup> فقال : ﴿ انه من عمل منكم سوءا ﴾ أى أى سوء كان

(١) فى ظ : الفصلين - كذا (٢) فى ظ : فلا تجعل - كذا (٣) زيد ما بين

الحاجزين من ظ (٤) - قط من ظ (٥) فى ظ : لنا (٦) - قط ما بين الرتمين

من ظ (٧) فى ظ : او (٨) فى ظ : الامتحان .

ملتبسا ﴿ بجهالة ﴾ أى بسفه أو بخفة وحركة أخرجه عن الحق و العلم  
 حتى كان كأنه لا يعلم شيئا ﴿ ثم تاب ﴾ أى رجع بالندم والإقلاع وإن  
 طال الزمان ، ولذا ' أدخل الجار فقال<sup>٢</sup> : ﴿ من بعده ﴾ أى بعد ذلك  
 العمل ﴿ واصلح ﴾ بالاستمرار على الخير ﴿ فانه ﴾ أى ربكم بسبب  
 هذه التوبة يغفر له لأنه دائماً ﴿ غفور ﴾ أى بالغ السر و المحو لما كان ه  
 من ذلك ﴿ رحيم<sup>٣</sup> ﴾ يكرم من تاب هذه التوبة بأن يجعله كمن أحسن  
 بعد أن جعله بالغفر كمن لم يذنب ، ومن أصر و أفسد فانه يعاقبه ، لأنه  
 عزيز حكيم ، وربما كانت الآية ناظرة<sup>٤</sup> إلى [ ما - ٦ ] قذفهم به المشركون  
 من عدم الإخلاص ، و يكون حيثئذ مرشحاً لأن المراد بالحساب ، المحاسبة  
 على الذنوب .

١٠.

ولما أتى في هذه السورة وما قبلها بما أتى من عجائب التفاصيل  
 لجميع الأحوال متضمنة واضح الدلالات و باهر الآيات البينات ، قال  
 عاطفاً على " و كذلك فتننا " عاطفاً للضد على ضده ، فان في الاختبار  
 نوع خفاء : ﴿ وكذلك ﴾ أى<sup>٥</sup> و مثل<sup>٦</sup> ذلك الفتن بإيراد بعض ما فيه دقة  
 و خفاء من بعض الوجوه لتضل<sup>٧</sup> من نشاء ، فيتميز الضال من المهتدى ١٥  
 ﴿ نفصل الأيت ﴾ التى زيد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فيتبع ﴿ ولتستبين ﴾  
 أى تظهر ظهوراً بينا ﴿ سبيل المجرمين<sup>٨</sup> ﴾ فتجنب ، و خص هذا بالذكر  
 وإن كان يلزم منه<sup>٩</sup> بيان الأول ، لأن دفع المقاسد أهم .

(١) فى ظ : كذلك (٢) فى ظ : و قوله (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) سقط  
 من ظ (٥) فى ظ : ظاهرة (٦) زيد من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .  
 (٨) فى ظ : تفضل .

ولما كان محط حالهم في السؤال طرد الضعفاء قصد اتباع أهوائهم،  
 أمره تعالى بأن يخبرهم أنه مبين لهم - لما<sup>١</sup> بين له بالبيان الواضح من  
 سوء عاقبة سيلهم - مبينة لا يمكن معها<sup>٢</sup> اتباع أهوائهم، وهي المبينة  
 في الدين فقال<sup>٣</sup>: ﴿ قل اني نهيت ﴾ أى ممن له الأمر كله ﴿ ان  
 اعبد الذين تدعون ﴾ أى تعبدون بناء منكم على<sup>٤</sup> محض الهوى و التقليد في  
 أعظم أصول الدين، و [حقر أمرهم و -<sup>٥</sup>] " بين سفول<sup>٦</sup> رتبته بقلوبه<sup>٧</sup>:  
 ﴿ من دون الله<sup>٨</sup> ﴾ أى الذى لا أعظم منه، فقد وقعت في ترك الأعظم  
 و لزوم الدون<sup>٩</sup> الذى هو دونكم في<sup>١٠</sup> أعظم الجهل المؤذن بمعنى القلب  
 مع الكفر بالمحسن، فبايتى مبناها على المقاطعة<sup>١١</sup>، فكيف تطمع<sup>١٢</sup> في<sup>١٣</sup>  
 ١٠ متابعة اثم أكد ذلك بأمر آخر دال على أنه لا شبهة لهم في عبادتهم  
 فقال: ﴿ قل لا اتبع أهواءكم<sup>١٤</sup> ﴾ أى عوضا عما أنا عليه من الحكمة البالغة  
 المؤيدة<sup>١٥</sup> بالبراهين الساطعة و الأدلة القاطعة .

ولما كان من المعلوم أن الهوى لا يدعو إلى هدى، بل إلى غاية  
 الردى، حقق ما أفهمته هذه الجملة بقوله: ﴿ قد ضللت اذا ﴾ أى إذا  
 ١٥ اتبعت أهواءكم؛ ولما كان الضال قد يرجع<sup>١٦</sup>، بين أن هذا ليس كذلك،  
 لعراقته في الضلال، فقال معبرا بالجملة الاسمية<sup>١٧</sup> الدالة على الثبات:  
 (١) في ظ : ما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : من (٤) زيد من ظ (٥-٥) في ظ :  
 بسفول (٦) في ظ : فقال (٧) في ظ : الدين (٨) من ظ ، وفي الأصل: المعاطفة.  
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : لطمع (١٠) في ظ : المودية - كذا (١١) في ظ :  
 رجع (١٢) زيد بعده في ظ : ضالة .



( وما أنا ) أى إذ ذاك على شئ من الهداية لأعد ( من المهتدين \* ) .

٢٠٦ /

ولما كان طلبهم للآيات - أى / العلامات ' الدالة على الصدق تارة

بالرحمة فى إنزال الأنهار والكفوز و<sup>٢</sup> إراحة الحياة ' ، وتارة بالعذاب

من إيقاع السماء عليهم كسفا ونحو ذلك - ليس فى يده ولا عنده

تعين وقت نزوله ، وأمره هنا أن يصرح لهم بالمباينة<sup>٢</sup> ويؤسهم من ٥

الملاينة ما داموا على المداينة ، أمره<sup>٤</sup> بأن يخبرهم بما هو متمكن فيه من

النور وما هم فيه من العمى بقوله : ( قل انى ) وأشار إلى تمكنه

فى الأدلة الظاهرة والحجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال : ( على بينة )

أى إن<sup>٦</sup> العدو إنما يصانع عدوه إما لعدم الثقة بالنصرة عليه وتعذيه

بعدائه ، [ و - ٧ ] إما لعدم وثوقه بأنه على الحق ، وأما أنا فوائق بكلا ١٠

الأمرين ( من ربى ) أى المحسن إلى بارسالى بعد الكشف التام لى عن

سر<sup>٨</sup> الملك والملكوت ( و ) الحال أنكم ( كذبتهم به<sup>٩</sup> ) أى ربى

حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة .

ولما قيل ذلك ، فرض أن لسان حالهم قال : فائقنا بهذه البينة ١

فقال : إن ربى تام القدرة ، فلا يخاف القوت فلا يعجل ، وأما أنا ١٥

فعب ( ما عندى ) أى [ فى - ٧ ] قدرتى وإمكانى ( ما تستعجلون به<sup>٩</sup> )

أى فى قولكم " امطر علينا حجارة من السماء " ونحوه حتى أحكم فيكم بما يقتضيه

( ١ ) فى ظ : العلامات ( ٢-٢ ) فى ظ : إراحة الجبال - كذا ( ٣ ) من ظ ، وفى

الأصل : المباينة ( ٤ ) فى ظ : امرهم ( ٥-٥ ) من ظ ، وفى الأصل : بأن نخبرهم .

( ٦ ) سقط من ظ ( ٧ ) زيد من ظ ( ٨ ) من ظ ، وفى الأصل : شرك .

طبع البشر من العجلة<sup>١</sup> (ان) أى ما (الحكم) فى شىء من الأشياء  
 هذا وغيره (الا لله<sup>٢</sup>) أى الذى له الامر كله فلا كفوء له، ثم استأنف  
 قوله مبينا أنه سبحانه يأتى بالامر فى الوقت الذى حده<sup>٣</sup> له على  
 ما هو الالىق به من غير قدرة لاحد غيره على تقديم ولا تأخير  
 ه فقال: (يقض<sup>٤</sup>) أى يفصل وينفذ بالتقديم والتأخير، وهو  
 معنى قراءة الحرمين وعاصم "يقص" أى يقطع القضاء أو القصص  
 (الحق) ويظهره ويفصله من الباطل ويوضحه، ليتبعه من قضى بسعادته،  
 ويتنكب عنه من حكم بشقاوته (وهو خير الفصلين ه) لأنه إذا أراد  
 ذلك لم يدع لبسا لمن يريد هدايته، وجعل فى ذلك الظاهر سببا لمن  
 ١٠ يريد ضلاله؛ ثم أكد ذلك لمن زاد قلبه فى الجلالة مبينا ما فى غيره  
 من<sup>٥</sup> ربح العاقبة فقال: (قل لو ان عندى) أى على سبيل الفرض<sup>٦</sup>  
 (ما تستعجلون به) أى من العذاب (لقضى) و بناء للمفعول لأن  
 المخوف إنما هو الإهلاك<sup>٧</sup>، لا كونه من معين (الامر بينى وبينكم<sup>٨</sup>)  
 أى فكنت أهلك [من -<sup>٩</sup>] خالفنى<sup>١٠</sup> غضبا لربى بما<sup>١١</sup> ظهر لى منه من التكبر  
 ١٥ عليه، وقد يكون فيهم مَن كُتِبَ فى ديوان السعداء، لكنه لم يكن الامر  
 (١) زيد بعده فى الأصل: ما عندى ما تستعجلون به أى حتى احكم فيكم، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ لحذفها (٢) فى ظ: حد (٣) فى ظ: يقضى - كذا باثبات الياء  
 والصواب ما فى الأصل، وقال فى روح المعانى ٢/ ٤٨٩: وحذفت الياء فى  
 انخط تبعا لحذفها فى اللفظ لالتقاء الساكنين (٤) فى ظ: شبها (ه) سقط من ظ.  
 (٦) فى ظ: الهلاك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: خالفين.  
 (٩) فى ظ: لا.

إلى لأن لا أعلم الظالم عند الله من غيره ، فليس الأمر إلا إلى الله ،  
لأنه أعلم بالمتصفين فينجيهم ( والله ) أى الذى له الكمال كله  
( أعلم بالظالمين ) أى المكتوبين فى ديوان الظلة فيهلكهم .

ولما كانت هذه الآيات مثبتة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته ، وكان  
ختامها العلم بالظالم وغيره ، أتبعها الاختصاص بما هو أعم من ذلك ، وهو هـ  
علم مفاتيح الغيب الذى لا يصل إليه إلا من حازها ، إذ لا يطلع على  
الحزائن إلا من فتحها ، لا يفتحها إلا من حاز مفاتيحها ، وعلم كيف  
يفتح بها ، فثبتت ذلك فى هذا الأسلوب من باب الترقية فى مراقى  
الاعتقاد من درجة كاملة إلى أكل منها ، فقال عاطفا على معنى ما سبق ،  
وهو : ففنده خاصة ' جميع ذلك : ( وعنده ) أى وحده ( مفاتيح الغيب ) ١٠  
[ أى - ٢ ] التى لا يدرك الغيب إلا من عليها .

ولما كان معنى ذلك الاختصاص ، صرح به فى قوله :  
( لا يعلمها إلا هو ) وتخصيصها بالنفى دون الحزائن دال على ما فهمته  
من أن التقييد [ فيها - ٢ ] بـ " لكم " يفهم أنه يجوز / أن نقول ذلك للمؤمنين . ٢٠٧ /

ولما ذكر علم الغيب ، أتبعه علم الشهادة ، لأن القضايا العقلية ١٥  
المحضة يصعب تحصيل العلم بها على سبيل التمام إلا للكامل من الأنام

( ١ ) فى ظ : حاصله ( ٢ ) زيد من ظ ( ٣ ) فى ظ : الذى ( ٤ ) فى ظ : يقول ( ٥ ) زيد  
بعده فى الأصل : ما يعم الثابت والمتنقل ، خص المتنقل تنصيحا على الجزئيات  
وتعظيها للعلم بتعظيم المعلومات ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها ، وستأتى فى  
موضعها الأليق بها ( ٦ ) سقط من ظ .

نظم الدور (سورة الأنعام: ٦: ٥٩ و ٦٠) ج - ٧

الذين<sup>١</sup> تجردوا فتعودوا<sup>٢</sup> استحضار المعقولات المجردة، و الثرآن إنما أنزل  
لنفع<sup>٣</sup> جميع الخلق: الذكي منهم و الغبي<sup>٤</sup>، فكان ذكر المحسوسات الداخلة  
تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول و رسوخه في  
القلب، فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلي المجرد بمثال<sup>٥</sup> داخل تحته<sup>٦</sup> يجري  
د مجرى المحسوس، و عطفه بالواو عطف الخاص على العام إشارة إلى  
تعظيمه فقال: ﴿و يعلم ما في البر﴾ و قدمه لأن الإنسان أكثر ملاسة  
له بما فيه من القرى و المدن و المفاوز و الجبال و التلال و كثرة ما بها  
من الحيوان<sup>٧</sup> و النبات<sup>٨</sup> و النجم<sup>٩</sup> و ذى الساق و المعادن ﴿و البحر<sup>١٠</sup>﴾  
و أخره لأن إحاطة العقل بأحواله أقل و إن كان الحس يدل على أن  
١٠ عجائبها أكثر، و طولها و عرضها أعظم، و ما فيها من الحيوانات  
و أجناس المخلوقات أعجب، فكان هذا الأمر المحسوس مقويا لعظمة  
ذلك الأمر المعقول.

ولما ذكر ما يعم الثابت و المتقل: خص المتقل تنصيحا على  
الجزئيات و تعظيما للعلم بتعظيم المعلومات فقال: ﴿و ما تسقط﴾ و أغرق في  
١٥ النفي بقوله: ﴿من ورقة﴾ و نكرها إتماما للتعميم ﴿الا يعلمها﴾ و لما كان  
هذا مع عظمه ظاهرا، ذكر ما هو أدق منه فقال: ﴿ولا﴾ أى

(١) في ظ: الذى (٢) في الأصل: فيعودوا، وفي ظ: فتعود (٣) من ظ،  
وفي الأصل: النفع (٤) في ظ: الغبي (٥) من ظ، وفي الأصل: لمثال (٦) في  
ظ: تحت (٧=٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ، وفي الأصل:  
الجسم، و النجم من النبات ما لا ساق له.

وما من ( حبة ) و دل على أن الأرض ليس لها من نفسها نور  
تنبئها على ما أودع هذا الآدمي المكوّن منها من الغرائب بقوله :  
( في ظلمت الأرض ) أى ولو كان فى أقصى بطنها ، فكيف بما هو  
فى النور وهو أكبر من الحبة .

ولما خص ، رجع إلى التعميم ردا للآخر على الأول فقال : هـ  
( ولا رطب ولا يابس ) أى وجد أو لم يوجد أو سوجد  
( إلا فى كتب مبين ) أى موضع لأحواله وأعيانه و كل أموره  
وأحيائه ، ثبت أنه فاعل لجميع العالم بجواهره وأعراضه على سبيل  
الإحكام والإتقان ، لأنه وحده عالم بجميع المعلومات ، ومن اختص بعلم  
جميع المعلومات كان مختصا بصنع جميع المصنوعات وقادرا على  
جميع المقدورات .

ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث الذى ينكرونه ، و كان  
من أدلته العظيمة النوم والإيقاظ منه مع ما فيه من الإحسان المتكرر ،  
و كان فيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة بعد تقريره لكمال العلم ، أتبع  
ذلك قوله : ( وهو ) أى وحده ( الذى يتوفىكم ) أى يقبض أرواحكم ١٥  
كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور أصلا ، فيمنعكم التصرف بالنوم  
كما يمنعكم بالموت ، وذكر الأصل فى ذلك فقال : ( بالليل و يعلم ) أى  
والحال أنه يعلم ( ما جرحتم ) أى كسبتم ( بالنهار ) أى الذى

(١) فى ظ : لا (٢) من ظ ، وفى الأصل : اكرم (٣) فى الأصل وظ " و " .  
(٤) فى ظ : اختاه (هـ) فى ظ : الكمال .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ٦٠ و ٦١) ج - ٧

تَعْقِبُ<sup>١</sup> النوم، من الذنوب الموجبة للاملاك، ويعاملكم فيها بالحلم بعد العلم ولا يجعل عليكم، وهو معنى (ثم يعثكم) أى يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق، فيصرفكم فيما يشاء (فيه) أى فى النهار الذى تعقب<sup>٢</sup> ذلك النوم<sup>٣</sup> بعد استحقاقكم للانتقام (ليقضى<sup>٤</sup>) أى يتم (اجل مسمى<sup>٥</sup>) كنهه للوثة الكبرى .

١/ ولما تمهد بهذا النشر بعد ذاك الطي فى الموتة الصغرى القدرة على مثل ذلك فى الموتة الكبرى<sup>٦</sup>، وكان فيه تقريب عظيم [له - °] قال: (ثم) يعثكم من تلك الموتة كما بعثكم من هذه، ويكون<sup>٧</sup> (إليه) أى وحده<sup>٨</sup> (مرجعكم) أى حسا<sup>٩</sup> بالحشر إلى دار الجزاء، ١٠ / ومعنى / بانقطاع الأسباب على ما عهد فى الدنيا (ثم) بعد تلك<sup>١٠</sup> الموافق الطوال والزلازل والأهوال، [ويمكن أن تشير أداة التراخي إلى عظمة العلم بذلك، توإليه يرشد أكثر ما قبله من السياق - °] (ينبئكم) أى يخبركم إخباراً عظيماً جليلاً مستقصى (بما كنتم تعملون<sup>١١</sup>) أى فيجازيكم عليه، ولعلمه عبر بالعمل لأن الحساب يكون على المكلفين ١٥ الذين لهم أهلية العلم، فقرر - مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الأشياء والعلم بها - استقلاله<sup>١٢</sup> بحفظها فى<sup>١٣</sup> كل حال وتديرها<sup>١٤</sup> على

(١) فى ظ : يعقبه (٢) فى ظ : يعقب (٣) فى ظ : اليوم (٤ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) زيد من ظ (٦ - ٧) تأخر ما بين الرقین فى ظ عن «إليه» (٧) فى ظ : حليماً (٨) فى ظ : ذلك (٩) من ظ، وفى الأصل : استقلالاً له - كذا (١٠) من ظ، وفى الأصل : من (١١) من ظ، وفى الأصل : يديرها .

أحسن

أحسن وجه .

ولما أخبر بتمام العلم والقدرة، أخبر بغالب سلطنته وعظيم جبروته وأن أفعاله هذه على سبيل القهر لا يستطيع مخالفتها، فلو بالغ أحد في الاجتهاد في أن ينام في غير وقته ما قدر، أو أن يقوم وقت النوم لعجز، أو أن يحيي وقت الموت لم يستطع إلى غير ذلك فقال: هـ ( وهو ) أى يفعل ذلك والحال أنه وحده بما له من غيب الغيب وحجب الكبرياء<sup>١</sup> ( القاهر ) وصور ذلك بقوله: ( فوق عباده ) أى فى الإحاطة بالعلم والفعل، أما قهره للعدم<sup>٢</sup> فبالتكوير<sup>٣</sup> والإيجاد، وأما قهره للوجود<sup>٤</sup> فبالإفناء والإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود تارة و<sup>٥</sup> من الوجود إلى العدم أخرى، فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور، والنهار بالليل والليل بالنهار - إلى غير ذلك من ضروب الكائنات وصروف<sup>٦</sup> الممكنات ( ويرسل ) ورجع إلى الخطاب لأنه أصرح فقال: ( عليكم ) من ملائكته ( حفظة<sup>٧</sup> ) أى يحفظون عليكم كل حركة وسكون لتستحيوا منهم وتخافوا<sup>٨</sup> عاقبة كتابتهم. و يقوم عليكم بشهادتهم الحجة على مجارى عاداتكم، وإلا فهو سبحانه غني عنهم، لأنه العالم القادر<sup>٩</sup> فيحفظونكم على حسب مراده فيكم ( حتى إذا جاء ) .

(١) من ظ، وفي الأصل: الكبر (٢) في ظ: بالعدم (٣) من ظ، وفي الأصل:

فبالسكون (٤) من ظ، وفي الأصل: بموجود (٥) تقدمت في ظ على تارة .

(٦) في ظ: صنوف (٧) من ظ، وفي الأصل: يخافوا .

ولما كان تقديم المفعول أخوف قال : ﴿ احدثكم الموت ﴾ أى الذى لا يحيد له عنه ولا محيص ﴿ توفته ﴾ أى أخذت روحه كاملة ﴿ رسلنا ﴾ من ملك الموت وأعوانه على ما لهم من العظمة بالإضافة إلينا ﴿ وهم لا يفرطونه ﴾ فى نفس واحد ولا ما دونه ولا ما فوقه ه بالتوائى عنه ليتقدم ذلك عن وقته أو يتأخر ؛ ولما أشار سبحانه إلى قوته بالجنود التى تقوت الحصر - وإن كان عنهم غنيا بصفة [ القهر <sup>٢</sup> ] - به <sup>٢</sup> بصيغة المجهول إلى استحضار عظمتهم وشامل جبروتهم وقدرته فقال : ﴿ ثم ﴾ أى بعد حبسهم فى قيد البرزخ ﴿ ردوا ﴾ أى ردهم راد منه لا يستطيعون دفاعه أصلا ﴿ الى الله ﴾ أى الذى لا تحد عظمتهم ولا تعد جنوده وخدمته ﴿ مولئهم ﴾ أى مبدعهم ومدير أمورهم <sup>١٠</sup> كلها ﴿ الحق <sup>١</sup> ﴾ أى الثابت الولاية ، وكل ولاية غير ولايته من الحفظه وغيرهم عدم ، لأن الحفظه لا يعلون إلا ما ظهر لهم ، وهو سبحانه يعلم السر وأخفى .

ولما استحضر المخاطب عزته وقهره ، وتصور جبروته وكبره ، ١٥ فتأهل قلبه وسمعه لما يلقى إليه وتبلى عليه ، قال : ﴿ الا له ﴾ أى وحده [ حقا - <sup>٢</sup> ] ﴿ الحكم تف ﴾ ولما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلق أمرا يحير الفكر ، ولا يكاد يدخل تحت الوهم ، قال محقرا فى جنب قدرته :

(١) فى ظ : منه (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ : منه - كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل : رادا (٥) من ظ ، وفى الأصل : امرهم (٦) فى ظ : فتأمل .



( وهو ) أى وحده ( اسرع الحسين ) يفصل بين الخلائق كلهم  
 فى أسرع من الملح كما أنه يقسم أرزاقهم فى الدنيا فى مثل ذلك ،  
 لا يقدر أحد<sup>٢</sup> أن ينفك عن عقابه بمطاوله<sup>٣</sup> فى الحساب ولا مغالطة<sup>٤</sup>  
 فى ثواب ولا عقاب ، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى فكر وروية ولا عقد  
 و [ لا -<sup>٥</sup> ] كتابة ، فلا يشغله حساب<sup>٦</sup> عن حساب<sup>٦</sup> ولا شيء عن شيء . . . ه  
 ولما تعرف بأفعاله وشؤنه حتى اتضحت وحدانيته وثبتت فردانيته ،  
 ذكرهم أحوالهم فى إقرار توحيده<sup>٧</sup> وقت الشدائد والرجوع عن ذلك  
 عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئا وأكد له الميثاق  
 / على الشكر ، فلما أحسن إليه باعطائه سؤله نقض عهده وبالغ فى الكفر<sup>٨</sup> ،  
 ٢٠٩ / و ذلك عندهم فى غيبة من القبائح لا توصف<sup>٩</sup> فقال : ( قل ) أى ١٠  
 لهؤلاء الذين يدعون محاسن الأعمال ( من ينجيكم ) أى كثيرا وعظيما  
 ( من ظلمت البر والبحر ) أى حيث لا هداية لكم بنجم ولا جبل  
 ولا غيرهما ، أو عبر بالظلمات عن الكروب<sup>١١</sup> التى بلغت شدتها [ إلى أن  
 صاحبها يكون كأنه فى أشد ظلام ، فهو بحيث -<sup>١٢</sup> ] أنه لا يهتدى فيها إلى وجه  
 حيلة بنوع وسيلة ( تدعونه ) أى على وجه الإخلاص له والتوحيد ١٥  
 والإعراض عن كل شرك<sup>١٣</sup> وشريك لزوال الخطوط عند إحاطة الرعب  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : تقل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : مطاولة (٤) من  
 ظ ، وفى الأصل : مغالطة (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .  
 (٧-٧) فى ظ : الأفراد بتوحيده (٨) فى ظ : الفكر (٩) فى ظ : لا يوصف (١٠) من  
 ظ ، وفى الأصل : الكرب (١١) من ظ ، وفى الأصل : شريك .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ٦٣ - ٦٥) ج - ٧

واستلآته على مجامع القلب ، فلا يبق إلا الفطرة السليمة ؛ قال  
الإمام عبد الحق الإشيلي في كتابه الواعي : ﴿ تضرعا ﴾ أى مظهرين  
الضراعة ، وهى شدة الفقر ، وحقيقته ' الخشوع ' ﴿ و ﴾ قوله : ﴿ خفية ﴾  
أى تخفون فى أنفسكم مثل ما تظهرون ؛ قال شمر<sup>١</sup> : يقال : ضرع له وضرع  
هـ و تضرع أى تخشع<sup>٢</sup> و ذل ؛ ثم قال : و ضرع الرجل يضرع ضرعا -  
إذا استكان و ذل ، و هو ضارع بين الضراعة ، و هؤلاء قوم ضرع ،  
أى إذلاء ، و هم ضرعة أى متضرعون ، و التضرع إلى الله : التخشع  
إليه و التذلل ، و إذا كان الرجل محتال الجسم قلت : إنه لضرع الجسم  
بين الضروع ، و فى الذل بين الضراعة - انتهى .

١٠ ولما بين وصفهم وقت الدعاء ، بين قولهم إذ ذاك فقال<sup>٣</sup> :  
﴿ لن انجيتنا من هذه ﴾ فأكدوا وخصوا وبنوا<sup>٤</sup> غاية البيان  
﴿ لنكونن من الشكرين هـ ﴾ أى العريقين فى الشكر ؛ ولما كانوا مقرين  
بأن فاعل ذلك هو الله ، و لكنهم يكفرون نعمته ، عدوا منكرين ،  
فأمره بالجواب غير منتظر لجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له جميع  
١٥ العظمة ﴿ بنجيكم منها ﴾ أى [ من - ٥ ] تلك الشدة ﴿ و من كل كرب ﴾

(١) فى ظ : حقيقة (٢) فى ظ : شمر - كذا ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو  
شمر بن حمدويه الهروى - راجع معجم المؤلفين ٤ / ٣٠٦ (٣) من ظ ، و فى  
الأصل : يخشع (٤) فى ظ : صفتهم (٥) سقط من ظ (٦) وقرأ أهل الكوفة :  
أنجانا - بلفظ الغيبة مراعاة لتدعونه دون حكاية خطابهم فى حالة الدعاء - راجع  
روح المعانى ٢ / ٤٩٦ (٧) زيد من ظ .

أى وقعتم فيه ، وما أعظم موقع قوله : ( ثم اتم ) مع التزام الإخلاص في وقت الكرب و مع التزام الشكر ( تشكرون <sup>١</sup> ) مشيرا إلى استبعاد نقضهم بأداة التراخي مع ما فيه من الجناس لما كان ينبغي لهم من أنهم يشكرون <sup>٢</sup> .

ولما كانوا باشرأكلهم <sup>٣</sup> كأنهم <sup>٤</sup> يظنون أن الشدة زالت عنهم زوالا ه لا يعود ، وكان اللائق بهم دوام التذلل إما وفاء وإما خوفا ، أخبرهم ترهيبا لهم من سطوته وتحذيرا من بالغ قدرته أن <sup>٥</sup> شدتهم تلك التي <sup>٦</sup> أذلهم لم تزل في الحقيقة ، فان قدرة الملك عليها حالة <sup>٧</sup> الرخاء كقدرته عليها في وقتها سواء ، فانه <sup>٨</sup> خالق الحالتين وأسبابهما وما فيهما ، ولكنهم عمى الأبصار <sup>٩</sup> أجلاف الطبايع فقال : ( قل هو ) أى وحده ( القادر ) ١٠ [ ولم يصغه صيغة مبالغة لأنهم لم يكونوا ينكرون قدرته إنما كانوا يدعون المشاركة <sup>١١</sup> التي نقاها <sup>١٢</sup> بالتخصيص ، على أن التعريف يفيد به المبالغة - ] ( على أن يبعث ) أى فى أى <sup>١٣</sup> وقت يريد <sup>١٤</sup> ( عليكم ) أى فى كل حالة ( عذابا من فوقكم ) باسقاط السماء قطعا أو شيء منها كالحجارة التي حصب <sup>١٥</sup> بها قوم لوط وأصحاب القيل أو <sup>١٦</sup> بتسليط أكابرهم

- (١) من ظ و القرآن الكريم . وفى الأصل : تشكرون (٢) فى ظ : يشركون .  
(٣) فى ظ : باشرأكلهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الى .  
(٦) فى ظ الذى (٧) فى ظ : حال (٨) من ظ ، وفى الأصل : فان (٩) فى الأصل :  
الابصار ، وفى ظ : البصار (١٠ - ١١) فى ظ : الذى نقاها (١١) زيد ما بين  
الحاجزين من ظ (١٢) فى ظ : كل (١٣) من ظ ، وفى الأصل : يريد (١٤) فى ظ :  
خصت (١٥) من ظ ، وفى الأصل : و .

(او من تحت ارجلكم) أى بالحسف أو إثارة الحيات أو غيرها<sup>١</sup> من الأرض كما وقع لبعض من سلف، أو بتسليط سفلكم و عيذك<sup>٢</sup> [عليكم-<sup>٣</sup>]  
 (او بلبسكم) أى يخطط بينكم حال كونكم (شيما) أى متفرقين، كل شيعة على هوى، فيكون ذلك سببا للسيف (و يذيق بعضكم) أى بعض تلك الشيع (باس بعض<sup>٤</sup>) فيسارى فى ذلك بين الحرم وغيره،  
 و يصير التخطف بالنهب والغارات عاما، و سوق هذا الكلام هكذا يفهم إيقاعه فى وقت ما للناس ما، لأن كلام الملوك يسان عن أن لا يكون له صورة توجد وإن كان على سبيل الشرط ونحوه، فكيف بملك الملوك علام الغيوب! و للتدريب على مثل هذا الفهم فى كلام الله تعالى  
 ١٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى فى التفسير عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: أما إنها كائنة. ولم يأت تأويلها بعد. و قال:  
 حسن غريب، / و سيأتى لهذا مزيد بسط و تحقيق فى قوله تعالى فى الفرقان / ٢١٠  
 "تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك"<sup>٥</sup> - الآية.

ولما كان هذا بيانا عظيما، أشار إلى عظمه بقوله: (انظر)  
 ١٥ و عظمه تعظيما آخر بالاستفهام فقال (كيف نصرف<sup>٦</sup> الأيت) أى أى نكرها<sup>٧</sup> موجهة فى جميع [الوجوه-<sup>٨</sup>] البديعة النافعة البليغة (للمهم يفقهون<sup>٩</sup>) أى ليكون حالهم حال من يرجى فهمه و ارتفاعه به، كان هذا (و) الحال أنه (كذب به) أى هذا العذاب

(١) فظ: اشارة (٢) من ظ، وفى الأصل: غيرها (٣) زيد من ظ (٤) آية ١٠-  
 (٥) فظ: يصرف (٦) فظ: يكررها.

أو القرآن المشتمل على الوعد والوعيد والاسباب المهيئة للخلق جميع ما يفهمه ليلزموه<sup>١</sup> وما يضرهم ليحذروه<sup>٢</sup> ( قومك ) أى الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك ويسروا بسيادتك ، فإن القيلة إذا ساد أحدها عرت به ، فإن عزه عزها وشرفه شرفها ، ولا سيما إذا كان<sup>٣</sup> من بيت الشرف ومعدن السيادة ، وإذا سفل أحدها اهتمت به غاية الاهتمام وسترته<sup>٤</sup> عيوبه منها أمكنها<sup>٥</sup> فإن عاره لاحق بها ، فهو من عظيم التوبيخ لهم<sup>٥</sup> ودقيق التقريع ، وزاد ذلك بقوله : ( وهو ) أى والحال أنه ( الحق<sup>٦</sup> ) أى الثابت الذى لا يضره التكذيب به ولا يمكن زواله . ولما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه ، كان صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام بمعرض أن يخاف عاقبة ذلك ويقول : فاذا<sup>٧</sup> ١٠ أصنع بهم ؟ فقال تعالى معلما أنه ليس عليه بأس من تكذيبهم : ( قل لست ) وقدم الجار والمجرور للاهتمام به معبرا بالأداة الدالة على القهر والغلبة فقال<sup>٨</sup> : ( عليكم بوكيل<sup>٩</sup> ) أى حفيظ وراقب لأفهركم على الرد عما أنتم فيه .

ولما كانوا بصد أن يقولوا تهكما : كن كذلك ، فلا علينا<sup>١٠</sup> منك ١٥ قال مهددا : ( لكل ) وأشار إلى جلالة خبره بقوله : ( نبا ) [ أى خبر أخبرتم به من هذه الأخبار العظيمة - <sup>١١</sup> ] ، ومعنى ( مستقرز ) (١) فى ظ : فيلزموه (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليحذرون (٣) فى ظ : كاتب - كذا (٤) فى ظ : اسمها (٥) فى ظ : بهم (٦) فى ظ : فا (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : عليك (٩) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

موضع<sup>١</sup> أو وقت<sup>٢</sup> قرار من صدق أو كذب، أى لا بد أن [يحط -<sup>٣</sup>] الخبر  
على واحد منهما<sup>٤</sup>، لا ينفك خبر من الأخبار عن ذلك (وسوف تعلمون<sup>٥</sup>)  
أى يحط خبره العظيم بوعده صادق<sup>٦</sup> لا خلف فيه وإن  
تأخر وقوعه .

٥. ولما أمره بما يقول جواباً لتكذيبهم، تقدم إليه فيما يفعل وقت  
خوضهم في التكذيب فقال : ﴿ واذا رايت ﴾ خاطب النبي صلى الله  
عليه وسلم والمراد غيره ليكون أردع ﴿ الذين يخوضون ﴾ أى يتكلمون  
﴿ فى البتة ﴾ أى بغير تأمل ولا بصيرة بل طوع الهوى ، كما يفعل  
خائض الماء فى وضعه لرجله على غير بصيرة لستر<sup>٧</sup> مواضع الخطأ  
١٤. وبغير<sup>٨</sup> تمام الاختيار لغلبة الماء ﴿ فاغرض عنهم ﴾ ترك المجالسة  
أو ما يقوم مقامها ؛ ولما كان الخوض فى الآيات دالاً على قلة العقل  
قال : ﴿ حتى يخوضوا فى حديث غيره<sup>٩</sup> ﴾ لحكم على حديثهم فيما سوى  
ذلك أيضاً بالخوض ، لأن فيه الغث والسمين ، لأنه غير مقيد  
بنظام الشرع .

١٥. ولما كان الله تعالى - وله الحمد - قد رفع حكم النسيان عن هذه الأمة<sup>١٠</sup> ،  
قال مؤكداً : ﴿ وأما بنيناك الشيطان ﴾ أى إنساء عظيماً إشارة إلى أن  
مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسى ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ أى

(١-٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ،  
وفى الأصل : منها (٤) - سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لسند .  
(٦) فى ظ : تغير (٧) من ظ ، وفى الأصل : اغسله - كذا .

التذكر لهذا النهى ﴿ مع القوم الظلمين ﴾ أظهر موضع الإضمار تعميماً  
و دلالة على الوصف الذى هو سبب الخوض ، وهو الكون فى الظلام .  
ولما كانت هذه الآية <sup>١</sup> مكية ، وكانوا إذ ذاك عاجزين عن <sup>٢</sup> الإنكار  
بغير القلب ، قال : ﴿ وما على الذين يتقون ﴾ أى يخافون الله فلا يكذبون  
بآياته [ فى مجالسة الكفرة - <sup>٣</sup> ] ﴿ من حسابهم ﴾ أى الخائضين إذا كانوا هـ  
أقوى منهم ﴿ من شيء ﴾ وما نهينا عن المجالسة لأن عليهم فيها - والحالة  
هذه - إنما ﴿ ولكن ﴾ نهينا لتسكون المفارقة إظهاراً للكراهة ﴿ ذكرى ﴾  
للخائضين لاستحيائهم من أذى الجليس \* ﴿ لعلمهم يتقون ﴾ أى ليكون  
حالمهم بذلك حال من يرجى منه التقوى ، فيجتنب الخوض فى الآيات  
/ إكراماً للجليس .

ولما أبرز هذا الأمر فى صيغة النهى ، أعاده بصيغة الأمر  
اهتماماً به <sup>٤</sup> ، وتأكيده له ، وأظهر لهم وصفاً آخر هو غاية الوصف الأول  
مع ما ضم إليه من الإرشاد إلى الإنقاذ من المعاطب <sup>٥</sup> فقال : ﴿ وغير ﴾  
أى اترك <sup>٦</sup> أى ترك كان <sup>٧</sup> ولو كان على أدنى الوجوه ﴿ الذين اتخذوا ﴾  
أى كفّلوا أنفسهم فى اتباع الهوى بمخالفة العقل المستقيم والطبع الفطرى <sup>٨</sup>  
السليم بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ على نمط الأسخف من دينهم ؛ [ ولما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) زيد من ظ (٤) من  
ظ ، وفى الأصل : الكراهة (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحبس (٦) فى ظ :  
المخاطب (٧-٧) موضعه فى ظ : وما يتبعه من البحار والسوايب ونحو ذلك  
فلا تبال بهم ولا يشغل قلبك أمرهم - كذا ، وهذه العبارة تتأق بقرى يسير .

الدين ملكة راسخة في النفس، ' ولا شيء ' من كفيات النفس أرسخ منها  
ولا أثبت، وهو أشرف ما عند الإنسان، وكان اللعب ضده لا شيء.  
أسرع من انقضائه ولا أوهى من بنائه، قال ذاماً<sup>٢</sup> لهم بأنهم بدلوا مقصود  
هذه السورة - الذي هو من الاستدلال على التوحيد الذي لا أشرف منه  
مطلقاً ولا أعلى ولا أنقى بوجه ولا أحلى - بما لا أدى منه ولا أوهى  
ولا أحق للمروءة ولا أدهى<sup>٣</sup> : ﴿لعباً﴾ [ولما كان ربما قيل :  
إنهم إذا انقضى اللعب عادوا إلى الاشتغال بالدين، أنبعه الباعث عليه  
إشارة إلى أنه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس إليه باللهو كما ترى الرافض  
كلما فتر في رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو أو الانتقال من فن إلى آخر  
١٠ من فنونه و شأن بديع من شئونه<sup>٤</sup> فقال -<sup>٢</sup> : ﴿ولهوا﴾ [أى -<sup>٢</sup>  
في الاستهزاء بالدين الحق<sup>٥</sup> بالمكاهم والتصدية وبالبحائر والسواحب وغير  
ذلك، فلا تبال بهم ولا يشغل قلبك بهم<sup>٦</sup> ﴿وغرتهم﴾ أى خدعتهم  
﴿الحياة الدنيا﴾ التى هم من أعرف الناس بزوالها، وأن كل من بها  
هالك، ففشتهم النعم التى منّ عليهم سبحانه بها فيما لا ينالونه من السعادة  
١٥ إلا باتباع أوامره واجتناب نواهيه :

ولما كان ربما أفهم ذلك تركهم في كل حالة، فقاء بقوله :  
﴿وذكر به﴾ أى تحديث<sup>٧</sup> الآيات، وهى القرآن المتجدد لإزاله،

(١-١) في ظ : الاسى - كذا (٢) في ظ : اذا ما - كذا (٣) زيد ما بين  
الحاجزين من ظ (٤) في ظ : شاه (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ -  
(٦) من ظ ، وفي الأصل : تحذير .



والضمير في الحقيقة للآيات ، أى دعهم<sup>١</sup> يفعلوا ما أرادوا ، لا تبال بشيء<sup>٢</sup> من ذلك ، ولا ترك<sup>٣</sup> وعظهم بهذا القرآن ، أى ما عليك إلا البلاغ ، لم نكلفك<sup>٤</sup> في هذه الحالة أكثر<sup>٥</sup> منه ( ان تبسل ) قال في المجلد : البسل : النخل<sup>٦</sup> ، وأبسلته : أسلته للهلكة<sup>٧</sup> ، فالمنى : كراهة أن تخلى وتسلم ( نفس بما ) أى بسبب ما ( كسبت<sup>٨</sup> ) في دنياها كائنه ( ليس لها من ه دون الله ) أى المفرد بالعظمة ( ولى ) أى يتولى<sup>٩</sup> نصرها ( ولا شفيع<sup>١٠</sup> ) بنقذها بشفاعته .

ولما كان الفداء من أسباب الخلاص قال : ( و ان تعدل ) أى تلك النفس لأجل التوصل إلى الفكاك ( كل عدل ) أى كل شيء يظن أنه يعدلها ولو كان أنفس<sup>١١</sup> شيء<sup>١٢</sup> ؛ "ولما" كان الضار عدم الأخذ ، لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ( لا يؤخذ منها<sup>١٣</sup> ) ولما أتج<sup>١٤</sup> ذلك قطعا أن من هذا حاله هالك ، قال : ( أولئك ) أى الذين عملوا<sup>١٥</sup> هذه الأعمال البعيدة عن الخير ( الذين اسبلوا ) أى أسلبوا ( بما كسبوا<sup>١٦</sup> ) ثم استأنف قوله<sup>١٧</sup> : ( لهم شراب من حميم ) أى هو في غاية الحر يصهر به

(١) من ظ ، وفي الأصل : دعاهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : شيء (٣) في الأصل و ظ : لا يترك (٤) في ظ : لم تكلف (٥) من ظ ، وفي الأصل : لاكثر (٦) في ظ : المحل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : متول (٩) في ظ : لما (١٠) في ظ : الشيء (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقين من ظ (١٣) زيد بعده في ظ : من (١٤) من ظ ، وفي الأصل : عهدوا (١٥) من ظ ، وفي الأصل : بقوله .

ما في بطونهم ، بما اعتقدوا في الآيات ما ظهر على ألسنتهم ﴿ و عذاب اليم ﴾  
 أي يعم ذاتا ظواهرهم و بواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن  
 ﴿ بما ﴾ أي سبب ما ﴿ كانوا يكفرون ﴾ أي يحددون<sup>١</sup> من تقطبة الآيات .  
 ولما تقرر أن غير الله لا يمنع من الله بنوع<sup>٢</sup> ، لا آلهتهم التي زعموا أنها<sup>٣</sup>  
 ٥ شفعائهم ولا غيرها ، ثبت أنهم على غاية اليقينة من أن كل ما سواه لا ينفع  
 شيئا ولا يضر ، فكان في غاية التبسكيت لهم قوله : ﴿ قل ﴾ أي بعد  
 ما أقمت من الأدلة على أنه ليس لاحد مع الله أمر ، منكرا عليهم  
 موجحا لهم ﴿ اندعوا ﴾ أي دعاء عبادة ، وبين حقارة معبوداتهم فقال :  
 ﴿ من دون الله ﴾ أي المنفرد بجميع الأمر .

١٠ ولما كان السياق لتعداد النعم " الذي خلق السموات والارض ،  
 "خلقكم من طين" ، " يطعم ولا يطعم " ، " ويرسل عليكم حفظة " ،  
 " من ينجيكم من ظلمات البر والبحر " ، " الله ينجيكم منها ومن كل  
 كرب " قدم النفع في قوله : ﴿ ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ أي لا يقدر  
 على شيء من ذلك ، ليكونوا على غاية اليأس من<sup>٤</sup> اتباع حزب<sup>٥</sup> الله  
 ١٥ هم ، وهذا كالتعليل لقوله " اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من  
 دون الله " :

ولما ذكر عدم المنفعة في دعائهم ، أشار إلى وجود الخسارة في

(١) من ظ ، وفي الأصل : يحددون (٢) زيد بعده في ظ : منهم (٣) زيد بعده  
 في ظ : زعموا (٤) سقط من ظ (٥) في ط : انهت (٦) من ظ ، وفي الأصل :  
 عن (٧-٧) في ظ : ايقاع الحرب .

رجائهم فقال: ﴿ و نرد ﴾ أى رجوعنا إلى الشرك، [ وبناءه للمفعول لأن المنكر الرد نفسه من أى راد كان - ٢ ] ﴿ على أعقابنا ﴾ أى فآخذ في الوجه المخالف لقصدنا فصيّر كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود ﴿ بعد اذ هدّنا الله ﴾ أى الذى لا خير إلا وهو عنده ولا ضرر إلا وهو قادر عليه، إلى التوجه نحو المقصد، ووقفنا له وأنقذنا من الشرك . ٥

ولما صور حالهم، مثله فقال: ﴿ كالذى ﴾ أى نرد من علو القرب إلى المقصود إلى سقول البعد / عنه ردا كرد الذى ﴿ استهوته ﴾ أى طلبت نزوله [ عن درجته - ٤ ] ﴿ الشيطان ﴾ فأنزله عن أفق مقصده إلى حضيض معطبه، شبه حاله بحال من سقط من عال في مهواة مظلمة فهو في حال هويّة في غاية الاضطراب وتحقق التالف والعمى عن ١٠ الخلاص ﴿ في الارض ﴾ حال كونه ﴿ حيران ﴾ ثائها ضالا، لا يهتدى لوجهه ولا يدرى كيف يسلك، ثم استأنف قوله: ﴿ له ﴾ أى هذا الذى هوى ١٢ ﴿ اصحب ﴾ أى عدة، ولكنه لتمكن الحيرة منه لا يقبل ﴿ يدعونه الى الهدى ﴾ وبين دعاءهم بقوله: ﴿ اتنا ﴾ وهو قد اعتسف المهمة تابعا للشياطين، لا يجيهم ولا يأتهم لأنه قد غلب على نفسه، ١٥ وحيل ٣ بينه و٣ بين العبر والنزوان .

- (١) من ظ ، وفي الأصل : رجوعنا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : فياخذ (٤) من ظ ، وفي الأصل : امر (٥) من ظ ، وفي الأصل : التوجيه . (٦) في ظ : القرآن (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) من ظ ، وفي الأصل : مهول مظلمه (١٠) في ظ : مهوية - كذا (١١) في ظ : حالة (١٢) في ظ : هو . (١٣ - ١٣) سقط ما بين الرقين من ظ .

ولما كان هذا مما يعرفونه و شاهدوه مرارا ، و كانوا عالمين بأن  
دعاء أصحابه له <sup>١</sup> في غاية النصيحة و الخير ، و أنه إن تبعهم نجاء ، و إلا هلك  
هلاكا لا تدارك له ، فكان جوابهم : إن دعاء أصحابه له <sup>١</sup> هدى ، بين أنه  
مضمحل تافه جدا بحيث <sup>٢</sup> أنه يجوز أن يقال : ليس هدى بالنسبة إلى  
هـ هذا الذى يدعوهم إليه ، بقوله : ﴿ قل ان هدى الله ﴾ أى المستجمع  
لصفات الكمال ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الهدى <sup>٣</sup> ﴾ أى لا غيره كدعاء  
أصحاب المستهوى ، بل ذاك الهدى مع إنقاذه من الهلاك [ إلى - <sup>٢</sup> ]  
جنب هذا الهدى كلا شيء ، لأن الشيء هو الموصل إلى سعادة الأبد .

ولما كان التقدير : فقد أمرنا أن نلزمه و نترك كل ما عداه ،  
١٠ عطف عليه أمرا عاما فقال : ﴿ و امرنا لنسلم ﴾ أى ورد علينا الأمر  
من لا أمر لغيره بكل ما يرضيه لأن نسلم بأن نوقع الإسلام و هو الانقياد  
التام فتتخلى عن كل هوى ، و أن نقيم الصلاة بأن نوقعها بجميع حدودها  
الظاهرة و الباطنة فتتخلى <sup>٤</sup> بفعلها أشرف حلى ﴿ لرب العلين <sup>٥</sup> ﴾ أى  
لإحسانه إلى كل أحد بكل شيء خلقه ؛ ثم فسر المأمور به ، فكأنه  
١٥ قال : أن أسلبوا ﴿ و ان اقيموا الصلوة ﴾ لوجهه ﴿ و اتقوه <sup>٦</sup> ﴾ مع  
ذلك ، أى افعلوها لا على وجه الهزء و اللعب ، بل على وجه التقوى  
و المراقبة ليدل <sup>٦</sup> ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للحسن .

ولما كان التقدير : فهو الذى ابتداء خلقكم من طين فاذا أتم بشر  
مصورون <sup>٧</sup> ، و جعلكم أحياء فبقدرته على مدى الأيام تنثرون <sup>٨</sup> ، عطف

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تحسب - كذا .

(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل : فيحلى ، وفى ظ : فيتخلى .

(٦) زيد بعده فى ظ : على (٧) فى ظ : تنثرون (٨) من ظ ، وفى الأصل : تنثرون .

عليه قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي إِلَهَ ﴾ أى لا إلى غيره بعد بعثكم من الموت ﴿ تَحْشَرُونَ ۝ ﴾ فأتى بالبعث الذى هم له منكرون لكثرة ما أقام من الأدلة على تمام القدرة فى سياق دال على أنه بما لا مجال للخلاف [فيه - ' ] ، وأن النظر إنما هو فيما وراء ذلك ، وهو أن عملهم للباطل سَوْغ تزيلهم منزلة من <sup>٢</sup> يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه بمن لا قدرة ٥ له على جزائهم ، فأخبرهم أن الحشر إليه لا إلى غيره ، لأنه <sup>٢</sup> لا كلام هناك لسواه ، فلا علق بين المحشورين ولا تناصر كما فى الدنيا ، والجملة مع ذلك كالتعليل للامر باليقوى ، وقد بان أن الآية من الاحتباك ، فانه حذف الصلاة أولاً لدلالة ذكرها ثانياً ، والإسلام ثانياً لدلالة ذكره أولاً .

ولما كانوا بعبادة غيره تعالى - مع إقرارهم بأنه [ هو - ' ] خالق ١٠ السماوات والأرض - فى حال من يعتقد أن ذلك الذى يعبدونه من دونه هو الذى خلقهما ، أو شاركا فيها . فلا قدرة لغيره على حشر من فى مملكته ، قال تعالى منها لهم من غفلتهم وموقظا من رقبتهم معيدا الدليل الذى ذكره <sup>٢</sup> أول السورة على وجه آخر: ﴿ وَهُوَ ﴾ أى وحده ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ أى أوجد و اخترع وقدر ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ١٥ [ أى - ' ] على عظمهما وفوت ما فيها من الحكم والمنافع الحصر ﴿ بِالْحَقِّ ۝ ﴾ أى بسبب إقامة الحق ، وأتم ترون أنه غير قائم فى هذه الدار ولا هو قريب من القيام ، فوجب على كل من يعلم أن الله حكيم

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل: ذكر (٤) سقط من ظ .

نظم الدرر ( سورة الأنعام : ٦٧٣ و ٧٤ ) ج - ٧

خير أن يعتقد أنه لا بد من بعثة العباد [ بعد -<sup>١</sup> ] موتهم - كما وعد بذلك -  
ليظهر العدل بينهم ، فيبطل كل باطل<sup>٢</sup> ويحق كل حق ، ويظهر الحكم<sup>٣</sup>  
لجميع الخلق .

ولما قرر أن / إقامة الحق هي المراد ، قرر قدرته عليها بقوله :  
٥ ( و يوم يقول ) أى للخلق<sup>٤</sup> ولكل<sup>٥</sup> شئ يريد في هذه الدار و تلك  
الدار ( كن فيكون<sup>٦</sup> ) أى فهو<sup>٧</sup> يكون لا يتخلف<sup>٨</sup> أصلا .

ولما قرر أنه لا يتخلف شئ عن أمره . علله فقال : ( قوله الحق<sup>٩</sup> )  
أى لا<sup>١٠</sup> قول غيره<sup>١١</sup> ، لأن أكثر قول غيره باطل ، لأنه يقول شيئا  
فلا يكون ما أراد ؛ ولما كان في مقام الترهيب من سطوته ، قال مكررا  
١٠ لقوله " وهو الذى إليه تحشرون " : ( وله<sup>١٢</sup> ) أى وحده بحسب الظاهر  
والباطن ( الملك يوم ) ولما كان المقصود تعظيم النفخة ، بنى للفعول  
قوله : ( ينفخ فى الصور<sup>١٣</sup> ) لا نقطاع العلائق بين الخلائق ، لا كما  
ترون فى هذه الدار من تواصل الأسباب ، وقوله - : ( علم الغيب ) وهو  
ما غاب عن كل ما سواه سبحانه ( والشهادة<sup>١٤</sup> ) وهو ما<sup>١٥</sup> صار بحيث  
١٥ يطلع عليه الخلق - مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتى  
إن شاء الله تعالى [ فى ظه<sup>١٦</sup> -<sup>١</sup> ] من تمام الترهيب ، أى أنه لا يخفى عليه شئ .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بما بطل (٣) فى ظ : الحكمة (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
الجميع (٥) من ظ ، وفى الأصل : للحق (٦) فى ظ : كل (٧) سقط من ظ .  
(٨) فى ظ : فلا يتخلف (٩-١٠) من ظ ، وفى الأصل : غير قوله (١٠) فى ظ :  
العلائق (١١) من ظ ، وفى الأصل : على .

من أحوالكم، فاحذروا جزاءه يوم تنقطع<sup>١</sup> الأسباب، ويذهب التعاضد والتعاون، وهو على عادته سبحانه في أنه [ ما - ٢ ] ذكر أحوال البعث إلا قرر فيه أصلين: القدرة على جميع الممكنات، والعلم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات، لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين ( وهو ) أى وحده ( الحكيم ) أى التام الحكمة، فلا يضع شيئاً في غير محله ولا على غير إحكام، فلا معقب لأمره، فلا بد من البعث ( الخيره ) بجميع الموارد والمصادر، فلا خفاء لشيء<sup>٢</sup> من أفعال أحد من الخلق عليه في ظاهر ولا باطن ليهملهم عن الحساب.

ولما كان مضمون هذه الآيات [ مضمون الآيات - ٢ ] الثلاث

- المفتتح بها السورة الهادمة؛ لمذهب الثنوية، وهم أهل فارس قوم إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام يعرف بفضل جميع الطوائف، لأن أكثرهم من نسله كاليهود والنصارى والمشركون من العرب، والمسلمون لما يعلمون من إخلاصه لله تعالى وانتصابه لمحاكاة من أشرك به واحتمال الأذى فيه سبحانه، تلاها بمحاجته<sup>٣</sup> لهم بما أبطل مذهبهم وأدحض حججهم<sup>٤</sup> فقال: ( واذ ) أى اذكر ذلك المتقدم كله لهم ١٥ في الدلائل على اختصاصنا بالخلق وتام القدرة، ما أعظمه وما أجله وأضخمه<sup>٥</sup> وتفكر في عجائبه وتدبر في دقائقه<sup>٦</sup> وغرائب<sup>٧</sup> تجد ما لا يقدر على مثله إلا الله، واذكر إذ ( قال إبراهيم ) أى اذكر قوله، وحكمة (١) من ظ، وفي الأصل: ينقطع (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: شيء (٤) من ظ، وفي الأصل: الهادية - كذا (٥ - ٥) في ظ: بما (٦) في ظ: حجته (٧ - ٧) سقط ما بين الرقعين من ظ.

التذكير بوقته التنبؤ على أن هذا لم يزل ثابتا مقررا على ألسنة جميع الأنبياء في جميع الدهور ، و كان في هذه الحاجة التصريح بما لوح إليه [أول - ٢] هذه السورة من إبطال هذا المذهب ، و انعطف هذا على ذلك أى انعطاف ١ و صار كأنه قيل : تم الذين كفروا برهيم يعدلون الأصنام ، النجوم و النور و الظلمة ، فنبههم يا رسول الله على ذلك بأنه لا متصرف غيرنا ، اذكر لهم أى أنا الذى خلقتهم ٢ و خلقت جميع ما يشاهدون من الجواهر و الأعراض ، فان تنبهوا فهو حظهم ، و إلا فاذكروهم بحاجة خليلنا إبراهيم عليه السلام [إذ قال - ٣] ﴿لأبيه﴾ ثم بينه في قراءة الجر بقوله : ﴿أزر﴾ و ناداه في قراءة يعقوب بالضم ؛ قال البخارى في تاريخه الكبير : إبراهيم [بن - ٤] أزر ، و هو في التوراة : تارح ٥ - انتهى . و قد مضى ذلك عن التوراة في البقرة ، فلعل أحدهما لقب ، و كان أهل تلك البلاد و هم الكلدانيون ، و يقال لهم أيضا الكسدانيون - بالمهملة موضع اللام - يعتقدون إلهية النجوم في السماء و الأصنام في الأرض و يجعلون لكل نجم صنما ، ١٥ إذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم اشفع لهم - [كما - ٦] زعموا - إلى النجم ، فقال عليه السلام لأبيه منكرا عليه منها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه : ﴿اتخذ﴾ أى أتكلف نفسك (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : خلقتهم (٥) من ظ ، و في الأصل : قادر (٦) من ظ ، و في الأصل : الحيز (٧) زيد من ظ و التاريخ الكبير ١/١٠٥ (٨) و في تاريخ يعقوب ١/٢٣ : تاريخ .



إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى بأن تجعل<sup>١</sup> (أصناما لله ج) أى تعبدما وتخضع لها ولا تقع فيها ولا ضرر، فنبه<sup>٢</sup> بهذا الإنكار على أن معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج إلى كثير<sup>٣</sup> تأمل، بل هو أمر بديهى<sup>٤</sup> أو قريب منه، فإنهم يباشرون أمرها بجميع جوانبهم<sup>٥</sup> و يعلمون أنها مصنوعة وليست بصانعة، وكثرتها تدل على بطلان إلهيتها بما أشار<sup>٥</sup> إليه قوله تعالى "لو كان فيها إلهة إلا الله لفسدنا<sup>٦</sup>".

ولما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه، عم بقية أقاربه فقال: (أنى آرنك وقومك) أى فى اتفاقكم على هذا (فى ضلل) أى بعده عن الطريق<sup>٧</sup> المستقيم (مين) أى ظاهر جدا يديه العقل مع مخالفته لكل نبي نبأه الله تعالى من آدم عليه السلام فن بعده، فهو مع ظهوره<sup>١٠</sup> فى نفسه مظهر للحق من أن الإله لا يكون إلا كافيا لمن يعبد، وإلا كان فقيرا إلى تأله من يكفيه.

ولما كان كأنه قيل: بصرنا<sup>٨</sup> إبراهيم عليه السلام هذا التبصير<sup>٩</sup> فى هذا الأمر الجرىء من بطلان الأصنام، قال عاطفا عليه: (وكذلك) أى ومثل هذا التبصير<sup>١٠</sup> العظيم الشأن، وحكى الحال الماضية بقوله: (زى) ١٥ أى بالبصر والبصيرة على مر الزمان وكر الشهور والاعوام إلى ما لا

(١) من ظ، وفى الأصل: يجعل (٢) من ظ، وفى الأصل: فدل (٣) فى ظ:

كبير (٤) فى ظ: بديه (٥) من ظ، وفى الأصل: حواسهم - كذا (٦) سورة ٢١

آية ٢٢ (٧) فى ظ: الصراط (٨) فى ظ: نصرنا (٩) فى ظ: التنصير (١٠) فى

ظ: التنصير - كذا.

آخر له [ بنفسه و الصلحاء من أولاده - ١ ] ﴿ ابراهيم ملكوت ﴾ أى  
باطن ملك ﴿ السموات و الارض ﴾ أى ملكهما العظيم أجمع وما فيه  
من الحكم، ليرسخ في أمر التوحيد فيعلم<sup>٢</sup> أن كل من عبد غير الله من  
صنم و غيره من قومه و غيرهم في ضلال، كما علم ذلك في قومه في  
الاصنام ﴿ و ليكون من الموقنين ه ﴾ أى الراسخين في وصف الإيقان  
في أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه يبصره و بصيرته،  
فتأمل فيه حتى وقع [ فيه - ١ ] بعد علم اليقين على عين<sup>٣</sup> اليقين بل  
حق اليقين .

ولما كانت الأمور السماوية مشاهدة لجميع الخلق : دانيهم و قاصيهم،  
١٠. وهى أشرف من الأرضية ، فاذا بطلت صلاحيتها للالهية بطلت الأرضية  
من باب الاولى : نصب لهم الحجاج في أمرها ، فقال مسيا عن الإراءة  
المذكورة: ﴿ فلما جن ﴾ [ أى - ١ ] ستر و أظلم ، وقصره<sup>٤</sup> - وإن كان  
متعديا - دلالة على شدة ظلام تلك الليلة ، و لذلك عداه بأداة الاستعلاء  
فقال: ﴿ عليه<sup>٥</sup> آيل ﴾ أى وقع<sup>٦</sup> الستر عليه ، فحجب ملكوت الأرض فشرع  
١٥ ينظر في ملكوت السماء ﴿ را<sup>٧</sup> كوكبا ﴾ أى<sup>٨</sup> قد بزغ ، فكأنه قيل : فاذا<sup>٩</sup>

- (١) زيد من ظ (٢) تقدم في الأصل على « أى باطن » و الترتيب من ظ .  
(٣) من ظ ، وفي الأصل : فنعلم (٤) في ظ : او (٥) في الأصل و ظ : غير -  
كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : قصر (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : اوقع .  
(٩) من ظ ، وفي الأصل : بماذا .

فل؟ قليل: ( قال هذا ربى ٤ ) فكأنه ١ من بصره ٢ أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبراً واستفهاماً، ليومهم ٣ أنه مخبر، فيكون ذلك أننى ٤ للغرض وأنبى من الشعب، فيكون أشد استجلاباً لهم إلى إنعام النظر وتنبهها على موضع الغلط وقبول الحجة، ومثل ذلك ختم الآية بقوله: ( فلما اقل ) أى غاب بعد ذلك الظهور الذى كان آية ٥ سلطان ( قال لا أحب الأفلين ٥ ) [ لأن - ٦ ] الأفل حركة، والحركة تدل على حدوث المتحرك وإمكانه، [ ولا نظن أن يظن به أنه قال ما قاله أولاً عن اعتقاد ربوية الكواكب، لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقين وجعله موقناً - ٦ ]، فأسند الأمر إلى نفسه تنبيهاً لهم ٧ واستدل بالأفل ٨ لأن دلالة لزوال ١٠ سلطانه وحقارة ٩ شأنه أتم، ولم يستدل بالظلوع لأنه - وإن كان حركة دالة على الحدوث ١٠ والنقصان - شرف في الجملة وسلطان، فالخواص يفهمون من الأفل الإمكان، والممكن لا بد له من موجد واجب الوجود، يكون منتهى الآمال ومحط الرجال ١١ "وإن إلى ربك المنتهى" والأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة، فلا بد من الاستناد إلى قديم، ١٥

(١) فى ظ: وكان (٢) من ظ، وفى الأصل: نصره (٣) فى ظ: ليفهم (٤) من ظ، وفى الأصل: الننى (٥) فى ظ: له به - كذا (٦) زيد ما بين الحائزين من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: بالاقوال (٨) من ظ، وفى الأصل: خفا - كذا (٩) فى ظ: لما استدل (١٠) من ظ، وفى الأصل: الحدث (١١) من ظ، وفى الأصل: الرجال.

و العوام يفهمون أن الغارب كالمزول لزال نوره و سلطانه ، و أن ما كان كذلك لا يصلح للالهية ، و خص الآفل أيضا لأن قومه الفرس كانوا منجمين ، و مذهبهم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق<sup>١</sup> إلى وسط السماء كان قويا عظيما التأثير ، فإذا كان نازلا إلى المغرب<sup>٢</sup> كان ضعيفا الأثر ، و الإله / هو من لا يتغير ، و هذا الاستدلال ٥ / ٢١٥  
برهان في [ أن - ٢ ] أصل الدين مبنى على الحججة دون التقليد<sup>٣</sup> .

ولما بهرهم قصور صغير الكواكب ، وقي النظر إلى أكبر منه ، فسبب عن الإعراض عن الكواكب لقصوره قوله : ﴿ فلما رأوا القمر بارزاً ﴾ أى طالما أول طلوعه ؛ قال الأزهرى : كأنه مأخوذ من البزغ الذى ١٠ هو الشق ، كأنه بنوره يشق الظلمة شقاً ﴿ قال هذا ربى ٤ ﴾ دأبه فى الأولى .

ولما كان تأمل أن الكوكب محل الحوادث<sup>٥</sup> بالآفل قد طرق أسماعهم فخالج صدورهم ، قال : ﴿ فلما أفل قال ﴾ مؤكدا غاية التأكيد ﴿ لن لم يهدنى ربى ﴾ أى الذى قدر على الإحسان إلى بالإيجاد و الترية ١٥ لكونه لا يتغير ولا شريك له بخلق الهداية فى قلبه ، فدل ذلك على أن الهداية ليست إلى غيره ، ولا تحمل<sup>٦</sup> على نصب الأدلة ، لأنها منصوبة قبل ذلك ، ولا على معرفة<sup>٧</sup> الاستدلال فانه عارف [ به - ٢ ]

(١) فى ظ ، الشرق (٢) فى ظ : الغرب (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .  
(٤) زيد بعده فى الأصل : فاستند الأمر ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخطاها (هـ) فى ظ :  
للحوادث (٦) فى ظ : قال (٧) من ظ ، وفى الأصل : لا يحمل (٨) سقط من ظ .  
لا كون (٤٠) ١٦٠

- ( لا كون ) أى بعبادة غيره ( من القوم الضالين ه ) فكانت هذه أشد من الأولى وأقرب إلى التصريح بنى الربوبية عن الكواكب وإثبات أن الرب غيرها ، مع الملاحظة وإبعاد الخصم عما يوجب عناده . ولما كان قد نفى عن الأجرام السماوية ما ربما يضل به الخصم قال :
- ( فلبارا ) أى بعينه ( الشمس بازغة ) أى عند طلوع النهار وإشراقه .
- النور الذى ادعوا فيه ما ادعوا ( قال ) مبينا لقصور ما هو أكبر من النور وهو ما عنه النور<sup>٢</sup> ( هذا ) مذكرا لإشارته لوجود المسوخ ، وهو تذكير الخبر إظهارا لتعظيمها<sup>٣</sup> إبعادا عن التهمة ، وتنبها من أول الأمر على أن المؤنث لا يصلح للربوبية [ ( ربى ) - ° ] كما قال فيما مضى ؛ ثم علل ذلك بيانا للوجه الذى فارق فيه ما مضى فأورث شبهة ، فقال : ١٠
- ( هذا أكبر ج ) أى بما<sup>٤</sup> تقدم ( فلأاقلت ) أى غربت تخفى ظهورها وغلب نورها وهزمه جيش الظلام بقدرة الملك العلام ( قال بقوم ) فصرح بأن الكلام لهم أجمعين ، ونادى على رؤس الأشهاد .
- ولما كانت القلوب قد فرغت بما ألقى من هذا الكلام المعجب للحنة ، وتهيأت لقبول الحق ، ختم الآية بقوله : ( اى برىء مما تشركون ه ) ١٥
- أى من هذا وغيره من باب الأولى ، فصرح بالمقصود لأنه لم يبق فى المحسوس من العالم العلوى كوكب أكبر من الشمس ولا أنور . فلما أبطل
- 
- ( ١ ) فى ظ : فتل - كذا ( ٢ ) زيد بعده فى ظ : قال ( ٣ ) من ظ ، وفى الأصل : تعظيم بها ( ٤ ) من ظ ، وفى الأصل : المرتب ( ه ) زيد من ظ و القرآن الكريم . ( ٦ ) من ظ ، وفى الأصل : بما .

بذلك جميع مذهبهم أظهر التوجه<sup>١</sup> إلى الإله الحق ، وأنه قد انكشف له الصواب بهذا النظر ، والمراد<sup>٢</sup> ، ولكن<sup>٣</sup> سوجه على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه ، فقال مستنجا عما دل عليه الدليل العقلي في الملكوت<sup>٤</sup> :  
 ﴿ انى وجهت وجهى ﴾ أى أخلصت قصدى غير معرج على شىء .  
 ٥ أصلا ، فغير بذلك [ عن - ٤ ] الانقياد التام ، لأن من انقاد لشيء أقبل عليه<sup>٥</sup> بوجهه ، ودل على كماله وتفرده بالكمال مبدعائه<sup>٦</sup> ، وعبر باللام دون<sup>٧</sup> ' إلى ' ثلثا يوم الحيز ، فقال : ﴿ للذى فطر ﴾ أى لأجل عبودية [ من - ٤ ] شق وأخرج ﴿ السموات والارض ﴾ فغنى الدليل بما افتتحت به السورة من قوله " الذى خلق السموات والارض " وأدل ١٠ دليل على ما تقدم - أنى فسرت الحنف به من أنه الميل مع الدليل سهولة ولطافة<sup>٨</sup> على ما هو دأب الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها - قوله بعد نصب هذا الدليل : ﴿ حنيفا ﴾ أى سهلا هينا لينا لطيفا ميالا<sup>٩</sup> مع الدليل غير كثر جاف جامد على التقليد دأب الغايظ<sup>١٠</sup> البليد ، وأكد البراءة منهم بقوله : ﴿ وما آتانا من المشركين ﴾<sup>١١</sup> أى منكم ، ولكنه ١٥ أظهر الوصف المقتضى للبراءة والتعميم ، أى لا أعد فى عدادكم بشيء أقاربكم به<sup>١٢</sup> .

(١) من ظ ، وفى الأصل : التوحيد (٢) فى ظ : لاث (٣) من ظ ، وفى الأصل : المكتوب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : على (٦) فى ظ : بمبدعائه (٧) من ظ ، وفى الأصل : اطاقة (٨) من ظ ، وفى الأصل : مثالا (٩) من ظ ، وفى الأصل : القلط (١٠) سقط من ظ ،

ولما أبدى هذه الأدلة في إبطال الضلال بالكواكب<sup>١</sup> و الشمس<sup>٢</sup>  
 التي هي<sup>٣</sup> أوضع من الشمس، عطف عليها الإخبار بأنهم لم يرجعوا  
 إليه<sup>٤</sup> بل حاجوه، فقال: ﴿ و حاجه قومه<sup>٥</sup> ﴾ بأنهم لا ينفكون عن  
 عبادتها لأنهم<sup>٦</sup> وجدوا آباءهم كذلك، و أنه [ إن - ° ] لم يرجع عن  
 الكلام فيها أصابته بعض النوازل، و ذلك من أعظم التسلية لهذا النبي ه  
 العربي الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم .

و لما كان من المعلوم أن حاجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة في غاية  
 من السقوط - سفلت عن الحضيض، نزه المقام عن ذكرها، إشارة إلى  
 أنها بحيث لا يستحق الذكر، و بين جوابه لما فيه من الفوائد الجملة<sup>٧</sup> بقوله:  
 ﴿ قال ﴾ أي بقول<sup>٨</sup> منكرا عليهم موخا لهم: ﴿ اتحاجوني ﴾ و صرح ١٠  
 باسم الرب العلم الأعظم في قوله: ﴿ في الله ﴾ أي شيء<sup>٩</sup> مما يختص  
 به المستجمع لصفات الكمال لا سيما التوحيد ﴿ و قد ﴾ أي و الحال  
 أنه قد ﴿ هدن<sup>١٠</sup> ﴾ [ أي - ° ] أرشدني بالدليل القطعي إلى معرفة كل  
 ما ثبت<sup>١١</sup> له و بنى عنه، أي لأنه قادر، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه،  
 فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، و يخافه من<sup>١٢</sup> عواقب العصيان، لأن ١٥  
 من رُجى خيره خيف ضيره، و من كان يده<sup>١٣</sup> النفع و الضر<sup>١٤</sup> و الهداية  
 و الإضلال فهو من وضوح الأمر و ظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه

(١) في ظ: الكواكب (٢-٢) في ظ: الذي هو (٣) سقط من ظ (٤) من ظ،  
 و في الأصل: لا (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: الجملة (٧) في ظ:  
 ينسب (٨) من ظ، و في الأصل: عن (٩-٩) في ظ: الضر و النفع .

المحاجة ، و أتبعه بيان أن معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجه إليه الهمم ، فقال عاطفا على ما تقديره : فأننا أرجوه ، أخافه لأنه قادر : ﴿ و لا أخاف ما تشركون به ﴾ و لا أرجوه لهداية و لا إضلال [ و لا غيرهما لأنه عاجز ، فأثبت لله القدرة بالهداية لأنها أشرف ، و طوى الإضلال - ١ ] لدلالاتها و دلالة ما نفي في جانب الشركاء عليه ، و أثبت لآلهتهم العجز بنفي الخوف المستلزم لنفي القدرة على الضر . و ذلك دال على أن الله تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحا لهم بأن العاقل لا ينبغي له أن يخالف إلا من [ يأمن - ١ ] ضره ، فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر ، لا يرتكبها عاقل ، و الآية من الاحتباك .

١٠ و لما نفي عن نفسه خوف آلهتهم أبدا في الحال و الاستقبال ، و كان من الأمر البين في الدين الحق أنه لا يصح الإيمان إلا مع الإقرار بخفاء العواقب<sup>١</sup> على العباد و إثبات العلم بها لله<sup>٢</sup> تسليما لمفاتيح الغيب إليه ، و قصرها عليه ؛ قال مستثنيا من سبب<sup>٣</sup> النفي ، و هو أنها لا تقدر<sup>٤</sup> على شيء : ﴿ إلا أن يشأ ربى ﴾ المحسن إلى في حال الضر كما هو محسن ١٥ في حال النفع ﴿ شيئا<sup>٥</sup> ﴾ أى من تسليطها بأنفسها أو باتباعها ، لأنه قادر على ما يريد ، فان أراد أنطق<sup>٦</sup> الجماد و أقدره ، و أحرص الناطق الفصيح و أعجزه ، فأننا لا أخاف في الحقيقة غيره .

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : المراقب ، وزيد بعده في ظ : على العواقب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : مسبب (٥) من ظ ، وفي الأصل : لا يقدر (٦) في ظ : نطق .



ولما كان هذا في صورة التعليق ، [ وكان التعليق - ١ ] وما شابهه من شأنه أن لا يصدر إلا من متردد<sup>٢</sup> ، فيكون موضع إطماع للنخس فيه ، علله بما أزال هذا الخيال فقال : ( وسع ربى كل شيء علما<sup>٣</sup> ) أى فأحاط بكل شيء قدرة ، فهو إذا أراد إقدار العاجز أزال عنه كل مانع من القدرة ، و<sup>٤</sup> أثبت<sup>٢</sup> له كل مقتضى لها ، وذلك ثمرة شمول العلم - كما هـ  
سيأتى برهانه إن شاء الله تعالى في سورة طه ، فالمراد أنى ما تركت الجزم لشك عندى ، وإنما تركته لعدم على بالعواقب إعلاما بأن تلك رتبة لا تصلح إلا لله الذى وسع عليه كل شيء ، وأدل دليل على هذا اتباعه له بانكاره عليهم عدم [ الإبلاغ فى - ٢ ] التذكر<sup>٥</sup> بقوله مظهر تاء الفعل إشارة إلى أن فى جبلاتهم أصل التذكر<sup>٥</sup> الصاد<sup>٦</sup> عن الشرك : ( افلا تذكرون<sup>٧</sup> ) ١٠  
أى يقع منكم تذكر ، فتميزوا بين الحق والباطل بأن تذكروا مآلكم من أنفسكم<sup>٨</sup> بأن من<sup>٩</sup> غاب عن مربوبه فسد أو كاد ، وأن هذه الجمادات لا تنفع ولا تضر ، وأنها مصنوعكم ، وتعجب<sup>١٠</sup> منهم فى ظنهم خوفه<sup>١١</sup> من / معبوداتهم بقوله<sup>١٢</sup> منكرا : ( وكيف اخاف ما أشركتم ) ٢١٧ /  
أى من دون الله من الأصنام وغيرها مع أنها لا تقدر<sup>١٣</sup> على شيء ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : مررد (٣-٢) فى ظ : فاثبت .  
(٤) من ظ ، وفى الأصل : التذكير (هـ) فى ظ : الذكر (٦) فى ظ : الصاد (٧) من القرآن الكريم ، وفى الأصل و ظ : افلا تذكرون ، والآية باظهار التامين بلا خلاف (٨-٨) من ظ ، وفى الأصل : من ان (٩-٩) من ظ ، وفى الأصل : او هده - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تعجبه (١١) فى ظ : عرفه (١٢) فى ظ : فقال (١٣) من ظ ، وفى الأصل : لا يقدر .

(ولا ) أى والحال أنكم أتم لا (تخافون انكم اشركتم بالله )  
 أى [ المستجمع - ١ ] لصفات العظمة و القدرة على العذاب و النعمة .

و لما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء قال : ( ما لم ينزل به ) أى  
 بإشراكه ؛ و لما كان المقام صعبا لأنه أصل الدين ، أثبت الجار و المجرور  
 ه و قدمه فقال : ( عليكم سلطنا ١ ) أى حجة تكون مانعة من إنزاله

الغضب بكم ٢ ، و الحاصل أنه عليه السلام أوقع الأمن فى موضعه و هم  
 أوقعوه فى موضع الخوف ، فعجب منهم لذلك ٣ فبان أن هذا : قول  
 شعيب عليه السلام فى الأعراف ” و ما يكون لنا ان نعود فيها الا ان  
 يشاء الله ربنا ٤ “ - الآية ، و قوله تعالى فى الكهف ” و لا تقولن لشيء إني  
 ١٠ فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ٥ “ من مشكاة واحدة ؛ و لما كان المحذور

المنفى هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم . و كان حصول الضرر لمخالفها  
 بواسطة أتباعها أو غيرهم من - بن الله الجارية فى عبادته ، اقتصر التحليل  
 عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرأفة و الرحمة و الكفاية و الحماية ،  
 و قد وقع فى قصته الأمران : إمكانهم من أسباب ٦ ضرره بإيقاد النار ٧

١٥ و إلقائهم له فيها ، و رحمته بجعلها عليه بردا و سلاما ؛ و لما كان المحذور  
 فى قصة شعيب عليه السلام العود فى ملتهم ، زاد الإتيان بالاسم الأعظم  
 الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقائص المقتضى لاستحضار  
 الجلال و العظمة و التفرد و الكبر المانع من ٨ دنو ساحات الكفر ٩

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : عليكم (٤) العبارة من هنا إلى « فى  
 الكهف » سقطت من ظ (٥) آية ٨٩ (٦) آية ٢٤ (٧-٧) فى ظ : ضررهم بإيقاد -  
 كذا (٨-٨) فى ظ : دنو سات الله - كذا .

- والله الموفق .

ولما بان كالشمس بما أقام من الدليل أنه أحق بالامن منهم . قال مسيا عما مضى تقريراً لهم : ﴿ فأتى الفريقين ﴾ أى حزب الله و حزب ما أشركتم به ، ولم يقل : فأتينا ، تعمياً للمعنى ﴿ أحق بالامن ٤ ﴾ و أزمهم بالجواب حتماً بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ٥ ﴾ أى إن كان لكم علم ٥ فأخبروني عما سألتكم ٢ عنه ؛ ثم وصل بذلك دلالة على أنه لا علم لهم أصلاً ليخبروا عما سألوا عنه [ قوله - ٤ ] مستأنفاً : ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الفعل ﴿ ولم ﴾ أى و صدقوا دعواهم بأنهم لم ﴿ يلبسوا إيمانهم ﴾ أى يخالطوه و يشوبوه ﴿ بظلم ﴾ .

ولما كان المعنى : أحق بالامن ، عدل عنه إلى قوله مثيراً إليهم ١٠ بأداة البعد تنديها على [ علو - ٤ ] رتبته : ﴿ أولئك لهم ﴾ أى خاصة ﴿ الامن ﴾ أى لما تقدم من وصفهم ﴿ وهم مهتدون ٦ ﴾ أى و أتم ضالون ، فأنتم هالكون لإشرافكم على المهالك ، و تفسيرُ النبی صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان ٧ و الترمذى و النسائي عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لهذا الظلم المطلق فى قوله تعالى " بظلم " بالشرك ١٥ الذى هو ظلم موصوف بالعظم فى قوله تعالى " ان الشرك لظلم عظيم " تنبيه للصحابه رضوان الله عليهم على أن هذا التنوين للتعظيم ، و لأنهم أهل اللسان المطبوعون فيه صفوا بذلك و اطمأنوا إليه ، و لا شك أن السياق كله فى التنفير عن الشرك . و أنه دال على " الحث على التبرئ ٨

(١) فى ظ : فاتماً (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سألتم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : البخارى (٦) سورة ٣١ آية ١٣ (٧-٧) من ظ . وفى الأصل : النهى عن التزهر - كذا .

عن قليل الشرك و كثيره ، قال الأمر إلى أن المراد : ولم يلبسوا  
إيمانهم بشيء من الشرك ، فالتون حينئذ للتحقير كما هو للتعظيم ، فهو من  
استعمال الشيء في حقيقته و مجازه أو في معنيه المشترك فيهما لفظه معا -  
والله أعلم .

هـ ولما كان إبراهيم عليه السلام قد انتصب لإظهار حجة<sup>١</sup> الله في  
التوحيد و الذب عنها ، و كان التقدير تنبيها للسامع على حسن ما مضى  
ندبا لتدبره : هذه مقالة<sup>٢</sup> إبراهيم عليه السلام لآييه و قومه ، عطف عليه  
قوله معددا وجوه نعمه عليه و إحسانه<sup>٣</sup> إليه ، دالا على إثبات النبوة  
بعد إثبات الوجدانية : ﴿ و تلك ﴾ أى و<sup>٤</sup> هذه الحجة العظيمة / الشأن  
٢١٨ / التى تلوناها عليكم ، وهى ما حاج إبراهيم عليه السلام<sup>٥</sup> به قومه ،  
[ و - ° ] عظمه بتعظيمها فقال : ﴿ حجتنا ﴾ أى التى يحق لها بما فيها  
من الجلالة أن تضاف إلينا ، لأنها من أشرف النعم و أجل العطايا  
﴿ انبئها ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ إبراهيم ﴾ و أوقفناه على حقيقتها  
و بصراتها بها ، و نه على ارتفاع شأنها بأداة الاستعلاء مضمنا لأنبئنا  
١٥ أفنا ، فقال : ﴿ على قومه<sup>٦</sup> ﴾ أى مستغلبا<sup>٧</sup> عليهم غالبا<sup>٨</sup> لهم قائمة عليهم  
الحجة التى نصبها ، ثم زاد فى الإعلام بفضل بقوله مستأنقا : ﴿ زفع ﴾  
أى بعظمتنا ﴿ درجت من نشأ<sup>٩</sup> ﴾ بما لنا من القدرة على ذلك كما رفعتنا  
(١) من ظ ، وفى الأصل : صحة (٢) فى ظ : مقالة (٣) فى ظ : إحسانا .  
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : يحقها (٧) من  
ظ ، وفى الأصل : مستغلبا (٨) فى ظ غالبا .

درجة إبراهيم عليه السلام على جميع أهل ذلك العصر .  
ولما كانت حاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوى الذى نسبوا  
الخلق والتدبير بالنور والظلمة إليه ، وكان فى ختام<sup>١</sup> حاجته لهم أن الجارى  
على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده<sup>٢</sup> فلا خوف عليهم ، وكان  
قبل ذلك فى الاستدلال على البعث الذى هو محط الحكمة ؛ كان الأنسب ه  
أن يقدم<sup>٣</sup> فى ختم الآية وصف الحكمة فقال : ( ان ربك )  
[ أى - <sup>٤</sup> ] خاصا لنيه صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة باسم الإحسان تنبئها  
على أن حُجَّجَهُ<sup>٥</sup> الدليل عن يشاء لِحَكِّمِمْ أرادها سبحانه ، فقيه تسلية له  
صلى الله عليه وسلم ( حكيم ) أى فلا يفعل<sup>٦</sup> بحزبه إلا ما ظنه به خليفه  
صلى الله عليه وسلم مما يقر أعينهم<sup>٧</sup> ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وإما ١٠  
فيهما ( عليهم ه ) فلا يلتبس عليه أحد من غيرهم ، فيفعل به ما يحل  
بالحكمة .

ولما أشار إلى رفعة بأنه بَصَّرَهُ بالحجة<sup>٨</sup> حتى كان على بصيرة من  
أمره ، وأنه علا<sup>٩</sup> على المخالفين برفع الدرجات ، أتبع ذلك ما دل عليها  
وعلى حكمته بعليه بالعواقب ، فقال مملأ بأنه جعله عزيزا فى الدنيا لأن<sup>١٠</sup> ١٥

( ١ ) من ظ ، وفى الأصل : ختامه ( ٢ ) فى ظ : عبده ( ٣ ) من ظ ، وفى الأصل :  
تقدم ( ٤ ) زيد من ظ ( ٥ ) فى ظ : حجته ( ٦ ) زيد بعده فى ظ : به ( ٧ ) فى ظ :  
عينهم ( ٨ ) سقط من ظ ( ٩ ) فى ظ : علاه ( ١٠ ) من ظ ، وفى الأصل :  
لأنه .

أشرف الناس الأنبياء والرسل ، وهم من نسله وذريته ، ورفع ذكره  
أبداً لأجل قيامه بالذب عن توحيده : ﴿ ووهبنا له ﴾ أى خليلنا<sup>١</sup>  
عليه السلام بما لنا من العظمة ﴿ انحق ﴾ ولداً<sup>٢</sup> له على الكبر حيث لا يولد  
لمثله ولا لمثل زوجته ﴿ ويعقوب<sup>٣</sup> ﴾ أى ولد ولد ، وابتدأ سبحانه بهما  
ه لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام ، وهو أشد سرورا بابنه<sup>٤</sup>  
الذى متع<sup>٥</sup> به ولم يؤمر<sup>٦</sup> بفراقه وابن ابنه<sup>٧</sup> الذى أكثر<sup>٨</sup> الأنبياء  
الداعين إلى الله من نسله ومن خواصه ، وهو الموجب الأعظم  
للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التى هى مهاجر إبراهيم  
عليه السلام ومختاره للسكنى بنفسه ونسله ، بل مختار الله له ولهم بعده  
١٠ بمدد ظهورها<sup>٩</sup> من الشرك وعبادة الأوثان ، ودعوا إلى الله ونوروا  
الأرض بعبادته<sup>١٠</sup> .

ولما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية ، قال مستأنفا مقدما للفعول ليشمل  
الكلام إياهما<sup>١١</sup> : ﴿ كلا ﴾ أى منهما ومن أيهما<sup>١٢</sup> ﴿ هدينا ج ﴾ ثم أتبع  
ذلك المهتدين قديما وحديثا تأكيداً لأن هذا المذهب لم يزل<sup>١٣</sup> « خلص العباد »  
١٥ دعاة إليه فى قديم الزمان وجديده ، فكأنه يقول : إن كنتم تلمزمون دينكم لأنه  
(١) من ظ ، وفى الأصل : لاجله (٢) فى ظ : خليلنا (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
اولدا (٤) فى ظ : ياتيه (٥) فى ظ : يقع (٦) فى ظ : لم ياصم (٧) فى ظ : ابيه .  
(٨) من ظ ، وفى الأصل : الاكثر (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) فى  
ظ : إياهما (١١) من ظ ، وفى الأصل : انها (١٢) فى ظ : لم تزل (١٣) فى  
ظ : العبادة .

عندكم حق ، فقد تبين [ لكم - ١ ] بطلانه ، وأن الحق إنما هو التوحيد ،  
وإن كنتم تلزمونوه ليقدمه فهذا الدين - [ الذى - ١ ] دعاكم إليه رسول  
مع وضوح الدلالة على حقيقته - هو القديم الذى دعاكم إليه نوح و من  
تلاه من خلص ذريته إلى إبراهيم<sup>٢</sup> أيكم الأعظم [ و - ١ ] من بعده من  
خلص ذريته إلى عيسى ، ثم إلى هذا الرسول الذى هو دعوة إبراهيم<sup>٥</sup>  
و بشارة عيسى - على الكل أبلغ الصلاة و آمم التسليم ، فهو أحق بالاتباع  
من جهة الحقيقة<sup>٢</sup> و الأقدمية ، وإن كنتم تلزمونوه لمجرد اتباع الآباء فليس  
فى آبائكم / مثل إبراهيم عليه السلام ، و قد تلوت عليكم فى كلامى الذى  
أقمت الدليل القطعى بعجزكم عنه على صحة نسبته إلى ما حاج به أباه و قومه  
فى إبطال الأوثان التى أضلتكم ، فهو أولى آبائكم أن تعتدوا به - ١٠  
و الله الموفق ،

و لما كان ربما وقع فى وهم أن هداية كل من إسحاق و ابنه بترية  
[ آيه - ١ ] ، ذكر العاشر من آباء الخليل و هو نوح عليهما السلام لدفع  
ذلك ، و لأن السياق لإنكار الأوثان ، و هو أول من نهى عن عبادتها ،  
و هو أجل آباء الخليل عليه السلام فقال : ﴿ و نوحا هدينا ﴾ أى بما لنا ١٥  
من العظمة من بين ذلك الجيل الأعوج .

و لما كانت لم تتجاوز منه ، و كان زمنه بعض الزمن المتقدم ، أثبت  
الجار و قطعه عن الإضافة لتراخى زمانهم كثيرا عن زمانه فقال :

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : هو (٣) فى ظ : الحقيقة (٤) من ظ ،  
وفى الأصل : يعتدوا .

( من قبل ) أى ولم تكن هدايته إلا بنا فى زمان كان أهله من شدة الضلال و لزوم الظلم فى مثل استقبال الليل ، كلما امتد حلولك ظلامه واشتد ، و طالما دعاهم إلى الله و ربّاهم فلم يرجع منهم كثيرا<sup>١</sup> [ أحد -<sup>٢</sup> ] حتى لقد خالفه زوجه و بعض ولده ، و<sup>٣</sup> لمثل ذلك<sup>٤</sup> فصل بين إسماعيل و آية و يوسف و آية عليهم السلام إشارة إلى فراق كل منهما لآيه فى الحياة ، و أنه ما<sup>٥</sup> حفظ كلا منهما على سنن الهدى طول المدى إلا الله<sup>٦</sup> ؛ ثم ابتدأ المذكورين<sup>٧</sup> بعد<sup>٨</sup> بمن بنى على يده و يد ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذى بناه إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام فقال : ( و من ذريته ) .

١٠. ولما كان السياق كله لمدح الخليل ، و كان المذكورون - إلا لوطا -

من نسله ، و كان التغليب مستعملا<sup>١</sup> شائعا فى لسان العرب ، لا سيما و لوط ابن أخيه و مثل ولده ؛ حكم بأن الضمير لإبراهيم عليه السلام ، و قول من قال : إن يونس عليه السلام ليس من نسله ، غير صحيح . بل هو من بنى إسرائيل ، و هو أحد من ذكر فى سفر الأنبياء ، و سيأتى ١٥ خبره من<sup>٢</sup> السفر المذكور فى سورة " و الصفت " إن شاء الله تعالى ، و قد صرح أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائى فى قصص الأنبياء أنه من ذرية إبراهيم ، و اقتضى<sup>٣</sup> كلامه أنه من بنى إسرائيل ، كما اقتضى ذلك

(١) فى ظ : كثير (٢) زيد من ظ (٣ - ٤) فى ظ : لذلك (٤) من ظ ، وفى الأصل : لا (٥) من ظ ، وفى الأصل : آية - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : المذكورون (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : فى (٩) من ظ ، وفى الأصل : اقتص .



كلام البغوى فى سورة الانبياء عليهم السلام ، و أما أيوب فروى<sup>١</sup> :  
من نسل [ عيص بن -<sup>٢</sup> ] إسحاق عليهم السلام ﴿ داود ﴾ أى هديناه  
﴿ وسليمن ﴾ أى اللذين بنيا بيت المقدس بأمر الله<sup>٣</sup> : داود بخطه  
و تأسيسه ، و سليمان باكمال و تشييده .

ولما كانا مع ذلك ملكين ، تلاهما بمن شابههما فى الملك أو الحكم ه  
على الملوك فقال : ﴿ و ايوب ﴾ و قدمه لمناسبة ما بينه و بين سليمان<sup>٤</sup> فى أن<sup>٥</sup>  
كلا منهما ابتلى بأخذ كل ما فى يده ثم ردّ<sup>٦</sup> الله إليه ﴿ و يوسف ﴾ و كل  
من هؤلاء الاربعة ابتلى فصر ، و اغتنى<sup>٧</sup> فشكر ، و أيوب إن لم يكن ملكا  
فقد كانت ثروته غير مقصورة<sup>٨</sup> [ عن -<sup>٩</sup> ] ثروة الملوك ، على أن بعض  
بعض الطلبة أخبرنى عن تفسير الهكارى<sup>١٠</sup> - فيما أظن - أنه صرح بأنه ملك ، ١٠  
" و أيضا " فالاثنان<sup>١١</sup> الأولان كانا سبب إصلاح بنى إسرائيل بعد الفساد  
و استنقاذهم من ذل<sup>١٢</sup> الفلسطينيين ، و الاثنان<sup>١٣</sup> الباقيان كل منهما<sup>١٤</sup> ابتلى  
بفراق أهله ثم ردوا عليه : أيوب بعد أن ماتوا ، و يوسف قبل الموت ،  
(١) من ظ ، و فى الأصل : فرد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اله .  
(٤) فى ظ : كان (هـ - هـ) من ظ ، و فى الأصل : بان (٥) كذا فى الأصل ، و فى ظ :  
رده (٦) من ظ ، و فى الأصل : اغنى - كذا (٨) من ظ و فى الأصل : مقصورة .  
(٩) من ظ ، و فى الأصل : الهكارى ، و النسوب إلى هذه النسبة ثلاثة - راجع  
معجم المؤلفين ( ١٠ - ١٠ ) سقط ما بين الرقين من ظ ( ١١ ) من ظ ، و فى الأصل :  
الانان ( ١٢ ) من ظ ، و فى الأصل : ذى - كذا ( ١٣ ) من ظ ، و فى الأصل : الامان .  
( ١٤ ) فى ظ : منهم .

نظم الدرر ( سورة الأنعام ٦ : ٨٤ و ٨٥ ) ج - ٧

وأيضا فداود عليه السلام شارك إبراهيم عليه السلام في أنه كان سبب سلامته من ملك زمانه الاختفاء في غار ، وذلك أن نمرود بن الكنعان كان ادعى الإلهية وأطعم فيها ، وقال له منجموه: يولد في بلدك هذا العام غلام يغير دين أهل الأرض ، ويكون هلاكك على يده ، فأمر ٥ بذبح كل غلام في ناحيته في تلك السنة ، وأمر بعزل الرجال عن النساء ، وحملت أم إبراهيم عليه السلام به<sup>٢</sup> في تلك السنة ، فلما وجدت الطلق خرجت ليلا إلى غار قريب منها فولدت فيه إبراهيم / وأصلحت من شأنه<sup>٣</sup> ، ثم سدت فم الغار ورجعت ، ثم كانت تطالعه فتجده يمتص إبهامه ، وكان يشب في اليوم كالشهر وفي<sup>٤</sup> الشهر كالسنة ؛ وأما داود عليه السلام فإنه لما قتل جالوت<sup>٥</sup> وزوجه طالوت ابنته ، وناصفه ملكه - على ما كان شرط لمن قتل جالوت<sup>٥</sup> - مال إليه الناس وأحبوه ، فحسده فأراد قتله ، فطلبه فهرب منه ، فدخل غارا فنسجت<sup>٦</sup> عليه العنكبوت ، فقال طالوت : لو دخل هنا لخرق بناء العنكبوت ، فأنجاه الله منه ؛ وتلاه سليمان<sup>٧</sup> لأنه مع كونه من أهل الملك والبلاء شارك إبراهيم عليهما السلام ١٥ في إبطال عبادة الشمس في قصة بلقيس رضي الله عنها ؛ وقصة يوسف عليه السلام في إبطال عبادة الأوثان شهيرة في قوله تعالى ” يصاحبي السجنه ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار<sup>٨</sup> “ .

(١) في ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : شأنها (٤) في ظ : يمتص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) في ظ : نسجت (٧) من ظ ، وفي الأصل : سليمان (٨) سورة ١٢ آية ٣٩ .

ولما كان يوسف عليه السلام من أعلى الله كلمته [ على كلمة - ' ]  
 ملك مصر وأعز [ ملكها و - ' ] أهلها<sup>١</sup> وأحيام به، أتبعه من أعلى الله  
 كلمتها على كلمة ملك مصر وأهلها وأهلكهم بها، فكان<sup>٢</sup> بعض قصصهم<sup>٣</sup>  
 وفاق، وبعضها تقابل وطباق، فقال: ﴿وموسى وهرون﴾ ولما كان  
 التقدير: هديناهم جزاء لإحسانهم باهدائهم في أنفسهم و دعائهم لغيرهم إلى ه  
 الهدى، لم يشغل<sup>٤</sup> أحدا منهم منحة السراء ولا محنة الضراء، عطف عليه  
 قوله: ﴿وكذلك﴾ أى ومثل ما جزيناهم ﴿نجزي المحسنين﴾ أى  
 كلهم، ففى ذلك إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، وهى أنهم من  
 أهل السراء<sup>٥</sup> المطفئة<sup>٦</sup> والضراء المسنية<sup>٧</sup>، ومع ذلك فقد أحسنوا  
 ولم يفتروا<sup>٨</sup> ولم ينوا<sup>٩</sup>.

ولما كان المذكوران قبله عن سلطهما على الملوك، أتبعهما من  
 سلط الملوك عليهما بالقتل فقال: ﴿وزكريا ويحيى﴾ ثم أتبعهما من  
 عاندهما الملوك ولم يسلطوا عليهما، وأدام الله سبحانه حياتهما إلى أن  
 يريد سبحانه فقال: ﴿وعيسى والياس﴾ ولما كان هؤلاء الأربعة من  
 الصابرين، قال مادحا لهم على وجه يعم من قبلهم: ﴿كل﴾ أى من ١٥  
 المذكورين ﴿من الصالحين﴾ ثم أتبعهم<sup>١٠</sup> من لم يكن بينهما وبين الملوك

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: أهلكهم، ولم تكن الزيادة فى ظ  
 لغيرها، والعبارة من هنا إلى «أهلكهم بها» ساقطة منه (٣-٢) من ظ، وفى  
 الأصل: بين قصصهم (٤) فى ظ: لم يشغل (٥) فى ظ: منحة (٦) من ظ، وفى  
 الأصل: السراء (٧) فى ظ: المطيعة (٨) فى ظ: المهبة - كذا (٩) من ظ، وفى  
 الأصل: لم يفتروا (١٠) فى ظ: أتبعهما.

أمر، وهدى بهما من كان بين ظهرائيه فقال: ﴿واسمعيلى واليسع﴾  
 هذا إن كان اليسع هو ابن أخطوب<sup>١</sup> بن العجوز خليفة إلياس، كما ذكر  
 البغوى<sup>٢</sup> فى سورة الصافات<sup>٣</sup> أن الله تعالى أرسل إلى إلياس - وهو من  
 سبط لاوى من نسل هارون عليه السلام - فرسا من نار فركبه فرفعه الله<sup>٤</sup>  
 ٥ و قطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فكان إنسيا ملكيا  
 أرضيا سماويا<sup>٥</sup>، وسلط الله<sup>٦</sup> على آجب<sup>٧</sup> - يعنى الملك الذى سلط على إلياس -  
 عدوا فقتله ونبأ<sup>٨</sup> الله اليسع وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل، وأيده فأمنت  
 به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وإن كان اليسع هو يوشع بن نون -  
 كما قال زيد بن أسلم - فالمناسبة بينه وبين إسماعيل عليهما السلام أن  
 ١٠ كلا منهما كان صادق الوعد، لأن يوشع أحد النقيين اللذين وفيا لموسى  
 عليه السلام حين بعثهم يحسون بلاد بيت المقدس [ كما أشير إليه فى قوله  
 تعالى "ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل -<sup>٩</sup> ] وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا<sup>١٠</sup>،  
<sup>١١</sup> وقوله "وقال رجلن من الذين يخافون انعم الله عليهما" - الآية،  
 وأيضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الأعظم بالتوحيد، فإسماعيل  
 ١٥ سبب عمارة مكة المشرفة، ويوشع سبب عمارة البلدة المقدسة - كما سيأتى<sup>١٢</sup>

- (١) من معالم التنزيل للبغوى ٦/٢٩، وفى الأصل: اخطوب، وفى ظ: حطوب.  
 (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ والعالم، وفى الأصل: ابنه.  
 (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: سمحيا - كذا (٦) من العالم، وفى الأصل و ظ:  
 احب (٧) فى ظ: نباه (٨) يزيد ما بين الحاجزين من ظ (٩) سورة ٥ آية ١٢.  
 (١١) سورة ٥ آية ٢٣ (١٢) من ظ، وفى الأصل: باقى.

في سورة يونس إن شاء الله تعالى .

ولما كان إسماعيل و اليسع من هدى الله بهما قومهما من غير عذاب ،

أتبعهما مَنْ هدى الله قومه بالعذاب و أنجاهم بعد 'إتيان محايله' فقال :

(و يونس) أي هديناه ؛ ولما انقضت / ذرية إبراهيم عليه السلام ، ختم / ٢٢١

باب أخيه الذي ضل قومه فهلكوا بغته ، فبين قصتي هذين الآخرين طباق ٥

من جهة الهلاك و النجاة ، و وفاق من حيث أن كلا منهما أرسل إلى غير

قومه فقال : ( ولوطا ) ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال : ( وكلا )

أي ممن ذكرنا ( فضلنا ) أي بما لنا من العظمة بتمام العلم<sup>٢</sup> و شمول القدرة

( على العلين<sup>٣</sup> ) فكل هؤلاء الأنبياء ممن هداه الله بهداه و جاهد في الله

حق جهاده ، و بدأهم تعالى بإبراهيم عليه السلام و ختمهم بابن أخيه لوط ١٠

عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة ؛ و قيل : إن الله تعالى أهلك قوم

إبراهيم - نمرود و جنوده - بعد هجرته ، فان صح ذلك تمت المناسبة في

هلاك كل من قومه و قوم [ ابن أخيه -<sup>٢</sup> ] لوط بعد خروج نبيهم عنهم ،

فيكون بينهما وفاق كما كان بين قصته و قصة يونس عليه السلام

طباق . ٦ ومن<sup>٦</sup> لطائف ترتيبهم هكذا أيضا أن إسماعيل عليه السلام يوازي ١٥

نوحا عليه السلام ، فانه رابع في العد لهذا العقد إذا عدته من آخره ،

كما أن نوحا عليه السلام رابعه إذا عدته من أوله ، و المناسبة بينهما أن

( ١-١ ) في ظ : بيان محايله - كذا ( ٢ ) زيد بعده في الأصل : من قبلهم ، ولم تكن

الزيادة في ظ لخذفها ( ٣ ) زيد من ظ ( ٤ ) في ظ : ثم ( ٥-٥ ) سقط ما بين الرقعين

من ظ ( ٦-٦ ) في ظ : سر - كذا .

نوحا عليه السلام نشر<sup>١</sup> الله منه الآدميين حتى كان منهم إبراهيم عليه السلام  
 'الذى جعله الله أباً للأنبياء والمرسلين، وإسماعيل عليه السلام' نشر<sup>٢</sup> الله  
 منه العرب الذين هم خلاصة الخلق<sup>٣</sup> حتى كان منهم محمد<sup>٤</sup> صلى الله عليه وسلم  
 الذى جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين، فهذا<sup>٥</sup> كان بداية وهذا<sup>٦</sup> كان نهاية،  
 • وأن المذكورين قبل ذرية إبراهيم عليه السلام وبعدها - وهما نوح ولوط عليهما  
 السلام - أهلك الله قوم كل منهما عامة، وغيب هؤلاء في جامد الأرض  
 كما أغرق أولئك في مائع الماء، وأشقى<sup>٧</sup> بكل منهما زوجته، يانا لأن الرسل  
 كما يكونون للناس رحمة يكونون على قوم نقمة، وأنه لا نجاة بهم ولا انتفاع  
 إلا بحسن الاتباع، وأن ابن عمران اشترك<sup>٨</sup> مع إبراهيم عليهم السلام في  
 ١٠ أن كلا من ملكي زمانهم أمر بقتل الغلمان خوفاً من يغير دينه ويسلبه  
 ملكه<sup>٩</sup>، وكما أن الله تعالى أنجى إبراهيم عليه السلام وابن أخيه لوطاً<sup>١٠</sup>  
 عليه السلام من ملك زمانها المدعى للالهية<sup>١١</sup> فكذلك أنجى موسى وأخاه  
 هارون عليهما السلام من ملك زمانها المدعى للالهية<sup>١٢</sup>، وأنجى ذرية إبراهيم  
 بهما، فاذا جعلت إبراهيم وابن أخيه لوطاً - لكونه تابعا [له - ١٣] - واحداً،  
 ١٥ و موسى وأخاه هارون واحداً لمثل ذلك، ونظمت أسماء جميع هذه

(١) من ظ، وفي الأصل: بشر (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين في ظ (٣) في ظ:  
 الحق (٤) في ظ: هذا (٥) في ظ: هذا (٦) من ظ، وفي الأصل: لهذا (٧) في  
 ظ: انتهى (٨) في الأصل وظ: اشتركا (٩) من ظ، وفي الأصل: ملك (١٠) في  
 الأصل وظ: لوط (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) زيد من ظ .

الأنبياء في سلك النقي<sup>١</sup>: لوط مع إبراهيم كوشى مع هارون، و كانت  
الأربعة واسطة عقدة<sup>٢</sup>، فبين إبراهيم و موسى حيثئذ سبعة كما أن بين هارون  
و لوط سبعة، و إذا ضمنت إليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الآيات  
المأمور بقوله "فبهذههم اقتده" كان منزله في السلك بين ابن عمه لوط  
و أبيه إبراهيم، و<sup>٣</sup> يكون من بين يديه تسعة، و من خلفه تسعة، فن<sup>٤</sup> ه  
إبراهيم إلى موسى تسعة، و من لوط إلى هارون كذلك، فكان  
[رسول الله -<sup>٥</sup>] صلى الله عليه وسلم واسط العقد و مكمل العقد، فانه  
العاشر من كل جانب، فبه تكمل الهدى و إيجاب<sup>٦</sup> الردى، و ذلك طبق  
قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان و غيرها عن أبى هريرة  
رضى الله عنه: مثلى و مثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه ١٠  
و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به  
و يعجبون له و يقولون: هلا وضعت هذه اللبنة،<sup>٧</sup> فأنا اللبنة<sup>٨</sup> و أنا خاتم  
النبيين. و للبخارى نحوه عن جابر، هذا مع اقترانه بأقرب أولى العزم  
رتبة و نسبا صاحب القصة إبراهيم عليه السلام، و إن / جعلت<sup>٩</sup> موسى ٢٢٢ /  
و هارون عليها السلام كشىء واحد كانا واسطة من الجانب الآخر، فان ١٥  
عددت من جهة إبراهيم عليه السلام كان بينه و بينها ثمانية، و إن عددت  
(١) في الأصل و ظ: النفى - كذا بالقاه (٢) من ظ، و في الأصل: عقده (٣) في  
ظ: فمن (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: انجاب .  
(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ، و في الأصل: جعل .

من جهة لوط عليه السلام كان كذلك .

ولما نص سبحانه على هؤلاء ، وختم بتفضيل كل على العالمين ،  
 أتبعه على سبيل الإجمال أن غيرهم كان مهديا ، وأن فضل هؤلاء علة<sup>١</sup>  
 النص لهم<sup>٢</sup> على أسمائهم ، فقال . ترغيبا في سلوك هذا السبيل بكثرة  
 هـ سالكيه وحثا على منافستهم في حسن الاستقامة عليه و السلوك فيه :  
 ﴿ ومن ﴾ أى وهدينا أو فضلنا من ﴿ آبائهم ﴾ أى أصولهم  
 ﴿ وذريتهم ﴾ أى من فروعهم<sup>٣</sup> [ من -<sup>٤</sup> ] الرجال والنساء<sup>٥</sup>  
 ﴿ و اخوانهم ﴾<sup>٦</sup> أى فروع أصولهم<sup>٧</sup> ، وعطف على العامل المقدر  
 قوله<sup>٨</sup> : ﴿ واجتبيهم ﴾ أى واخترناهم<sup>٩</sup> ، ثم عطف عليه بيان<sup>١٠</sup> ما هدوا  
 ١٠ إليه حثا لنا<sup>١١</sup> على شكره على ما زادنا من فضله فقال : ﴿ وهديتهم ﴾ أى  
 بما تقدم من الهداية ﴿ الى صراط مستقيم هـ ﴾ و أما الصراط المستقيم  
 فخصناكم به و أقناكم عليه ، فاعرفوا نعمتنا عليكم و اذكروا<sup>١٢</sup> تفضيلنا لكم .  
 ولما كان ربما أرم تنكيره نقضا فيه ، قال مستأنفا بيانا لكمال  
 و تعظيما لفضله و افضاله : ﴿ ذلك ﴾ أى الهدى العظيم الرتبة ﴿ هدى الله ﴾  
 ١٥ أى<sup>١٣</sup> المستجمع لصفات الكمال ﴿ يهدى ﴾ أى يخلق الهداية ﴿ به ﴾  
 أى بواسطة الإقامة عليه ﴿ من يشاء من عباده<sup>١٤</sup> ﴾ أى سواء كان له أب  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فرعهم ، وفى  
 ظ : فروع أصولهم (٤) زيد من ظ (هـ - هـ) سقط ما بين الرقين من ظ .  
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : اخبرناهم (٧-٧) فى ظ : عقبه ببيان (٨) من ظ ،  
 وفى الأصل : اذكر (٩) من ظ ، وفى الأصل : انما .



يعلمه أو كان له من يحمله على الضلال أو لا ؛ [ ولما - ١ ] بين فضل الهدى  
ونص على رؤس أهله ، تهبد من تركه كائنا من كان ، فقال مظهرًا لعز<sup>٢</sup>  
الإلهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لوحظ فيه غيره ولو بأدنى لحظ :  
(ولو اشركوا) - أى هؤلاء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعت [ بيتًا - ١ ]  
من اختصاصنا لهم ما علت - شيئًا من شرك وقد أعاذهم الله من ذلك ، ه  
وأقام بهم معوج المسالك ، وأثار بهم ظلام الأرض بطولها والعرض  
(لحبط عنهم) أى فسد وسقط (ما كانوا يعملون ه) أى وإن كان<sup>٢</sup>  
في غاية الإتقان بقوانين العلم ، وزاد في الترهيب من التواني في السير  
والزيف عن سوء القصد بقوله : (اولئك) أى العالو الرتبة الذين<sup>٢</sup>  
قدما ذكرهم وأخبرنا أنهم لو أشركوا سقطت أعمالهم (الذين اتينهم) ١٠  
أى بعظمتنا (الكثب) أى الجامع لكل خير ، فمن ملك ما فيه من  
العلوم والمعارف حكم على البواطن ، وذلك لأن الناس يحبونه فينقادون  
له<sup>٢</sup> يواطنهم (والحكم) أى العمل المتقن بالعلم ، ومنه نفوذ الكلمة  
على الظواهر بالسلطنة وإن كرهت البواطن (والنبوة ه) أى العلم  
المزين بالحكم وهى<sup>٢</sup> وضع<sup>٢</sup> كل شئ<sup>٢</sup> فى أحق مواضعه ، فهى جامعة ١٥  
للمرتبتين الماضيتين ، فلذلك كان الأنبياء يحكمون على البواطن بما عندهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لغير (٣) فى ظ : كاتا (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
الاتفاق (ه) من ظ ، وفى الأصل : الذى (٦) فى ظ : انت (٧) فى ظ : اليه .  
(٨) فى ظ : الحكمة (٩) زيد بعده فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ  
لخذفناها (١٠-١٠) فى ظ : الشئ .

من العلم ، وعلى الظواهر بما يظهر<sup>١</sup> من المعجزات ؛ ثم سبب عن تعظيمها  
 [ بذلك تعظيمها - ٢ ] بأنها لا تبور ، فقال تسلياً عن المصيبة بطعن<sup>٢</sup>  
 الطاعنين فيها وإعراض الجاهلين عنها وترجية عند ما يوجب اليأس من  
 نفرة أكثر المدعويين : ﴿ فان يكفر بها ﴾ أى هذه الأشياء العظيمة  
 ٥ ﴿ هؤلاء ﴾ أى أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم ، وقد جوناهم بها على  
 أتم وجه وأكمله وأعلاه وأجله ، وأنت ؛ تدعوهم إلى أن يكونوا  
 سعداء بما اشتملت عليه من الهدى وهم عنه معرضون ، ولعل الإشارة<sup>٣</sup>  
 على هذا الوجه لتحقيرهم ﴿ فقد وكلنا ﴾<sup>٤</sup> أى لما لنا من العظمة فى الماضى  
 والحال والاستقبال ﴿ بها قوماً ﴾ أى ذوى قوة على القيام بالأمور  
 ١٠ [ بالإيمان بها والحفظ لحقوقها - ٢ ] ﴿ ليسوا ﴾<sup>٥</sup> وقدم الجار اهتماماً  
 فقال : ﴿ بها بكافرين ﴾<sup>٦</sup> أى بساترين الشيء بما ظهر من شמוש أدلتها ،  
 وهم الأنبياء / [ ومن - ٢ ] تبعهم ، وقد صدق الله - ومن أصدق من  
 الله حديثاً ؛ فقد جاء فى هذه الأمة من العلماء الأخيار والراسخين  
 ٢٢٣ / الأخبار من<sup>٧</sup> لا يحصيهم إلا الله .

١٥ ولما كان المراد بسوقهم هكذا - والله أعلم - أن كلا منهم بادر بعد  
 الهداية إلى الدعاء إلى الله والغيرة على جلاله من الإشراك ، لم يُشغِل  
 (١) فى ظ : يظهر (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بمطعن (٤) فى ظ : ان .  
 (٥) زيد بعده فى الأصل : وقدم الجار اهتماماً فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحولناها  
 إلى موضعها اللائق بها (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ (٧) زيد من ظ والقرآن  
 الكريم (٨) فى ظ : ممن .

أحدا منهم عن ذلك سراء ولا ضراء بمثلك ولا غيره من ملك أو غيره بل لازموا الهدى<sup>١</sup> والدعاء إليه على كل حال؛ قال مستأنفا لتكرار أمداحهم بما يحمل على التحلى بأوصافهم، مؤكدا لإثبات<sup>٢</sup> الرسالة: ﴿اوتئك﴾ أى العالو المراتب ﴿الذين هدى الله﴾ أى الملك الحائز لرتب الكمال، الهدى الكامل، ولذلك سبب عن مدحهم قوله: ﴿فبهذههم﴾ أى خاصة فى ه واجبات الإرسال وغيرها ﴿اقتده﴾ وأشار بهاء السكت التى هى أمانة الوقوف - وهى ثابتة فى جميع المصاحف - إلى أن الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء؛ ثم فر الهدى بمعظم أسبابه فقال: ﴿قل﴾ أى لمن تدعوهم كما كانوا يقولون بما ينفى التهمة ويمحص النصيحة فيوجب الاتباع إلا من شق ﴿لا اسئلكم﴾ أى أيها المدعوون ﴿عليه﴾ أى على ١٠ الدعاء ﴿اجرا﴾ فان الدواعى تتوفر بسبب ذلك على الإقبال إلى الداعى؛ والاستجابة للرشد؛ ثم استأنف قوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو﴾ أى هذا الدعاء الذى أدعوكم به ﴿الا ذكرى﴾ أى تذكير بليغ من كل ما يحتاج إليه فى المعاش والمعاد ﴿للعلمين﴾ أى الجن والإنس والملائكة دائما، [ لا - ٦ ] ينقضى دعاؤه ولا ينقطع نداؤه، وفى التعبير بالاقتداء ١٥ إيماء إلى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من آبائهم، وتركوا من يجب الاقتداء به. ولما حصر<sup>٣</sup> الدعاء فى الذكرى، وكان ذلك نفعاً لهم ورفقا بهم، لا تزيد<sup>٤</sup> طاعتهم فى ملك الله شيئا ولا ينقص

(١) من ظ، و فى الأصل: الهداية (٢) فى ظ: لتكرير (٣) فى ظ: بإثبات .  
(٤) فى ظ: الداعين (٥) فى ظ: قل - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: خص .  
(٨) فى ظ: تعا (٩) من ظ، و فى الأصل: لا يزيد .

إعراضهم من عظمت شيئا، لأن كل ذلك بإرادته؛ بنى حالا منهم. قال  
تأكيدا لأمر الرسالة بالإنكار على من جحدوها وإزاما لهم<sup>١</sup> بما هم معترفون  
به، أما أهل الكتاب فعليا قطعيا، وأما العرب فتقليدا لهم ولأنهم سلخواهم  
العلم وجعلوهم محط سؤلهم عن محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وما﴾ أى  
ه قلنا ذلك لهم خاصة والحال أنهم ما ﴿قدروا﴾ أى عظموا ﴿الله﴾  
أى المستجمع لصفات الكمال ﴿حق قدرة﴾ أى تعظيمه في جحدهم  
لذكراهم وصددهم عن بشراهم ومقابلتهم للشكر عليه بالكفر له؛ قال  
الواحدى: يقال قدر<sup>٢</sup> الشيء - إذا سبره وحزره وأراد أن يعلم مقداره -  
يقدره - بالضم - قدرا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: فان غم عليكم فاقدروا  
١٠ [له -<sup>٣</sup>]، أى فاطلبوا<sup>٤</sup> أن تعرفوه - هذا أصله في اللغة، ثم قيل لمن  
عرف شيئا: هو يقدر قدره، وإذا لم يعرفه بصفاته<sup>٥</sup>: إنه [لا -<sup>٦</sup>] يقدر  
قدره ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قالوا﴾ أى اليهود، والآية مدنية وقريش<sup>٦</sup>  
في قبولهم لقولهم، ويمكن أن تكون مكة، ويكون قولهم هذا حين أرسلت  
إليهم قريش تسألهم عنه صلى الله عليه وسلم في أمر رسالته واحتجاجه  
١٥ عليهم بارسال موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه ﴿ما أنزل الله﴾  
أى<sup>٧</sup> فاسين ما<sup>٨</sup> له من صفات الكمال<sup>٩</sup> ﴿على بشر من شيء<sup>١٠</sup>﴾ لأن<sup>١١</sup>

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: على، ولم تكن الزيادة في ظ  
وروح المعاني ٢/٢٥٠ حيث قل قول الواحدى، فحذفناها (٣) زيد من ظ  
والروح (٤) من الروح، وفي الأصل وظ: فاطلبوه (٥) من ظ والروح،  
وفي الأصل: لصفاته (٦) من ظ، وفي الأصل: قدس - كذا (٧-٧) من ظ،  
وفي الأصل: فاسين ما (٨) زيد بعده في الأصل: الذين هم، ولم تكن الزيادة  
في ظ فحذفناها (٩) في ظ: لا - كذا.

من نسب ملكا تام الملك إلى أنه لم يُثبت أوامره في<sup>٢</sup> رعيته بما يرضيه ليفعلوه وما يسخطه ليجنبوه، فقد نسبته إلى نقص عظيم، فكيف إذا كانت تلك النسبة كذبا! وهذا وإن كان ما قاله إلا بعض العالمين بل بعض أهل الكتاب الذين هم بعض العالمين، أسند إلى الكل، لأنهم لم يردوا على قائله ولم يعاجلوه بالأخذ تفضيلا<sup>٣</sup> للشأن وتهويلا للأمر، ويانا ه

لأنه يجب على كل من سمع بآية من آيات الله أن يسعى إليها ويتعرف أمرها، فإذا تحققه فن طعن فيها أخذ على يده بما يصل إليه قدرته،

/ كما أنه كذلك كان يفعل لو كان ذلك ناشئا عن أیه أو أحد من يكون

٢٢٤ /

مخبره به من أبناء الدنيا، وفي ذلك أتم إشارة إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الأمور كلها، من فرط فيه هلك وأهلك؛ ١٠

روى الواحدى فى أسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن كعب القرظى أن اليهود قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى - بعبى هذه الآية، فقال مشيرا إلى أن اليهود قائلو ذلك، وملزما بالاعتراف بالكذب أو المساواة للاميين فى التمسك بالهوى دون كتاب، موبخا لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم<sup>٤</sup> وعظيم بهتهم وشدة ١٥ وقاحتهم وعدم حياتهم: ﴿ قل ﴾ أى هؤلاء السفهاء الذين تجرؤا على هذه المقالة غير ناظرين فى عاقبتها وما يلزم منها تويخا لهم وتوقيفا على

(١) من ظ، وفى الأصل: تسبب (٢) من ظ، وفى الأصل: من (٣) فى ظ: فى ظ: تعطيل (٤) وإذا (٥) فى ظ: تصل (٦) فى ظ: نحوه (٧) من ظ، وفى الأصل: جهتهم.

موضع جهلهم (من انزل الكتب) أى الجامع للأحكام والمواضع  
 وخيرى الدنيا والآخرة (الذى جاء به موسى) أى الذى أتم تزعمون  
 التمسك بشرعه، حال كون ذلك الكتاب (نورا) أى ذا نور يمكن  
 الاخذ به من وضع الشيء<sup>١</sup> فى حاق موضعه (وهدى للناس) أى  
 هـ ذا هدى لهم كلهم، أما فى [ذلك -<sup>٢</sup>] الزمان بالتقيد به، وأما عند إزال  
 الإنجيل فبالاخذ بما أرشد إليه من اتباعه، وكذا عند إزال القرآن،  
 فقد بان أنه هدى فى كل زمان تارة بالدعاء إلى ما فيه وتارة بالدعاء إلى  
 غيره؛ ثم بين أنهم أخفوا منه ما هو نص وصريح فى الدعاء إلى غيره<sup>٣</sup>  
 اتباعا منهم للهوى ولزوما للعمى فقال: (تجعلونه) أى أيها اليهود  
 ١٠ (قراطيس) أى أوراقا مفرقة؛ لتتمكنوا<sup>٤</sup> بها من إخفاء ما أردتم  
 (تبدونها) أى نظهرونها للناس (وتخفون كثيرا) أى منها ما تريدون  
 به تبديل الدين - هذا على قراءة الجماعة بالفوقانية، وعلى قراءة ابن كثير  
 وأبى عمرو بالغنية هو التفتات مؤذن بشدة الغضب مشيرة إلى أن ما قالوه  
 حقيق بأن يستحي من ذكره فكيف بفعله<sup>٥</sup> ثم التفت إليهم للزيادة  
 ١٥ فى تبكيتهم إعلاما بأنهم متساوون لبقية الإنسان فى أصل الفطرة، بل  
 العرب أركى منهم وأصح أفهاما، فلولا ما أتاها به موسى عليه السلام  
 ما فاقوم بفهم، ولا زادوا عليهم فى علم، فقال: (وعلتم) أى أيها  
 اليهود بالكتاب الذى أنزل على موسى (ما لم تعلوا أتم) [أى -<sup>٦</sup>]

(١) فى ظ: كل شيء (٢) زيد من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن  
 فى ظ لخذثنا (٤) فى ظ: معرفة (٥) فى الأصل و ظ: ليمكنوا (٦) فى ظ:  
 مشيرا.

أيها اليهود من أهل هذا الزمان ﴿و [لَا - ١] أَبَاؤُكُمْ ١﴾ أى الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم .

ولما كانوا قد وصلوا فى هذه المقالة إلى حد من الجهل عظيم ، قال مشيرا إلى عنادهم : ﴿قل﴾ أى أنت فى الجواب عن هذا السؤال غير منتظر<sup>٢</sup> لجوابهم فانهم أجلف الناس وأعتاهم ﴿الله ٣﴾ أى الذى ه أنزل ذلك الكتاب ﴿ثم﴾ بعد<sup>٣</sup> أن تقول<sup>٢</sup> ذلك لا تسمع لهم شيئا بل ﴿ذرهم فى خوضهم﴾ أى قولهم وفعلهم المثبتين<sup>٤</sup> على الجهل المبينين على أنهم<sup>٥</sup> فى ظلام الضلال كالحائض فى الماء يعملون ما لا يعلمون ﴿يلعبون ٦﴾ أى يفعلون [فعل - ٦] اللاعب ، وهو ما لا يجر لهم نقما ولا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان .

١٠

ولما أثبت سبحانه أنه الذى أنزل التوراة [والإنجيل - ٦] تكميلا لإثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم ، عطف على ذلك قوله تأكيدا لإثباتها وتقريرا : ﴿وهذا﴾ أى القرآن الذى هو حاضر الآن فى جميع الأذهان ﴿كتب﴾ أى جامع لخبري<sup>٧</sup> الدارين ، وكان السياق لأن يقال : أنزل الله ، ولكنه أتى بنون العظمة ، لأنها ١٥ أدل على تعظيمه فقال : ﴿انزلته﴾ أى و<sup>٨</sup> ليس من عند محمد صلى الله

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢ - ٢) فى ظ : منتظرا (٣ - ٣) من ظ ، وفى الأصل : انه يقول (٤) من ظ ، وفى الأصل : التبين (٥) من ظ ، وفى الأصل : انتم (٦) زيد من ظ (٧) من ظ . وفى الأصل : لخبر (٨) سقطت الواو من ظ .

عليه وسلم من نفسه، وإنما هو بانزالنا إياه إليه وإرسالنا [ له - ١ ]  
 به (مُبْرَك) أى كثير الخير ثابت الأمر. لا يقدر أحد من الخلق  
 على إنكاره لإعجازه، لتعلم أهل الكتاب خصوصا حقيقته بتصديقه  
 لكتابتهم لأنه (مصدق الذى بين يديه) أى كله من كتبهم وغيرها؛  
 ٢٢٥ / ٥ فيكون أجدر لإيمانهم به، / وتعلم جميع أهل الأرض عموما ذلك بذلك  
 وباعجازه (ولتذرع) أى به (أم القرى) أى مكة لأنها أعظم  
 المدن بما لها من الفضائل (ومن حولها) (ومن لا يؤمن<sup>٢</sup> بالآخرة فهو  
 لا يؤمن به من أهل الأرض كلها من جميع البلدان والقرى، لأنها  
 أم الكل، وهم فى ضلالتهم مفرطون) (والذين يؤمنون بالآخرة)  
 ١٠ أى فيهم قابلية الإيمان بها على ما هى عليه، من أهل أم القرى ومن  
 حولها "بكل خير ينشرون" (يؤمنون به) أى بالكتاب بالفعل  
 لأن الإيمان بها داع إلى كل خير بالخوف والرجاء، والكفر بها  
 حامل على كل بشر.

ولما تكرر وصف المنافقين بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة

١٥ عليها علما على الإيمان فقال: (وهم على صلاتهم يحافظون ه) أى  
 يحفظونها غاية الحفظ، فالآية من عجيب فن الاحتباك: ذكر الإنذار  
 والآم أولا دالا<sup>٦</sup> على حذفها ثانيا<sup>٧</sup>، وإثبات الإيمان والصلاة ثانيا دليل  
 على نفيهما<sup>٨</sup> أولا.

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ: يؤمن (٣) فى ظ: حيث (٤) فى ظ: ضلالمهم.  
 (٥ - ٥) فى ظ: مبشرون (٦) من ظ، وفى الأصل: داله (٧) فى الأصل: باقيا،  
 وفى ظ: تابتا - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: نعتها.



ولما كان في قولهم " ما أزل الله على بشر من شيء " صريح<sup>١</sup>  
الكذب و تضمن<sup>٢</sup> تكذيبه - وحاشاه صلى الله عليه وسلم ! أما من اليهود  
بالفعل ، و أما من قريش فالرضى ، و كان بعض الكفرة قد ادعى الإيحاء  
إلى نفسه إرادة للظن في القرآن ؛ قال تعالى مهولاً لأمر<sup>٣</sup> الكذب لا سيما  
عليه لا سيما في أمر الوحى ، عاطفاً على مقول " قل " من أنزل " مبطلاً  
للتنبؤ بعد تصحيح أمر الرسالة و إثباتها إثباتاً لا مريبه فيه ، فكانت براهين  
إثباتها أدلة على إبطال التنبؤ و كذب مدعيه : ( و من اظلم ممن اقترى )  
أى بالفعل كاليهود و الرضى كقريش \* ( على الله كذباً ) أى أى كذب  
كان ، فضلاً عن إنكار الإنزال على البشر \* ( أو قال اوحى الى و لم ) أى  
و الحال أنه لم ( يوح اليه شيء ) فهذا<sup>٤</sup> تهديد على سبيل الإجمال كعادة  
القرآن المجيد<sup>٥</sup> ، يدخل فيه كل من اتصف بشيء من ذلك كسيلة  
و الأسود<sup>٦</sup> العنسى و غيرها ، ثم رأيت في كتاب ' غاية المقصود في  
الرد على النصارى و اليهود ' للسمول<sup>٧</sup> بن يحيى المغربي الذى كان من أجل  
علمائهم في حدود سنة ستين و خمسمائة ، ثم هداه الله للإسلام ، و كانت  
له يد طولى في الحساب<sup>٨</sup> و الهندسة<sup>٩</sup> و الطب و غير ذلك من العلوم ، فأظهر<sup>١٠</sup>  
(١) فى ظ : صرح (٢) من ظ ، و فى الأصل : يضمن (٣) من ظ ، و فى الأصل :  
لا - كذا (٤) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها .  
(٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بهذا - كذا .  
(٧) فى ظ : الجليل (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من طبقات الأطباء ٢/٣٠ ،  
و فى الأصل : للسول ، و فى ظ : للسمول - كذا .

بعد إسلامه فضائحهم أن الربانيين منهم زعموا أن الله كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم مرات، ثم قال [بعد - ١] أن قسمهم إلى قرأتين وربانيين<sup>٢</sup> : إن الربانيين أكثرهم عددا، وقال : وهم الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصواب، قال : وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم ( ومن قال سأنزل ) أى بوعد<sup>٣</sup> لا خلف فيه<sup>٤</sup> ( مثل ما أنزل الله<sup>٥</sup> ) كالنضر بن الحارث ونحوه .

ولما كان الجواب قطعا من كل منصف : لا أحد؛ أظلم منه ، بل هم أظلم الظالمين ، كان كانه قيل : فلورأيتهم وقد حاق بهم جزاء هذا الظلم كرد<sup>٦</sup> وجوهمهم مسودة وهم يسحبون في السلاسل على وجوهمهم ، ١٠ [ وجهنم - ١ ] تكاد تتميز عليهم غيظا ، وهم قد هدم<sup>٧</sup> الدم والحسرة ، وقطع بهم الأسف والحيرة لرأيت أمرا يهول منظره<sup>٨</sup> ، فكيف يكون مذاقه [ و - ١ ] مخبره<sup>٩</sup> افعطف عليه ما هو أقرب<sup>١٠</sup> منه ، فقال كالفصل لإجمال ذلك التهديد مبرزاً بديل ضميرهم الوصف الذى أدام إلى ذلك : ( ولو ترى ) أى يكون منك رؤية فيما هو دون ذلك ( اذ الظالمون ) أى لأجل ١٥ مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه ١ واللام للجنس الداخلة فيه هؤلاء دخولا أوليا ( فى غمرت الموت ) أى شدائده التى قد غمرتهم كما يغمر البحر الحضم<sup>١١</sup> من يغرق<sup>١٢</sup> فيه ، فهو يرفعه ويخفضه<sup>١٣</sup> و يبتلعه و يلفظه ، لا بد له (١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها . (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل : لا بد منه (٤) من ظ ، وفى الأصل : حد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هدهم (٧) من ظ ، وفى الأصل : بنظره (٨) زيد بعده فى ظ : فكيف (٩) أى العظيم ، وفى ظ : الخضر (١٠) فى ظ : يعرف (١١) من ظ ، وفى الأصل : يحفظه - كذا .

منه ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أى الذين طلبوا جهلا منهم إنزال بعضهم على وجه  
الظهور لهم ، وأخبرناهم [ أنهم - ١ ] لا ينزلون إلا لفصل الأمور وإنجاز  
المقدور / ﴿بِأَسْطُورٍ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ أى إليهم بالمكروه لنزع أرواحهم وسلها  
٢٢٦ / وافية من أشباحهم كما يسئل السفود<sup>٢</sup> المشعب<sup>٣</sup> من الحديد من الصوف  
"المشبتك المبلول" ، لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد ، ولا يخفى عليهم شيء ٥  
منها فى شيء منه ، قائلين<sup>٤</sup> ترويعا لهم و تصويرا للعنف و الشدة فى السياق  
والإلحاح و التشديد فى الإزهاق من غير تنفيس وإمهال ، وأنهم يفعلون  
بهم فعل الغريم المسلط الملازم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ﴾ فكأنهم قالوا: لما ذا  
يارسل ربنا؟ فقالوا: ﴿اليوم﴾ أى هذه الساعة ، وكأنهم عبروا به لتصوير  
طول العذاب ﴿تَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أى العذاب الجامع بين الإيلام ١٠  
العظيم و الهوان الشديد و الخزى المديد بالنزع و سكرات الموت و ما بعده  
فى البرزخ - إلى ما لا نهاية له ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ أى تجددون<sup>٥</sup> القول  
دائما ﴿على الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿غير الحق﴾ أى غير  
القول المتمكن غاية التمكّن فى درجات الثبات ، ولو قال بدله : باطلا ،  
لم يؤد هذا المعنى ، ولو قال : الباطل ، لقصر عن المعنى أكثر ، وقد مضى ١٥  
فى المائدة ما ينفع هنا ، وإذا نظرت إلى أن<sup>٦</sup> السياق لأصول الدين ازداد  
المراد وضوحا ﴿وكنتم﴾ أى و بما كنتم ﴿عن آيئته تستكبرون ٥﴾  
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : القدور (٣) من ظ ، وفى الأصل : النفود - كذا .  
(٤) فى ظ : المشعب (٥-هـ) فى ظ : التشبك العلول (٦) زيدت الواو بعده فى  
ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : تجددون (٨) سقط من ظ .

أى تطلبون الكبر للجائزة عنها، ومن استكبر عن آية واحدة كان مستكبرا عن الكل، أى لو رأيت ذلك لرأيت أمرا قظيعا<sup>١</sup> وحالا هائلا شنيعا، وغير بالمضارع تصويرا لحالهم .

ولما كانوا ينكرون أن يحس الميت شيئا بعد [الموت - ٢] أو يفهم كلاما، وكان التقدير كما دل عليه السياق : فتوفاهم الملائكة ، لا يقدر أحد على منعهم ، فيقول لهم : قد رأيتم ملائكتنا الذين أخبرناكم أول السورة أنهم إذا أبصروا كان القضاء الفصل والأمر البت الحتم الذى ليس<sup>٢</sup> فيه مهل ، عطف عليه قوله مشيرا إلى ما كان سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال والتقوى بالأموال : ﴿ ولقد جئتمونا ﴾<sup>٣</sup> أى لما لنا من العظمة بالموت الذى هو دال على شمول علنا وتمام قدرتنا قطعا ، ودل على تمام العظمة وأن المراد بجيئهم بالموت قوله<sup>٤</sup> : ﴿ فرادى ﴾ أى متفرقين ، [ليس - ٢] أحد منكم مع أحد ، ومنفردين<sup>٥</sup> على كل شيء صدكم عن اتباع رسلنا ﴿ كما خلقكم ﴾ أى بتلك العظمة التى<sup>٦</sup> أمتناكم بها بعينها ﴿ أول مرة ﴾ فى الانفراد والضعف ١٥ والفقر، فأين جمعكم الذى كنتم به تستكبرون<sup>٧</sup> ﴿ وتركتم ما خولتكم ﴾ أى ملكاتكم<sup>٨</sup> من المال ومكناتكم<sup>٩</sup> من إصلاحه نعمة عليكم لتوصلوا<sup>١٠</sup> به إلى رضانا، فظننتم أنه لكم بالأصالة، وأعرضتم عنا [و - ٢] بدلتهم ما دل

(١) فى ظ : قطعيا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الموت (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : متفرقين (٧) فى ظ : الذى (٨) من ظ ، وفى الأصل : مكناتكم (٩) فى ظ : ملكاتكم (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ليتوصلوا .

عليه من عظمتنا بضد ذلك من الاستهانة بأوامرنا ﴿ وراء ظهوركم ﴾  
فما أغنى عنكم ما كنتم منه تستكبرون .

و لما كانوا يعدون الأصنام آلهة ، ويرجون شفاعتها ، إما استهزاء ،  
و إما في الدنيا ، و إما في الآخرة - على تقدير التسليم لصحة البعث ،  
قال تهكما بهم و استهزاء بشأنهم<sup>٢</sup> : ﴿ و ما نرى معكم شفعاءكم ﴾ أى ه  
التي كنتم تقولون فيها ما تقولون ﴿ الذين زعمتم ﴾ أى كذبا و جراءة<sup>٣</sup>  
و فجورا ﴿ انهم فيكم شركوا<sup>٤</sup> ﴾ أى أن لهم فيكم نصيبا مع الله حتى  
كنتم تعبدونهم في وقت الرخاء و تدعونهم في وقت الشدة ، أرؤناهم لعلهم  
سترهم عنا سائر أو حجبنا عنهم حاجب ؛ ثم دل على بهتهم في جواب هذا  
الكلام الهائل المرعب<sup>٥</sup> حيرة و عجزا و دهشا و ذلا بقوله : ﴿ لقد تقطع ﴾ ١٠  
أى تقطعا كثيرا .

و لما كان ذكر البين في شيء يدل على قربه<sup>٦</sup> في الجملة و حضوره  
ولو في الذهن ، لأنه يقال : بينى و بين كذا كذا ، و كان فلان بيننا ،  
و نحو ذلك مما يدل على الحضور ؛ قال منها على زوال ذلك حتى بالمرور  
بالبال و الخطور<sup>٦</sup> في الذهن<sup>٧</sup> لشدة الاشتغال ﴿ بينكم ﴾ فأسند ١٥

القطع المبالغ فيه<sup>٨</sup> إلى البين ، و إذا / انقطع البين تقطع ما كان فيه  
من الأسباب التي كانت تسبب<sup>٩</sup> الاتصال ، فلم يبق لأحد منهم اتصال

(١) في ظ : ما فيه امرنا - كذا (٢) في ظ : لشانكم (٣) من ظ ، وفي الأصل :  
جراه (٤) في ظ : الموعب (٥) من ظ ، وفي الأصل : قوته (٦) في ظ : الحضور .  
(٧) من ظ ، وفي الأصل : النصر (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : سبب .

بالآخر<sup>١</sup>، لأن ما بينهما صار كالخندق-بانقطاع نفس البين، فلا يتأتى معه الوصول، هذا على قراءة الجماعة بالرفع، وهذا المثال<sup>٢</sup> معنى قراءة نافع و الكسائي. وحفص عن عاصم بالنصب على الظرفية؛ ولما رجع المعنى إلى<sup>٣</sup> تقطع الوصل، بين-بب ذلك، وهو زوال المستند الذى ه كانوا يستندون إليه فقال: ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾ أى ذهب و بطل ﴿مَا كُنْتُمْ تَرْجُونَ﴾ أى من تلك الأباطيل كلها.

ولما ثبتت<sup>٤</sup> الوحداية و النبوة و الرسالة و تقاريع من تقاريعها، و انتهى الكلام هنا إلى ما تجلى<sup>٥</sup> به مقام العظمة، و انكشف له قناع الحكمة [و-٦] تمثل نقوذ الكلمة، فتهياً السامع لتأمله، و تفرغ فهمه لتدبره؛ قال دالا عليه مشيراً إليه، معلماً أن ما مضى أنتجه و أظهره لا بد و أرزه، مذكراً بآياته<sup>٧</sup> "والذين يؤمنون بالآخرة" و بمحاجة إبراهيم عليه السلام، مصرفاً ما مضى أول السورة من دلائل الوحداية على أوجه<sup>٨</sup> أخرى، إعلاماً بأن دلائل الجلال تفوق عدد الرمال، و تنبيهاً على أن القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته و صفاته: ﴿ان الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، فهو<sup>٩</sup> قادر على كل ما يريد ﴿فائق الحب﴾ أى فاطره و شاقه عن الزرع<sup>١٠</sup> و النبات، و عبر بذلك لأن الشئ قبل وجوده كان معدوماً، و العقل يتوهم و يتخيل من العدم ظلمة متصلة.

- (١) من ظ، و فى الأصل: بالآخرى (٢) من ظ، و فى الأصل: المساك - كذا.  
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: ثبت (٥) من ظ، و فى الأصل: بجلى - كذا.  
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: ياته (٨) فى ظ: وجه (٩) فى ظ: وهو (١٠) فى ظ: الزرع.

فإذا خرج من العدم المحض و الفناء الصرف فكأنه بحسب التخيل و التوهم شق<sup>١</sup>  
 ذلك العدم ( و التوى<sup>٢</sup> ) أى و هو ما يكون داخل الثمار المأكولة كالتمر،  
 ولا يكون مقصودا لذاته بخلقها عن الأشجار ، و فى ذلك حكم و أسرار  
 تدق عن<sup>٣</sup> الأفكار ، و تدل على كمال الواحد المختار<sup>٤</sup> ، قال الإمام الرازى  
 ما حاصله : إن النواة و الحبة تكون فى الأرض الرطبة مدة ، فيظهر الله فيها  
 شقا فى أعلاها و آخر فى أسفلها ، و تخرج الشجرة من الأعلى فتعلو و تهبط  
 من الأسفل شجرة أخرى فى أعماق الأرض ، هى العروق ، و تلك الحبة أو  
 النواة سبب [ و - ° ] أصل بين الشجرتين : الصاعدة و الهابطة . فيشهد<sup>٥</sup> الحس  
 و العقل بأن طبع الصاعدة و الهابطة متعاكس ، و ليس ذلك قطعا بمقتضى  
 الطبع و الخاصة . بل بالإيجاد و الاختراع و التكوين<sup>٦</sup> و الإبداع ، و لا شك<sup>١٠</sup>  
 أن العروق الهابطة فى غاية اللطافة و الرقة<sup>١١</sup> بحيث لو دلكت باليد بأدنى قوة  
 صارت كالماء ، و هى مع ذلك تقوى على النفوذ فى الأرض الصلبة التى لا ينفذ  
 فيها المسئلة و السكين الحادة إلا باكره عظيم ، فحصل هذا النفوذ لهذه  
 الأجرام اللطيفة لا يكون قطعا إلا لقوة<sup>١٢</sup> الفاعل المختار ، لا سيما إذا تأملت  
 ظهور<sup>١٣</sup> شجرة من نواة صغيرة ، [ ثم - ° ] تجمع الشجرة طبائع مختلفة فى  
 قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة ، و فى وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف  
 كالعين المنفوش ، ثم يتولد من ساقها أغصانها ، و من الأغصان أوراقها  
 (١) فى ظ : الشق (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : انقهار (٤) فى ظ : و « (٥) زيد  
 ما بين الحائزين من ظ (٦) فى ظ : يشهد (٧) من ظ ، و فى الأصل : السكون .  
 (٨) فى ظ : الدقة (٩) من ظ ، و فى الأصل : لهذا (١٠) فى ظ : بقوة (١١) من  
 ظ ، و فى الأصل : ظهوره .

أولاً ثم أنوارها وأزهارها ثانياً، ثم [ الفاكهة ثالثاً، ثم قد يحصل - ١ ]  
 للفاكهة أربعة أنواع من القشور، مثل الجوز واللوز قشره الأعلى ذلك  
 الجرم الأخضر، وتحت القشر الذى كالخشب، وتحت القشر الذى كالغطاء  
 الرقيق المحيط باللب، وتحت اللب المشتمل على جرم<sup>٢</sup> كثيف هو أيضاً  
 كالقشرة، وعلى جرم<sup>٣</sup> لطيف هو الزهر<sup>٤</sup>، وهو المقصود بالذات، فتولد هذه  
 الأجسام المختلفة طبعاً و صفة ولونا وشكلاً وطعماً مع تساوى تأثيرات  
 الطبايع والنجوم والعناصر والفصول الأربعة دالاً على القادر المختار بتلوه  
 فى الفرحة، وقد تجتمع [ ١ - الطبايع الأربعة فى الفاكهة الواحدة كالأترج  
 قشره حار يابس ونوره حار يابس، وكذلك العنب قشره وعجمه يابس  
 ١٠ حار رطب مع أنك تجد أحوالها مختلفة، بعضها له فى داخله وقشره فى  
 خارجه كالجوز واللوز، وبعضها<sup>٥</sup> يكون المطلوب منه فى الخارج وخشبه  
 فى الداخل كالخوخ والمشمش، وبعضه لال لب لنواه كالتمر، وبعضه  
 يكون كله مطلوباً كالتين، واختلاف هذه الطبايع والأحوال المتضادة  
 والخواص المتنافرة حتى فى الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة، بل عن  
 ١٥ الواحد المختار، والحبوب مختلفة الألوان والأشكال والصور، فشكل  
 الحنطة كأنه<sup>٦</sup> نصف مخروط، وشكل الشعير كأنه مخروطان اتصالاً بقاعدتيهما  
 وشكل الحمص على وجه آخر، وأودع سبحانه فى كل نوع منها  
 خاصية ومنفعة غير ما فى الآخر، وقد تكون الثمرة غذاء<sup>٧</sup> لحيوان

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: حزم (٣) فى  
 ظ: تبرم - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: الدهن (٥) فى ظ: طمعا (٦) فى  
 ظ: بعضه (٧) فى ظ: فانه (٨) فى ظ: عد - كذا.



وسمّا لحيوان آخر، فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبائع وتأثيرات الكواكب  
 دالّ على أنها إنما حصلت بالفاعل المختار، ثم إنك تجد في ورقة الشجرة  
 خطأ في وسطها مستقيماً نسبته لتلك الورقة نسبة النخاع إلى بدن الإنسان،  
 ينفصل عنه خيوط مختلفة، وعن كل واحد منها خيوط أخرى أدق  
 من الأولى، ولا يزال على هذا النهج حتى تخرج الخيوط عن الحس ٥  
 والبصر، كما أن النخاع يتفصل منه أعصاب كثيرة يمنة ويسرة في البدن،  
 ثم لا يزال يتفصل عن كل شعبة شعب أخرى، ولا يزال يستدق حتى  
 تلتطف عن الحس، فعل سبحانه ذلك في الورقة لتقوى القوى المذكورة  
 في جرم تلك الورقة على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية في تلك المجارى  
 الضيقة، فهذا يعلمك أن عنايته سبحانه في اتخاذ جملة تلك الشجرة أكمل، ١٠  
 فعنايته في تكوين جملة النبات أكمل، وهو إنما خلق جملة النبات لمصلحة  
 الحيوان فعنايته في تخليق الحيوان أكمل، والمقصود من تخليق جملة  
 الحيوان هو الإنسان فعنايته في تخليقه أكمل، وهو سبحانه إنما خلق الحيوان  
 والنبات في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للإنسان بحسب جسده،  
 والمقصود من جسده حفظ تركيبه لأجل المعرفة والمحبة والعبودية، ١٥  
 فسيذكرك أن تنظر في ورقة الشجرة وتأمل في تلك الأوتار ثم ترقى  
 منها إلى أوج تخليق الشجرة ثم إلى ما فوقها رتبة رتبة لتعلم أن المقصود  
 الأخير منها حصول المعرفة والمحبة في الأرواح البشرية، وحينئذ يفتح  
 لك باب من المكاشفات لا آخر له، ويظهر لك أن نعم الله في خلقك  
 غير متناهية "وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها" - والله الهادي ٢٠

(١) في ظ: اتحاد (٢) في ظ: ينفع (٣) سورة ١٤ آية ٣٤

ولما كانت فلقهما<sup>١</sup> عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من  
 النمو [ فسر معنى الفلق و بينه إشارة إلى الاعتناء به وقتا بعد وقت  
 بقوله: ﴿ يخرج ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار / تثبيتا لأمر البعث  
 ﴿ الحى ﴾ أى كالنجم و الشجر و الطير و الدواب ﴿ من الميت ﴾  
 ٥ من الحب و النوى و البيض<sup>٢</sup> و النطف<sup>٣</sup> فكيف تنكرون<sup>٤</sup> قدرته على  
 البعث ؛ و لما انكشف معناه و بان مغزاه باخراج الأشياء من أضدادها  
 ثلاثا يتوهم - لو كان [ لا - ]<sup>٥</sup> يخرج عن شيء إلا مثله - أن الفاعل<sup>٦</sup>  
 الطبيعة و الخاصة ، عطف على ” فالتو ” زيادة فى اليان قوله معبرا  
 باسم الفاعل الدال على الثبات لانه لا منازعة لهم فيه ، فلم تدع حاجة  
 ١٠ إلى التعبير بالفعل الدال على التجدد : ﴿ و يخرج الميت ﴾ أى من الحب  
 و ما معه ﴿ من الحى<sup>٧</sup> ﴾ أى من النجم و ما معه .

ولما تقررت له سبحانه هذه الأوصاف التى لا قدرة أصلا لأحد  
 غيره على شيء منها ، قال منها لهم على غلظهم فى إشراكهم ، إعلاما  
 بأن كل شريك ينبغي أن يساوى شريكه فى شيء ما من الأمر المشترك<sup>٨</sup>  
 ١٥ فيه ، و لا مكافئ له سبحانه [ و تعالى - ]<sup>٩</sup> فى شيء من الأشياء فلا شريك له  
 بوجه : ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى المراتب الملتصق المراقى هو<sup>١٠</sup> ﴿ الله ﴾ أى  
 المستجمع لصفات الكمال وحده فلا يحق الإلهية إلا له ؛ و لما<sup>١١</sup> كان هذا<sup>١٢</sup>

(١) فى ظ : قاعهما (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : من الفطرة - كذا (٣) فى  
 ظ : ينكر (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى  
 ظ لخذفناها (٦) فى ظ : المشترك (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ ، و فى  
 الأصل : هذا كان .

معنى الكلام، سبب عنه قوله: ﴿ فَأَتَى ﴾ أى فكيف ومن أى وجه  
 ﴿ تَوْفِكَونَ ۝ ﴾ أى تصرفون و تقبلون عما ينبغي اعتقاده .  
 ولما وصف سبحانه [ و تعالى - ١ ] نفسه المقدسة من فلق الجواهر  
 بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال، وقدمه لكونه من أظهر أدلة  
 القدرة على البعث الذى هذا أسلوبه ، مع الإلإاف له بقربه ومعالجته ، أتبعه ٥  
 ما هو مثله فى الدلالة على الإحياء لسكنته فى المعانى وهو سماوى ، شارحا<sup>٢</sup>  
 لما أشار إليه الخليل عليه السلام فى حاجة قومه من إبطال إلهية كل من  
 النور والظلمة والكواكب التى هى منشأ<sup>٣</sup> ذلك ، فقال ترقية من العالم  
 السفلى إلى [ العالم - ١ ] العلوى: ﴿ فَاَلْقِ الْإِصْبَاحَ ۝ ﴾ أى موجهه ، وحقيقته :  
 فالتى ظلمة الليل عن الصباح ، لكنه لما كثرت أسيماه وأمن اللبس فيه أسند ١٠  
 الفعل إلى الصبح ، كما يقال : انفجر الصبح ، وانفجر عنه الليل ، ويمكن  
 أن يراد بالفلق الكشف ، لأنه يكشف من المفلوق ما كان خفيا ،  
 فعبر عن المسبب الذى هو الإظهار بالسبب الذى هو الفلق ، وعبر عن  
 انصباح بهذه الصيغة التى يقال للدخول فى الصبح لتصلح لإرادة فلق  
 السكون بالنور<sup>٤</sup> أو غيره عن التصرف بالحركة المترتبة على الدخول ١٥  
 فى الصبح ، فدلنا ذلك على وجاعل الإصباح حركة وسادل الليل  
 ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ ﴾ بما يكون من إظلامه ﴿ سَكَنًا ﴾ يسكن الناس فيه وإليه  
 ويستريحون فيه ، فالآية من الاحتياك : حذف من الأول الحركة ودل  
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : شارح (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
 منشأة (٤) من ظ ، وفى الأصل : المفلوق (٥) فى ظ : بالندم (٦) وقراءة حفص :  
 جعل - كما فى مصاحفنا .

عليها بالسكن ، وحذف من الثاني السدل ودل عليه بالفلق ، وهذا الفلق من أعظم الدلائل على قدرته سبحانه ، وفيه دلائل لأن الإصباح يشمل الفجر الكاذب والصادق ، والاول أقوى دلالة لأن مركز الشمس إذا وصل إلى دائرة نصف الليل فالموضع - الذي تكون تلك الدائرة أفقا له - تطلع الشمس من مشرقه ، فيضئ في ذلك الموضع نصف كرة الأرض ، فيحصل الضوء في الربع الشرقي من بلدتك ، ويكون ذلك الضوء منتشرا مستطيرا في جميع الجو ، ويجب أن يقوى لحظة فلحظة ، فلو كان الأول من قرص الشمس لا تمتنع أن يكون خطا مستطيلا ، بل كان يجب أن يكون مستطيرا في الأفق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة ، لكن ليس هو كذلك ، فانه يبدو كالحيط الأبيض الصاعد حتى شبهته العرب بذهب السرحان ثم يحصل عقبه ظلة خالصة ، ثم يكون الثاني الصادق المستطير فكان الأول أدل على القدرة ، لأنه بتخليق الله ابتداء تنبيها على أن الأنوار ليس لها وجود إلا بآباده ، والظلمات ليس لها ثبات إلا بتقديره . ولما ذكر الضياء والظلمة ، ذكر منشأهما وضم إليه قرينه فقال

٢٢٩ / ١٥ عاطفا على محل "الَّيْلَ" / لأن "جاعلا" ليس بمعنى المضى فقط لتكون

الإضافة حقيقية ، بل المراد استمراره في الأزمنة كلها : ( والشمس ) أى التى ينشأ عنها كل منهما ، هذا عن غروبها وهذا عن شروقها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لشمس (٣) من ظ ، وفي الأصل : يكون .

(٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : محط فلحظ - كذا (٥) في ظ : لكان (٦) في

ظ : اثبات (٧) من ظ ، وفي الأصل : ليكون (٨) من ظ ، وفي الأصل : نشأ .

{ و القمر } أى الذى هو آية الليل { حساباً } أى ذوى حساب  
وَعَلَمَيْنِ عليه، لأن الحساب يعلم بدورهما وسيرهما، وبسبب ذلك  
نظم سبحانه مصالح العالم فى الفصول الأربعة، فيكون عن ذلك ما يحتاج  
إليه من نضج الثمار وحصول الغلات، وعبر عنها بالمصدر المبنى على هذه  
الصيغة البليغة إشارة إلى أن الحساب بهما أمر عظيم كبير، النفع كثير  
الدخول، مع ما له من الدنيا فى أبواب الدين فهو جل نفعها الذى وقع  
التكليف به، فكانه لما كان الأمر كذلك، كان حقيقتها التى يعبر  
عنها بها، وأما غير ذلك من منافعتها فلا مدخل للعباد فيه.

ولما كان هذا أمراً باهراً<sup>١</sup> وصفاً قاهراً، أشار إليه بأداة البدل  
فقال: { ذلك } أى التقدير العظيم الذى تقدم من الفلق وما بعده ١٠  
{ تقدير العزيز } أى الذى لا يغالب فهو الذى قهرهما على ما سيرهما<sup>٢</sup>  
فيه، وغلب العباد على ما در من أمرهم بهما، فلو أراد أحد أن يجعل ما جعله  
من النوم يقظة و'' اليقظة نوماً، أو يجعل محل السكن للحركة أو بالعكس  
أو غير ذلك مما أشارت إليه الآية لأعياء ذلك { العليم } أى الذى  
جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتغير وميزان قويم<sup>٣</sup> لا يزيغ. ١٥  
ولما ذكر ذلك، أتبعه منفعة أخرى تعمها مع غيرهما مبيتنا ما أذن

(١) فى ظ: علما (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: على ان (٣-٣) سقط ما بين  
الرقين من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: كثير (٥) فى ظ: فى (٦) من ظ،  
وفى الأصل: الدنيا (٧) فى ظ: بهما (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، وفى الأصل:  
قهره (١٠) من ظ، وفى الأصل: يشيرهما- كذا (١١) من ظ، وفى الأصل: او.  
(١٢) فى ظ: لقرير- كذا.

فيه من علم النجوم و منافها فقال : ( و هو ) أى لا غيره ( الذى جعل )  
ولما كانت العناية [ بنا - ١ ] أعظم ، قدم قوله : ( لكم النجوم ) أى  
كلها سائرهما وثابتها وإن كان علمكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن  
الرسوخ والبلوغ فى علم السير<sup>٢</sup> للسيارة منها ( اهتدوا ) أى لتكلفوا  
أنفسكم علم الهداية ( بها ) لتعلموا القبلة وأوقات الصلوات<sup>٣</sup> والصيام  
وغير ذلك من منافعكم دنيا ودينا .

ولما كانت الأرض والماء ليس لهما من نفسها إلا الظلة ، وانضمت  
إلى ذلك ظلة الليل ، قال : ( فى ظلمت البر ) أى الذى لا علم فيه ، وإن  
كانت له أعلام فانها قد تخفى ( والبحر ) فانه لا علم به ، والإضافة  
١٠ إليهما لللباسة أو تشبيه اللباس من الطرق وغيرها بالظلة ، روى الحافظ  
أبو بكر الخطيب البغدادي فى جزءه جمعه فى النجوم من طريق أحمد بن  
سهل الأثنانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا من النجوم  
ما تهتدون<sup>٤</sup> فى البر والبحر ثم انتهوا ، وتعلموا من الأنساب ما تصلون  
به<sup>٥</sup> أرحامكم وتعرفون ما يحل لكم<sup>٦</sup> ويحرم عليكم من النساء ثم انتهوا .  
١٥ وفى من طريق عبد الله بن الإمام أحمد فى زياداته على المسند عن على  
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على ! أسبغ  
الوضوء وإن شق عليك ، ولا تأكل الصدقة ولا تنزه<sup>٧</sup> الخمر على

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التسير (٣) من ظ ، وفى الأصل : الصلاة (٤) من  
ظ وروح المعانى ٢ / ٣٧٧ ، وفى الأصل : يهتدون (٥) فى ظ : الأسباب .  
(٦) فى ظ : اليه (٧) سقط من ظ (٨) من مسند الإمام أحمد ١ / ٧٨ ، وفى  
الأصل : لا تثر ، وفى ظ : لا سر - كذا .

الخليل<sup>١</sup>، ولا تجالس أصحاب النجوم<sup>٢</sup>. وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تسألوا عن النجوم، ولا تفسروا القرآن برأيكم، ولا تسبوا أصحابي، فإن ذلك الإيمان المحض<sup>٣</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر في النجوم - رواه من طرق كثيرة<sup>٤</sup>، و<sup>٥</sup> عن عائشة ه رضي الله تعالى عنها مثله سواء، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا - رواه من طرق وأسند عن قتادة قوله تعالى "وانهزوا وسبلا" قال: طرقا "وعلمت" قال: هي النجوم، قال: إن الله عز وجل إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: ١٠ جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها [ شيئا - ° ] غير ذلك فقد أخطأ حظه وقال رأبه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له<sup>٦</sup> به - في كلام طويل حسن، [ وهذا الأثر الذي عن قتادة أخرجه عنه البخاري<sup>٧</sup> في صحيحه - ° ]، وقال صاحب كنز اليواقيت في استيعاب<sup>٨</sup> المواقيت في مقدمة الكتاب: ١٥ واعلم أن العلم منه محمود، ومنه مذموم لا يذم لعينه، إنما يذم في حق العباد لأسباب ثلاثة: أولها أن يكون مؤديا إلى ضرر كعلم السحر

(١) من ظ والمسنَد، وفي الأصل: الخليل (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ وآية ١٥٠ (٤) سورة ١٦ آية ١ (٥) زيد ما بين الحাজرين من ظ (٦) من ظ وصحيح البخاري - بدء الخلق، وفي الأصل: لنا (٧) زيد بعده في ظ: عنه، ولا يناسب السياق لحذفناه. (٨-٨) من ظ، وفي الأصل: فقال (٩) من ظ، وفي الأصل: التبعات - كذا.

و الطلسمات و هو حق<sup>١</sup> إذ شهد القرآن به و أنه سبب للفرقة بين  
 الزوجين ، و سحر النبي صلى الله عليه وسلم و مرض بسبه ، حتى أخبره<sup>٢</sup>  
 جبرئيل عليه السلام و أخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر - كما ورد  
 في الحديث الصحيح ؛ و معرفة ذلك من حيث أنه معرفة ليس مذموما ،  
 ٥ أو من حيث أنه لا يصلح إلا لإضرار بالخلق يكون مذموما<sup>٣</sup> . و الوسيلة  
 إلى الشر شر ؛ الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كالقسم  
 الثاني من علم النجوم الاحكامي المستدل [ به -<sup>٤</sup> ] على الحوادث بالاسباب  
 كاستدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض ، و هو معرفة  
 بجارى سنة الله و عادته في خلقه ، و لكنه ذمه الشرع و زجر عنه ثلاثة  
 ١٠ أوجه : أحدها أنه<sup>٥</sup> يضر بأكثر الناس فانه إذا قيل : هذا الامر لسبب  
 سير الكواكب ،<sup>٦</sup> وقر في نفس الضعيف<sup>٧</sup> العقل أنه مؤثر ، فيمنحى  
 ذكر الله عن قلبه ، فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط بخلاف العالم  
 الراسخ ، فانه يطلع على [ أن -<sup>٨</sup> ] الشمس و القمر و النجوم مسخرات ،  
 و فرق كبير بين من يقف مع الاسباب و بين من يترقى إلى مسبب  
 ١٥ الاسباب ، ثم<sup>٩</sup> ذكر ما<sup>١٠</sup> حاصله أن السبب الثاني في النهى عنه أنه  
 تخمين<sup>١١</sup> لا يصل إلى القطع ؛ و الثالث أنه لا فائدة فيه . فهو خوض في

(١) في ظ : احق (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .

(٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من

ظ ، و في الأصل : ان (٦-٦) في ظ : وقع الضعف - كذا (٧-٧) من

ظ ، و في الأصل : ذكره (٨) من ظ ، و في الأصل : تخمين - كذا .



فضول، و أن السبب الثالث مما يذم 'به ما يذم' من العلوم أنه مما لا تبلغه<sup>١</sup> عقول أكثر الناس ولا يستقل به، ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الأشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع - انتهى . و روى أبو داود و ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر<sup>٥</sup> زاد ما زاد<sup>٢</sup> . وقال صاحب كتاب الزينة في آخر كتابه بعد أن ذكر العيافة و الزجر ونحوهما، و يأتي أكثره عنه في سورة الصُّفَّت: و روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إياكم و النجوم! فإنه تدعو إلى الكهانة، قال: هذه الأشياء كلها لها أصل صحيح، فمنها ما كانت من علوم الأنبياء مثل النجوم و الخط و غير ذلك، و لو لا الأنبياء الذين<sup>١٠</sup> أدركوا علم النجوم و عرفوا مجازى الكواكب في البروج، و مالها من السير في استقامتها و رجوعها، و ما قد ثبت و صح من الحساب في ذلك بما لا ارتياب فيه، لما قدر الناس على إدراكه، و ذلك كله بوحى من الله عز و جل إلى أنبيائهم عليهم السلام، و قد روى أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم، و روى في الخط أنه كان علم نبي من الأنبياء،<sup>١٥</sup> و لو لا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف و لا عرفوها<sup>٢٠</sup> .

و لما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا<sup>٢٥</sup> علا عن

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ، و فی الأصل: لا يتلفه - كذا.  
(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فی ظ: البرزخ - كذا (٥) زيدت الواو بعده فی الأصل، ولم تكن فی ظ فخذفناها .

طوق الإنسان و الملائكة و الجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت غفرا يتوقع فيه التنبيه عليه [ فقال - ١ ] : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة ﴿ الأيت ﴾ واحدة فى إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيع و المثال الرفيع ؛ و لما كانت من الوضوح فى حد لا يحتاج إلى كثير ٥ تأمل قال : ﴿ لقوم يعلمون ٥ ﴾ أى لهم قيام فيما إليهم ، و لهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب .

و لما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضى و السماوى ، أتبعه - كما مضى فى أول السورة - الخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت ، و هو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمقاوثة ١٠ أول الإبداع و آخر الآجال ما اعتقدوا فى النور و الظلمة و الشمس و القمر و غيرهما ، لأن واحدا ٢ منها لا اختيار له فى شئ . يصدر ٣ عنه ، بل هو مسخر و مقهور - كما هو محسوس و مشهور ، فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى انشأكم ﴾ أى و أتم فى غاية التفاوت فى الطول و القد و اللون و الشكل و غير ذلك من الأعراض التى دبرها سبحانه ١٥ على ما اقتضته حكمته ﴿ من نفس واحدة ﴾ ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم منها .

و لما كان أغلب الناس فى الحياة [ الدنيا - ١ ] يعمل عمل من لا يحول و لا يزول ، لا يكون على شرف الزوال ما دامت ٥ فيه بقية (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : كبير (٣) من ظ ، و فى الأصل : احد (٤) فى ظ : يصد (٥) فى ظ : ما دام .

٢٣١ /

[ من - ١ ] حياة ، [ قال - ١ ] : ( فستقر ) أى فسيب عن ذلك أنه  
منكم / مستقر على الأرض - هذا على قراءة ابن كثير وابن عمرو بكسر  
القاف اسم فاعل ، والمعنى فى قراءة الباقيين ٢ بفتحته اسم مكان " ولكم  
فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ٣ " .

ولما كان من فى البرزخ قد كشف [ عنهم - ١ ] الغطاء فهم ٥  
موقنون بالساعة غير ٤ عاملين على ضد ذلك ، وكذا من فى الصلب والرحم ،  
عبر بما ٥ يدل على عدم الاستقرار فقال : ( ومستودع ٦ ) أى فى  
الاصلاب أو الأرحام أو فى بطن الأرض ، [ فدلّت المفاوطة من كل  
منهما - مع أن الكل من نفس واحدة - على القادر المختار - ١ ] ، لا يقدر  
غيره أنا ٦ يعكس شيئاً من ذلك ، وكل ذلك مضمون الآيتين فى أول ١٠  
السورة ؛ وقدم الإصباح والليل ومتعلقهما لتقدمهما فى الخلق ، ثم تلاه بخلق  
الإنسان على حسب مامر أول السورة ، وذكر [ هنا أنه جعل ذلك  
الطين نفساً واحدة فرّج الإنس كلهم منها مع تفاوتهم فيما - ١ ] هناك  
وفى غيره .

ولما ذكر هذا المفرد ٧ الجامع ، وفصله على هذه الوجوه المعجبة ، ١٥  
كان محلاً لتوقع التنبيه عليه فقال : ( قد فصلنا ) أى بعظمتنا ( الأيت )  
أى أكثرنا يانها فى هذا المفرد ٧ الجامع فى أطوار الخلقة وأدوار الصنعة ٨ ،  
تارة بأن يكون من التراب بشر ، وأخرى بأن يخرج الأئشى من الذكر ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: الباقى (٣) سورة ٢ آية ٢٦ (٤) من  
ظ ، وفى الأصل: ثم (٥) من ظ ، وفى الأصل: لما (٦) فى ظ : لان (٧) فى  
ظ : الفرد (٨) فى ظ : الصنعة .

وتارة بأن يفرع من الذكر والاثني ما لا يحيط به العدد ولا يجمعه الخبر من النطفة إلى الولادة إلى الكبر .

ولما كان إنشاء الناس من نفس واحدة وتصريفهم على تلك الوجوه المختلفة جدا أطف وأدق صنعة<sup>١</sup>، فكان ذلك محتاجا<sup>٢</sup> إلى تدبر  
 ٥ و استعمال فطنة و تدقيق نظر<sup>٣</sup>، قال: ﴿لقوم يفقهون هـ﴾ أى لهم أهلية الفقه و الفطنة .

ولما ذكر وجوه الإبداع التفرعي<sup>٤</sup> من هذين الكونين وأسباب البقاء له بما ينشأ [عنه - ٦] الفصول<sup>٥</sup> و غيرها، أتبعه سببه القريب، وهو الماء الذى جعل منه كل شئ، حتى، فقال مفصلا ما أجمله في الحب  
 ١٠ و النبوى، سائقا له مساق الإحسان لما<sup>٦</sup> قبله من الدلائل، فان الدليل إذا كان على وجه الإحسان و مذكرا بالإنعام كان تأثيره في القلب عظيما، فينبغى للشتغل بدعوة الخلق أن يسلك هذا المسلك [ليكون للقلوب أملك - ٦]: ﴿وهو﴾ أى لا غيره ﴿الذى أنزل﴾ أى بقدرته و عليه و حكمته ﴿من السماء﴾ أى الحقيقية التى تعرفونها كما دل عليه  
 ١٥ صريح<sup>٧</sup> العبارة و ما أشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الإشارة ﴿ماء ج﴾ أى منهمرا و دافقا .

ولما كان تفرع الخلق من الماء بمكان من العظمة لا يوصل إليه، نبه عليه بالانتقال إلى التكلم في<sup>٨</sup> مظهر العظمة فقال: ﴿فاخرجنا﴾ أى على

- (١) فى ظ : العدد (٢) فى ظ : صنعة (٣) من ظ ، وفى الأصل : محتاج (٤) فى ظ : خبر (٥) فى ظ : التقريبي (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : كما . (٨) من ظ ، وفى الأصل : صرح (٩) فى ظ " و " .

ما لنا من العظمة التي لا يدانيها أحد ( به ) أى الماء ( نبات كل شيء )  
 مختلفة طعومه وألوانه وروائح وطبائعه ومنافعه وهو بماء واحد ، فالسبب  
 واحد والمسببات كثيرة منفعة<sup>٢</sup> ، سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم  
 والشجر ، أو مجازيا من الآتى والذكر ؛ ثم سبب عن الحقيقى  
 لظهوره قوله دالا على العظمة : ( فأخرجنا منه ) أى النبات ( خضرا ) أى هـ  
 شيئا أخضر غضا طريا ، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من  
 الحبة ؛ ثم زاد فى بيان عظمته بقوله : ( نخرج ) أى حال كوننا مقدرين  
 أن نخرج ( منه ) أى من ذلك الخضر ( حبا متراكبا ) أى فى السنبل  
 يركب بعضه بعضا [ ويحرسه من أن يلتقطه الطير بعد ستره بالقش بحسك  
 طويل لطيف جدا كالإبر خشن - ٣ ] ، بعد أن كان أصله حبة واحدة ١٠  
 على صورتها ، أو منفثة فى التراب بعد أن طوره سبحانه فى عدة أطوار ،  
 إن فاعل ذلك لقادر مختار .

ولما كان نسبة الإخراج والإبداع إليه سبحانه وحده فى مظهر  
 العظمة خصوصا وعموما ، فلم أن الكل منه ، و صار الحال فى حد من  
 الوضوح جدير بأن يؤمن من نسبة شيء إلى غيره لا سيما الذى هم ١٥  
 له معالجون ، وبالعجز عن إبداعه عالمون ، وبدأ بما بدأ به أولا فى آية  
 الفلق من الحب ؛ ثم بما من النوى ، فقال معبرا لذلك الأسلوب :  
 ( ومن النخل ) و تقديم الحب عليه هنا وفيما قبل يدل على أن الزرع  
 أفضل منه ، فإنه قوت فى أكثر البلاد ولأغلب الحيوانات [ والغذاء

(١) من ظ ، وفى الأصل : مختلفا (٢) فى ظ : متفتة (٣) زيد ما بين الحاجرين  
 من ظ .

مقدم على الفاكهة - [ ١ ] ؛ فانها خلقت من طينة آدم<sup>٢</sup>؛ ثم أبدل بما أجل  
 من ذلك / قوله مينا: (من طلعتها) أى النخل، وهو أول ما يخرج منها  
 [ فى - ١ ] أكامه (قوان) جمع قن، وهو العذق بالكسر للشمراخ وهو  
 الكباسة، والعرجون عوده الذى يكون فيه البسر (دانية) أى قرية  
 ٥ التناول وإن طال أصلها بما علمكم سهل لكم من صنعة<sup>٣</sup> الوصول إليها.  
 ولما لم يكن لهم من معالجة الأعناب وغيرها ما لهم من معالجة النخل،  
 عطف على "نبات" منها لهم على أنها - كالنخل - هو سبحانه المتفرد  
 بابتداعها [ كما تقدم - فقال: (و جنت) أى بساتين (من اعناب)  
 و جمعها لكثرة أنواعها - [ ١ ]، وبدأ بهاتين الشجرتين لفضلهما<sup>٤</sup> كما تقدم  
 ١٠ على غيرهما، لأن ثمرهما فاكهة وقوت، وقدم الأول لأنهم له أكثر  
 ملابسة<sup>٥</sup>، وإن كان العنب أشرف أنواع الفواكه، فإنه يتفجع به  
 من أول ظهوره لأنه [ أولا - ١ ] يكون له خيوط [ خضر - ٢ ]  
 دقيقة حامضة لذيدة، ثم تكون الحصرم، وهو طعام شريف للأصحاء  
 والمرضى، وقد يتخذ<sup>٦</sup> منه رُب الحصرم وأشربة لطيفة المذاق نافعة  
 ١٥ لأصحاب الصفراء، ويطبخ منه ألد الأطعمة الحامضة، وهو عنب ألد  
 الفواكه وأشهاها، ويدخر عنباً قريبا من سنة، ويكون زيبه غذاء،  
 ويكون منه دبس والحل وغير ذلك، وأحسن ما فيه عجمه،  
 وهو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للعدة<sup>٧</sup> الضعيفة الرطبة  
 (١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ: صنعة.  
 (٤) العبارة من هنا «الضعيفة الرطبة» تأخرت فى ظ عن «والرمان».  
 (٥) فى ظ: يتحذر (٦) من ظ، وفى الأصل: للعة.

[ و قدم النخيل لأنها قوت للعرب ، وبينها وبين الإنسان مشابة في خواص كثيرة لا توجد في النبات ، ولذا جاء في الحديث « أكرموا عتكم النخلة ، فإنها خلقت من طينة آدم عليه السلام ، وليس من الشجر يلقح غيرها » - رواه أبو يعلى و أبو نعيم في الحلية و أبو الشيخ عن على رضى الله عنه - <sup>١</sup> ] ؛ و أتبعهما ما يليهما في الفضيلة فقال : ﴿ و الزيتون ﴾ [ و - <sup>١</sup> ] هـ قدمه لكثرة نفعه ، و يفصل منه دهن عظيم النفع في الأكل و الضياء و سائر وجوه الاستعمال ﴿ و الرمان ﴾ <sup>٢</sup> ختم به لحسنه و عظيم نفعه ، و هو مركب من أربعة أشياء : قشره و شحمه و عجمه و مائه ، فالثلاثة الأول باردة يابسة أرضية كصفة عصفية فائضة جدا ، و الماء مضدها و هو ألد الأشربة و ألطفها و أقربها إلى الاعتدال و أشدها مناسبة للطبع ١٠ المعتدل ، و في ذلك تقوية للزجاج الضعيف ، و هو غذاء من وجه و دواء <sup>٢</sup> من وجه .

ولما ذكر الأقوات من الثمار و الحبوب و الأدهان و أشرف الفواكه و أعماها ، و كانت أشبه شيء بالآدمى في نشته و بعته و اتفاه و اختلافه ، و كان اشتباه بعضها و اختلاف بعضها - مع كونها تسقى بماء ١٥ واحد و في أرض واحدة - دالا على القدرة و الاختيار ، و كان الصياق لإثبات الوجدانية و نفى الشريك بإثبات كمال القدرة التى هى منفية عن غيره ، فلا يصح أن يكون له شريك ، لأنه لا يكون إلا مشابها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « من وجه » ساقطة من ظ (٣) في الأصل و ظ : داء - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل : يسقى .

لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه، وللبعث فكان المراد التفكير في ظواهرها وتقلباتها من العدم إلى الوجود وبعد الوجود، ولحاجة أهل الكتاب 'الموسومين بالعلم' المنسوين إلى حدة الأذهان وغيرهم من الفرق، وكان افعل يأتي للتعريف<sup>٢</sup>، وهو المبالغة في إثبات أصل الفعل والاجتهاد في تحصيله والاعتماد، فكان حصوله إذا حصل أكمل<sup>٣</sup>، قال<sup>٤</sup> بانيا حالا<sup>٥</sup> من كل ما تقدم: ﴿مشتبها﴾ أى فى غاية الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز، فلو قطع ثمرتا شجرتين منه لم يتميز ثمرة هذه<sup>٦</sup> من ثمرة هذه<sup>٧</sup>، فلا يقابله حينئذ نفي التفاعل، فانه مجرد مشاركة أمرين أو أكثر فى أصل الفعل، فعلم أن التقدير: وغير ١٠. مشتبه ومتشابهها، ثم لما كان ربما تمسك القائل بالطباع بهذه العبارة، نفي ما ربما ظن من أن لهذه الأشياء عملا فى اشتباه بعضها ببعض فقال: ﴿وغير متشابه<sup>٨</sup>﴾ أى غير طالب للاشتباه مع أنه لا بد من شبه [ما-٩]، فالآية من الاحتباك: أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده، و[هو-٩] عدم التشابه<sup>١٠</sup>، و"لاجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه، علق الأمر بالنظر الذى هو أثبت الحواس، ودلالة على أن

١٥

---

(١) فى ظ: بمحاجة (٢-٢) فى ظ: المومتين (٣) فى ظ: للتعرف (٤) من ظ: وفى الأصل: فيه كان (٥) من ظ: وفى الأصل: المسكر - كذا (٦) فى ظ: حال (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) زيد من ظ: (١٠) زدناه لاستقامة العبارة (١١) والعبارة من «فلاية» إلى هنا ساقطة من ظ (١٢) فى ظ: او.



المراد إما هو ظاهر ذلك ، لأنه كان في الدلالة على البعث و التوحيد الذى هذا سياقه قال : ( انظروا الى ثمرة ) وهذا بخلاف الحرف الثانى ، فانه في ' سياق الرد على العرب فيما يجعلون من خلقه لاصنامهم التى لا قدرة لها على شيء أصلا ، و لذلك ختم الآية ' بالإذن لهم فى الاكل منه لانتهاه عما كانوا يحرّمونه<sup>٢</sup> منه على أنفسهم ، و بالامر بالتصدق على من أمر بالصدقة عليه ، هـ

و أما الباطن الذى هو الأكل فسيأتى ؛ ثم نه على تعميم النظر / فى جميع حالاته بقوله : ( اذا أثمر ) أى حين يبدو من كمامه ضعيفا قليل النفع أو عديمه ( و ينعه<sup>٣</sup> ) أى و انظروا إلى إدراكه إذ أدرك و حان قطافه ، و يعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك ، لأنه يلزم من مراقبة الأول و الآخر ، فيعلم استحالة ألوانه و مقاديره و طموحه و أشكاله و غير ذلك من شؤنه و أحواله ، و يلزم من ذلك أيضا [ النظر - ° ] إلى أشجاره ليعلم تفاوت بعضها و اشتباه البعض الآخر فى الطول و القصر و الصغر و الكبر و غير ذلك من سائر الأحوال ، كما أن ذلك موجود فى التمر ، فاستناد هذه التبدلات و التغيرات ليس إلا إلى الفاعل المختار ، لأن نسبت إلى الطائعات و الفصول على حد سواء ، فلو استندت إليها لم تتغير . ١٥

ولما كان اتخاذ هذه المذكورات أولا و المخالفة بين أشكالها و مقاديرها و ألوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية ، دل على عظمته بقوله<sup>٤</sup> مستأنفا مشيرا<sup>٥</sup> بأداة البعد و ميم الجمع : ( ان فى ذلكم )

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : بقوله (٣) من ظ ، وفى الأصل : يحرّمون ..  
(٤) زيد بعده فى الأصل : من ذلك النظر فيما بين ، ولم تكن الزيادة فى ظ  
لحذفها (٥) زيد من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ  
لحذفها (٧-٧) من ظ ، وفى الأصل : مشيرا مستأنفا ..

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ١٠٠ و ١٠١) ج - ٧

أى الأمر العظيم الشأن العالى الرتبة ﴿لَا يُت﴾ أى علامات على قدرة الصانع واختياره .

ولما كانت الآيات لا تغنى<sup>١</sup> عن أريدت شقاوته قال: ﴿لقوم يؤمنون﴾ .  
أى حكم بأنهم - يحذقهم وتشايطهم وقوتهم<sup>٢</sup> على ما يحاولونه - يحددون الإيمان كلما تأملوا فى مصنوعات الله [ سبحانه وتعالى -<sup>٣</sup> ] الذالة عليه المشيرة بكل لسان إليه .

ولما كان المشركون على أصناف: منهم عبدة أصنام، شركوا فى العبودية لا فى الخلق، ومنهم آزر [ الذى حابه إبراهيم عليه السلام -<sup>٤</sup> ] ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان: منهم من قال: هى راجعة الوجود، ومنهم من قال: ممكنة، خلقها الله وفوض إليها تدبير هذا العالم الأسفل، وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالآفول<sup>٥</sup>، ومنهم من قال: لهذا العالم كله إلهان: فاعل خير، وفاعل شر، وقالوا: إن الله وإبليس أخوان، فأنه خالق الناس والدواب والأنعام<sup>٦</sup>، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور<sup>٧</sup>، ويلقبون الزنادقة وهم المجوس، لأن الكتاب الذى زعم زردشت<sup>٨</sup> أنه نزل من عند الله سعى بالزند<sup>٩</sup>، فالمنسوب إليه زندي<sup>٩</sup>، ثم عرب فقيل<sup>١٠</sup>: زنديق، وكان هذا كله فى قوله

(١) من ظ، وفى الأصل: لا يغنى (٢) من ظ، وفى الأصل: قولهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: من (٥) سقط من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٧) من ظ والبدء والتاريخ م/٧، وفى الأصل: رادشت - كذا (٨) فى ظ: بالزيد (٩) فى ظ: زيدى (١٠) فى ظ: فالمنسوب إليه - كذا: (١١) من ظ، وفى الأصل: من .

”فائق الاصاب“ شرحاً لآية ”ان الله فائق الحب [ والنوى - ]“  
 دلالة على تمام القدرة الدالة<sup>٢</sup> على الوجدانية للدلالة على البعث؛ حسن  
 كل الحسن<sup>٣</sup> العود إلى تقييح حال المشركين<sup>٢</sup> بالتعجيب منهم في جملة  
 حالية من الضمير في ”فائق“ أو غيرهما مما تقدم، فقال تعالى شأنا  
 أمر هذا الصنف، لأن أمر غيرهم تقدم؛ وقال ابن عباس رضى الله  
 عنها: إن هذه الآية [ نزلت - ] في الزنادقة: ﴿٦٠ و جعلوا ﴾ أى  
 هو سبحانه فعل هذا الذى لا بدع لبسا في تمام عليه وقدرته وكال حكمته  
 ووجدانيته والحال أن الذى فعل ذلك لأجلهم قد جعلوا<sup>١</sup> و غير بالاسم  
 الاعظم وقدمه استعظاما لأن يعدل به شيئا ﴿الله﴾ أى الذى له  
 جميع الأمر.

١٠

ولما كان الشرك في غاية الفظاعة والشناعة، قدمه فقال: ﴿شركاء﴾.  
 [ يعنى وما كان ينبغي أن يكون له شريك مطلقا، لأن الصفة إذا ذكرت  
 مجردة غير مجرأة على شيء كان ما يتعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز  
 أن يكون له الصفة، وحكم الإنكار حكم النفي. ولما اهتز السامع من  
 هذا التقديم لزيادة المعنى من غير زيادة اللفظ، تشوف إلى معرفة النوع  
 الذى كان منه الشركاء - ]<sup>١</sup> فينتهم<sup>٢</sup> بقوله: ﴿الجن﴾ أى الذين هم [ أجراً - ]<sup>١</sup>  
 (١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: الدال (٣-٣) تكرور  
 ما بين الرقيين في الأصل (٤) في ظ و و (٥) زيد من روح المعاني ٤١/٢ .  
 (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: ثم بينهم .

الموجودات عليهم و أعدام<sup>١</sup> لهم ، فأطاعوهم كما 'بطاع الإله' فكان  
عبادة لهم و تشريكا . [ وقد رأيت ما للبيان بعد الانتهاء بما يحسن  
لناظرين - ٢ ] ( و خلقهم )<sup>٣</sup> أى و الحال أنهم قد علموا أن الله خلقهم<sup>٤</sup>  
[ أى قدرهم بعلم و تدبير ، فلذلك كان خلقه لهم محكما - ٢ ] ( و خرقوا )  
هـ أى العابدون ( له بنين ) أى كعزير و المسيح ( و بنت ) أى من  
الملائكة ، فجمعوا لذلك جهالات هى غاية فى الضلالات : وصف  
الملائكة بالأنوثة و الاجتراء<sup>٥</sup> على مقام الربوبية بالحاجة ، و تخصيصه بعد  
ذلك بما لا يرضونه لأنفسهم بوجه ؛ و مادة 'خرق' تدور على النفوذ  
و الاتساع و الإطلاق [ و التقدير بغير علم و لا معرفة ليحدث عنه  
١. الفساد ، و لذلك قيل لمن لا يحسن العمل : خرق ؛ وللرأى : خرقاء - ٢ ] ،  
يعنى أنهم كذبوا و اختلفوا و اتسعوا فى هذا / القول بالكذب ، و أبعادوا<sup>٦</sup>  
به فى هذه 'المجازة عن حقيقته' ، اتسع من سار فى خرق أى برية  
واسعة بهما و سوقة جوفاء<sup>٧</sup> متباعدة الأرجاء إلى حيث لم يسبقه إليه  
بشر ، فضل عن الجادة ضلالا لا ترجى معه هدايته إلا على بعد شديد ،  
١٥ فصار جديرا بالهلاك . و إلى ذلك يرجع معنى ما قرئ فى الشاذ :  
و حرفوا - بالمهمل و الفاء .

و لما لم يكن لقولهم أصلا حقيقة و لا شبهة<sup>٨</sup> ، [ و كان الخرق التقدير

(١) فى ظ : اعدام (٢-٢) فى ظ : يطيعوا الالهة (٣) زيد ما بين الحازين  
من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقيين فى ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختيارات .  
(٦-٦) فى ظ : فابعدوا (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : شهد - كذاه .

بغير علم -<sup>١</sup> ]، دل على ذلك [مصرحا بما أفهمه محققا له -<sup>٢</sup> ] تنبيها على الدليل القطعي في اجتياح<sup>٣</sup> قولهم من أصله<sup>٤</sup>، وذلك أنه قول لا حجة له، و مسائل أصول الدين لا يصار إلى شيء منها إلا بقاطع<sup>٥</sup>، وذلك بنكرة في سياق النفي فقال: (بغير علم<sup>٦</sup>) ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها على ما يجب قوله على كل من سمع ذلك، فقال: (سبحنه) أى أسبحه سبحانه ه يلقى بجلاله<sup>٧</sup> أن يضاف إليه؛ ولما كان معنى التسبيح الإبعاد عن النقص، وكان المقام يقتضى كونه فى العلو<sup>٨</sup>، صرح به فقال: (وتغلى) أى تباعد أمر علوه إلى حد لا حد له ولا انتهاء (عما يصفون<sup>٩</sup>) .

ولما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد، استدل على ذلك التنزيه بأن الكل خلقه، محيط بهم عليه، ولن يكون المصنوع كالصانع، ١٠ فقال: (بديع السموات والارض<sup>١٠</sup>) أى مبدعها، وله صفة الإبداع، أى القدرة على الاختراع ثابتة، ومن كان كذلك فهو غنى عن التوليد، فلذا حسن التعجب فى قوله: (أتى) أى كيف ومن أى وجه (يكون له ولد) وزاد فى التعجب بقوله: (ولم) أى والحال أنه لم (يكن<sup>١١</sup> له صاحبة<sup>١٢</sup> و) الحال أنه (خلق كل شيء ج) أى مقدور ١٥ يمكن من كل صاحبة تفرض<sup>١٣</sup>، وكل ولد يتوهم، وكل شريك يدعى فكيف يكون المبدع محتاجا إلى شيء من ذلك على وجه التوليد<sup>١٤</sup> أو غيره .

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل وظ : احتياج (٣) فى ظ : اضه (٤) من ظ ، وفى الأصل : بقطع (٥) فى ظ : بحاله (٦) فى ظ : العلوم (٧) هذه قراءة إبراهيم النخعي، وقرأ الباقون بالتأنيث، وفى ظ : لم يكن - كذا (٨) فى الأصل : تعريض، وفى ظ : يفرض (٩) فى ظ : التولد .

ولما كانت القدرة لا تتم إلا بشمول العلم قال : ﴿ وهو ﴾ ولم يضر تنبيها على أن 'عموم العلم' لا تخصيص فيه كالخلق فقال : ﴿ بكل شيء عليم ﴾ أى فهو على كل شيء قدير ، لأن شمول العلم يلزمه تمام القدرة - كما يأتى برهانه إن شاء الله فى ظه ، ومن كان له ولد لم يكن محيط العلم ولا القدرة ، بل يكون محتاجا إلى التوليد .

ولما ثبت أنه لا كفوء له بما ذكر من صفاته وأفعاله ، وبين فساد أقوال المشركين ، وفصل مذاهبهم على أحسن الوجوه ، وبين فساد كل واحد منها بأمتن الحجج ، فثبت بذلك ما افتتح السورة به من إحاطته بصفات الكمال ، قال مشيرا إلى ذلك كله بمبتدأ خبر<sup>٢</sup> بعده<sup>١</sup> أخبار : ١٠ ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى الأوصاف جدا الذى لا حاجة له إلى شيء ، وكل شيء محتاج إليه ﴿ الله ﴾ أى الذى له كل كمال ﴿ ربكم ﴾ أى الموجد لكم والمحسن بجميع أنواع الإحسان ، فهى فذلك ما قبلها وممرته ، لأن من اتصف بذلك كان هو رب الكل وحده [و الخالق للجميع واستحق العبادة وحده -<sup>٤</sup>] فلذا أتبع ذلك قوله : ﴿ لا إله الا هو ﴾ لأن المقام للتوحيد اللازم ١٥ للاحاطة بأوصاف الكمال التى هى معنى الحمد المفتوح به السورة ، وساق قوله : ﴿ خالق كل شيء ﴾ الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك ، (١-١) من ظ ، وفى الأصل : العموم (٢) من ظ ، وفى الأصل : أخبر ، وزيد فيه بعده : عنه ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخصفها (٣) من ظ ، وفى الأصل : بعد . (٤) زيد من ظ .

فلما أقام الدليل سبب عنه الأمر بالعبادة<sup>١</sup> فقال: ﴿فاعبدوه ج﴾ أى وحده، لأن من أشرك به لم يعبد، لأنه الغنى المطلق، ومن كان له الغنى المطلق<sup>٢</sup> لا يحسن أن يقبل شركاً<sup>٣</sup>، وختم الآية بقوله: ﴿وهو﴾ ولما كان المقام لنفى احتياجه إلى شيء، قدم قوله: ﴿على كل شيء وكيله﴾ إشارة إلى أن الولد أو الشريك إنما يحتاجه العاجز المفتقر، وأما هو فهو القادر، ومن سواه عاجز، وهو الغنى ومن سواه فقير، فكيف يحتاج<sup>٤</sup> القدير [الغنى - ٧] إلى العاجز الفقير، هذا ما لا يكون، ولا ينبغي أن يتخيله الظنون، وفيه إشارة إلى أن العابد ينبغي أن يتفرغ / لعبادته ويقطع أموره عن غير<sup>٥</sup>، وكالته، فانه يكفيه بفضلته عن سواه.

ولما كان كل والد وكل شريك لا بد أن يكون مجانسا لولده ١٠  
وشريكه بوجه، وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه<sup>٦</sup>، فقال: ﴿لا تدركه﴾ أى حق الإدراك بالإحاطة (الابصار) أى أن من جعلتموه ولده أو شريكه هو مدرك بأبصاركم كعيسى وعزير عليها السلام والأوثان والنجوم والظلة والنور، وأما الملائكة والجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كن تقدمهم<sup>٧</sup>، وإن كان ١٥

- (١) في ظ: لعبادة (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ: مشتركاً.  
(٤) تقدم في الأصل على «ولما كان» والترتيب من ظ (٥) زيد بعده في الأصل: الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلاً، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها.  
(٦) زيد بعده في الأصل: الفقراء، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، وفي الأصل: غيره (١٠) في ظ: سرته - كذا (١١) من ظ، وفي الأصل: نفرضهم.

عن إخبار فهو عن الأنبياء ليس غير، و كل منهم مخبر بأنهم عباد الله  
كغيرهم، وأنه منزّه عن شريك و ولد، و هذه كتبهم و صحاح أخبارهم  
شاهدة بذلك، [و - ' ] وراه ذلك كله أنهم بحيث يدركون بالابصار  
في الجملة، ليس إدراكهم مستحيلاً، و أما هذا الإله العزيز فهو غير  
مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره إدراكاً تاماً، فيتأمله ناظره فيزنه<sup>٢</sup>  
و ينقده بالخبرة بما فيه من رضى و غضب و غيرهما، بما أبدته الفراسة  
و أوضحه التوسم، لانه سبحانه متعال عن أن يحاط به، هذا على أنه  
من عموم السلب، و إن كان من سلب العموم فالمعنى أنه عزيز لا يراه  
كل أحد، بل يراه الخواص إذا أراد فكشف لهم الحجاب و أوجد لهم  
١٠. الأسباب (و هو) مع ذلك يدرككم، بل و (يدرك) ما لا تدركونه  
من أنفسكم (الابصار) و هى القوى المودعة فى عصبة العين لتدرك بها  
المبصرات (و هو اللطيف) عن أن يحيط<sup>٣</sup> به الابصار، لانه يمنع  
الاسباب عن أن ينشأ عنها مسياتها، و يوجد أدق الاسباب و أغربها،  
فلا يستغرب عليه إدراك المعاني لانه الذى أوجدها "الا يعلم من  
١٥ خلق" و أصل اللطف دقة النظر فى الأشياء (الخيرة) أى المحيط  
بالابصار، فاحاطته بأصحابها أجدر، و يتحقق<sup>٤</sup> معنى الاسمين لتحقيق<sup>٥</sup>  
المعنى، قال الحرالى فى شرح الاسماء: اللطف إخفاء التوصل إلى الشيء  
بإظهار ما يضاده، و لا يتم إلا بخبرة، و لذلك نظم باسمه "الخير"

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فيرمه (٣) فى ظ : تحيط (٤) فى ظ : تنشأ .  
(٥) سورة ٦٧ آية ١٤ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بتحقيقه (٧) فى ظ : بتحقيق .



لأنه أخفى حكمته<sup>١</sup> في ظاهر بضادها، فاللطف مخبرة<sup>٢</sup> في حكمة<sup>٣</sup>،  
وباسمه تعالى اللطيف أقام<sup>٤</sup> أمر حكمته<sup>٥</sup> ما بين الدنيا والآخرة، وبذلك<sup>٦</sup>  
أقام أمر أهل ولايته في الدنيا لما جمع لهم من أمره فيها، فيبدو عزم  
من وراء ذل، ويترامى ذلهم ومن دونه [ عز - ° ]، فيسبق عزم إلى  
القلوب مع تذللهم في الحواس، ويؤل محوسهم إلى عز في عقبي الدنيا، ه  
ومبادرة الآخرة مع تأنس القلوب بهم، "ان ربي لطيف لما يشاء"<sup>٧</sup>،  
لما أراد أن يملكه مصر [ و - ° ] جعل وسيلة ذلك استعباده بها، وبحصول  
معناه بتمام الخبرة والحكمة - وتلك إبداء الشيء في ضده - يتضح  
اختصاصه بالحق، فهو الذي أطعم من جوع وآمن من خوف، الذي جعل  
لكم من الشجر الأخضر نارا، فهو تعالى اللطيف الذي لا لطيف إلا هو، ١٠  
ثم قال: الخبرة إدراك خبايا الأشياء وخفاياها بحيث لا يبدو منه  
خبيثة أمر<sup>٨</sup> إلا كان إدراك الخير سابقا<sup>٩</sup> لدورها، وذلك لا يتم  
إلا لمبديها<sup>١٠</sup> الذي هو يخرج خباها<sup>١١</sup>، وهو الذي يخرج الخبء في السهوات  
والأرض، ومخبرة الخلق لا بد فيها<sup>١٢</sup> من إظهار باد ينبئ<sup>١٣</sup> عن الخبء  
بمقتضى التجربة<sup>١٤</sup>، وإلا لم يصح لهم الخبرة، كما قيل: مخبرة المرء فيما يبدو ١٥

- (١) قد ظ: حكمه (٢) في ظ: مخبر (٣) في الأصل وظ: العام - كذا (٤) في  
ظ: كذلك (٥) زيد من ظ (٦) سورة ١٢ آية ١٠٠ (٧) سقط من ظ و  
(٨) في ظ: سائغا (٩) من ظ، وفي الأصل: بمبديها (١٠) في ظ: خبيثها (١١) في  
ظ: تنبي (١٢) من ظ . وفي الأصل: التجريد .

ظلم الدرر (سورة الانعام ٦: ١٠٤ و ١٠٥) ج - ٧

من نطقه وما يظهره اليوم والليله من عمله ، و الحبير الحق خير بالشيء .  
دون باد<sup>١</sup> يرى الظاهر خبيثه أمره ، [ فهو - <sup>٢</sup> ] بالحقيقه الذى لا خير  
إلا هو - [ انتهى - <sup>٣</sup> ] .

و لما أكفر لهم<sup>٤</sup> من إقامة الأدلة على وحدانيته ، و ختمها بهذا الدليل  
المحسوس الذى معناه أن [ كل شريك . كل ان يدرك شريكه و أباه ، وهو  
متاه عن أن يدركه ، أى يحيط به - <sup>٥</sup> ] أحد . ناسب أن يعظهم و يمدح  
الإدلة حدثاً على تدبرها<sup>٦</sup> . و جعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم  
إشارة إلى أنه - لنور قلبه و كمال عقله و صفاء لبه و غزارة علمه و شريف  
أخلاقه و استقامة غرائزه و بُعد مدى همته عن أن ينسب إلى جور أو<sup>٧</sup>  
١٠ / ٢٣٦ / يرى<sup>٨</sup> بعناد - حقيق بأن يقول بعد إقامتها من غير تلغيم<sup>٩</sup> تقريراً لامر  
دعوته بعد تقرير المطالب العاليه الإلهيه : ( قد جاءكم ) .

و لما كانت الآيات - لقوتها<sup>١٠</sup> و جلالها التى أشار إليها تذكير الفعل -  
توجب المعرفة فتكون سبباً لانكشاف الحقائق الذى هو كالتور فى  
جلاء المحسوسات ، قال : ( بصائر ) أى أنوار هى لقلوبكم بمنزلة الضياء  
١٥ المحسوس لبعوثكم ( من ربكم ج ) أى المحسن إليكم بكل إحسان ، فلا  
إحسان أصلاً لغيره عندكم ، فاصعدوا عن النظر بالأبصار إلى الاعتبار

(١) لى ظ : جاد (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
حقا (٥) من ظ ، وفى الأصل : تدبرها (٦-٧) من ظ ، وفى الأصل : جوار و -  
كذا (٧) فى ظ : يرفى (٨) من ظ ، وفى الأصل : تلغيم - كذا (٩) من ظ ،  
وفى الأصل : لقدرتها .

بالبصار، ولا تهبطوا في حضيض التقليد إلى أن تصلوا إلى حد لا تفهمون<sup>١</sup>  
 معه إلا ما يحس بالأبصار بل ترقوا في أوج المعرفة إلى سماوات الاجتهاد  
 وجرّدوا لقطاع الطريق صوارم البصار، فانكم إن رضيتم باللون<sup>٢</sup> لم تضروا  
 إلا أنفسكم. وإن نافستم في المعالي فايها نفتم. ولذلك - بسبب عن هذا  
 انور الباهر والسرّ الظاهر قوله: ﴿ فمن ابصر ﴾ أي عمل بالأدلة<sup>٣</sup>  
 ﴿ فلنفسه ج ﴾ أي خاصة بإبصاره لأنه خلاصها من الضلال المؤدي إلى  
 الهلاك ﴿ ومن عمى ﴾ أي لم يهتد بالأدلة ﴿ فليها ه ﴾ أي خاصة عماء  
 لأنه يضل فيعطب.

ولما كان المعنى أنه ليس لي ولا لغيري من إبصاره شيء ينقصه  
 شيئا، ولا عليّ ولا لغيري شيء من عماء، كان التقدير: فانما أنا بشير<sup>١٠</sup>  
 ونذير، عطف عليه قوله ﴿ وما أنا ﴾ وأشار إلى أن حق الآدمي التواضع  
 وإسلام الجبروت. والقهر لله بأداة الاستعلاء. فقال: ﴿ عليكم ﴾ وأغرق  
 في النفي بقوله: ﴿ بحفيظ ه ﴾ أي أقودكم، قسرا إلى ما ينجيكم، وأمنعكم  
 قهرا مما يردّكم.

ولما كان التقدير التفاتا إلى مقام العظمة إعلاما بأنه التفضل كله<sup>١٥</sup>  
 بيده لئلا يظن نقص في نفوذ الكمية: فانظروا ما صرفنا لكم في هذه  
 السورة من الآيات وأوضحنا بها من شريف الدلالات، لقد أتينا فيها  
 بجانب التصاريّف وكشفنا عن غرائب التعاريف، عطف عليه قوله:

(١) في الأصل: لا يفهمون، وفي ظ: لا تقومون (٢) - سقط من ظ (٣) من  
 ظ، وفي الأصل: افردكم.

( وكذلك ) أى ومثل هذا التصريف العظيم ( تصرف ) أى نقل  
 جميع ( الآيت ) من حال إلى حال فى المعانى المتنوعة سالكين من  
 وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القدر لتحرير ألباب المارقين  
 وتطلس أفكار المانعين ، علما منهم بأنهم عجزوا عن الإتيان بما يدانيها  
 ٥ [ قلزمهم الحجة - ٢ ] ( وليقولوا ) اعتداء لا عن ظهور عجزهم ( دارست ٢ )  
 أى غيرك من أهل الكتاب أو غيرهم فى هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام  
 وتم لك هذا التمام ، فيأتوا يبهتان بين عواره ظاهرة أسرارها ، مهتوكه  
 أسرارها ، فيكونوا كأنهم قالوا : إنك آتيت به عن علم ونحن جاهلون  
 لا نعلم شيئا ، فيعلم كل موقف أنهم ما رضوه لأنفسهم مع ادعاء الصدق  
 ١٠ والمنافسة فى البعد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الحيرة و تنهى الدهشة  
 وإعواز القادح ١ ، [ و - ٢ ] الحاصل أنه أتى به على هذا المنهاج الغريب  
 والأسلوب العجيب ليعمى ناس ٢ عن بينة ٣ ويصم آخرون ، وهم المرادون  
 بقوله : ( ولنبينه ) أى القرآن لأنه المراد بالآيات المسموعة ( لقوم يعلون ٤ )  
 أى أن المراد من ٥ الإبلاغ فى البيان أن يزداد الجهلة به جهلا ، ويهتدى  
 ١٥ من كان للعلم أهلا ، فلا يقولون : " دارست " بل يقولون : إنه من  
 عند الله ، فالآية من الاحتباك : إثبات ادعاء المدرسة أولا يدعى على فقها  
 ( ١ - ١ ) من ظ ، وفى الأصل : المارقين و ينطلس ( ٢ ) زيد من ظ ( ٣ ) هذا على  
 قراءة ابن كثير وابن عمرو ، وأما فى مصاحف بلادنا فثبت « درست » ( ٤ ) فى  
 ظ : القادح ( ٥ ) من ظ ، وفى الأصل : الناس ( ٦ ) فى ظ : تبعه - كذا ( ٧ ) فى  
 ظ : فى .

ثانياً، وإثبات العلم ثانياً يدل على عدمه أولاً، وهي من معنى "يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً".

ولما انكشف بهذا في أثناء الأدلة و تضعيف البراهين أن القرآن كنز لا يلقى مثله كنز، و عز لا يدانيه عز، وأنه في الذروة التي تضاهت دونها سواج الأفكار، و كُلت عن التماها نوافذ الأبصار، و ختم بأن المراد بالبيان العلماء، ناسب [له - ٢] أن ينفه على ذلك لثلا يفتر عنه طعنهم / بقولهم "دارست" ونحوه، فقال مخصاله صلى الله عليه وسلم بالخطاب إعلاما بأنه العالم على الحقيقة: ﴿اتبع﴾ أى أنت و من تبعك ﴿ما أوحى إليك﴾ أى ٢ فالزم العمل به؛ ثم أكد مدحه بقوله: ﴿من ربك ج﴾ أى المحسن إليك بهذا البيان؛ ثم ٣ علل ذلك ١٠ بقوله: ﴿لآاله الا هو﴾ أى فلا يستحق غيره أن يتبع له أمر، و لا يلتفت إليه في نفع و لا ضرر ﴿و اعرض عن المشركين ه﴾ أى بغير التبليغ، فانه ما عليك غيره، و مزيد حرصك على إيمانهم لا يزيد من أردت؛ شقوته إلا تماديا في إشراكه و ارتباكاً في قيود أشراكه.

ولما كان الحبيب أسر شئ بما يزيده حبيه، قال مسلياً له ١٥ صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به و ردهم لقوله، عاطفاً ٨ على (١) سورة ٢ آية ٢٦ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: ارتدت (ه) من ظ، و في الأصل: اماك - كذا (٦) في ط: ساليا. (٧) يذ بعده في ط: رسول الله (٨) في ط: عطفاً.

نظم الدرر ( سورة الأنعام ٦: ١٠٧ و ١٠٨ ) ج - ٧

ما تقديره : فلو شاء الله ما خالفوك ولا [ تكلموا فيك - <sup>١</sup> ] ينث  
شفة : <sup>٢</sup> ( ولو شاء الله ما أشركوا <sup>٣</sup> ) أى ما وقع منهم إشراك أصلا ،  
فقد أراد لك من الوقوع فيك ما أرادته لنفسه ، فليكن لك في  
ذلك مسلاة .

٥ ولما كان التقدير : فانه سبحانه حفيظ عليهم ، عطف عليه قوله :  
( وما جعلنك ) أى بعظمتنا ، وأشار إلى أن العلو ليس بغير الله  
سبحانه فقال : ( عليهم حفيظا ج ) أى تحفظ <sup>٤</sup> أعمالهم لئلا يكون منها  
ما لا يرضينا فتردهم ، عنه قسرا ( وما أنت ) \* و قدم \* ما هو أعم من  
نفي التحقق <sup>٥</sup> بالعلو المحيط القاهرة الذى هو خاص بالإله <sup>٦</sup> فقال :  
١٠ ( عليهم بوكيل ه ) أى <sup>٧</sup> فتأخذ <sup>٨</sup> الحق منهم قهرا ، وتعاملهم بما يستحقونه  
خيرا أو شرا ، إنما أنت مبلغ عنا ، ثم الأمر في هدايتهم وإضلالهم إلينا .

ولما طال التفسير عما اتخذ من دونه من الإنداد والبنات <sup>٩</sup> ، لأنها  
أقل من ذلك وأحقر ، كان ذلك ربما كان داعية إلى سبها ، فنهى  
عنه لمفسدة يجرها السب كبيرة جدا ، فقال عاطفا على قوله " و اعرض  
١٥ عن المشركين " غير مواجه له وحده صلى الله عليه وسلم إكراما له :  
( ولا تسبوا ) ولما كانت الأصنام لا تعقل ، و <sup>١٠</sup> كان <sup>١١</sup> المشركون

(١) زيد من ظ (٢) يقال : ما كلمته بينت شفة ، أى بكلمة ، والعبارة من هنا  
إلى \* أرادته لنفسه ، سقطت من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : يحفظ (٤) من  
ظ ، وفى الأصل : فيردهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ :  
التحقيق (٧) من ظ ، وفى الأصل : بالا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) فى  
الأصل : فيأخذ ، وفى ظ : يأخذ (١٠) فى ظ : البيان (١١) من ظ ، وفى  
الأصل : من .

يزعمون بها العقل و العلم ، و يسندون إليها الأفعال ' ، أجرى الكلام على زعمهم لأنه في الكف عنها فقال : ﴿ الذين يدعون ﴾ أى دعاء عبادة من الأصنام أو غيرهم بذكر ما فيهم من النقص ' ، ثم بين دفعاتهم لإكرامهم أنهم في سفول بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له عدلا ، بعلم<sup>٥</sup> منكم بما لهم<sup>٥</sup> من المعاييب<sup>٥</sup> ، بل أعرضوا عن غير دعائهم إلى الله حتى [ عن -<sup>٥</sup> ] . سب<sup>٥</sup> آلهتهم بما تستحقه<sup>٥</sup> ، فانا زينا لهم أعمالهم ففرقوا<sup>٥</sup> مع غزارة عقولهم فيما لا<sup>٥</sup> يرتضيه عاقل ، وكذبوا بجميع الآيات الموجبة للإيمان ، فربما جرم سبكم لها - لما عندهم من حمية الجاهلية - إلى ما لا يليق ﴿ فيسبوا ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن يسبوا ﴿ الله ﴾ أى الذى تدعونه . وله الإحاطة بصفات الكمال ، وأظهر تصريحاً بالمقصود وإعظاماً لهذا الأمر و تهويلاً ١٠ له و تنفيراً<sup>١٠</sup> منه .

ولما كان الخنو يوجب الإسراع ، أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ عدوا ﴾ أى جريا إلى السب ؛ ولما كان العدو قد يكون مع علم ، قال مبينا لأنه يراد به مع الإسراع أنه مجاوز للحد : ﴿ بغير علم ﴾ لأننا زينا لهم عملهم ، فالطاعة إذا استلزمت وجود منكر عظيم احتريز منه ١٥ ولو أدى الحال إلى تركها وقتا ما ، لتحصل القوة على دفع ذلك المنكر ، فحكم الآية باق و ليس بمنسوخ .

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : البغض (٣) فى ظ : يعلم (٤ - ٤) فى ظ : له من الغاييب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : سبب (٧) فى ظ : يستحقه (٨) فى الأصل : ففرقوا ، وفى ظ : فرفضوا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : تنفير !

ولما كان ذلك شديداً على النفس ضائقاً به<sup>١</sup> الصدر ، اقتضى الحال  
أن يقال : هل هذا التزين<sup>٢</sup> محتص بهؤلاء<sup>٣</sup> المجرمين أم كان لغيرهم من  
الأمم مثله ؟ فقيل : ﴿ كذلك ﴾ أى بل<sup>٤</sup> كان لغيرهم ، فانا مثل ذلك  
التزين الذى زينا لهؤلاء<sup>٥</sup> ﴿ زينا لكل أمة ﴾ أى طائفة عظيمة مقصودة  
﴿ عملهم ﴾ أى القبيح الذى أقدموا عليه بغير علم بما تخلقه<sup>٦</sup> فى قلوبهم  
من المحبة<sup>٧</sup> له ، رداً منا لهم بعد العقل الرصين أسفل سافلين ، حتى رأوا  
حسناً ما ليس بالحسن لتبين قدرتنا ؛ فكان فى ذلك أعظم تسلية وتأسية  
وتعزية ، والآية من الاحتباك : إثبات ” بغير علم “ / أولاً دال على حذفه  
ثانياً ، وإثبات التزين ثانياً دليل على حذفه أولاً .

/ ٢٣٨

ولما كان سبحانه طويل الأناة عظيم الحلم ، وكان الإمهال ربما  
كان من<sup>٨</sup> جهل بعمل العاصي ، نفى ذلك بقوله : ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول  
الإمهال ﴿ إلى ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بالحلم عنهم وهم يتقون بنعمه  
على معاصيه ، لا إلى غيره ﴿ مرجعهم ﴾ أى بالحشر الأعظم ﴿ فينبئهم ﴾  
أى يخبرهم إخباراً عظيماً بليغا ﴿ بما ﴾ أى بجميع [ ما-<sup>٩</sup> ] ﴿ كانوا يعملون ﴾  
١٥ أى على سبيل التجدد<sup>١٠</sup> والاستمرار بما فى جبلاتهم من الداعية إليه  
[ وإن ادعوا أنهم عاملون على مقتضى العلم -<sup>١١</sup> ] .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بداء (٢-٣) فى ظ : الذى زينا لهؤلاء - كذا (٣) زيد  
بعده فى الأصل : لقبيح ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤) فى ظ : يخلفه .  
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨-٩) سقط ما بين  
الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ .



ولما نصب سبحانه هذه الدلالات في هذه الآيات الينيات حتى ختمها بما علم منهم من الإسراع إلى سب من أحسن إليهم بأن أوجد لهم وأوجد لهم كل ما في الكون، وما من<sup>١</sup> نعمة عليهم إلا وهي منه، عجب منهم في الوعد بالإيمان على وجه التأكيد بما يأتيهم من مقترحاتهم إعلاما بأن ذلك مما زين لهم من عملهم، وهي أمنية<sup>٢</sup> كاذبة ويمين حاتة<sup>٣</sup> فقال عاطفا على "وجعلوا لله شركاء الجن" : ﴿واقسموا﴾ أي المشركون ﴿بالله﴾ أي الذي لا أعظم منه ﴿جهد إيمانهم﴾ أي باذلين فيها جهدهم حتى كأنها هي جاهدة، ووطأ للقسم فقال: ﴿لئن جاءتهم آية﴾ أي من مقترحاتهم، وتلقى القسم بقوله: ﴿ليؤمنن بها﴾ .

ولما كانوا بهذا ظالمين من<sup>٤</sup> أجل أنهم طلبوا من الرسول ما ليس إليه بعد إتيانه من المعجزات بما أزال معاذيرهم، وأوجب<sup>٥</sup> عليهم الاتباع، نه على ذلك بقوله مستأنفا: ﴿قل﴾ [أي ردا لتعتهم -<sup>٥</sup>] ﴿انما الآيت﴾ أي هذا الجنس ﴿عند الله﴾ أي الحائز لجميع صفات الكمال، وليس إلى ولا إلى غيري شيء من هذا الجنس ليفيد الاقتراح شيئا غير إغضابه<sup>٦</sup>.

ولما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شيء أصلا، فلا يصح له<sup>١٥</sup> أن يحكم [على -<sup>٥</sup>] آت أصلا لا من<sup>٧</sup> أفعاله ولا من<sup>٨</sup> أفعال غيره، قال منكرًا عليهم ملتفتًا إلى خطايهم إشارة إلى أنهم حقيقون بالمواجهة بالتبكي: ﴿وما﴾ أي وأي شيء ﴿يشعركم﴾ أي أدنى شعور بما

(١) سقط من ظ (٢) في الأصل : اسمه، وفي ظ : امنة (٣) من ظ، وفي الأصل : منه (٤) من ظ، وفي الأصل : واجب (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) من ظ، وفي الأصل : سبا عن اعقابه - كذا (٧ - ٧) - سقط ما بين الرقعين من ظ .

نظم الدرر (سورة الانعام ٦: ١٠٩ - ١١١) ج - ٧

أقسم عليه من الإيمان عند مجيئها حتى يتوهمه أدنى توهم فضلا عن  
الظن فكيف بالجزم ولا سيما على هذا الوجه ثم علل الاستفهام بقوله  
مينا أنه لا فائدة في الإتيان بالآية المقترحة : ﴿انها﴾ بالفتح في قراءة  
نافع وابن عامر وشعبة في رواية عنه وحفص وحزرة والكسائي، فكان  
هـ كأنه قيل : أنكرت عليكم لأنها ﴿إذا جاءت لا تؤمنون هـ﴾ بالخطاب  
في قراءة ابن عامر وحزرة ، والاتفات إلى الغيبة في قراءة غيرهم للاعلام  
بأنهم بعيدون من الإيمان فهم أهل للاعراض عنهم لما استحقوا من  
الغضب ، والتعليل عند من كسر "انها" واضح .

ولما كان التقدير : فانا نطبع على قلوبهم ، و نزين لهم سوء أعمالهم ،  
١٠ عطف عليه قوله : ﴿ و نقلب ﴾ [ أى بما لنا من العظمة - ٢ ] ﴿ أفدنتهم ﴾  
أى قلوبهم حتى لا يهتدوا بها ﴿ و ابصارهم ﴾ حتى لا ينفعهم "الإبصار بها" ،  
فلا يعتبرون فلا يؤمنون ﴿ كما لم يؤمنوا به ﴾ أى بمثل ذلك ﴿ اول مرة ﴾  
أى عند إتيان الآيات التى قبل تلك ﴿ و نذرهم ﴾ أى تركهم - ٤ [   
﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود ﴿ يعمهون ٥ ﴾ أى يديمون التحير  
١٥ على أن الحال لما فيه من الدلالة لا يقتضى حيرة بوجه . ولما أخبر  
أنهم لا يؤمنون عند آية مقترحة عمم على وجه مفصل لإجمال ما قبله فقال :

(١) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٢) فى الأصل و ظ : لا يؤمنون ، وما أثبتناه  
أولى (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ (هـ) سقط ما بين  
الرقين من ظ (٦-٧) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن « ما قبله » والترتيب  
من ظ .

( ولو انا ) أى على عظمتنا البالغة بما أشار إليه جمع النونات  
 ( نزلنا<sup>١</sup> ) أى على وجه يليق بعظمتنا ( اليهم<sup>٢</sup> الملائكة ) أى كلهم  
 فرأوهم عيانا ( وكلهم الموتى<sup>٣</sup> ) أى كذلك ( وحشرنا عليهم ) أى  
 [ بما -<sup>٤</sup> ] لنا من العظمة ( كل شيء قبلا ) جمع قبيل جمع قبيلة [ فى  
 قراءة من ضم القاف والباء كـرغيف وكرغف -<sup>٥</sup> ] ، أى جاءهم ذلك هـ  
 المحشور كله قبيلة [ قبيلة -<sup>٦</sup> ] ترى ومواجهة ( ما كانوا يؤمنوا ) أى  
 على حال من الأحوال ( إلا ان يشاء الله ) أى إلا حال مشيئة لإيمانهم  
 لأنه الملك الأعلى الذى لا أمر لاحد معه ، فاذن لا عبرة إلا بمشيئته ،  
 فالآية دامغة لأهل<sup>٧</sup> / القدرة<sup>٨</sup> ، ولا مدخل لآية ولا غيرها فى ذلك ،  
 فلا يطمع أحد فى إيمانهم بغير ذلك ، ويقرب عندى - وإن بَعُدَ ١٠  
 المدى - أن يكون ” واقسموا “ معطوفا على قوله تعالى ” وقالوا لو لا  
 أنزل عليه آية من ربه “ وهذا من المعارف فى كلام البلغاء أن يحكى  
 الإنسان جملة من كلام خصمه ، ثم يشرع فى توهينها ، أو يخرج إلى أمور -  
 يجرها المقام - كثيرة الأنواع طويلة الذبول جدا ، ثم يحكى جملة أخرى  
 فيقول معجبا منه : وقال كذا وكذا ، ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من النقد<sup>٩</sup> ١٥  
 والرد ، وما يؤيد ذلك توحيد ختمهما ، فغتم الأولى ” ولكن أكثرهم  
 لا يعلمون<sup>١٠</sup> “ وختم هذه ( ولكن أكثرهم يجهلون هـ ) أى أهل جهل

---

(١) فى ظ : اليهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ والقرآن الكريم ، وموضعه فى  
 الأصل يماض (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : لجميع (٦) من ظ ، وفى الأصل : القدرة .  
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : البعد (٨) راجع آية ٣٧ .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ١٩٢ و ١٩٣) ج-٧

مطبوعون. فيه ، يقسمون على الإيمان عند مجيء آية مقترحة ولا يشعرون  
أن المانع لهم من الإيمان إنما هو المشيئة وإلا لآمنوا بما جاءهم من الآيات ،  
فانه كفاية في المبادرة إلى الإيمان ، والآيات كلها متساوية الاقدام في الدلالة  
على صدق الداعي بخرق العادة<sup>١</sup> والعجز عن الإتيان بمثلها .

٥ ولما كان مضمون ما تقدم إثبات عداوة الكفار للنبي صلى الله  
عليه وسلم ، كان كأنه قيل تسلية له وتثبيتا لفؤاده : فقد جعلناهم<sup>٢</sup> أعداء لك  
لأنك عالم ، والجاهلون لأهل العلم أعداء (وكذلك) أى ومثل ما جعلنا  
لك أعداء من كفار الإنس والجن (جعلنا لكل نبي) أى ممن كان قبلك ،  
وعبر عن الجمع بالمفرد - والمراد به الجنس - إشارة إلى أنهم بدو واحدة  
١٠ في العداوة فقال : (عدوا) وبين أن المراد به الجنس ، وأنهم أهل الشر  
فقال متبدلا : (شيطين) أى أشرار (الإنس والجن) المتمردين  
منهم ، وربما استعان شيطان الجن بشيطان الإنس لقرب قلبه منه ، أم<sup>٣</sup>  
يكون نوعه إليه أميل ، وأشار إلى هوان أمرهم وسوء عاقبتهم بقوله :  
(يوحى بعضهم) أى الشياطين من النوعين (إلى بعض) أى يكلمه  
١٥ فى خفاء (زخرف القول) أى مزينه ومنمقه .

ولما كان هذا يدل على أنه - لكونه لا حقيقة له - لو لا الزخرفة  
ما قيل ، زاده يانا بقوله : (غرورا<sup>٤</sup>) أى لأجل أن يغروهم بذلك ،  
أى يخدعهم فيصيروا لقبولهم كلامهم كالعافلين الذين شأنهم عدم التحفظ ،  
(١) فى ظ : الآية (٢) فى ظ : جعلنا (٣) سقطت الواو من ظ (٤) من ظ ،  
وفى الأصل : شرار (٥) فى ظ : ثم .

و الغرور هو الذى يعتقد<sup>١</sup> فيه النفع و ليس بنافع .

و لما كان أول الآية معلما أن هذا كان<sup>٢</sup> بمشيئة الله و جعله ، أيد ذلك و مكنه فى آخرها بأنه لو شاء ما كان ، و كل ذلك غير<sup>٣</sup> على مقام الإلهية و تنزيها لصفة الربوبية أن يخرج شىء عنها فيدل على الوهن ، و يجر قطعاً إلى اعتقاد العجز ، فقال : ( ولو شاء ) و لما كان فى بيان ه أعدائه صلى الله عليه و سلم و المسلمين عليه ، أشار<sup>٤</sup> إلى أن ذلك لإكرامه و اعزازه ، لا لهوانه ، فقال : ( ربك ) أى بما له إليك من حسن التربية و غزير الإحسان مع ما له من تمام العلم و شمول القدرة ، أن لا يفعلوه ( ما فعلوه ) أى هذا الذى أنبأتك به من عداوتهم و ما تفرع عليها<sup>٥</sup> .

و لما قرر أن هذا من باب التربية فعاقبته إلى خير ، سبب<sup>٦</sup> عنه ١٠ قطعاً قوله : ( فذرهم ) أى اتركهم على أى حالة اتفقت ( و ما يقترون ه ) أى يتعمدون<sup>٧</sup> كذبه و اختلاقه ، و اذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم أن الذى سلطهم على هذا فى غاية الرأفة بك و الرحمة لك و حسن التربية كما [ لا - ه ] يخفى عليك ، فتق به و اعلم أن له فى هذا لطيف سريرة تدق عن الأفكار ، بخلاف الآيات الآتية التى عبر فيها باسم الجلالة ، ١٥ فانها<sup>٨</sup> فى عظيم تحروم على مقام الإلهية .

و لما كان التقدير : ذرم لتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالآخرة

- (١) فى ظ : يفتد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عبرة (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
 إشارة (٥) فى ظ : عليهم (٦) فى ظ : تسبب (٧) فى ظ : يعتمد (٨) زيد من ظ .  
 (٩) فى ظ : فاته .

و ليسخطوه ، و ليعلوا ما هم له مبصرون [ و - ١ ] به عارفون ، قرفع  
بذلك درجاتهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتصغى ﴾ أى تميل ميلا قويا  
تعرض<sup>٢</sup> به ﴿ الیه ﴾ أى كذبهم و ما فى حيزه ﴿ اقتدة ﴾ أى قلوب  
﴿ الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى ليس فى طبعهم الإيمان بها لأنها غيب ،  
٥ / ٢ هـ و هم لبلادهم واقفون مع الوهم ، / و لذلك استولت عليهم الدنيا التى هى  
أصل الغرور ﴿ و ليرضوه ﴾ أى بما تمكن من ميلهم إليه ﴿ و ليقترفوا ﴾  
أى يفعلوا بجورهم ﴿ ما هم مقترفون هـ ﴾ و هذه الجمل<sup>٣</sup> - كما نبه عليه أبو حيان -  
على غاية الفصاحة . لأنه أولا يكون الخداع ؛ فيكون الميل فيكون  
الرضى فيكون فعل الاقتراف<sup>٤</sup> ، فكأن كل واحد مسبب<sup>٥</sup> عما قبله .

١٠ و لما كان فيما تقدم الإخبار عن مغيب ، وهو أنهم لا يؤمنون  
عند مجيء الآيات المقترحة ، وكانت عادة العرب دعاء الأعداء و المخالفين  
إلى حاكم يفصل بينهم ، وكانوا إنما يفزعون فى الأمور المغيبة إلى الكهان  
لما كانوا يكشفون لهم بما يقذف اليهم إخوانهم من الجان بما يسترقونه  
من السمع ، فيزيدونه كذبا كثيرا ، ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل  
١٥ الذى يصدقون فيه - كما ابتلينا به فى هذا الزمان من الاقتان بمن يفعل  
مثل ذلك من المجانين و المشبهين<sup>٦</sup> بهم ، وكانت الآيات التى فرغ منها

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تعوص (٣) من ظ ، وفى الأصل  
الجملة (٤) من البحر المحيط ٤ / ٢٠٨ ، وفى الأصل و ظ : الخدع (هـ) فى ظ :  
الافتراق (٦) من البحر ، وفى الأصل : مسببا ، وفى ظ : سببا - كذا (٧) من  
ظ ، وفى الأصل : المشبهين .

قد<sup>١</sup> أثبت أن اتخاذهم غرور، سبب<sup>٢</sup> عن ذلك وجوب نفي اتخاذهم<sup>٣</sup>  
غير الله لما اتصف به من إحياء ما خالف إحياءهم، فقات القوى<sup>٤</sup> في إخباره<sup>٥</sup>  
عن حقائق الأمور مفصلة أحسن تفصيل في أساليب قصرت دونها سوابق  
الافكار، وكعت عنها نوافذ الأفهام، فثبت به<sup>٦</sup> نبوته ووضحت رسالته،  
فكان اقتراحهم ظاهرا في كونه تعتنا لأنهم كذبوا بأعظم الآيات: القرآن، ه  
ولم يؤمنوا به، وطعنوا فيه بما<sup>٧</sup> زادهم فضاخ، فثبت أنه لا فائدة في  
إجابتهم<sup>٨</sup> إلى مقترحاتهم<sup>٩</sup>، فكان الجواب - عما اقتضاه لسان حالهم من  
طلب التحاكم إلى أوليائهم ببلغ<sup>١٠</sup> الإنكار عليهم [بقوله -<sup>١١</sup>]: ﴿أفقر الله﴾  
أي الملك الأعظم - على غاية من البلاغة لا تدرك، ووالقاء فيه<sup>١٢</sup>  
السبب، وإنما تقدمت عليها همزة الإنكار لاقتضاها الصدر ﴿ابتغى﴾ ١٠  
أي أطلب حال كون ذلك الغير ﴿حكما﴾ أي يحكم بيني وبينكم ويفصل  
نزاعنا؛ ثم استدل على هذا الإنكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز  
فقال: ﴿وهو﴾<sup>١٣</sup> أي والحال أنه لا غيره ﴿الذي أنزل اليكم﴾<sup>١٤</sup> أي  
خاصة نعمة على<sup>١٥</sup> بالقصد الأول [وعليكم بالقصد الثاني -<sup>١٦</sup>]: ﴿الكتب﴾  
أي الأكمل المعجز<sup>١٧</sup>، وهو هذا القرآن الذي هو<sup>١٨</sup> تبيان لكل شيء ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : تسبب (٣) في ظ : اتخاذ (٤) من ظ ، وفي  
الأصل : العرى (٥) في ظ : احقاؤه - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لما .  
(٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) في ظ : ببليغ (٩) زيد من ظ .  
(١٠-١٠) في ظ : والعاقبة (١١) من ظ ، وفي الأصل : إلى (١٢) في ظ :  
المعجب .

(مفصلاً) أى يميزا فيه الحلال و الحرام ، و غير ذلك من جميع الأحكام ، مع ما تقيده فواصل الآيات من اللطائف و المعارف الكاشفة لحقائق البدايات و النهايات . و لقد اشتد ' الاعتناء فى هذه السورة بالتنبية ' على التفصيل لوقوع العلم من أرباب البصائر فى الصنائع بأن من لا يحسن التفصيل لا يتقن التركيب .

و لما كان التقدير : فأتى و جميع أرباب البلاغة يعلمون ' حقيقته بتفصيله و العجز عن مثله ' ، عطف عليه قوله : ( و الذين ) و يجوز أن يكون جملة حالية ( اتينهم ) أى بعظمتنا التى يعرفونها و يعرفون بها الحق من الباطل ( الكذب ) أى المعهود إنزاله [ من - \* ] التوراة و الإنجيل ١٠ و الزبور ( يعلمون ) أى لما لهم من سوابق الانس بالكتب الإلهية ( انه منزل ) .

و لما تقدم ذكر الجلالة الشريفة فى حاق موضعه فى سياق الحكم الذى لا يكون الا مع التفرد بالكمال ، و كان هذا المقام بسياق الإنزال ' يقتضى الإحسان ، لم يضر بيل قال : ( من ربك ) أى المحسن إليك ١٥ بما خصك به فى هذا الكتاب من أنواع الفضائل ( بالحق ) أى الأكمل لما عندهم به من البشائر فى كتبهم و لما له ' من موافقتها ' فى ذكر الأحكام المحككة و المواعظ الحسنة و كثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب

(١) من ظ ، و فى الأصل : استدل (٢) من ظ ، و فى الأصل : بالينة (٣) فى ظ : يعلمون (٤) من ظ ، و فى الأصل : مثله (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : الازل (٧) فى ظ : لهم (٨) فى ظ : موافقها .



و تقيض الدموع و تصدع الصدور ، مع ما يزيد به على كتبهم من التفصيل  
بما يفهم معارف الإلهية و المقامات الصوفية في ضمن الأحكام السياسية  
و الإعجاز بكل آية .

و لما كان أهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ، و يقولون

لشركين : إنهم أهدى سبيلا ، بما قد يوم أنهم / يعتقدون بطلانه ، أو أن ه / ٢٤١

الامر ملبس<sup>١</sup> عليهم ، سيب عن<sup>٢</sup> إخباره سبحانه قوله على طريق التهيج

و الإلهاب : ( فلا تكون ) [ أى اتق تقيا مؤكدا جدا أن تكون في

وقت ما - ٣ ] ( من الممتريين ) أى العاملين عمل الشاك فيما أخبرناك به

و ان زاد إخفاؤهم له و إظهارهم لما يوم خلافة ، و إذا حاربتهم في ذلك

و أنت أظن الناس و أعرفهم بما يظهروه المجاوزات من خفايا الأسرار - ١٠

تحقق ما قلناه و إن اجتهدوا في الكتمان ، كما كشفت عنه قصة المناشدة

في أمر الزائين و غيرها ؛ و قال أبو حيان : قال مشركو قريش لرسول الله

صلى الله عليه و سلم : اجعل بيننا و بينك حكما من أخبار اليهود ، و إن

شئت من أساقفة النصارى ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت .

--- و لما دل على كونه حقا من عند الله بعلم أهل الكتاب صريحا ١٥

و أهل اللسان<sup>٤</sup> تلويحا ، دل عليه بوجه آخر شهودى ، و هو أنه لما قال

شيئا إلا كان على وفق ما قال ، و أنه لم يستطع - و لا يستطيع أحد -

منع شيء مما أخبر به و لا تعويقه ساعة من نهار و لا أقل و لا أكثر

(١) فظ : ملبس (٢) من ظ . و في الأصل : على (٣) زيد من ظ (٤) من

ظ ، و في الأصل : الكسان - كذا (٥) سقط عن ظ

نظم الدرر ( سورة الأنعام ٦ : ١١٥ و ١١٦ ) ج - ٧

بقوله تعالى مظهرا في موضع الإضمار ، لتذكيره صلى الله عليه وسلم بما له سبحانه من الإحسان ، والتنيه على ما يريد به من التشريف والإكرام :  
 ﴿ وتمت ﴾ أى نفذت وتحققتم ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك  
 المدير لأمرك حال كونها ﴿ صدقا ﴾ أى لا يقدر أحد أن يبدى فى شيء  
 منها حديثا<sup>٢</sup> بتخلف ما عن مطابقة الواقع .

ولما كان الصدق غير مناف للجور ، قال : ﴿ وعدلا<sup>٣</sup> ﴾ ولما  
 كان الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القائل ، ولا ينفذ فيه كلام الأمر  
 لمنع من هو أقوى منه ، أخبر أنه لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ،  
 تصریحا بما أفهم مطلع الآية من التمام ، وأظهر موضع الإضمار تعميما  
 ١٠ و تبركا وتلذذا فقال : ﴿ لا مبدل لكلمته ج ﴾ أى من حيث أنها كلماته  
 مطلقا من غير تخصيص بنوع ما ، بل كل ما أخبرت به فهو كائن لا محالة ،  
 رضى من رضى وسخط من سخط .

ولما كان المغير لشيء إنما يتم له ما يريد من التغير بكون المغير عليه  
 لا يعلم الأسباب المنتجة لما أراد ليحكمها<sup>٤</sup> ، والموانع العاقبة ليطلها ، قال  
 ١٥ عاطفا على ما تقديره : فهو العزيز الحكيم : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره  
 ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لجميع ما يمكن سماعه من الأقوال والأفعال  
 ﴿ العليم ﴾ أى البالغ العلم بجميع ذلك ، فهو إذن الكامل القدرة النافذ  
 الأمر فى جميع الأسباب والموانع ، فلا يدع أحدا يغير شيئا منها وإن

(١) وفى مصاحفنا : كلمة (٢) من ظ ، وفى الأصل : (٣) فى ظ : خدشا .  
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : هو (هـ) من ظ ، وفى الأصل : لتحلها - كذا .

دلس أو شبه .

ولما أجاب عن شبهات الكفار ، وبين صحة نبوته<sup>٢</sup> عليه السلام ،  
 شرع في الحث على الإعراض عن جهل الجهال ، والإقبال على ذى<sup>٣</sup>  
 الجلال ، فكان التقدير : فان أطعته فيما أمرك به اهتديت إلى صراط  
 الله الذى يتم لك بسلوكة<sup>٤</sup> جميع ما وعدك به ، عطف عليه قوله : هـ  
 ﴿ ان تطع ﴾ ولما كانت<sup>٥</sup> أكثر الانفس متقيدة<sup>٦</sup> بالأكثر ، أشار إلى  
 أن ذلك لا يفعله إلا جاهل مخلد إلى التقليد فقال : ﴿ أكثر من فى الارض ﴾  
 أى توجد طاعتك لهم فى شئ من الأوقات بعد أن علمت أن أكثرهم  
 إنما يبيع الهوى ، وأن أكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون ﴿ يضلوك  
 عن سبيل الله<sup>٧</sup> ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ؛ ثم علل ذلك بقوله : ١٠  
 ﴿ ان ﴾ أى لأنهم ما ﴿ يتبعون ﴾ فى أمورهم ﴿ الا الظن ﴾ [ أى -<sup>٨</sup> ]  
 كما يظن هؤلاء جهلا أن آباءهم كانوا على الحق .

ولما كان أكثر كلام من يحزم بالأمور بما دعاه إليه ظنه كذبا ،  
 وكان الخارص يقال على الكاذب والمخمن الحازر ، قال : ﴿ وان هم ﴾  
 أى بصميم ضمائرهم ﴿ الا يخرصون<sup>٩</sup> ﴾ أى يحزمون بالأمور بحسب ١٥  
 ما يقدرون ، فيكشف الأمر عن أنها كذب<sup>١٠</sup> ، فيعرف الفرق بينك وبينهم  
 فى تمام [ الكلام -<sup>١١</sup> ] ونقوده نفوذ السهام ، أو تخلفه عن التمام ونكوصه  
 (١) من ظ ، وفى الأصل « و » (٢) من ظ ، وفى الأصل : نبوة (٣) فى ظ :  
 دين (٤ - ٥) فى ظ : سلوكه (هـ - هـ) من ظ ، وفى الأصل : انفس الاكثر .  
 (٦) فى ظ : مقيدة (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اكذب .

كالسيف الكهام، فلا يبقى شبهة في أمر الحق والمبطل .  
 و لما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق للمبين لما يتبع وما / محتجب ،  
 قال معللاً لهذا الإخبار : ﴿ ان ربك ﴾ أي المحسن إليك بانزال هذا<sup>١</sup>  
 الكتاب الكاشف للارتياح الهادي إلى الصواب ﴿ هو ﴾ أي وحده  
 ه ﴿ اعلم ﴾ و لكون<sup>٢</sup> الحال<sup>٣</sup> شديد الاقتضاء<sup>٤</sup> للعلم ، قطعه عما بعده  
 ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقاً ثم قال :  
 ﴿ من ﴾ أي يعلم من ﴿ يضل ﴾ أي يقع منه ضلال يولما ما  
 ﴿ عن سبيله ﴾ أي الذي بينه بعله ﴿ وهو ﴾ أي وحده  
 ﴿ أعلم بالمهتدين ه ﴾ كما أنه أعلم بالضالين ، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه ، و من  
 نهاكم عنه فاجتنبوه ، فمن ضل أرداه<sup>٥</sup> ، و من اهتدى أنجاه ، فاستمسكوا  
 بأسبابه حذراً [ من ... ] وويل عقابه يوم حسابه .

و لما قدم سبحانه ، بما مضى من السواب و ما معها : في المائدة  
 بما يدين به أهل الجاهلية في أكل الحيوان الذي جرت إليه الشرك ،  
 و أتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال إذا  
 ١٥ اهتدوا ، و أتبع ذلك ما لا ممة ، و انتظم في سلكه و لاجه ، حتى ظهر  
 أي ظهور أن الكل<sup>٦</sup> ملكك و ملوكك ، و أنه لا شريك له ، فوجب شكره  
 وحده ، و كانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تعالى فاتخذوا معه شركاء ،  
 و لم ينكشفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحرب و الأنعام نصيباً ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يكون (٣ - ٢) تكرر ما بين الرقین في ظ .  
 ... (٤) في ظ : اراده (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : جرى (٧) في ظ : لكل .

فكانوا 'بذلك المانعين' الحق عن أهله . و مانحين ما حولهم فيه من  
 له الملك لا لا يملك ضرا ولا نفعا ، و تاركين بعض ما أنعم عليهم به  
 صاحب الحق رعاية لمن لا حق له ولا حرمة ، و كانت سنة الله تعالى  
 قد جرت بأنه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية . و يستدل على ذلك بخلق  
 السماوات و الأرض و ما أودع فيها لنا من المنافع و ما أبدع من المرافق ٥  
 و المصانع ، ثم يعجب من أشرك به . ثم يأمر<sup>٢</sup> بالآكل مما خلق تذكيرا  
 بالنعمة ، ليكون ذلك داعية لكل ذى لب إلى شكره ، كما قال<sup>٣</sup> تعالى في  
 القرة عقب " و الهكم اله واحد " : " ان في خلق السموات و الأرض " ،  
 ثم قال " و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا " ، ثم قال<sup>٤</sup> " يا أيها الناس  
 كلوا مما في الأرض حلالا طيبا " ؛ أجرى هذه السنة الجليلة في هذه السورة ١٠  
 أيضا ، فقال : " ان الله فائق الحب و النوى " بعد " انى وجهت وجهى  
 [ للذى فطر - ٧ ] " ، ثم<sup>٥</sup> " و جعلوا لله شركاء الجن " و دل على أنه لا شريك له  
 فى ملكه ولا ملئكه ، و ختم بأنه لا حكم<sup>٦</sup> سواه ينازعه فى حكمه أو<sup>٧</sup> يباريه  
 فى شئ من أمره ، و بين<sup>٨</sup> أن من [ أيها - ٢ ] الهداية التى جعلها شرطا  
 لعدم ضرر بلحق من دين أهل الشرك ؛ فسبب عن جميع ما ذكرت ١٥  
 قوله : ( فكلوا مما ذكر ) أى وقت الذبح ( اسم الله ) أى الملك الذى له

---

( ١-١ ) فى ظ : لذلك المانعين ( ٢ ) فى ظ : باهم - كذا ( ٣ ) سقط من ظ .  
 ( ٤ ) آية ١٦٤ ( ٥ ) آية ١٦٥ ( ٦ ) آية ١٦٨ ( ٧ ) زيد من ظ و القرآن الكريم ( ٨ ) زيد  
 فى ظ بعده : بعد ( ٩ ) من ظ ، وفى الأصل : حكيم ( ١٠ ) فى ظ : و .  
 ( ١١ ) من ظ ، وفى الأصل : يبين ( ١٢ ) زيد من ظ .

الإحاطة الكاملة فله كل شيء. (عليه) أى 'كأن قاتلا لذلك سواء ذكر بالفعل أولا، و عدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم أن الذكر بالفعل مندوب إليه، و لا يكونوا بمن بنى دينه على اتناع الأهوية و الظنون الكاذبة، فكأنه قيل: اتبعوا من يعرف 'الحق لاهله فانه مهتد غير معرجين على غيره فانه ضال، و الله أعلم بالضريرين، فكونوا من المهتدين، فكلوا مما خلق الله لكم حلالا شاكرين لنعمته، و إنما أطل هنا دون البقرة ما بين الجمل الكلام تقريراً لمضامينها و ما يستتبعه و احتججا على جميع ذلك لأنها سورة التفصيل، و<sup>٢</sup> أتى بالذكر<sup>٣</sup> و المراد قبول المأكول له، أى كلوا مما يقبل أن يسمى عليه على مقتضى ما شرعه. و ذلك هو الذى أحله من الحيوان وغيره سواء ١٠ كان مما جعلوه لأوثانهم أو لا. دون ما مات من الحيوان حتف الله، أو ذكر عليه اسم غير الله أو كان مما حرم أكله وإن ذبح و ذكر عليه اسم الله، فانه لا يقبل التحليل بالتسمية، فالتسمية فى غير موضعها، لورود النصوص بالتحريم، و لا تتبعوا المشركين فى منعهم أنفسهم من خير مما خلق الله لهم من الحرث و الأنعام بتسميتهم / إياه لآلهتهم التى لا غناء ١١ عندها، و يكون [ذلك -<sup>٤</sup>] حثا على التسمية على جميع المأكول الحلال، فتكون الآية كآية البقرة [زيادة -<sup>٤</sup>].

و لما كان هذا الأمر لا يقبله الا من زال دينه اشرك و جميع توابعه من قلبه؛ قال: ﴿ان كنتم فى أى بما لكم من الجبل الصالحة﴾ (بأيته)  
 (١) فى ظ: ان (٢) فى ظ: يصرف - كذا (٣-٢) من ظ، و فى الأصل: انها يذكر (٤) ربه من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: امر.

أى عامة التى منها آيات التحليل و التحريم ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين  
 فى وصف الإيمان، وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله: ﴿ وما لكم ﴾  
 أى أى شىء يكون لكم فى ﴿ الا تاكلوا مما ذكر ﴾ أى يقبل أن يذكر  
 ﴿ اسم الله ﴾ أى الذى له كل شىء ﴿ عليه ﴾ فان التسمية قائمة مقام  
 إذنه ﴿ وقد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ فصل لكم ﴾ أى من قبل ذلك ه  
 و الخلق خلقه و الأمر أمره ﴿ ما حرم عليكم ﴾ أى مما لم يحرم تفصيلا  
 واضح البيان ظاهر البرهان ﴿ الا ما اضطررتم اليه ﴾ أى فان الضرورة  
 تزيل التفصيل عنه برده إلى ما كان عليه قبل التفصيل؛ فيصير الكل حلالا  
 [ لا - ٢ ] تفصيل فيه ، و المراد فى هذه الآية مختلف باختلاف المخاطبين ،  
 فأما من خطب بها وقت الإنزال فالمراد بالتفصيل الذى آتاه الآية الآتية ١٠  
 أخير هذه فانها نزلت جملة ، وكذا كل ما شاكلها مما أنزل بمكة قبل هذه  
 السورة، وكذا ما أخبر به صلى الله عليه و سلم فى وحي متلو<sup>٢</sup> إذ ذاك ، و لعله  
 نسخت تلاوته وبقى حكمه . أو وحي غير متلو من جميع الأحاديث التى  
 تقدمت على هذه السورة ، وأما من خطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه  
 فالمراد فى حقه - [ كما - ٢ ] فى البقرة و المائدة و غيرهما من السور الماضية - ١٠  
 من الحلال و الحرام .

و لما كان التقدير : من عمل بهذه الأوامر اهتدى بما نال<sup>٣</sup> من العلم  
 و هم قليل ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان كثيرا ﴾ أى من الناس ﴿ ليضلون ﴾  
 (١) فى ظ : التفضيل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : نزلوا (٤) فى ظ : اثال .  
 (٥) سقط من ظ .

نظم الدرر ( سورة الأنعام ٦ : ١١٩ - ١٢١ ) ج - ٧

أى يقع منهم الضلال فيوقعون<sup>١</sup> غيرهم فيه بنكوبهم<sup>٢</sup> عما دعت إليه أوامر الله  
وهدى إليه يانه ، فيكونون بمعرض العطب (باهوآتهم) أى بسبب  
اتباعهم للهوى ؛ ولما كان الهوى - وهو ميل النفس - ربما كان موافقا  
لما أدى إليه العلم بصحيح الفكر وصريح العقل قال<sup>٣</sup> : (بغير علم<sup>٤</sup>)  
هـ أى دعا<sup>٥</sup> إلى ذلك [ بمن له العلم - \* ] من شريعة ماضية بمنز<sup>٦</sup>  
له الأمر .

ولما كانوا ينكرون هذا . أثبت لنفسه الشريعة ما هو مسلم عند كل  
أحد وقال دليلا على صحة ما أخبر به : (ان ربك) أى المحسن إليك  
بانزال هذا الكتاب شاهدا لك باعجزه بالتصديق (هو) أى وحده  
١٠ (اعلم) وكان الموضع للاضمار فأظهر للتعميم والتنيه على الوصف الذى  
أوجب لهم ذلك فقال : (بالمعتدين هـ) أى الذين يتجاوزون الحدود  
مجتهدين فى ذلك .

ولما كان مما يقبل فى نفسه فى الجملة أن يذكر اسم الله عليه ما يحرم<sup>٧</sup>  
لكونه ملوكا للغير أو فيه شبهة . نهى عنه على وجه يعم غيره ، فقال  
هـ عطفًا على " فكلوا<sup>٨</sup> " : ( وذرُوا ) أى اتركوا على أى حالة اتفقت  
وإن كنتم تظنونها غير صالحة (ظاهر الاثم) أى المعلوم الحرمة من  
هذا وغيره (وباطنه<sup>٩</sup>) من كل ما فيه شبهة من الأقوال والأفعال  
والعقائد ، فإن<sup>١٠</sup> الله جعل له فى القلب علامة ، وهو أن يضطرب عنده

(١) فى ظ : فيوقعون (٢) فى ظ : بنكوبهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ادعاء .  
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بمن (٧) من ظ ، وفى الأصل : حرم .  
(٨) فى ظ : عملوا - كذا (٩) فى ظ : وان .



ولا يسكن كما قال صلى الله عليه وسلم : والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر - أخرجه مسلم عن النّوّاس بن سميان رضى الله عنه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الذين يكسبون الإثم ﴾ أى ولو بأخفى أنواع الكسب ، بما دل عليه تجريد الفعل ، وهو الاعتقاد<sup>٢</sup> للاسم الشريف<sup>٣</sup> .

[ ولما كان العاقل من خاف من مطلق الجزاء بنى للفعل قوله -<sup>٢</sup> ] : هـ

﴿ سيجزون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما<sup>٤</sup> ﴿ كانوا ﴾ بفساد جبلاتهم ﴿ يقتفون هـ ﴾ أى يكتسبون اكتسابا يوجب الفرق وهو أشد الخوف ويزيل الرفق ، وصيغة الافتعال للدلالة على أن أفعال الشر إنما تكون بمعالجة من النفس للفطرة الأولى السليمة .

[ ولما -<sup>٢</sup> ] أمرهم بالأكل بما ينفعهم ويعينهم على شكره محذرا ١٠

من أكل<sup>٥</sup> ما يعيش<sup>٦</sup> مرأى بصائرهم ، أتبعه نهيمهم نهيا / جازما خاصا عن الأكل بما يضرهم في أبدانهم وأخلاقهم ، وهو ما ضاد الأول في خلوه [ عن الاسم الشريف - ٣ ] فقال : ﴿ ولا تاكلوا مما لم يذكر ﴾ أى مما لا يقبل أن يذكر ﴿ اسم الله ﴾ أى الذى لا يؤخذ شيء<sup>٧</sup> إلا منه ، لأن له الكمال كله فله الإحاطة الكاملة ، وأشار بأداة الاستعلاء إلى الإخلاص ١٥ ونفى الإشراك فقال : ﴿ عليه ﴾ أى لتكون الله قد حرمه فصار نجس العين أو المعنى ، فصار محبسا<sup>٨</sup> للبدن والنفس بما ذكر عليه غير اسمه سبحانه

(١) فى ظ : اخفى (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : يكون (هـ) من ظ ، وفى الأصل : كل . (٦) من ظ ، وفى الأصل : يقبس (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : محسا .

بما دل عليه [ من - <sup>١</sup> ] تسميته فسقا ، وتفسير الفسق في آية أخرى بما  
أهل به لغير الله و<sup>٢</sup> كذا ما كان في معناه مما مات أو كان حراما بغير ذلك ،  
واسمه تعالى منزّه عن أن يذكر على غير الحلال ، فان ذكر عليه كان  
ملاعبا فلم يظهره<sup>٣</sup> ، وأما ما كان حلالا ولم يذكر عليه [ اسم الله  
و<sup>٤</sup> لا غيره - <sup>١</sup> ] فهو حلال - كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها  
قالت : قالوا : يا رسول الله ! إن هنا أقواما حديث عهد بشرك يأتونا  
بلحان لا ندرى يذكرن اسم الله عليها أم لا ! قال : اذكروا أنتم  
اسم الله وكلوا . قال البغوي : ولو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان<sup>٥</sup>  
الشك في وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح - انتهى .

١٠ ولما كان التقدير : فانه خبيث في نفسه محبث ، عطف عليه قوله :  
( وانه ) أي الأكل منه أو هو نفسه لكونه السبب ( لفسق ) فجعله  
نفس الفسق - وهو الخروج عما ينبغي إلى ما لا ينبغي - لانه عريق جدا  
في كونه سيئه لما تأصل عندهم من أمره<sup>٦</sup> وانتشر من شره ، وهذا دليل  
على ما أولت<sup>٧</sup> به لأن النسيان [ ليس - <sup>١</sup> ] بسبب الفسق ، والذي تركت  
١٥ التسمية عليه نسيانا ليس بفسق ، والناسي ليس بفاسق - كما قاله البخاري ،  
وإلى ذلك الإشارة<sup>٨</sup> بما رواه عن<sup>٩</sup> عائشة رضي الله عنها أن قوما قالوا

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل : فلم يظهر ، وفي ظ :  
فلم يظهره (٤) في ظ : أو (٥) من معالم التنزيل - راجع هامش الخازن ١٤٧/٢ ،  
وفي الأصل وظ : كان - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : امرهم (٧) في ظ :  
اوصلت (٨-٨) في ظ : بحديث (٩) زيد بعده في ظ : الماضي ، وعبارة من  
بعده إلى « انتهى » ساقطة منه .

لنبي صلى الله عليه وسلم : إن قوماً يأتوننا باللحم ، لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ! فقال : سموا عليه أتم و كلوه ، قالت : و كانوا حديثي عهد بالكفر<sup>١</sup> - انتهى . فهذا كله يدل على أن المراد إما هو كونه مما يحل ذبيحته ، وليس المراد اشتراط التسمية بالفعل .

و لما كانت الشبهة ربما زلزلت ثابت العقائد ، قال محذرا منها : هـ  
 ﴿ و ان الشيطين<sup>٢</sup> ﴾ أى أخاب<sup>٣</sup> المردة من الجن و الإنس البعيدين من الخير المهين<sup>٤</sup> للشر المحترقين باللعنة<sup>٥</sup> من مردة<sup>٦</sup> الجن و الإنس<sup>٦</sup> ﴿ ليوحون ﴾ أى يوسوسون و سوسة بالغة سريعة ﴿ الى اوليائهم ﴾ أى المقاربين لهم فى الطباع المهين لقبول كلامهم ﴿ ليجادلوكم ج ﴾ أى ليفتلوكم عما أمركم<sup>٧</sup> به بأن يقولوا لكم : ما قتله<sup>٨</sup> الله أحق بالأكل [ بما - ٩ ] قتلتموه أتم<sup>١٠</sup> و جوارحكم - و نحو ذلك ، و أهل الحرم لا ينبغي أن يقفوا فى غيره ، و الغريب لا ينبغي أن يسايرهم فى الطواف فى ثيابه ، و النذر للأصنام كالنذر للكعبة ، و نحو هذا من خرافاتهم التى بنوا أمرهم فيها على الهوى الذى هم معترفون بأنه مضل مضر ، و مبالغون فى الذم باتباعه و الميل إليه ، و يكفى فى هدم جميع شبههم إجمالا أن صاحب الدين و مالك<sup>١١</sup> الملك منع منها .

(١) من صحيح البخارى - الذبايح ، و فى الأصل و ظ : بكفر (٢) من ظ و القرآن الكريم . و فى الأصل : الشيطان (٣) فى الأصل : احاب ، و فى ظ : اجابث - كذا (٤) فى ظ : المعين - كذا (٥) فى ظ : من اللعنة . (٦ - ٦) فى ظ : الانس و الجن (٧) فى ظ : امر الله (٨) فى الأصل و ظ : قبله . (٩) زيد من ظ .

و لما كان التقدير: فان أطعموهم تركتم الهدى و تبعم الهوى ،  
و كان من المعلوم أن الهوى يعود إلى الشرك . عطف على هذا قوله :  
﴿ و ان أطعموهم ﴾ أى المشركين تدبنا بما يقولونه فى ترك الأكل  
بما ذكر اسم الله عليه و الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه . أو فى شيء  
د بما جادلوكم فيه ﴿ انكم لمشركون ٤ ﴾ أى فأنتم و هم فى الإشراف سواء  
كما إذا سميت غير الله [ على - ١ ] ذباحكم على وجه العبادة ، لأن من اتبع  
أمر غير الله فقد أشركه ٢ بالله كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث عدى  
ابن حاتم رضى الله عنه فى قوله تعالى ” اتخذوا أجباهم و رهبانهم أربابا  
من دون الله ٣ “ من أن عبادتهم لهم تحل لهم ٤ ما أحلوا و تحريمهم ما حرموا ،  
١٠ / ٢٤٥ فبه صلى الله عليه وسلم / بذلك على أن الأسماء تتبع المعاني ؛ قال شيخ  
الإسلام محي الدين النووى الشافعى فى باب الضحايا من كتاب الروضة :  
حكى فى الشامل ٦ و غيره عن نص الشافعى أنه لو كان لأهل الكتاب  
ذبيحة يذبحونها باسم غير الله كالمسيح لم تحل ؛ و فى كتاب القاضى  
ابن كسج ٧ أن اليهودى لو ذبح لموسى و النصرانى لعيسى عليهما السلام  
١٥ أو ٨ للصليب حرمت ذبيحته ، و أن المسلم لو ذبح للكعبة أو لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم فينبغى أن يقال : تحرم ، لأنه ذبح لغير الله تعالى ، قال :

- (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشرك (٣) سورة ٩ آية ٣١ .  
(٤) - قط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تحلهم (٦) من ظ ، و هو الشامل  
فى فروع الشافعية لابن الصباغ ، و فى الأصل : التامل (٧) هو يوسف بن أحمد  
ابن يوسف بن كسج الدينورى الشافعى فقيه من القضاة - راجع معجم  
المؤلفين ٢٧٣/١٣ (٨) فى ظ « و » .

وخرج أبو الحسن وجها آخر [ أنها - ' ] تحمل لأن المسلم يذبح لله ولا يعتقد في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعتقد النصراني في عيسى عليه السلام . قال : وإذا ذبح للصنم لم تؤكل ذبيحته سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً ، وفي تعليقه للشيخ إبراهيم المروزي أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه ألقى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله ، و اعلم أن الذبح للعبود<sup>١</sup> باسمه نازل منزلة السجود له . وكل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم . العبادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة ، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جواد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحمل ذبيحته . وكان فعله كفراً كمن سجد لغيره سجدة عبادة ، وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه ، فأما إذا ذبح لغيره ١٠ لا على هذا الوجه - بأن ضحى أر ذبح للكعبة تعظيماً لها لأنها بيت الله تعالى أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فهذا لا يجوز أن يمنع حل الذبيحة . وإلى هذا المعنى يرجع قول القائل : أهديت للحرم أو للكعبة ، ومن هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان ، فإنه استبشار بقدمه نازل منزلة ذبح الحقيقة لولادة المولود ، ومثل هذا لا يوجب الكفر . وكذا السجود لغير الله ١٥ تذلاً وخضوعاً ، فعلى هذا إذا قال الذابح : بسم الله واسم محمد ، وأراد : أذبح باسم الله وأتبرك باسم محمد ، فينبغي أن لا يحرم ، وقول من قال : لا يجوز ذلك ، يمكن أن يحمل على أن اللفظ مكروه ، لأن المكروه يصح نفي الجواز والإباحة المطلقة عنه ، وحكى الرافعي أنه وقعت في هذا منازعة بين أهل قزوین أفضت إلى قننة في أنه تحمل ذبيحته وهل يكفر

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .

(م) في ظ : لا تحمل (هـ) من ظ . وفي الأصل : الذبح .

بذلك ! قال : و الصواب ما بينا ؛ قال الشيخ محي الدين : و بما يؤيد ما قاله -  
 أى الرافعى - ما ذكره الشيخ إبراهيم المروزى فى تعليقه : قال : حكى  
 صاحب التقريب عن الشافعى رحمه الله أن النصرانى إذا سعى غير الله كالمسيح  
 لم تحل ذبيحته . قال صاحب التقريب : معناه أن يذبحها له . فأما إن ذكر  
 ه المسيح على معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحائز ، قال :  
 و ' قال الحليمى : تحل مطلقا و إن سعى المسيح - والله أعلم . ثم قال فى  
 المسائل المشهورة ' : الثالثة : قال ابن كعب : من ذبح شاة و قال : أذبح لرضى  
 فلان ، حلت الذبيحة ، لأنه لا ينصرف إليه بخلاف من تقرب<sup>٢</sup> بالذبح إلى الصنم ؛  
 و قال الرويانى : إن من ذبح للجن و قصد به التقرب إلى الله تعالى ليصرف  
 ١٠ شرهم عنه فهو حلال ، و إن قصد الذبح لهم فحرام ؛ و بما يوضح لك سر هذا  
 الانتظام و يزيده حسنا أن هذه الآيات كلها من قوله تعالى " ان الله فائق  
 الحب و النوى " - إلى آخر السورة تفصيل لقوله تعالى فى أول السورة  
 " قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات و الارض " - الآية ، فلما ذكر إبداعه  
 السماوات و الارض بقوله " ان الله فائق الحب و النوى " و نحوه ، و أنكر  
 ١٥ اتخاذ من دونه بقوله " و جعلوا لله شركاء الجن " و ما نحا نحوه ، قال  
 " فكلوا " إشارة إلى " و هو يطعم و لا يطعم " و قوله " او من كان  
 ميتا فاحيئه " و قوله " فمن يرد الله ان يهديه " و نحوهما إشارة إلى قوله  
 " قل انى امرت ان اكون اول من اسلم " ؛ و قوله " و يوم نحشرهم جميعا "  
 و نحوه مشير إلى " انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم " .

/ ٢٤٦

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : المشهورة (٣) فى ظ : يتقرب (٤) فى ظ : فى  
 قوله (٥) فى الأصل و ظ : مشيرا .

ولما انقضى التفصيل عند قوله "فسوف يعلمون" - الآية، شرع في تفصيلها ثانيا بقوله "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا" - إلى آخرها، والسر في الإعادة أن الشيء إذا أثبت أو نفي، وأقيمت الدلائل على إثبات ما ثبت [ منه - ٢ ] ونفي ما نفي، ثم أعيد ذلك في أسلوب آخر، كان أثبت في النفس والصق<sup>٢</sup> بالقلب، لا سيما إن كان هـ في الأسلوب الثاني - كما هي عادة القرآن - زيادة في اليان وتنيه على ما لم يتقدم أولا، ولا سيما إن كانت العبارة فائقة والالفاظ عذبة رائعة وأنت خير بان هذا كله دأب القرآن في أساليب الاقتسان؛ قال الغزالي في أوائل كتاب الجواهر في الفصل الذي فيه اشتغال الفاتحة على ثمانية أقسام: وقوله ثانيا "الرحمن الرحيم" إشارة إلى الصفة مرة ١٠ أخرى، ولا تظن أنه مكرر، فلا مكرر في القرآن، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، وذكر الرحمة بعد ذكر "العلمين"<sup>٦</sup>، وقبل ذكر "العلمين"<sup>٦</sup>، وقبل ذكر "ملك يوم الدين" ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة ثم ذكر<sup>٧</sup> ما حاصله أن إحداهما ملتفت إلى خلق<sup>٤</sup> كل [عالم - ٢] من العالمين على أكمل أنواعه وأفضلها وإيتائه كل ١٥ ما احتاج إليه، والثانية ملتفت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة في<sup>٩</sup> المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد. قال: وشرح ذلك بطول والمقصود

(١) من ظ، وفي الأصل: بعض - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: اعلق .  
(٤) في ظ: لا يظن (٥) في ظ: تكرر (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: ذكرنا (٨) في ظ: ان (٩) من ظ، وفي الأصل: و .

أنه [ لا - ١ ] مكرر في القرآن . وإن رأيت شيئاً<sup>٢</sup> مكرراً من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة<sup>٣</sup> في إعادته - انتهى . وفي ذلك نكتة أخرى، وهي أن الرحمن مشير<sup>٤</sup> إلى ما قال من جهة<sup>٥</sup> الربوبية في الإيجادين : الأول والثاني ، والرحيم مشير بخصوصه بما ترضاه الإلهية إلى الإيجاد الثاني والإبقاء الثاني بالرحمة الجزائية<sup>٦</sup> وإلى ما يفهمه الخصوص من النعمة بمن لم يخصه الرحمة - كما مضت الإشارة إليه في الفاتحة .

ولما كان معنى التحذير من طاعة المشركين أنكم إن فعلتم كنتم قد رددتم أنفسكم إلى ظلام الضلال بعد أن منحتهم نور الهداية ، فكان التقدير : أ<sup>١</sup> فمن كان هكذا<sup>٢</sup> [ كان - ١ ] كن نصح لنفسه باتباع الأدلة وتوقى الشبه ، عطف عليه قوله : ﴿ أو من كان ميتاً ﴾ أى بالفرق في أمواج ظلام الكفر . ليس لهم من ذواتهم إلا الجمادية بل العدمية ﴿ فاحييته ﴾ أى بما لنا من العظمة بأشراق أنوار الإيمان على قلبه الذى إن صلح صلح الجسد كله ، وإن فسد فسد الجسد كله ﴿ ورجعنا ﴾ أى بعظمتنا على وجه الخصوص ﴿ له نورا ﴾ أى بالهداية إلى كل خير ﴿ يمشى ﴾ مستضيئاً ﴿ به في الناس ﴾ فيعرفون أفعاله وأخلاقه وأقواله ﴿ كمن مثله ﴾ أى الذى يمثل به ، وهو ما ينكشف<sup>٨</sup> بوجه الشبه روح له<sup>٩</sup> خلاصة حال قلبه ،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الفاتحة - كذا (٤) في الأصل وظ : مشيراً - كذا (٥) في ظ : جهته (٦) من ظ ، وفي الأصل : الجزائية . (٧) في ظ : هذا (٨) في ظ : يكشف (٩) في ظ : أو .



حال قلبه ، أو يكون المعنى : صفته أنه ﴿ في الظلمت ﴾ أى ما له من نفسه من ظلمة الجهل و ظلمة ما ينشأ عنه من الهوى و ظلمة ما نشأ عن الهوى من الكفر ، و إذا كان المثل الذى هو الأعلى من الممثل فى شيء كان الممثل عريقا فيه بطريق الأولى ، فلذلك قال : ﴿ ليس بخارج ﴾ أى ذلك المثل ﴿ منها <sup>١</sup> ﴾ أى الظلمات بما زين له من سوء أعماله حتى هـ صارت <sup>١</sup> أحب إليه من نفسه و ماله ، و إذا لم يخرج المثل من شيء لم يخرج الممثل منه و إلا لم تكن بينهما مماثلة ، و <sup>٢</sup> ذلك لأنه <sup>٢</sup> زين له عمله ، و هى ناظرة إلى قوله أول السورة ” انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يعثهم الله “ و قوله ” و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى العالمت “ .

و لما كان إحصاء الشياطين إلى أوليائهم مما يوجب لزوم العمى ليس ١٠  
إلا تزيينا للقبائح <sup>٢</sup> . فكان حالهم مما يشتد العجب منه ، كان كأنه قيل :  
لولا رؤيتنا لحالهم ما صدقنا ، أن عاقلا / يرضى ما فعلوه <sup>٣</sup> بأنفسهم ،  
فهل وقع <sup>٤</sup> لاحد قط <sup>٥</sup> مثل حالهم ؟ فقيل : نعم ، ﴿ كذلك ﴾ أى  
[ مثل - <sup>٦</sup> ] ما زين لهم سوء أعمالهم ﴿ زين للكافرين ﴾ أى كلهم  
﴿ ما كانوا ﴾ بما جعلناهم <sup>٧</sup> عليه ﴿ يعملون هـ ﴾ فهم أبدا فى الظلمات ، ١٥  
فلاية من الاحتباك : أثبت <sup>٨</sup> أولا كونه فى الظلمات دليلا على تقديره

(١) فى ظ : صار (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : لذلك انه (٣) سقط من ظ .  
(٤) من ظ ، وفى الأصل : بما صدقناهم (٥) فى ظ : فعله (٦-٦) من ظ ،  
وفى الأصل : لا حظ قد - كذا (٧) زيد من ظ (٨) فى الأصل و ظ :  
جعلناهم (٩) فى ظ : ثبت .

ثانياً ، و ثانياً التزيين دليلاً على تقديره أولاً .  
 و لما كان معلوماً أن عداوتهم له صلى الله عليه وسلم المشار إليها  
 بقوله ” و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً “- الآية ، لا يقوم بها إلا  
 أكابر الناس ، لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من جلالة المنصب و شرف  
 العشرة و كثرة الأقارب و أنه لا يتماهى عليها إلا جاهل مطموس  
 البصيرة مزين له قبيح أعماله ، عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله :  
 ﴿ و كذلك ﴾ أى مثل [ ما - ٤ ] زينا للكافرين سوء أعمالهم ، فكان  
 أكابر أهل مكة يمتكرون فيتبع غيرهم مكرهم ﴿ جعلنا ﴾ أى بما لنا من  
 العظمة فى إقامة الأسباب لما يعلى كلمة الإنسان أو يجعله حقير الشأن  
 ١٠ ﴿ فى كل قرية ﴾ أى بلد جامع ، [ و لما كان الكبر مختلف الأنواع باختلاف  
 أشخاص المجرمين ، طابق بأفعل التفضيل المقصودين لها فى الجمع على إحدى  
 اللغتين ، و عبر بصيغة منتهى الجمع دلالة على تناهيهم فى الكثرة  
 فقال - ٤ ] : ﴿ اكبر مجرميها ﴾ أى القاطعين لما ينبغى أن يوصل .

و لما كان من شأن الإنسان استجلاب أسباب الرفع لنفسه ، و كان  
 ١٥ لا يصل إلى ذلك فى دار ربط المصائب بحكمة الأسباب إلا بالمكر ،  
 و كان الأكابر أقدر على إنفاذ المكر و ترويج الأباطيل بما لاغلب الناس  
 من السعى فى رضام طمعاً فيما عندهم ، و كان الإنسان كلما تمكن من ذلك  
 أمعن فيه ، و كان الكبير إنما يصل إلى ما قدر له من ذلك بتقدير الله

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرة (٣) فى ظ : عليهما .  
 (٤) زيد من ظ (٥) زيد و لا بد منه (٦) من ظ ، و فى الأصل : يمكن .

له ؛ كان بما قدر له من ذلك كأنه خلقه له ، فقال معبرا بالجمل لما فيه من  
التصير<sup>١</sup> والتسيب<sup>٢</sup> : ﴿ ليمكروا فيها ﴾ أى يخدعوا أصاغرم ويغروم  
بما يلبسون عليهم من الأمور حتى يتبعوهم فيعادوا<sup>٣</sup> لهم حزب الله .  
ولما كان ذلك موجعا و غائظا محزنا ، قال تصغيرا لشأنهم وتحقيرا  
لامرهم : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنهم [ ما - ٤ ] ﴿ يمكرون الا بانفسهم ﴾ ٥  
لأن عملهم بالمكر وبال عليهم موبق لهم ، ولأن مكرمهم بأولياء الله إنما  
هو مكرم<sup>٦</sup> بالله ، وذلك غير متأت ولا<sup>٧</sup> كأن بوجه من الوجوه ، وكيف يتأتى  
مكر من لا يعلم شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب ا ﴿ وما يشعرون ٥ ﴾  
أى [ و - ٧ ] ما لهم نوع شعور بأن مكرمهم عائد على نفوسهم ، لأن الله  
تعالى الذى يعلم سرهم وجهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم في تدميرهم ، وإنما ١٠  
أجرى<sup>٨</sup> سقته<sup>٩</sup> الإلهية بذلك لما يشتمل عليه من أعلام النبوة ، فان غلبة  
شخص واحد - بمفرده أو باتباع كثير منهم بمن لا يوبه لهم مع قلة العدد  
وضعف المدد لرؤساء الناس وأقويائهم مع طول مكثه بينهم منابذا لهم  
مناديا عليهم بأن دينكم يمحق و دينى يظهر وإن كرهتم<sup>١٠</sup> - من خوارق  
العادات وبواهر الآيات تصديقا لقوله تعالى ” كتب الله لاغلبن انا ورسلى “ ١٥  
” و ان جندنا لهم الغالبون “ ١٢ - فى أمثال ذلك .

(١) فى ظ : التقصير (٢) من ظ ، وفى الأصل : التسيب (٣) فى ظ : فيعادوا .  
(٤) زيد ولا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : الا - كذا .  
(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ : تعالى (٩) فى ظ : سنة (١٠) من ظ ، وفى  
الأصل : كرهتهم (١١) سورة ٥٨ آية ٢١ (١٢) - سورة ٣٧ آية ١٧٣ .

ولما قرر هذا، أتبعه بمقالة لهم تدل على تعظيمهم وتكبرهم<sup>١</sup> فقال عاطفا على "واقسموا بالله جهد ايمانهم" تعجيبا<sup>٢</sup> من حالهم فيما زين لهم<sup>٣</sup> من ضلالهم<sup>٤</sup>، و تصديقا لما تقدم من الإخبار بأنهم لا يؤمنون ولو<sup>٥</sup> جاءتهم كل آية إلا أن يشاء الله، وتحقيقا لما في الآية السالفة من مكرهم لغيرهم وعوده على أنفسهم: ﴿واذا جاءتهم﴾ أى الكافرين من أكابر المجرمين وأتباعهم ﴿آية قالوا﴾ حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم أكابر مؤكدين للنبي<sup>٦</sup> [لما للمعجزات الانبياء عليهم السلام من العبر الموجب لظن الإذعان لأعنى أهل الكفران -<sup>٧</sup>] ﴿لن تؤمن﴾ أى أبدا ﴿حتى تؤمن﴾ لما لنا من العلو<sup>٨</sup> والعظمة المقتضية لأن لا يختص أحد عنا ١٠. بشئ. ﴿مثل ما﴾.

ولما كان نظرهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر إلى جانب الله لكونه غيبا بنوا للمفعول قولهم: ﴿اوتى رسل الله<sup>٩</sup>﴾ يجوز أن يكون المراد: حتى يوحى إلينا لئلا نكونوا أعظم منا كما قال تعالى "بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة"<sup>١٠</sup> وكما<sup>١١</sup> تقدم فى أول السورة عن أبى جهل أنه قال: تنازعنا نحن<sup>١٢</sup> وبنو عبد مناف الشرف حتى إذا كنا كفرسى رهان<sup>١٣</sup> قالوا: من أنبي<sup>١٤</sup> يأتيه الوحي من السماء،

(١) فى ظ: تنكيرهم (٢) فى ظ: تعجبا (٣ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ. (٥) من ظ، وفى الأصل: لما (٥) فى ظ: السابقة (٦) من ظ: وفى الأصل: بالنفى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: العلوم (٩) سورة ٧٤ آية ٥٢. (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ: رهبان (١٢) من ظ والبحر ٢١٦/٤، وفى الأصل: بشئ. - كذا.

ويحك! متى ندرك هذا<sup>١</sup> والله لا تؤمن به أبدا. وأن يكون المراد إتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل<sup>٢</sup> آيات الأولين من شق البحر واليد والعصا وإحياء الموتى ومحوها، [وسموم تنزلا واستهزاء. وعبروا بالجلالة إشارة إلى القدرة "تامة فلا عذر - ٣"] .

ولما ذكر اسم الجلالة إيدانا بعظيم ما اجتروا<sup>٤</sup> عليه لعاهم - بما طمس<sup>٥</sup> على أنوار قلوبهم من ظلمات الهوى - عما للرسول من الجلال الذي يخضع له شوامخ<sup>٦</sup> الأنوف، أعادها أيضا تهويلا للأمر وتنبهها على ما هناك من عظيم القدر<sup>٧</sup>، فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم [من - ٢] دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله عز وجل: ﴿الله﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿اعلم﴾ أى من كل من يمكن منه علم ﴿حيث يجعل﴾ ١٠ أى يصير ما يسبب من الأمور ﴿رسالته ط<sup>٨</sup>﴾ أى كلها بالنسبة إلى كل فرد من أفراد الخلق فهو لا يضيع<sup>٩</sup> شيئا منها بالتشهي.

ولما كشف هذا النظم عن أنهم اجتروا<sup>٤</sup> عليه، وأنهم أصروا على أقبح المعاصي الكفر، لا لطلب الدليل بل لدهاء الحسد؛ تافت<sup>١٠</sup> النفس إلى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا: ﴿سصيب﴾ أى بوعده لا خلف فيه، ١٥

- (١ - ١) في الأصل: شيء يدرك هذه، وفي ظ: متى ندرك هذه (٢) من ظ، وفي الأصل: مثل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) في الأصل وظ: أخبروا. (٥) زيد بعده في ظ: النفوس (٦) من ظ، وفي الأصل: القدرة (٧) كذا قرأ أكثر السبعة بالجمع، وأما مصاحفنا فبالأفراد (٨) من ظ، وفي الأصل: لا يضيع. (٩) من ظ، وفي الأصل: أخبروا (١٠) من ظ، وفي الأصل: تأقب - كذا.

ظلم الدرر ( سورة الانعام ٦ : ١٢٤ و ١٢٥ ) ج - ٧

وأظهر وضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين اجرموا﴾  
 أى قطعوا ما ينبغى أن يوصل ﴿صغار﴾ [ أى رضى بالذل لعدم  
 الناصر - ١ ] ، ولما كان الشيء تعظيما بعظمة محله ومن كان منه ذلك  
 الشيء قال ٢: ﴿عند الله﴾ أى الجامع لصفات العظمة ﴿وعذاب﴾  
 ٥ أى مع الصغار ﴿شديد﴾ أى فى الدنيا بالقتل والحزى وفى الآخرة  
 بالنار ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كانوا يعمرون﴾ .

ولما تقدم أنه تعالى أعلم بمن طبع على قلبه فلا يتمك عن  
 الضلال ، ومن يقبل الهداية فى الحال أو المآل ٣ ، وأن مكر المجرمين  
 إنما هو بارادته ونافذ قدرته ، علم أن الأمر أمره ، و القلوب بيده ،  
 ١٠ فتسبب عن ذلك قوله : ﴿فمن يرد الله﴾ أى الذى له جميع الجلال  
 والإكرام ﴿أن يهديه﴾ أى يخلق ٤ الهداية فى قلبه من أكابر المجرمين  
 أو غيرهم ﴿يشرح صدره﴾ أى يوسعه بأن يجعله مهيبا قابلا بالنور  
 ﴿للاسلام ج﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس : روى أن عبد الله بن مسعود  
 رضى الله عنه قال : يا رسول الله ١ و هل ينشرح الصدر ؟ فقال : نعم ،  
 ١٥ يدخل القلب نور ، فقال : و هل لذلك من علامه ؟ فقال صلى الله عليه  
 وسلم : التجافى عن دار الغرور ٥ والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تعظيم (٣) من  
 ظ ، وفى الأصل : فقال (٤) من ظ ، وفى الأصل : جامع (٥) فى ظ : المثال .  
 - كذا (٦) فى ظ : خلق (٧) زيد بعده فى الأصل : فقال و هل لذلك من  
 علامة ، ولم تكن الزيادة فى ظ ولا فى تفسير الطبرى حيث بقيت هذه  
 الرواية لغزناها .

للموت قبل الموت، وفي رواية: الموت (و من يرد) أى الله،  
 ولم يظهر هنا إشارة إلى أن الضلال على مقتضى الطبع (ان يضلّه)  
 أى يخلق الضلال و يديمه في قلبه (يجعل صدره) أى الذى هو  
 مسكن<sup>١</sup> قلبه الذى هو معدن الأنوار (ضيقا حرجا) أى شديد الضيق  
 فيكون<sup>٢</sup> مرتجسا أى مضطربا، روى أن عمر رضى الله عنه أحضر ه  
 أعرايا من كنانة من بنى مدلج فقال له: ما الحرجة؟ فقال: شجرة لا تصل  
 إليها، وحشية ولا راعية، و ساق البغوى القصة<sup>٣</sup> و لفظه: و قال: الحرجة  
 فينا الشجرة تكون<sup>٤</sup> بين الأشجار [التى -<sup>٥</sup>] لا تصل إليها راعية ولا وحشية  
 ولا شيء - ثم اتفقا - فقال عمر رضى الله عنه: كذلك قلب<sup>٦</sup> الكافر<sup>٧</sup>  
 لا يصل إليه شيء من الإيمان والخير؛ و زاد البغوى: قال سيويه: ١٠  
 الحرج - بالفتح المصدر<sup>٨</sup>، و معناه: "ذا حرج"، و بالكسر الاسم  
 و هو أشد الضيق، و قال المهدي: هنا الحرج الشديد الضيق و قد تقدم  
 القول فيه، و قال فى النساء فى قوله تعالى "ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا  
 مما قضيت" أى ضيقا، و إلى هذا المعنى يرجع قول مجاهد: إنه الشك،  
 و قول الضحاك: إنه الإثم، كأنه ضيق شك<sup>٩</sup> أو ضيق إثم؛ و قال ١٥

- (١) زيد فى الطبرى: ان ينزل (٢) فى ظ: سكن (٣) فى ظ: فيصير، و العبارة من  
 هنا إلى « مضطربا » تقدمت فيه على « وفى رواية » (٤) سقط من ظ (٥) من  
 ظ و معالم التنزيل - راجع الخازن ١٥٠/٢، وفى الأصل: يكون (٦) زيد من  
 المعالم (٧) من ظ و المعالم، وفى الأصل: قليل - كذا (٨) فى المعالم: المناق .  
 (٩) زيد فى المعالم: كالطلب (١٠ - ١١) من المعالم، وفى الأصل: اخرج .  
 (١١) آية ٦٥ (١٢) فى ظ: يشك .

التحاس<sup>١</sup>: " حرجا مما قضيت " أى شكا وضيقا ، وأصل الحرج الضيق - انتهى . وتحقيق ذلك أن الآية هنا فيها - بعد التأكيد بالإتيان بصيغة فعل<sup>٢</sup> دون فاعل - تأكيد آخر إما / بالمصدر أو باسم الفاعل ، فأفاد زيادة على أصل الفعل وهى الشدة فيه ، فعنى الفتح : ضيقا - بكسر الضاد وإسكان [ الياء - ٣ ] ، ومعناه - إن كسرت حرجا - ضيقا باعادة اسم الفاعل ، ومادة 'حرج' بخصوص<sup>٤</sup> هذا الترتيب تدور على المكان الضيق الكثير<sup>٦</sup> الشجر ، ويلزمه الشخص<sup>٧</sup> على وجه الأرض والارتفاع والجمع والمنع و الشدة والخيرة والحر والبرد . وهى - بأى ترتيب كان وهى خمسة : حرج حجر<sup>٨</sup> رجح حجر<sup>٩</sup> جرح - تدور على الحجر الذى هو الجسم المعروف ، ويلزمه الثقل<sup>١٠</sup> والمنع والحدة والشخص والصلابة التى هى القسوة . يلزمها الضيق ، فيرجع إلى الصلابة الحرج<sup>١١</sup> بمعنى الضيق ، والحرجة للغيضة ، والحرج للقلادة من 'الودع' ، والحرجوج للريح الشديدة الباردة ، والناقة الحرجوج للوقادة القلب . ويجوز رجوعها إلى الحدة ، والجرح لسرير الموتى لضيق الصدر من ذكره ، ولضيقة

(١) من ظ ، وفى الأصل : التحاسى (٢) فظ : فعل (٣) زيد من ظ (٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ ، وفى الأصل : بخصوص من (٦) من ظ ، وفى الأصل : الكبير (٧) فظ : الخصوص (٨) فظ : حجر (٩) فظ : حجر - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : النقل (١١) من ظ وتاج العروس ، وهو خرز يعلق فى العنق ، وفى الأصل : الردع - كذا .



عن أسرة الأحياء ، ومنه أيضا جحر الضب ونحوه للثقب المحفر في الأرض ، ويرجع إلى الثقل ' الحرج بمعنى الإثم ، وينشأ ' عن ذلك البعث ' المقضى إلى الحيرة ، ومنه خرجت عينه ، أى حارت فلا تطرف ، و يلزم الثقل ' أيضا الجرح بمعنى الطعن النافذ في البدن ، ومن ذلك اجترح - إذا اكتسب مالا ، لأنه من آثاره ، ومنه الرجحان بمعنى الثقل ، ه والحكم ' الراجح الذى يوجب رزاقه صاحبه ، ومنه الأرجوحة لأن كلا من طرفيها يرجح بالآخر ، ويرجع إلى المنع ' الحجر بمعنى العقل وبمعنى الحظن ' والحرام والفرس ' الأثني لأنها قد تمتنع من الركوب للحمل أو الولد ، والحجر فى المال ، والحجرة للناحية القريبة لأن الشيء إذا بعد عنك - ولو قدر باع - امتنع منك ، وكان التأنيث فيه لقربه ، ويرجع ١٠ إلى الشخص ' الحرج للناقة الطويلة ؛ وقال الإمام أبو الفتح ابن جنى " رحمه الله فى كتابه " المحتسب فى توجيه القراءات الشواذ " عند قوله تعالى فى هذه السورة " وحرث حرج " " فيمن قرأ بتقديم الراء : إن جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقى معانيها فى الضيق والشدة والاجتماع ، وإذا أنعمت النظر و تركت " الملل والضجر وجدت الأمر " كما قال ١٥

- (١) من ظ ، وفى الأصل : النقل (٢) من ظ ، وفى الأصل : نشأ (٣) فى ظ : الثقب (٤) من ظ والقاموس ، وفى الأصل : فلا يطوف (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحله (٦) فى ظ : النعم (٧) من ظ والقاموس ، وفى الأصل : الحظين (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) فى ظ : لقرية (١٠) من ظ ، وفى الأصل : النحوص (١١) هو عثمان بن جنى النحوى (١٢) راجع آية ١٣٨ . (١٣) من ظ ، وفى الأصل : تركب (١٤) من ظ ، وفى الأصل : الامام - كذا .

قظم الدرر ( سورة الأنعام : ٦ : ١٢٥ و ١٢٦ ) ج - ٧

و الله أعلم - نحو الحجر واستحجر الطين والحجرة 'و بقيته، وكله' إلى التماسك والضيق، ومنه الجرح للضيق<sup>٢</sup> والجرح مثله، والحرجة ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله، ومنه الحجر وبابه لضيقه، ومنه الجرح لمخالطة<sup>٣</sup> الحديد للحم وتلاحمه عليه، ومنه رجح الميزان - لأنه مال أحد شقيه نحو الأرض فقرب منها وضاق ما كان واسعا بينه وبينها، فان قلت : فانه إذا مال أحدهما إلى الأرض\* فقد بعد الآخر؟ قيل : كلامنا على الراجح والراجح هو الذي إلى الأرض، فأما الآخر فلا يقال له : راجح، وإذا ثبت ذلك - وقد ثبت - فكذلك قوله تعالى " و حرث حرج<sup>٤</sup> " في معنى حجر، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة لن يطعمها إلا من يسألون ١٠ أن يطعموه إياها بزعمهم - انتهى .

ولما كان صاحب هذا الصدر لا يكاد<sup>٥</sup> الهداية تصل إليه، وإن وصل إليه شيء منها على لسان واعظ ومن طريق مرشد ناصح لم يجد مسلكا فنكصت، وهكذا لا تزال في اضطراب وتردد أبدا؛ كانت ترجمته قوله : ﴿ كأنما يصعد ﴾ أى يتكلف هذا الشخص في قبول الهداية الصعود ١٥ ﴿ في السماء ﴾ في خفاء حياء من مزاولة ما لا يمكن، بما أشار<sup>٦</sup> إليه قراءة من أدغم التاء في الصاد، فكلما أصدته حركته الاختيارية أهبطته

(١ - ١) من ظ، وفي الأصل : بقه وكل - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل : لمخالطة - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل : يلاحمه (٧) في ظ : الآخر وهي - كذا (٨) من ظ، وفي الأصل : جرح (٩) من ظ، وفي الأصل : لا يزال (١٠) في ظ : اشارت .

حركته الطبيعية<sup>١</sup> القسرية ، كما زى بعض الحشرات يحمل شيئا ثقيلا  
ويصعد به في جدار أملس ، فيصير يتكاف ذلك فيقع ، ثم يتكلف  
الصعود أيضا فربما وصل إلى مكانه الأول وسقط ، وربما سقط دونه ،  
فهو بما<sup>٢</sup> يتمتع عادة ، فلا يزال مرتجسا أى مضطربا وجماع الاضطراب  
عقبه بما / بعده كما يأتى .

٢٥٠ / ٥

ولما كان ما وصف به صدر الضال بما ينفر منه ، وكان<sup>٣</sup> الرجس  
في الأصل<sup>٤</sup> لما يستقدر ، والمستقدر ينفر منه ، وكان هذا الكلام ربما أثار  
سؤالا<sup>٥</sup> ، وهو أن يقال : هل هذا - وهو جعل الضال على هذه الصفة -  
خاص بأهل هذا الزمان ، أجيب بما حاصله : لا ، ( كذلك ) أى مثل  
ما جعل الله الرجس على [ من - <sup>٦</sup> ] أراد ضلاله من أهل هذا الزمان ١٠  
( يجعل الله ) أى بما له من القدرة التامة والعظمة الباهرة ( الرجس )  
أى الاضطراب و القدر ( على الذين لا يؤمنون . ) من أهل كل زمان  
لإرادته سبحانه دوام ضلالهم ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الضلال  
دليلا على حذفه ثانيا ، وذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه أولا ، والآية  
نص في<sup>٧</sup> أن الله يريد هدى المؤمنين وضلال الكافرين .

١٥

ولما ذكر ما ألزمه لأهل الضلال بلفظ ما يستقدر ، كان في غاية  
الحسن تعقيبها بالصراط ، فانه بما يعشق لاستقامته وإضافته إلى الرب الذى  
(١) من ظ ، وفى الأصل : الطبعة (٢) فى ظ : فيما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين  
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : سولا (٥) من ظ ، وفى الأصل : تعالى .  
(٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

له - مع استجماع الكمالات كلها - صفة العطف والإحسان والطف ،  
 وإضافة الرب إلى هذا الرسول الذى ' يعشق خلقه و خلقه كل من يراه  
 أو يسمع به ، وأحسن من ذلك وأمن أن مادة 'رجس' تدور على  
 الاضطراب الملزوم للعوج الملزوم للضلال المانع من الإيمان ، فلما مثل  
 ٥ سبحانه حال الضال بحال المضطرب ، و 'أخبر أنه ألزم هذا الاضطراب  
 كل من لا يؤمن ، أتبعه وصف سبيله بالاستقامة التى هى أبعد شئ عن  
 الاضطراب الملزوم للعوج ، وكان التقدير : فهذه حال أهل الضلال ،  
 فعطف عليه قوله : ﴿ وهذا ﴾ أى ' الذى ذكرناه من الشرائع الهادية  
 فى هذا القرآن التى ختمناها بأن الهادى المضل هو الله وحده ، لا الإتيان  
 ١٠ بالمقترحات ولوجاهات كل آية ﴿ صراط ﴾ أى طريق ﴿ ربك ﴾ أى  
 المحسن إليك حال كون هذا الصراط ﴿ مستقيماً ﴾ أى ' لا عوج فيه  
 أصلاً ، بل هو على منهاج الفطرة الأولى التى هى فى أحسن تقويم  
 بالعقل السليم الذى لم يشبه ' هوى ولم يشبه ' خلل فى أن الأمر كله  
 'يد الله' لكيلا يزال الإنسان خائفاً من الله و راجياً له لأنه القادر على  
 ١٥ كل شئ ، وأما غيره فلا قدرة له إلا بتقديره لأنه خلق ' القوى و القدر  
 عندنا وعند المعتزلة ، فلتكن الجزئيات كذلك لأن الخلق لا يتصور  
 بغير علم ، وليس غير الله محيط العلم ؛ قال الإمام : فالآية التى قبلها من  
 المحكمات ، فيجب إجراؤها على ظاهرها ، ويحرم التصرف فيها بالتأويل .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بالفعل (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم يشبهه .  
 (٤-٤) فى ظ : لله (٥) فى ظ : الخالق .

ولما كان جميع ما في هذا الصراط على منهاج العقل ليس شيء  
 [ منه -<sup>١</sup> ] خارجا عنه<sup>٢</sup> وإن كان فيه بما لا يستقل بادراكه العقل ،  
 بل لا بد له فيه من إرشاد الهداة<sup>٣</sup> من الرسل الآخذين عن الله ، قال مينا  
 لمدحه مرشدا إلى انتظامه مع العقل : ( قد فضلنا ) أى غاية التفصيل  
 بما لنا من العظمة ( الأيت ) أى كلها فضلا فضلا ؛ بحيث تميزت تميزا<sup>٤</sup> .  
 لا يختلط واحد منها بالآخر ( لقوم يذكرون ) أى يجهدون أنفسهم  
 في التخلص من شوائب<sup>٥</sup> العوائق للعقل من الهوى وغيره - ولو على  
 أدنى وجوه الاجتهاد بما يشير إليه الإدغام - لذكروا [ أنه قال : ما من  
 شيء ذكرناه إلا وقد أودعنا في عقولهم شاهدا عليه .

ولما كان التذكر -<sup>١</sup> [ عند الآيات لا يكون إلا من أهل العناية ١٠  
 في طرق الهدايات ، قال مرغبا في التذكر فانه سبب الفيض الإلهي على  
 القلوب المهياة له : ( لهم ) أى المتذكرين ( دار السلم ) أى الجنة ، أضافها  
 سبحانه إليه زيادة في الترغيب فيها ، وخص هذا الاسم الشريف لأنه  
 لا يلزم بها شيء من عطب ولا خوف ولا نصب ؛ ثم زاد الترغيب فيها  
 بقوله : ( عند ربهم ) أى [ فى -<sup>١</sup> ] ضمان المحسن إليهم و حضرة ١٥  
 بما هيأهم له ويسره<sup>٢</sup> لهم ( وهو ) أى وحده ( وليهم ) أى المتكفل<sup>٣</sup>  
 بتولى أمورهم ، لا يكفلهم إلى أحد سواه ، وهذا يدل على قربهم منهم ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : منه (٣) فى ظ : الهداية (٤) سقط  
 من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : تميزا (٦) فى ظ : شوايق - كذا (٧) من ظ ،  
 وفى الأصل : سيره (٨) فى ظ : التكلف .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ١٢٧ و ١٢٨) ج-٧

/ ٢٥١

و العندية تدل على قربهم منه لما<sup>١</sup> شرح / من صدورهم بالتوحيد؛  
و لما كان ذلك ربما قصر<sup>٢</sup> على التذكر. بين أن المراد منه التأدية إلى  
الاعمال فانها معيار الصدق<sup>٣</sup> و ميزانه فقال: ﴿بما﴾ أى بسبب ما  
﴿كانوا﴾ أى كما جبلهم عليه، فما كان ذلك إلا بفضلهم ﴿يعملون﴾  
و لما فصل سبحانه أحوال الفريقين، و حض على التذكر<sup>٤</sup> تنبيها على  
أن كل ما فى القرآن مما يهدى إليه العقل، و ذكر مآل<sup>٥</sup> المتذكرين فأفهم  
أن غيرهم إلى عطب، لأنهم تولوا ما يضرهم لأنهم تبعوا شهواتهم، و كان  
من المعلوم أنهم يعبدون<sup>٦</sup> غير مالکهم، وأنه ما من عبد يخدم غير سيده  
بغير أمر سيده إلا عاتبه أو<sup>٧</sup> عاقبه، هذا مركوز فى كل عقل؛ ذكر سبحانه  
١٠ ما يتقدم ذلك المآل<sup>٨</sup> من الأحوال فى<sup>٩</sup> الآجل المسمى الذى أخفاه  
عنده و جعله من أعظم مباني<sup>١٠</sup> هذه السورة، و أبهمه [فى -<sup>١١</sup>] أولها،  
و بين فى<sup>١٢</sup> أثباتها بعض<sup>١٣</sup> أحواله مرارا فى وجوه من أفانين اليان،  
و هو يوم الحشر، فذكر هنا سبحانه بعض<sup>١٤</sup> أحوال الغافلين [و بعض -<sup>١٥</sup>]  
ما يقول لهم فيه و ما يفعله معهم من عتاب و عقاب،<sup>١٦</sup> لطفاً بهم<sup>١٧</sup>  
١٥ و استعطافا إلى المتاب، فقال جامعا الفريقين: ﴿و يوم﴾ أى اذكر فى  
(١) فى ظ: بما (٢) فى ظ: تصبر (٣) فى ظ: الصدر (٤-٤) سقط ما بين  
الرقين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: التذكير (٦) فى ظ: حال (٧) فى  
ظ: يعتدون (٨) فى ظ: و (٩) فى ظ: المثال (١٠) فى ظ: من (١١) فى  
ظ: معاني (١٢) زبد من ظ (١٣) سقط من ظ (١٤-١٤) فى ظ:  
لطايفهم - كذا.

تذكرك يوم ﴿نحشرهم﴾ أى أهل ولايتنا وأهل عداوتنا ﴿جميعا ج﴾  
لا نذر منهم أحدا ﴿يا<sup>٢</sup>﴾ أى فنقول على لسان من نشاء من جنودنا لأهل  
عداوتنا تبكيئا وتويخا حين لا يكون<sup>٣</sup> لهم مدافعة أصلا : ﴿معشر الجن﴾  
أى [ المستترين الموحشين من -<sup>٤</sup> ] مردة الشياطين المسلطين على الإنس ،  
وهم يرونهم من حيث لا ترونهم<sup>٥</sup> ﴿قد استكثرتم﴾ أى [ طلبتم -<sup>٦</sup> ]  
وأوجدتم<sup>٧</sup> الكثرة ﴿من الانس ج﴾ أى من إغواء<sup>٨</sup> [ المؤمنين الظاهرين -<sup>٩</sup> ]  
حتى صار أكثرهم أنباكم ، [ فالآية من الاحتباك : عبر بما يدل على  
الستر أولا دلالة على ضده - وهو الظهور - ثانيا ، وبما معناه الاستثناس  
والسكون ثانيا دلالة على ضده - وهو الإيجاش والنفرة - أولا -<sup>١٠</sup> ]  
﴿وقال﴾ هو عطف على جواب الجن المستتر<sup>١١</sup> [ عن -<sup>١٢</sup> ] العامل فى ١٠  
”نمشر“ الذى تقديره كما يهذى إليه الآيات [ التى -<sup>١٣</sup> ] تأتى فى  
السورة الآتية فى تفصيل هذه المحاوره : فقالوا : ربنا هم ضلوا ، لأنهم<sup>١٤</sup> كانوا  
يستمتعون بنا فى نفوذهم وسماعهم الأخبار الغريبة منا ، فاستوجبوا العذاب  
بمفردهم ، وستر جواب الجن لأنه - مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه -  
مناسب لحالهم فى الاستتار مع شهرتهم ، [ وذكره -<sup>١٥</sup> ] بلفظ الماضى ١٥  
إشارة الى تحقق وقوعه ، لأنه خبر من لا يخلف الميعاد ، والمراد بهذه المحاوره  
ضرب مما يأتى تفصيله بقوله<sup>١٦</sup> ”قالت اخرنهم لاولهم ربنا هؤلاء اضلونا“ -

- (١) وقراءة حفص بالغيبة (٢) تقدم فى الأصل على «معشر الجن» والترتيب من  
ظ (٣) فى ظ : لا تكون (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يرونهم .  
(٦) من ظ ، وفى الأصل : جدم (٧) من ظ ، وفى الأصل : اغوايهم (٨) فى ظ :  
المسبب (٩) من ظ ، وفى الأصل : يأتى (١٠) سقط من ظ (١١) سورة ٧ آية ٣٨ .

الآية، وقوله "فقال الضعفوا<sup>١</sup> الذين استكبروا<sup>٢</sup> انا كنا [لكم-<sup>٣</sup>] تبعاً-".  
 الآية ﴿اولئؤم﴾ أى الجن ﴿من الانس﴾ [أى -<sup>٢</sup>] الذين تولوهم  
 بالاتباع والطاعة فيما دعوهم إليه من الضلال، معترفين مستعطفين  
 ﴿ربنا﴾ [أيها الرب لنا المحسن إلينا-<sup>٢</sup>] ﴿استمع﴾ أى طلب المتاع  
 ٥ و أوجده ﴿بعضنا ببعض﴾ نحن بهم فيما قالوا، وهم بنا فى طاعتنا لهم  
 و عيادنا بهم ﴿و بلغنا﴾ أى نحن وهم ﴿اجلنا﴾ وأحالوا الأمر على  
 القدر فقالوا: ﴿الذى اجلت لنا﴾ وهو الموت الذى كتبته علينا  
 و\* سويت بيننا فى سوط قهره و تجرع كؤوس حره و قره، ثم هذا اليوم  
 الذى كنا مشتركين فى التكذيب به، فاستوجبنا العذاب كلنا.

١٠ و لما تم ذلك كان كأنه [ قيل : فإ -<sup>٢</sup>] قال الله لهم بعد هذه  
 المحاورة الغريبة التى<sup>١</sup> هى ضرب من كلام أهل الباطن فى الدنيا لجلج  
 مضطرب لا حاصل له ؟ فقيل : ﴿قال﴾ أى المخاطب لهم عن<sup>٢</sup> الله  
 ﴿النار مثوئكم﴾ أى منزلكم جميعاً من غير أن تنفعكم الإحالة على القدر  
 ﴿تخلدين فيها﴾ أى إلى ما لا آخر له، لأن الأعمال بالنية و قد كنتم  
 ١٥ على عزم ثابت أنكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو [ إلى -<sup>٢</sup>] ما لا آخر له،  
 فالجزاء من جنس العمل .

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم - سورة ١٤  
 آية ٢١ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل : احالة (٥) فى ظ : او (٦) من  
 ظ، و فى الأصل : من - كذا (٧) من ظ، و فى الأصل : لكن (٨) من ظ،  
 و فى الأصل : غير (٩) من ظ، و فى الأصل : ينفعكم .



ولما كان [ من - ١ ] المقرر أنه لا تمام لملك من يجب عليه شيء ويلزمه بحيث لا يقدر على<sup>٢</sup> الافكاك عنه ، بين سبحانه أن ملكه ليس كذلك ، بل هو<sup>٣</sup> على غاية الكمال ، لا يجب عليه شيء بل كل فعله جميل ، وجميع ما يبدو منه حسن ، فخلق دوام عذابهم على المشيئة فقال : ( الا ماشاء )  
ولما كان القصد في هذه السورة إلى إظهار العظمة للغيرة على / مقام ٥ : ٢٥٢ /  
الإلهية ، عبر بالاسم الأعظم فقال : ( الله<sup>٤</sup> ) أى الذى له رداء الكبير فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه ولا أن يهجم بذلك ، هيئات هيئات ! انقطعت دين ذلك الآمال ، فظلت<sup>٥</sup> ناكسة أعناق الرجال ، ويده إزار العز ، فمن اختلج في سره أن يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل ؛  
و أنزله في مهاوى الخزي ، وقد تقرر أنه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء ١٠  
من ذلك عنهم في حال من الأحوال ، ونطق الكتاب بذلك في ضرائح الأقوال ، وفي سورة معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة في عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه .

ولما كان في إظهار الجلال في هذا الحال من عظيم الأحوال ما لا يسمعه المقال ، أتبعه اللطف بالمخاطب<sup>٦</sup> به صلى الله عليه وسلم فقال : ١٥  
( ان ربك ) أى المحسن إليك برفع أوليائك وخفض أعدائك .

ولما كان السياق - في مثل هذه المقابلة في مجمع الحكم - للحكمة والعلم ، وكان النظر إلى الحكمة في تنزيل كل شيء منزله أعظم ، قدم

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : عن (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : في (هـ) في ظ : وظلت (٦) من ظ ، وفي الأصل : بالمحاطف - كذا .

وصفها فقال: ﴿حَكِيم﴾ أى فلا يعذب المخلص و يترك المشرك  
و لا يعذب بعض من أشرك و يترك بعضا ﴿عليم﴾ أى بدقائق الأمور  
و جلائها من الفريقين ، فلا يخفى عليه عمل أحد فيهم له لذلك .

و لما استبان بهذا أنه ولى الكفرة من ظالمى الجن ظالمى الإنس  
و سلطهم عليهم ، أخبر تعالى أن هذا عمله مع كل ظالم من أى قبيل كان  
سواء كان كافرا أو لا فقال: ﴿و كذلك﴾ أى و مثل تلك التولية  
التي سلطنا بها الجن على الإنس بما زاد عذاب الفريقين ﴿نولى﴾ أى  
تبع في جميع الأزمان من جميع الخلق ﴿بعض الظالمين﴾ أى الفريقين  
في الظلم ﴿بعضا﴾ أى بأن نجتمع بين الأشكال ، في الأوصاف الباطنة  
و الحصال ، و نسلط بعضهم على بعض في الضلال و الإضلال ، و الأوجاع  
و الإنكال ﴿بما كانوا﴾ ببجلاتهم ﴿يكسبون﴾ أى بسبب اجتماعهم  
في الطباع التي طبعناهم عليها يجتمعون و ينقاد بعضهم لبعض ، بحسب  
ما سببنا من الأسباب الملائمة لذلك الظلم الذي يسرناه لهم ، حتى صارت  
أعمالهم كلها في غير مواضعها ، فيظلم بعضهم بعضا و يهلك بعضهم بعضا ،  
١٥ و هم لا يزدادون إلا الالتئام حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من

عذاب ؛ روى الطبراني في الأوسط عن جابر رضى الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول : أتقم من

(١) من ظ ، و في الأصل : ذلك (٢) تأخر في الأصل عن « في الظلم » و الترتيب  
من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : يجمع (٤) من ظ ، و في الأصل : الذى .  
(٥) من ظ ، و في الأصل : التيام (٦) في ظ : بمن .

أبغض بمن أبغض ثم<sup>١</sup> أصير كلا إلى النار . وعن مالك بن دينار<sup>٢</sup> قال :  
 رأيت<sup>٣</sup> في بعض كتب الله المنزلة أن الله تعالى يقول : أقى أعدائي بأعدائي  
 ثم أفنيهم<sup>٤</sup> بأوليائي . أو<sup>٥</sup> يقال : فقد أخبرنا أن الله عز وجل<sup>٦</sup> ولى المؤمنين  
 بسبب محاسن أعمالهم ، ومثل ما ولاهم ليعزم يولى بعض الظلمة بعضا  
 ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطونه [ من مساوى الأعمال و ردىء الحلال ه  
 وغث الخصال فيؤديهم إلى مهلك الأوجاع و الأوجال ، أو يقال : فقد  
 بان أن كلا -<sup>٧</sup> ] من ظالمى الإنس و الجن كان وليا لكل ، وكما  
 جعلنا بعضهم أولياء بعض فى الدنيا تفعل إذا حشرناهم فى النار فتجعل  
 بعضهم أولياء - أى أتباع - بعض<sup>٨</sup> ، ليستمتع بعضهم ببعض و ينصر<sup>٩</sup>  
 بعضهم بعضا إن قدروا ، و هيئات منهم ذلك هيئات<sup>١٠</sup> شغلهم البكاء و العويل  
 و الندم و النجيب .

ولما انقضت هذه المحاورة و ما أنتجت من بغيض الموالاتة و المجاورة  
 و كان حاصلها أنها موالاتة من ضرت موالاته ، أتبعها سبحانه بمحاورة  
 أخرى حاصلها معاداة من ضرت معاداته ، فقال مبدلا من الأولى<sup>١١</sup> إتماما  
 للتقريع و التوبيخ و التشنيع : ﴿ يمعشر الجن ﴾ قدمهم لأن السياق لبيان<sup>١٢</sup>  
 غلبتهم ﴿ و الانس ﴾ و بكتهم بقوله محذرا للسامعين الآن و مستعظفا لهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : من (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : قرأت (٣) فى  
 ظ : افتنهم (٤) من ظ ، و فى الأصل « و » (٥) زيد بعده فى الأصل : يقول ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ لغذفها (٦) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٧) سقط  
 من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : يبصر (٩) من ظ و فى الأصل : الاول .

إلى التوبة: ﴿الم ياتكم رسل﴾ ولما صار الفيضان بتوجيه الخطاف  
نجوم دفعة كالشيء الواحد قال: / ﴿منكم﴾ وإن كان الرسل من  
الإنس خاصة .

/ ٢٥٣

[ولما كان النظر في هذه السورة إلى العلم غالبا لإثبات تمام القدرة  
الذى هو من لوازمه بدليل "يعلم سرهم وجههم"، "اليس الله باعلم  
بالشكرين"، "وعنده مفاتيح الغيب" وغيرها، ولذلك أكثر فيها من  
ذكر التفصيل الذى لا يكون إلا للعالم، كان القص - الذى هو تتبع الأثر -  
أنسب لذلك فقال -٢-]: ﴿يقصون﴾ بالتلاوة والبيان لمواضع الدلائل  
﴿عليكم آيتي﴾ أى يتبعون بالعلامات التى يحق لها بما لها من الجلال  
١٠ والعظمة أن تنسب<sup>٢</sup> إلى مواضع شبهكم، فيحلونها [حلا -٢-] مقطوعا به  
﴿وبندرونكم﴾ أى يخوفونكم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ أى بما قالوا لكم  
أنه يطلبكم طلبا حثيثا وأنتم صائرون إليه فى سفن الأيام ومراكب الآثام<sup>٣</sup>  
- وأنتم لاتشعرون - سيرا سريعا ﴿قالوا﴾ معذرين من أنفسهم بالذل  
والخضوع ﴿شهدنا﴾ بما فعلت بنا أنت سبحانك من المحاسن وما فعلنا  
١٥ نحن من القبائح ﴿على أنفسنا﴾ أى باتيان الرسل إلينا ونصيحتهم لنا  
بدليل الآية الأخرى "قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين"<sup>٤</sup>  
وآين أن ضلالهم كان بأردأ الوجوه وأسفها الدنيا، بحيث أنهم اغتروا  
بها مع دناءتها<sup>٥</sup> لحصورها عن الآخرة مع شرفها لغياها فقال<sup>٦</sup>: ﴿وغرهم﴾  
(١) فى ظ: بتوجه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل:  
ينسب (٤) من ظ، وفى الأصل: سايرون (٥) فى ظ: الانام (٦) سورة ٣٩  
آية ٧١ (٧) فى ظ: ردايها (٨) سقط من ظ .

أى شهدوا هذه الشهادة و الحال أنهم قد غرتهم ( الحيوۃ الدنيا ) أى  
الحاضرة عندهم إذ ذاك الدنية<sup>١</sup> فى نفسها لقناتها، عن اتباع الرسل دأب  
الجاهل فى الرضى بالدون<sup>٢</sup> و الدابة فى القناعة بالحاضر، فشهادتهم ضارة  
بهم، و لكن لم يستطيعوا<sup>٣</sup> كتمانها، بل ( و شهدوا ) أى فى هذا الموطن  
من مواطن القيامة الطوال ( على أنفسهم ) أيضا بما هو أصرح<sup>٤</sup> فى هـ  
الضرر عليهم من هذا، و هو ( أنهم كانوا )<sup>٥</sup> 'جبلۃ و طبعاً' ( كُفَرِينَ )<sup>٥</sup>  
أى غريقين فى الكفر، و يجوز أن يكون الفرور بأنهم ظنوا<sup>٦</sup> أحوال  
الآخرة تمشى على ما كانوا يألّفونه فى الدنيا من أن الاعتراف<sup>٧</sup> بالذنب  
و التكلم بالصدق قد ينفع المذنب و يكف من سورة المغضب<sup>٨</sup> حتى يترك  
العقاب و يصفح عن الجريمة، فذلك شهدوا باتيان الرسل إليهم و إقامة ١٠  
الحجة عليهم، و شهدوا على أنفسهم بالكفر، فما زادهم ذلك إلا وبالا  
و حزنا و نكالا .

و لما ذكر سبحانه إقامة الحجة<sup>٩</sup> على الكافر فى المعاد بالرسول عليهم  
السلام، علل إرسالهم ترغيباً و حثاً فى اتباعهم فى أيام المهلة بعد ترهيب،  
و تنبيهاً و إرشادا فى صاعد تخويف و تأديب فقال: ( ذلك ) أى الامر ١٥  
العظيم الجدوى هو أن أرسلنا الرسل ( أن ) أى لاجل أنه<sup>١٠</sup> ( لم يكن ربك )  
أى المحسن إليك بتشريف قومك ( مهلك ) أى ثابتا إهلاكه ( القرى بظلم )

- (١) فى ظ : الدنيا (٢) من ظ ، وفى الأصل : بالدور (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
لم يستطيعوا (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصبح (هـ-هـ) سقط ما بين الرقین من ظ .  
(٦) فى ظ : طلبوا (٧) من ظ ، وفى الأصل : الاغرار - كذا (٨) فى ظ : المغضب .  
(٩) زيد بعده فى ظ : عليهم (١٠) سقط من ظ .

أنى بسبب ظلم ارتكبه (واهلها غفلون<sup>٥</sup>) أى<sup>١</sup> غريقون فى الغفلة عما  
يجب عليهم مما لا تستقل به عقولهم، أى<sup>٢</sup> بما ركب فيهم من الشهوات  
وغلب عليهم من اللذات، فأوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما يراد بهم،  
فأرسلنا إليهم الرسل حتى<sup>٣</sup> أيقظوهم من<sup>٤</sup> رقدتهم وأنبهوهم من غفلتهم،  
٥ فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب والعدل الصائب،  
ويجوز أن يكون المعنى: مهلكهم ظالما، فيكون المنى من الظلم كالمنى فى  
قوله تعالى "وما ربك بظلام للعبيد"، وعلى الأول المنى ظلمهم<sup>٦</sup>.  
ولما بين سبحانه أن لأحد الفريقين دار السلام، والآخرة دار الملام،

قال جامعا للفريقين عاطفا على قوله "لهم دار السليم عند ربهم":  
١٠ (ولكل) أى [عامل من -<sup>٧</sup>] الفريقين صالح أو<sup>٨</sup> طالح [فى قبلى  
الجن والإنس -<sup>٩</sup>] فى الدارين (درجت) أى يعليهم الله بها (بما)  
أى من أجل ما<sup>١٠</sup> (عملوا<sup>١١</sup>) ودركات يهويهم فيها كذلك.

ولما تقدم أنه تعالى لا يهلك المجرمين إلا بعد الإعذار إليهم،  
وتضمن ذلك إمهالهم، وختم أخوالهم بأنهم موضع ثبوت الغفلة ودوامها،  
١٥ نفى أن يسلم شئ من ذلك بجناب عظمتة على وجه أثبت<sup>١٢</sup> له [ذلك -<sup>١٣</sup>]  
إحاطة<sup>١٤</sup> العلم بجميع أعمالهم فقال: (وما ربك) أى المحسن إليك باعلاء  
أوليائك وإسفال أعدائك، وأغرق فى النقي لإثبات مزيد العلم فقال:

- (١) زيد بعده فى ظ: اهلها (٢) سقط من ظ (٣-٢) فى ظ: ايقظوا (٤) فى ظ:  
الظلم (٥) سورة ١٤ آية ٦ (٦-٧) سقط ما بين الفريقين من ظ (٧) زيد من ظ:  
(٨) فى ظ و (٩) زيد بعده فى ظ بآية (١٠) من ظ، وفى الأصل: يصمن.  
(١١) فى ظ: ثبت (١٢) فى ظ: باعاطة.

( يقابل عما تعملون<sup>١</sup> ) أى عن شيء يعمله أحد من الفريقين ، بل هو<sup>٢</sup>  
عالم بكل شيء / من ذلك وبما يستحقه العامل قادر على جزائه ، فلا يقع  
في وهم أن الإمهال لحفاء الاشحقاق بخفاء الموجب له ، [ فالآية من  
النصوص في كتابة الصالحين من الجن = ٢ ] .

ولما كان طلب العبادة للاتِّمار والاشتهاء ربما ، أوهم الحاجة إليها  
لنفع في الطاعة أو<sup>٣</sup> ضرر يلحقه سبحانه من المغصية ، وكان الإمهال مع  
المبارزة ربما ظن أنه عن عجز ، قال مرغبا مرهبا : ( وربك ) أى المحسن  
إليك وإليهم بارسالك ، وحصر الخبر في المبتدأ بقوله : ( الغنى ) أى  
وحده الغنى المطلق عن كل غائب وعادة<sup>٤</sup> ، فليعمل العامل لنفع نفسه  
أو ضررها ( ذو الرحمة<sup>٥</sup> ) أى وحده بالإمهال والإرسال للتنبيه<sup>٦</sup> على  
ما يستحقه من الأعمال ؟ ولما<sup>٧</sup> كان اختصاصه بالغنى والرحمة فلا رحمة  
إلا منه ولا غنى إلا عنه ، وأنه ما رتب الثواب والعقاب إلا رحمة منه  
وجودا ، استأنف بيان ذلك<sup>٨</sup> ، [ و = ١ ] أخبر عن هذا المبتدأ بوصفية عند  
من جعلها وصفين بقوله مصرحا بما أفاداه<sup>٩</sup> : ( أن يشا يذهبكم ) أى جميعا  
بالإهلاك<sup>١٠</sup> ، فلا يقع في ظن أحد منكم أن الإهلاك متوقف<sup>١١</sup> على شيء ١٥

( ١ ) هذا على قراءة ابن عامر ، وقرأ الباقون بالغيبة ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ ) زيد  
من ظ ( ٤ ) من ظ وهو فى الأصل : إنما ( ٥ ) فى ظ « و » ( ٦ ) زيد بعده فى الأصل :  
أوهم الحاجة إليها والإمهال إنما ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخصاها ( ٧ ) فى ظ : عبادة .  
( ٨ ) من ظ ، وفى الأصل : لتنبيه ( ٩ - ١٠ ) سقط ما بين الرقنين من ظ ( ١١ ) زيدت  
الو لا مستقامة العبارة ( ١٢ ) من ظ ، وفى الأصل : أفاده ( ١٣ ) من ظ : ونما  
الأصل : بأهلاك .

غير مشبته، ولكنه قضى بامهالككم إلى آجالكم رحمة لكم وإكراما لنيكم  
صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال تحقيقا لغناه أيضا: (و يستخلف) .

ولما كان لم يجعل لأحد الخلد، أدخل الجار فقال: (من بعدكم)

أى بعد هلاككم (ما يشاء) أى يبدع غيركم من الخلق من جنسكم  
هـ [أو غير جنسكم - ٢] كما أبدع أباكم آدم من التراب والتراب من العدم  
وفرعكم منه (كما انشاكم من ذرية) أى نسل (قوم آخرين هـ) أى  
بعد أن أهلكهم أجمعين، وهم أهل السفينة وقد كنتم نطفًا في أصلابهم،  
لم يكن ر في واحدة<sup>٢</sup> منها [حياة - ٢] .

ولما تقرر أن له الوصفين الملزومين للقدرة<sup>٤</sup>، أنتج ذلك قوله

١٠ جوابا لاستعجالهم بالعذاب استهزاء: (ان ما توعدون<sup>٥</sup>) أى من

البعث وغيره (لأت<sup>٦</sup>) أى لا بد من وقوعه لأن التوعد لا يبدل

القول لديه ولا كفوء له يعارضه فيه (و ما أتم بمعجزين<sup>٧</sup>) أى ثابت

لكم الإتيان بشيء يعجز<sup>٨</sup> عنه الخصم، فتعهد الأمر من جهته ومن جهنكم

لوجود المقتضى وانتفاء المانع، وفي ذلك تقرير لأمر رحمته لأن القادر

١٥ إذا أراد النعمة أخذ على غرة ولم يهدد، وإذا أراد الرحمة تقدم<sup>٩</sup>

بالوعيد ليحذر الفائزون ويستسلم الخاسرون .

ولما تقرر ذلك من التهديد على إنكار البعث وتحرر، فأتج

(١) سقط من ظ (٢) إزبد من ظ (٣-٣) في ظ: لواحدة (٤) في ظ: بالقدرة .

(٥) من ظ والقرآن الكريم، وفي الأصل: تدعون - كذا (٦) في ظ:

يعجزكم .



الاجتهاد للعاقل - ولا بد - ' في العمل ، و كان ' أكثر الخلق أحق ' ،  
 أمره سبحانه بالنصيحة بقوله : ( قل يقوم ) أى يا أقرب الخلق إلى وأعزهم  
 على ' و من لهم قيام في الأمور و كفاية عند المهيات ( اعملوا )  
 و أشار إلى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بحرف الاستعلاء فقال :  
 ( على مكاتكم ) أى على ما لكم من القدرة على العمل و المكنة قبل أن  
 تأتى الدواهي و تسبقكم القواصم بخفوق الأجل ، و فيه مع النصيحة  
 تخويف أشد مما قبله ، لأن تهديد الحاضر على لسان الغير مع الإعراض  
 أشد من مواجهته بالتهديد ، أى أنكم إن لم تقبلوا بذلك التهديد الأول كنتم  
 أهلا للإعراض و البعد .

ولما كان أدل شيء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ١٠  
 ما نصح به و دعا إليه ، قال مستأنفا أو معللا : ( انى عامل ج ) أى على  
 مكاتى و بقدر استطاعى قبل الفوت بحادث الموت ، و يمكن أن يكون  
 متمحضا للتهديد ، فيكون المعنى : اعملوا بما أتم تعملونه الآن من مخالفتى  
 بغاية ما لكم من القوة ، إنى كذلك أعمل فيما جئت به .

ولما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة ، [ و كان السياق ١٥  
 لعدم تذكرهم و غرورهم و قلة فطنتهم - \* ] ، حسن إثبات الفاء في قوله :  
 [ دون إسقاطها لأن الاستئناف يتعطف للسؤال فقال - \* ] : ( فسوف  
 تعلمون ) أى يقع لكم بوعد لا خلف فيه العلم ، فكأنه قيل : أى علم ؟ قيل :  
 ( ١- ) فى ظ : للعمل ( ٢ ) زيد بعده فى ظ : فى ( ٣ ) فى ظ : احمى ( ٤ ) سقط  
 من ظ ( ٥ ) زيد من ظ .

نظم الدرر (سورة الأنعام: ٦: ١٣٥ و ١٣٦) ج - ٧

(من تكون له) كونا كأنه جبل عليه (عاقبة الدار) أي يبنى  
و بينكم، وهذا في إثبات الفاء بخلاف ما في قصة شعيب عليه السلام  
من سورة هود عليه السلام<sup>٢</sup> / [في حذفها - ٢]؛ ولما كان التقدير جوابا  
لما تقرر<sup>١</sup> من سؤالهم: عاقبة الدار للعامل العدل، استأنف قوله:  
هـ (انه لا يفلح الظلون) أي الغريقون في الظلم كائنين من كانوا،  
فلا يكون لهم عاقبة الدار، فالآية من الاحتباك: ذكر العاقبة أولا دليل  
على حذفها ثانيا، وذكر الظلم ثانيا [دليل - ٢] على حذف العدل أولا.  
ولما تمت هذه الآيات من قبح طريقتهم في إنكار البعث وحسن  
طريقة الإسلام على هذا الأسلوب البديع والمثال البعيد المثال<sup>٢</sup> الرفيع  
١٠. وختمت بحال الظالم، شرع في تفصيل قوله "افغير الله اتخذ وليا فاطر  
السموات والارض" على أسلوب آخر ابتداء ببيان ظلمهم وجهالاتهم<sup>٣</sup>  
وأباطيلهم تنبيها على سخافة عقولهم<sup>٤</sup> تنفيرا عنهم بوضعهم الأشياء في  
غير مواضعها وإخراجها عن هيئتها له ونسبتها إلى من لا يملك شيئا  
وقتل الأولاد وتسييب<sup>٥</sup> الأنعام وغير ذلك، فقال عاطفا على  
١٥ "وجعلوا لله شركاء الجن": (وجعلوا) أي المشركون العادلون بربههم  
(١) سقط من إنط (٢) راجع آية ٩٣ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل:  
يقرر (٥) في ظ: في (٦) من ظ، وفي الأصل «و» (٧) من ظ، وفي  
الأصل: للنازل - كذا (٨) في ظ: ختم (٩) من ظ، وفي الأصل: جهالاتهم.  
(١٠) من ظ، وفي الأصل: عقوله (١١) في ظ: لم يملك (١٢) من ظ، وفي  
الأصل: سبب - كذا.

الآوثان ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ بما ذرأ ﴾ أى خلق وأنشأ وبث' ولم يشركه فى خلقه أحد ﴿ من الحرث والانعام نصيبا ﴾ أى وجعلوا لشركائهم نصيبا؛ ولما [كان - ٢] الجعل لا يعرف إلا بالقول، سبب عنه قوله: ﴿ فقالوا ﴾ أى<sup>٢</sup> بالسنتهم بعد أن قالوا باقتدتهم ﴿ هذا الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ بزعمهم ﴾ أى ادعائهم الباطل ٥  
و تصرفهم بكذب ادعائهم التخصيص بالله، ولذا أسقط الزعم من قوله: ﴿ وهذا شركاء تناج ﴾ أى وليس لهم سند فى هذه القصة إلا أهواؤهم.  
ولما كان هذا سفها بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شيء، بين من فعاهم ما هو أشد سفها منه بشرح ما لوح إليه التعبير بالزعم فقال مسيبا عن ذلك ومفرعا: ﴿ فما كان لشركائهم ﴾ أى بزعمهم ١٠  
أنهم شركاء ﴿ فلا يصل الى الله ج ﴾ أى الذى هو المالك مع اتصافه بصفات الجلال والجمال ﴿ وما كان لله ﴾ أى على ما له من الكبر والعظمة والجلال والعزة ﴿ فهو يصل الى شركائهم<sup>٣</sup> ﴾ فاذا هلك ما سموا لشركائهم أو أجذب وكثر ما لله قالوا: ليس لآلهتنا بد من نفقة<sup>٤</sup>، فأخذوا ما لله فأنفقوه<sup>٥</sup> على آلهتهم، وإذا أجذب الذى لله وكثر ما لآلهتهم قالوا: ١٥  
لو شاء الله لأزكى الذى له، فلا يردون عليه شيئا مما للآلهة.  
ولما بلغ هذا غاية السفه قال: ﴿ ساء ما يحكون ٥ ﴾ أى حكمهم هذا أسوأ حكم؛ ذكر الإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى فى سيرته<sup>٦</sup> فى  
(١) من ظ، وفى الأصل: ثبت (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: نفقه (٥) فى ظ: فأنفقوا (٦) واسمها الاكتفاء فى مغازى المصطفى والخلفاء الثلاثة - راجع كشف الظنون.

وفد خولان أنه كان لهم صنم يسمى عم أنس ، و أنهم لما وفدوا على  
النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له أنهم كانوا يجعلون من أنعامهم وحروثهم  
جزءا له و جزءا لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فتجعل له وسطه  
فتسميه له ونسمى زرعنا آخر حجرة<sup>٢</sup> لله عز وجل ، فاذا مالت الريح  
بالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس ، وإذا مالت الريح بالذى جعلناه لعم  
أنس لم نجعله لله ، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل  
أنزل عليه في ذلك "وجعلوا لله" - الآية ، قالوا : وكنا نتحاكم إليه فيتكلم<sup>٣</sup> ،  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الشياطين تكلمنكم ، قالوا :  
فاصبحنا برسول الله و قلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع ولا يندرى  
١٠ من عبده ممن لم يعبد . وقال ابن هشام في مقدمة السيرة أنهم كانوا  
يقسمون له ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذى سموه له  
تركوه [ له - ° ] ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس رده عليه ،  
قال : وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم ؛<sup>٤</sup> وقال عبد الرزاق في  
تفسيره : أخبرنا معمر<sup>٥</sup> عن قتادة قال : كانوا يعزلون من أموالهم شيئا  
١٥ فيقولون : هذا لله وهذا لأصنامهم ، فان ذهب شيء مما جعلوا لشركائهم

(١) في ظ : واسطة (٢) من السيرة الحلبية ٣/ ٢٢٨ ، أى ناحية ، وفي الأصل  
و ظ : حجرة (٣) من السيرة الحلبية ، وفي الأصل و ظ : فتكلم (٤) في ظ :  
حصل (٥) زيد من سيرة ابن هشام ١/ ٢٨ (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ .  
(٧) وقع في ظ : مجد - خطأ (٨) في ظ : كان .

يخالط شيئاً مما جعلوه<sup>١</sup> رذوه ، وإن ذهب شيء مما [ جعلوه لله يخالط شيئاً مما جعلوه لشركائهم تركوه ، وإن أصابتهم سنة أكلوا مما جعلوا لله وتركوا ما -<sup>٢</sup> ] جعلوا لشركائهم ، فقال عز وجل " ساء ما يحكمون " وقال / البغوى : كانوا يحملون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً [ وللأوثان نصيباً -<sup>٣</sup> ] ، فما جعلوه لله صرفوه للضيفان والمساكين ، ه وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها ، فان سقط شيء مما جعلوه<sup>٤</sup> لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا : إن الله غنى عن هذا ، وإن سقط شيء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله رذوه إلى الأوثان وقالوا : إنها محتاجة ، و كان إذا هلك أو<sup>٥</sup> انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا<sup>٦</sup> به ، وإذا هلك أو<sup>٧</sup> انتقص شيء مما جعلوه للأصنام جبروه بما ١٠ جعلوه [ لله -<sup>٨</sup> ] .

ولما كان هذا متضمناً لأنهم نقصوا أموالهم بأنفسهم في غير طائل فجعلوها لمن لا يستحقها ، به تعالى على أن ذلك تزين<sup>٩</sup> من أضلهم من الشياطين من سدة الأصنام وغيرهم من الإنس ومن الجن المتكلمين من أجواف الأصنام وغيرهم ، فقال منبها على أنهم زينوا لهم ما هو آيين منه : ١٥ ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ما زين لجميع المشركين تضييع أموالهم والكفر بربهم شركائهم ﴿ زين لكثير من المشركين ﴾ .

- (١) من ظ ، وفي الأصل : جعلوا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد من معالم التنزيل - راجع الحازن ٢ / ١٥٤ (٤) في ظ : حدودها (ه) من ظ والمعلم ، وفي الأصل : جعلوا (٦) في ظ « و » (٧) من ظ والمعلم ، وفي الأصل : لم يبالوا . (٨) زيد من ظ والمعلم (٩) في ظ : يترين .

و لما كان المزين لحسته أهل لأن لا يقبل تزيينه و لا يلتفت إليه ،  
فكان امتثال قوله غريبا ، و كان الإقدام على فعل الأمر المزين أشد  
غرابة ، قدمه تنبيها على ذلك فقال : ﴿ قتل اولادهم ﴾ أى بالوَاد خشية  
الإملاق و النحر لآلهم ، و شتان بين من يوجد لهم الولد و يرزقه و الرزق  
و يخلقه و بين من لا يكون إلا سببا في إعدامه ؛ و لما كان في هذا غابة  
الغرابة تشوقت النفس إلى فاعل التزيين فقال : ﴿ شركاؤهم ﴾ أى و هم  
أقل منهم بما يخاطبون به من أجواف الأصنام و بما يحسن لهم السدنة  
و الاهوية بسبب الأصنام .

و لما كان هذا أمرا معجبا ، كان الأمر في قراءة ابن عامر المولود<sup>١</sup>  
١٠ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم المشمول<sup>٢</sup> بركة<sup>٣</sup> ذلك العصر الآخذ  
عن جملة من الصحابة الموصوف<sup>٤</sup> بغزارة العلم و متانة الدين و قوة الحفظ  
و الضبط و حجة النقل [ في - ° ] إسناد الفعل إلى الشركاء باضافة المصدر  
إلى فاعله أعجب ، و فصل بين المضاف و المضاف إليه بالمفعول - و هو  
الاولاد - لأن وقرع القتل فيهم كما تقدم أعجب .

١٥ و لما كان ذلك ربما كان لفائدة استهين لها هذا الفعل العظيم . ذكر أنه  
ليس له فائدة إلا الهلاك في الدنيا و الدين الذى هو هلاك في الآخرة  
يكون ذلك أعجب فقال : ﴿ ليردوم ﴾ أى ليهلكوهم هلاكا لا فائدة  
فيه<sup>٦</sup> بوجه ﴿ اُرْلَبَسُوا ﴾ أى يخلطوا و يشبهوا ﴿ عليهم<sup>٧</sup> دينهم<sup>٨</sup> ﴾  
(١) من ظ ، و في الأصل : المولد (٢) من ظ ، و في الأصل : المشمولة (٣) في  
ظ : بنظر - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل :  
تحت (٧) من ظ و القرآن الكريم ، و سقط من الأصل .

أى وهو دين إبراهيم الذى أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام  
فما أقدم عليه إلا بأمر الله ثم إنه فداه ولم يمحض ذبحه، يخالف هؤلاء  
عن أمر الشركاء الأمرين معا لجمعوا لهم بذلك بين إهلاكين: فى النفس  
والدين، فإن القتل فى نفسه عظيم جدا، ووقوعه تدينا بغير أصل  
ولا شبهة أعظم، فلا أضل ممن تبع من كان سببا لإهلاك نفسه ودينه . ٥  
ولما كان العرب يدعون الأذهان الثاقبة و الأفكار الصافية والآراء  
الصائبة والعقول الوافرة النافذة<sup>١</sup>، ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل  
استهزاء بهم، يعنى أنهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم يفتنوا بهم ولم يدركوا  
ما أرادوا بكم مع أنهم حجارة، فأنتم أسفل منهم؛ ولما أثبت للشركاء  
فعلا هو التزيين، وكان قد نفى سابقا عنهم وعن سائر أعداء الأنبياء . ١٠  
الاستقلال به، وأناط<sup>٢</sup> الأمر هناك - لأن السياق للأعداء - بصفة  
الربوبية المقتضية للحياطة والعناية، وكان الكلام هنا فى خصوص الشركاء،  
علق الأمر باسم الذات الدال على الكمال المقتضى للعظمة والجبروت  
والكبر وسائر الأسماء الحسنى على وجه الإحاطة والجلال فقال:  
(ولو شاء الله) أى بما له من العظمة والإحاطة بجميع أوصاف الكمال ١٥ / ٢٥٧  
المقتضية للعلو عن الانداد<sup>٣</sup> والتزه<sup>٤</sup> عن الشركاء والأولاد أن لا يفعله  
المشركون (ما فعلوه) أى ذلك الذى زين<sup>٥</sup> لهم، بل ذلك إنما هو بارادته  
ومشيئته احتراسا من ظن أنهم يقدرون على شيء استقلالاً، وتسلياً  
(١) زبدت الواو بعده فى ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: ناط (٣-٣) من  
ظ، وفى الأصل: النيرة - كذا (٤) فى ظ: زينه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخفيفاً ، وأكد التسليّة بقوله :  
 ﴿ فذرهم وما يفترون ٥ ﴾ أى يقولون <sup>١</sup> من الكذب و يتعمدونه .  
 ولما ذكر إقدامهم على ما فجه الشرع <sup>٢</sup> ، ولأمله على تقيحه العقل  
 من قتل الأولاد ، أتبعه إحجامهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الأنعام  
 ٥ لنفعهم ، و ضم إليه جملة مما منعوا <sup>٣</sup> أنفسهم منه و دانوا به لمجرد أهوائهم  
 فقال : ﴿ وقالوا ﴾ أى المشركون سفها و جهلا ﴿ هذه ﴾ إشارة إلى قطعة  
 من أموالهم عينوها لأهلّتهم ﴿ أنعام و حرث حجر ﴾ أى حرام محجور  
 عليه فلا يصل أحد إليه ، وهو وصف يستوى فيه الواحد و الجمع <sup>٤</sup> و المذكر  
 و المؤنث ، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات ﴿ لا يطعمها ﴾ أى يأكل  
 ١٠ منها ﴿ إلا من نشأ ﴾ أى من السدنة و نحوم ﴿ بزعمهم ﴾ أى بقولهم بمجرد  
 الهوى من غير سند عن الله الذى له ملكوت السماوات و الأرض ، و هم  
 كاذبون فى هذا الزعم فى أصل التحريم <sup>٥</sup> و فى نفوذ المنع ، فلو أراد الله  
 أن توكل لا تكلت و لم يقدرُوا على منع ﴿ و أنعام ﴾ .

و لما كان ذمهم على مجرد التجريم لا على كونه من معين ، بنى للجهول  
 ١٥ قوله : ﴿ حرمت ظهورها ﴾ يعنى البحائر و ما معها فلا تركب <sup>٦</sup> ﴿ و أنعام  
 لا يذكرون ﴾ أى هؤلاء المتقولون على الله ﴿ اسم الله ﴾ الذى حاز جميع العظمة  
 ﴿ عليها ﴾ أى فى الذبح أو غيره ﴿ افترآ ﴾ أى تعمدوا للكذب ﴿ عليه ﴾ .

(١) فى ظ : يقولون (٢) فى ظ : الشر (٣) فى ظ : نفخوا (٤) من ظ : و فى  
 الأصل : بمجرد (٥) من ظ : و فى الأصل : الجميع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ :  
 و فى الأصل : لا يركب .



و لما كان هذا لعظمه من<sup>١</sup> جهة أنه تعمد للكذب على ملك الملوك  
 [موضع-<sup>١</sup>] تشوف السامع إلى ما يكون<sup>٢</sup> عنه، استأنف<sup>٣</sup> قوله: (سيجزبهم)  
 أي بوعد صادق لاخلف فيه (بما) أي بسبب ما (كانوا) أي جبلة وطبعا  
 (يفترونه) أي يتعمدون من الكذب، أما بعد إظهار الحق فواضح، وأما  
 قبله فلكونه في غاية ما يكون من ظهور<sup>٤</sup> الفساد. ولما ذكر من سفهمهم<sup>٥</sup>  
 ما فيه إقدام محض و ما فيه إحجام خالص محت، أتبعه ما [هو-<sup>٦</sup>] محتلط<sup>٧</sup>  
 منهما فقال: (وقالوا) أي المشركون أو بعضهم وأقره الباقون (ما في بطون  
 هذه) [إشارة إلى ما اقتطعوه لآهنتهم، وبينوه بقولهم-<sup>٨</sup>]: (الانعام) أي  
 من الأجنة (خالصة) أي خلوصا لا شوب فيه، أنت للحمل على معنى  
 الأجنة، أو تكون التاء للبالغة<sup>٩</sup> أو تكون<sup>١٠</sup> مصدرا كالعاقبة<sup>١١</sup>، أي ذو خالصة<sup>١٢</sup>  
 (لذكورنا)<sup>١٣</sup>، ولما<sup>١٤</sup> كان المراد العراقة في كل صفة، أتى بالواو فقال: (ومحرم)  
 وحذف الهاء إما حملا على اللفظ أو تحقيقا لأن المراد بـ "خالصة"  
 المبالغة (على أزواجنا) أي إناثنا، وكأنه عبر بالأزواج بيانا لموضع السفه  
 بكونهن شقائق الرجال، هذا إن ولد حيا (وإن يكن) أي ما في بطونها  
 (ميتة) وكأنه أثبت هاء التأنيث مبالغة، وأنت الفعل أبو جعفر<sup>١٥</sup>  
 وابن عامر و أبو بكر عن عاصم حملا على معنى "ما"، ورفع الاسم  
 على التمام ابن كثير و أبو جعفر و ابن عامر، وذكر ابن كثير لأن

---

(١) من ظ، وفي الأصل: في (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ، وفي الأصل:  
 عن فاستأنف - كذا (٤) في ظ: ظهر (٥) من ظ، وفي الأصل: ختلط - كذا.  
 (٦-٦) من ظ، وفي الأصل: وإن يكون (٧) في ظ: مصدر كالعاقبة (٨) سقط  
 من ظ (٩-٩) من ظ، وفي الأصل: وقع.

نظم الدرر (سورة الانعام ٦: ١٣٩ و ١٤٠) ج - ٧

التأنيث غير حقيق، ونُصِبَ الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ<sup>١</sup> "ما" ﴿فَهُمْ﴾ أى ذكورهم وإناتهم<sup>٢</sup> ﴿فِيهِ﴾ أى ذلك الكائن الذى فى البطون<sup>٣</sup> ﴿شُرَكَاءُ﴾ أى على حد سواء.

ولما كان ذلك كله وصفا منهم للأشياء فى غير مواضعها التى يحبها الله قال: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أى بأن يَضَعَ العذاب الاليم فى كل موضع يكرهون وصفه فيه، حتى يكون مثل وصفهم الذى لم يزالوا يتابعون الهوى فيه حتى صار خلقا لهم ثابتا فهو يريهم وخيم أثره، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ أى لا يجازى على الشيء إلا بمثله ويضعه فى أحق مواضعه وأعدلها ﴿عَلِيمٌ﴾ أى بالمماثلة ومن يستحقها وعلى أى وجه / بفعل، وعلى أى كيفية يكون أتم وأكمل، وفى ذلك أتم إشارة إلى أن هذه الأشياء فى غاية البعد عن الحكمة، فهو متعال عن أن يكون شرعها وهى سفة محض لا يفعلها إلا ظالم جاهل. ولما ذكر تعالى تفاصيل سفهم، وأشار إلى معانيها، جمعها - وصرح

بما أثمرته من الخيبة - فى سبع خلال كل واحدة منها سبب تام فى حصول الندم<sup>١٥</sup> فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ وأظهر فى موضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ قرأها ابن عامر وابن كثير بالتشديد لإرادة<sup>١٦</sup> التكثير والباقون بالتخفيف ﴿أَوْلَادِهِمْ سَفَهَا﴾ أى خفة إلى

(١) من ظ، وفى الأصل: منق (٢) فى ظ: أنوثتهم (٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: يتابعوا (٥) فى ظ: صفة (٦) سقط من ظ. (٧) من ظ، وفى الأصل: جميعها (٨) فى ظ: الدم (٩) من ظ، وفى الأصل: لأن.

الفعل المذموم و طيشا<sup>١</sup>، تؤزم الشياطين الذين يتكلمون على السنة  
الاضنام أو سدتها إلى ذلك أزا .

ولما كان السفه منافيا لرزاة<sup>٢</sup> العلم الذى لا يكون الفعل الناشئ عنه  
إلا عن تأن و تدبر وتفكر و تبصر، قال مصرحاً بما أفهمه: ( بغير علم )  
أى و أما من قتل<sup>٣</sup> ولده بعلم - كما إذا كان كافرا أو قاتلا أو محضنا  
زانيا - فليس حكمه كذلك ؛ و لما ذكر عظيم ما أقدموا عليه، ذكر جليل  
ما أحجموا عنه فقال: ( و حرموا ما رزقهم الله ) أى الذى لا ملك  
سواه رحمة لهم، من تلك الأنعام و الغلات، بغير شرع و لا تقع بوجه  
( اقرآء ) أى تعمدوا للكذب<sup>٤</sup> ( على الله<sup>٥</sup> ) أى الذى له جميع العظمة .

ولما كانوا قد خسروا ثلاث خسرات مع ادعائهم غاية البصر  
بالتجارات: النفس بقتل الأولاد، و المال بتحريم ما رزقهم الله، فأفادهم  
ذلك خسارة الدين، كانت نتيجه قوله: ( قد ضلوا ) أى جاوزوا<sup>٦</sup> و حادوا  
عن الحق و جاروا ؛ و لما كان الضال<sup>٧</sup> قد تكون ضلالتة<sup>٨</sup> فلتة عارضة  
[ له -<sup>٩</sup> ]، و تكون الهداية وصفا أصيلا فيه، نبه على أن الضلال  
وصفهم الثابت بقوله: ( و ما كانوا ) أى فى شئ من هذا من<sup>١٠</sup> خلق  
من الاخلاق ( مهتدين ) أى لم يكن فى كونهم وصف الهداية،  
بل زادوا بذلك ضلالا، قال البخارى فى المناقب من صحيحه: حدثنا

(١) فى ظ: طلبا (٢) من ظ، وفى الأصل: لرواية (٣) من ظ، وفى الأصل:  
قبل (٤) من ظ، وفى الأصل: لكذب (٥) من ظ، وفى الأصل: خاروا .  
(٦) من ظ، وفى الأصل: الضلال (٧-٧) فى الأصل: يكون أضلاله؛ وفى  
ظ: يكون ضلاله - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: فى .

أبو النعمان حدثنا<sup>١</sup> أبو عوثة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل<sup>٢</sup> العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها - إلى قوله : وما كانوا مهتدين". وله في وفد بني حنيفة من المغازي عن مهدي بن ميمون قال : سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : كنا نعبد الحجر فإذا<sup>٣</sup> وجدنا حجراً أحسن منه ألقيناه فأخذنا الآخر ، وإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة<sup>٤</sup> من تراب ثم جئنا بالشاة فخلبنا عليه ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسنة ، فلا ندع رحماً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه [ شهر رجب - ٦ ] .

١٠ ولما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعها والمعاد والقضاء والقدر والفعل بالاختيار<sup>٥</sup> ، وأتقن تقرير هذه الأصول لاسيما في هذه السورة ، و<sup>٦</sup> انتهى إلى شرح أحوال السعداء<sup>٧</sup> والاشقياء ، وعجب سبحانه من أشرك وأنكر البعث وفعل أفعال المشركين تعجيباً بعد تعجيب ، وهجن<sup>٨</sup> طريقتهم ووبخهم توبيخاً في إثر توبيخ بتكذيبهم للداعي من غير حجة ، وحكى أقوالهم<sup>٩</sup> الباطلة ودعائهم الفاسدة مع ادعائهم أنهم

(١) من ظ و صحيح البخارى - النايب ، وفي الأصل : يا - كذا (٢) في ظ : امر (٣) من ظ و صحيح البخارى - المغازي ، وفي الأصل : قا - كذا (٤) زيد بعده في ظ : جمعنا جثوة (٥) من ظ و الصحيح ، وفي الأصل : جنوده . (٦) زيد من ظ و الصحيح (٧) من ظ ، وفي الأصل : لاختيار (٨) - قط من ظ (٩) في ظ : السعيد (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بمر (١١) من ظ ، وفي الأصل : قولهم .

أنصف الناس ، ومخالفتهم للهادى بغير ثبت ولا بينة مع ادعائهم أنهم أبصر الناس ، وبطلبهم للآيات تعتاً مع ادعائهم أنهم <sup>٢</sup> أعقل الناس ، وإخلاصهم في الشدة وإشراكهم في الرخاء مع ادعائهم أنهم <sup>٣</sup> أشكر الناس ، وعبادتهم للجن و تعوذهم بهم مع ادعائهم أنهم أشجع الناس -

إلى أن عجب منهم فيما شرعوه لأنفسهم فيما رزقهموه سبحانه من حيوان وجماد ومضوا عليه خلفاً عن سلف ، تنديها على ضعف عقولهم وقلة علومهم تنفيراً للناس عن الالتفات إليهم والاعتراض بأقوالهم <sup>٢</sup> ، قال في موضع الحال من " وجعلوا لله مما ذرا من الحرث [ والانعام ] - " <sup>١</sup> الآية ،

مينا عظيم ملكه وشمول قدرته / و باهر اختياره وعظمته ، زيادة في التعجب منهم في تصرفهم في ملكه بغير إذنه [ سبحانه - ° ] و شرعهم ما لم يأذن ١٠ فيه في سياق كافل باقامة الحجة على تقرير التوحيد. عودا على بدء و عللا بعد نهل ، لانه المدار الأعظم والأصل الأقوم : ( وهو ) أى لا غيره ( الذى انشأ ) أى من العدم ( جنت ) أى <sup>٦</sup> من العنب وغيره ( معروشت ) [ أى مرفوعات عن الأرض على الخشب ونحوه - ° ] ، أى لا تصلح إلا معروشة ، ومتى لم ترفع <sup>٧</sup> عن الأرض تلف ثمراها ١٥ ( وغير معروشت ) أى غير مرفوعات على الخشب <sup>٢</sup> ، أى لا تصلح إلا مطروحة على الأرض مثقلة بما يحكم وصولها إليها ، ومتى ارتفعت

(١) في الأصل : نفسا ، وفي ظ : تعينا - كذا (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ : (٣) في ظ : باحوالهم (٤) زيد من ظ والقرآن الكريم (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : لم يرفع (٨) في الأصل : « ١ » وسقط من ظ م

عن الأرض تلفت ، فما ذلك لطيفة<sup>١</sup> ولا غيرها وإلا لاستوت الجنات  
كلها لأن نسبتها إلى السماء والأرض واحدة ، فما اختلف إلا بفعل مختار  
واحد لا شريك له ، لا يكون إلا ما يريد .

ولما ذكر الجنات الجامعة ، خص<sup>٢</sup> أفضلها [ وأدناها على الفعل  
بالاختيار ، وبدأ بأشهرها عند المخاطبين بهذه الآيات -<sup>٣</sup> ] فقال : ( والنخل )  
أى وأنشأ النخل ( و الزرع ) حال كونه ( مختلفا اكله ) أى أكل  
أحد النوعين ، وهو ثمره الذى يؤكل ؛ بالنسبة إلى الآخر ، وأكل كل  
نوع بالنسبة إلى الأشجار وغيرها فى الحمل والطعم وغيره ، بل و يوجد  
فى العذوق الواحد الاختلاف ، وأما اختلاف مقداره بكون هذا فى غاية  
الطول وهذا فى غاية القصر فأمر واضح جدا ( و الزيتون و الرمان ) .

[ ولما كان معظم القصد فى هذا السياق نفي الشريك وإثبات الفعل  
بالاختيار ، لم يدع الحال إلى ذكر كمال الشبه فاكتفى بأصل الفعل فقليل -<sup>٤</sup> ] :  
( متشابهها ) أى كذلك ( وغير متشابه<sup>٥</sup> ) أى فى اللون والطعم والفساد  
وعدمه والتفكه واللاقتبات والدهن والماء - إلى غير ذلك من أحوال  
١٥ و كفيات لا يحيط بها حق الإحاطة إلا بارتها سبحانه وعز شأنه ، ولعله  
جمع الأولين لأن كلا منهما يدخر للاقتيات ولا يسرع فساده مع المقارنة<sup>٦</sup>

فى الشكل ، و الاختلاف فى النوع بالشجر والنجم ، و التفاوت العظيم  
فى المقدار ، و الأخيرين<sup>٦</sup> لأن الأول لا يفسد بوجه ، و الثانى يسرع

(١) من ظ ، وفى الأصل : الطبيعة (٢) فى ظ : حصل (٣) زيد ما بين الحاجزين  
من ظ (٤) فى ظ : توكل (٥) فى ظ : المقارنة (٦) زيد بعده فى ظ : ملك .  
فساده

فساده ، و يدخر كل منهما على غير الهيئة التي يدخر عليها الآخر مع كونهما من الأشجار و تقاربهما في المقدار و تفاوت ثمرتهما في الشكل و القدر و غير ذلك .

و لما كان قوله ”و هو الذي انزل من السماء ماء“ في سياق الاستدلال على أنه لا فاعل إلا الله ، أمر فيه بالنظر إلى الثمر و البيع ليعتبر بحالهما ، ه وكانت هذه الآية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله و الأمر بالأكل من حلال ما أنعم به و النهي عن تركه تدبيرا فقال تعالى هنا : ﴿كلوا﴾ و قدم الأولى المستدل بها على وجود الباري و تفرده بالأمر لأن اعتقاد ذلك سعادة روحانية أبدية ، و قال أبو حيان في النهر : لما كان مجيء تلك الآية في معرض الاستدلال بها على الصانع و قدرته ١٠ و الحشر و إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم و إبراز الجسد و تكوينه من [العظم - ١] الرميم و هو عجب الذنب ، قال : ”انظروا إلى ثمره إذا أمر و نبه“ إشارة إلى الإيجاد [أولا - ٢] و إلى غايته ، و هنا لما كان في معرض الامتتان و إظهار الإحسان بما خلق لنا ١١ قال : [كلوا - ٣] ، و دل على أن الرزق أكثر من خلقه بقوله - : ﴿من ثمرة ٧﴾ ، و لما كان ١٥ هذا الأمر للاباحة لا للإرادة ، قيده لتلايقضي إيجاد الثمر في كل جنة في كل وقت فقال - : ﴿إذا أمر﴾ فحصل مجموعها الحياة الأبدية و الحياة

(١) زيد بعده في ظ : بالعلاج (٢) في ظ : فيها (٣) من ظ ، و في الأصل : الاول .  
(٤) زيد من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٤/ ٢٣٥ (٥) زيد من النهر (٦) تأخر في الأصل و ظ عن ٢ قال ٢ و الترتيب من النهر (٧-٧) تقدم ما بين الرقيين في الأصل على ٢ و دل على ٢ ، و الترتيب من ظ .

الدياوية السريعة الانقضاء وتقدم<sup>١</sup> النظر وهو الفكر على الأكل لهذا السبب . انتهى<sup>٢</sup> . وعبر بـ "إذا" دون "إن" تحقيقا لرجاء الناس في الحصب وتسكيناً لآمالهم رحمة لهم ورققا بهم إعلاما أنه إن وقع جذب كان في ناحية دون أخرى وفي نوع دون آخر، وإباحة للأكل في جميع أحوال الثمرة فضيحة وغير فضيحة .

ولما كان في الآيات الحاكية مذاهب الكفار تقيح<sup>٣</sup> أن يجعلوا شيئا من أموالهم لأحد بأهوائهم، أشار هنا إلى أنه فرض فيها حقا وجمل<sup>٤</sup> له مصارف بقوله: ﴿واتواحقه﴾ ولما أباح سبحانه أكله ابتداء / وانتهاء،

بين أنه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء فقال: ﴿يوم حصاده﴾ أي قطعه جذاذا كان أو حصادا، فكذلك أول وقت نصاب<sup>٥</sup> الأمر وهو

موسع، والحق أعم من الواجب والمندوب، فإن أريد النذب عم الأنواع الخسة الماضية: الغنم المشار إليه بالعرش وما بعده، وإن أريد الوجوب فقد أشير بالتعبير بالحصاد إلى أن الأصل في ذلك الحبوب المقتاة، وأما غيرها فتابع عليه بيان<sup>٦</sup> النبي صلى الله عليه وسلم فيطلق عليه الحصاد مجازا .

ولما أمر الله بالأكل من ثمره وبايتاه حقه، نهى عن مجاوزة الحد في البسط أو<sup>٧</sup> القبض فقال: ﴿ولا تسرفوا﴾ وهذا النهى يتضمن أفراد الإسراف، [فدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى شيء منها للزكاة، والإسراف -<sup>٨</sup>] في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه ولا لعياله شيئا،

(١) في ظ : يقدم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يفتح (٤) من ظ ، وفي الأصل : في (٥) من ظ ، وفي الأصل : جعله (٦) في الأصل و ظ : انصاب . (٧) من ظ ، وفي الأصل : بيان (٨) في ظ «و» (٩) زيد ما بين الحاذرين من ظ .



و يؤيده "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" ، "ولا تبسطها كل البسط" ،  
ثم علله بقوله : ( انه لا يحب المفسرين ) أى لا يعاملهم معاملة المحب  
فلا يكرمهم ، وقيل لحاتم الطائي : لا خير في السرف فقال : ولا سرف في الخير .  
ولما كان السياق للمآكل من الحرث و الانعام من حلال و حرام ،  
و فرغ من تقرير أمر الحرث الذى قدم في الجملة الأولى لأنه مادة الحيوان ، ه  
قال : ( ومن ) أى وأنشأ من ( الانعام حولة ) أى ما يحمل الأثقال  
( وفرشا ) أى وما يفرش للذبح أو للتوليد ، و يعمل من وبره و شعره  
فرش ؟ ولما استوفى القسمين أمر بالأكل من ذلك كله على وجه يشمل  
غيره مخالفة للكفار فقال : ( كلوا بما رزقكم الله ) أى لأنه الملك الأعظم  
الذى لا يسوغ<sup>١</sup> رد عطية ( ولا تتبعوا ) [ ولعله شدد إشارة إلى العفو ١٠  
عن صغيرة إذا ذكر الإنسان فيها رجع ولم يعتد في هواه -<sup>٢</sup> ]  
( خطوات الشيطان ) أى طريقه في التحليل و التحريم كما قال في البقرة  
"كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان"<sup>٣</sup> و عبر  
بذلك لأنه - مع كونه من مادة الخطيئة - دال على أن شرائعه شريعة  
الاندراس ، لو لا مزيد الاعتناء من الفسقة بالتبوع في كل خطوة حال ١٥  
تأثيرها لبادر إليها الحو لبطانها في نفسها ، فلا أمر من الله يحبها ولا كتاب  
يبقيها ، وإنما أسقط هنا "حلالا طيبا" ليانه سابقا في قوله "فكلوا"<sup>٤</sup>

---

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ ، و راجع سورة ٧ آية ٣١ (٢) سورة ١٧  
آية ٢٩ (٣) من ظ ، وفي الأصل : للأكل (٤) في ظ : يشتمل (٥) سقط من  
ظ (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : سوع - كذا (٧) زيد ما بين الحازرين من ظ .  
(٨) آية ١٦٨ (٩) من ظ و القرآن الكريم ، وفي الأصل : كلوا .

نظم الدرر (سورة الانعام: ٦: ١٤٢ و ١٤٣) ج-٧

بما ذكر اسم الله عليه، "ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه"، ولاحقا في قوله "قل لا اجد فيما اوحى الى [محرمات - ١]"؛ ثم علل فيه عن اتباعه فقال: ﴿انه لكم عدو﴾ أى فهو لذلك لا يأمركم بخير ﴿مبين﴾ أى ظاهر العداوة لأن أمره مع أيكم شهير .

٥ ولما رد دين المشركين وأثبت دينه، وكانوا قد فصلوا الحرمه بالنسبة إلى ذكور الآدى وإناثه، ألزهم تفصيلها بالنسبة إلى ذكور الأنعام وإناثه، ففصل أمرها في أسلوب أبان فيه<sup>٢</sup> أن فعلهم رث<sup>٣</sup> القوى هلهل النسيج<sup>٤</sup> بعيد من قانون الحكمة، فهو موضع للاستهزاء وأهل للتهكم، فقال يانا لـ "حمولة وفرشا": ﴿ثمنية أزواج<sup>٥</sup>﴾ أى أصناف، ١٠ لا يكمل صنف منها إلا بالآخر، أنشأها بزواج<sup>٦</sup> كل من الذكر والانثى الآخر، والحق بتسميتهم<sup>٦</sup> الفرد بالزوج - بشرط أن يكون آخر من جنسه - تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر .

ولما كان الزوج يطلق على الاثنين وعلى ما معه آخر من نوعه، قال مينا أن هذا هو المراد<sup>٧</sup> لا الاثنين<sup>٧</sup> مفصلا لهذه الثمانية: ١٥ ﴿من الضان﴾ جمع ضائن و ضائنة كصاحب وصحب ﴿اثنين﴾ أى ذكرا وأنثى كبشا و نعجة ﴿ومن المعز﴾ جمع معاز و معازة ككادم و خدم في قراءة ابن كثير و أبى عمرو و ابن عامر، و تاجر و تاجر في (١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) من ظ، وفي الأصل: منها (٣) في ظ: رب - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: الشيخ (٥) من ظ، وفي الأصل: يراوح. (٦-٧) في ظ: نحو تسميتهم (٧-٧) تأخر ما بين الرقين في ظ عن «ذكرا وأنثى».

قراءة غيرهم<sup>١</sup> (اثنين<sup>٢</sup>) أى زوجين ذكرا و أنثى تيسا و عزا .

و لما كان كأنه قيل : ما المراد بهذا التفصيل قبل سؤلهم عن دينهم ،

[ قال -<sup>٣</sup> ] : ( قل ) أى لهم مستفهما ؛ و لما كان هذا الاستفهام بمعنى

التوبيخ و التهكم و الإنكار ، أتى فيه بـ " أم " التى هى مع الهمزة قبلها

بمعنى " أى " ليفهم بها عما يعلم ثبوت بعضه و إنما يطلب تعيينه ، فقال ٥

/ معترضا بين المعدودات تأكيدا للتوبيخ ، لأن الاعتراضات لاتساق / ٢٦١  
إلا للتأكيد : ( الذكرين ) .

و لما كان المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله ، قال : ( حرم )

أى الله ، فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور<sup>٤</sup> ( أم الاثنين )

لليزومكم<sup>٥</sup> تحريم جميع<sup>٦</sup> الإناث ، و استوعب<sup>٧</sup> جميع ما يفرض من سائر ١٠

الأقسام فى قوله : ( اما ) أى أم حرم ما ( اشتملت ) أى انضمت

( عليه ) و حملته ( ارحام الاثنين<sup>٨</sup> ) أى من الذكور و الإناث ، و متى

كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلزموا<sup>٩</sup> شيئا مما أوجبه هذا التقسيم

فلم تمشوا على نظام .

و لما علم أنه لا نظام لهم فعلم أنهم<sup>١٠</sup> جديرون بالتوبيخ ، زاد فى توبيخهم ١٥

فقال : ( نبئوني ) أى أخبروني عما حرم الله من هذا إخبارا جليلا عظيما ،

و لما كان هذا الإخبار الموصوف لا يكون بشئ فيه<sup>١١</sup> شك ، قال :

( بعلم ) أى أمر معلوم من جهة الله لا مطعن فيه ( ان كنتم صدقين<sup>١٢</sup> )

أى إن كان لكم<sup>١٣</sup> هذا الوصف .

( ١ ) فى ظ : غيره ( ٢ ) زيد لاستقامة العبارة ( ٣ ) سقط من ظ ( ٤ - ٥ ) سقط

ما بين الرقين من ظ ( ٥ ) من ظ ، وفى الأصل : لتزومكم ( ٦ ) فى ظ : استوجب .

( ٧ ) فى ظ : فلم تلزموا ( ٨ ) من ظ ، وفى الأصل : إن .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ١٤٤ و ١٤٥) ج-٧

ولما فصل الغنم إلى ضان ومعر، أغنى ذلك عن تنويع الإبل  
إلى العراب والبخت والبقر إلى العراب والجواميس، [١] - ولأن هذه  
يتناجح بعضها من بعض بخلاف الغنم فإنها لا يطرق أحد نوعيها الآخر -  
نقله الشيخ بدر الدين الزركشي في كتاب الوصايا من شرح المنهاج عن  
كتاب الأعداد لابن سراقه [٢] - فقال: ﴿ومن الإبل اثني﴾ أي ذكرًا  
وأنثى ﴿ومن البقر اثني﴾ أي كذلك ﴿قل﴾ أي لهؤلاء الذين  
اختلفوا جهلاً وسفهاً ما تقدم عنهم ﴿الذكرين﴾ أي من هذين النوعين  
﴿حرم﴾ أي حرهما الله ﴿ام الاثنين﴾ أي حرهما ﴿اما﴾ أي  
الذي ﴿اشتملت عليه﴾ أي ذلك المحرم على زعمكم ﴿ارحام الاثنين﴾  
١٠ أي حرهما الله .

ولما كان التقدير : أجهلكم هذا عن الله الذي لا حكم لغيره على لسان  
نبي ؟ عادله توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم بقوله : ﴿ام كنتم شهداء﴾ أي  
حاضرين ﴿اذ وصكم الله﴾ أي الذي لا ملك غيره فلا حكم لسواه  
﴿بهذا﴾ أي كما جزمتم عليه به ، أو ٦ جزمتم بالحرمة فيما حرمتوه  
١٥ والحل فيما أحلتموه ، ولا محرم ولا محلل غير الله ، فكتم بذلك ناسين  
الحكم إليه ؛ ولما كان التقدير كما أتجه السياق : لقد كذبتكم على الله حيث  
نسبتم إليه ما لم تأخذوه عنه لا بواسطة ولا بغير واسطة ، سبب عنه قوله

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) هو محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبي -  
راجع ترجمته معجم المؤلفين ١١/ ١٧٦ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي  
الأصل : هؤلاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقبن من ظ (٦) في ظ و .

معما ليعلم ' أن هذا إذا كان في التحريم و التحليل كان الكذب في أصول الدين أشد : ﴿ فز اظلم ﴾ و وضع موضع « منكم » قوله معما و ٢ معلقا للحكم بالوصف : ﴿ من اقترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه لأنه ملك الملوك ، ﴿ كذبا ﴾ كمرو بن لحي الذى غير شريعة إبراهيم عليه السلام ، و كل من فعل مثل فعله . ٥

و لما كان يلزم من شرعهم لهذه الأمور إضلال من تبعهم فيها عن الصراط السوى ، و كانوا يدعون أنهم أظن الناس و أعرفهم بدقائق الأمور فى بداياتها و نهاياتها و ما يلزم عنها ، جعل غاية فعلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال : ﴿ ليضل الناس ﴾ و لما كان الضلال قد يقع من العالم الهادى خطأ ، قال : ﴿ بغير علم ﴾ . ١٠

و لما كان هذا محل عجب ممن يفعل هذا ، كشفه سبحانه بقوله استئنافا : ﴿ ان الله ﴾ و هو الذى لا حكم لاحد سواه لا يهديهم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليهم بطريق الأولى فقال : ﴿ لا يهدى القوم الظالمين ﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها فكيف بالظالمين ١ و ما أحسن هذا الختم لأحكامهم و أنصبه لما بناها عليه من قوله " انه لا يفلح الظالمون " .

و لما تضمن قوله اقترأ عليه اقترأ على الله و التعبير فى ذلك كله

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ مخذلتاها (٣) ظ : او (٤) من ظ ، و فى الأصل : الملك (٥) فى ظ : انسيهم .

بالاسم الأعظم أن كون التحريم ليس إلا من الله أمر معلوم ليس موضعا  
للشك لأنه الملك الأعظم ولا حكم لغير الملك، ومن حكم عن غير أمره  
عذب؛ حسن بعد / إبطال دينهم<sup>١</sup> [والبيان لأن من حرم شيئا بالتشهي  
مضل وظالم -<sup>٢</sup>] قوله مينا البيان الصحيح لما يحل ويحرم جوابا لمن يقول:  
هـ فما الذي حرمه سبحانه وما الذي أحله: ﴿قل﴾ معلما بأن التحريم  
لا يثبت إلا بوحى [من -<sup>٣</sup>] الله ﴿لا اجد﴾ أى الآن ولا فيما يستقبل  
من الزمان، فان 'لا' كلمة لا تدخل على مضارع إلا وهو بمعنى  
الاستقبال ﴿فى ما﴾ .

ولما كان ما آتاه صلى الله عليه وسلم قد ثبت بعجزهم عن معارضته  
١٠ أنه من الله، بنى للفعول قوله: ﴿اوحى الى﴾ أى من القرآن والسنة  
شيئا مما تقدم مما حرمتموه مطلقا أو على حال دون حال وعلى ناس دون  
آخرين طعاما ﴿محرم على طاعم﴾ أى طاعم كان من ذكر أو أنثى  
﴿بطعمة﴾ أى يتناوله أكلا و<sup>\*</sup> شربا أو دواء أو غير ذلك ﴿الآن يكون﴾  
أى ذلك الطعام ﴿ميتة﴾ أى شرعا، والميتة الشرعية هى ما لا يقبل التذكية،  
١٥ [وهو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية -<sup>٢</sup>] ﴿أو دما مسفوحا﴾  
أى مراقا من شأنه السيلان لا من شأنه الجود كالكبدة والطحال .

ولما كان النصارى قد اتخذوا أكل الخنزير دينا، نص عليه وإن  
كان داخلا<sup>١</sup> فى قوله "ميتة" على ما قررته فى المراد بها، وقال:

(١) من ظ، وفى الأصل: دينه (٢) زيد ما بين الحائزين من ظ (٣) من ظ،  
وفى الأصل: إن (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: أو (٦) زيد فى ظ: عليه .

( أو لحم خنزير ) ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح أم لا ، ولو قيل : أو خنزيرا لاحتمل أن يراد تحريم ما أخذ منه حيا فقط ، وقال : ( فانه ) أى الخنزير ' ( رجس ) ليفيد نجاسة عينه وهو حى ، فلهذه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ، [ وكل ما وافقه فى هذه العلة كان نجسا ، لا يعاد الضمير على اللحم لأنه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه ، فلو عاد عليه كان تكرارا - ٢ ] .

ولما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض ، فقال مبالغا فى النفي عنه بأن جعله نفس المعنى الذى وقع النهى لأجله : ( أو فسقا ) أى أو كان الطعام خروجا مما ينبغى القرار فيه من فسيح جناب الله الذى من تودلته ٣ أمن واهتدى وسلم من ، ضيق الهوى فى ذكر الغير الذى مـ خرج إليه ١٠ خاف وضل . وهلك ' وتوى ' ؛ ثم قال مفسرا له [ مقدما لما هو داخل فى الفسق من الالتفات إلى الغير - ٢ ] : ( اهل لغير الله ) أى الذى له كل شيء لأن له الكمال كله ' ( به ٤ ) أى ذكر غير اسمه عليه بأن ذبح له تدينا ؛ ثم ذكر لطفه بهذه الأمة فى إباحته لهم فى حال الضرورة كل محرم رحمة ' منه لهم وسترا لتقصيرهم فقال : ( فن اضطر ) أى ١٥ حصل له جوع خشى منه التلف ، وبنى للفعول لأن المعتبر حصول الاضطرار لا كونه من معين ، ومن التعبير بذلك تؤخذ حرمة ما زاد

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : تواطته .  
(٤) فى الأصل و ظ : الى (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

على سد الرمق لأنه حيث لا يكون مضطرا ﴿ غير باغ ﴾ أى على غيره  
 بمكيده ﴿ ولا عاد ﴾ أى على غيره بقوة ولا متجاوز سد الضرورة  
 ﴿ فان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك وإلى أمتك الضعيفة يجعل  
 دينها الحنيفة السمحة ﴿ غفور ﴾ أى يمحو الذنب إذا أراد ﴿ رحيم ﴾  
 ٥ أى يكرم المذنب بعد الغفران بأنواع الكرامات، فهو جدير بأن  
 يمحو عن هذا المضطر أثر تلك الحرمة التى كدرها<sup>١</sup> و يكرمه بأن  
 يجعل له - فى حفظه بذالك لنفسه إذا صحت فيه نيته - أجرا عظيما،  
 وقد تكلفت الآية على وجازتها بجميع المحرمات من المأكولات مع الإشارة  
 بلفظ الرجس و الفسق إلى جميع أصناف المحرمات و إلى أن ارتكابها  
 ١٠ موجب للخبث و الانسلاخ<sup>٢</sup> من الخير<sup>٣</sup>، و ذلك هو سبب تحريمها؛  
 قال الأستاذ أبو الحسن الحارلى فى كتاب العروة : وجه إنزال هذا الحرف -  
 أى حرف<sup>٤</sup> الحرام - طهرة الخلق من مضار أبدانهم و رجاسة نفوسهم  
 و بجهلة قلوبهم، فما اجتمعت فيه كان أشد تحريما<sup>٥</sup>، و ما وجد فيه شيء  
 منها كان تحريمه بحسب تأكيد الضرورة<sup>٦</sup> إلى طهرته<sup>٣</sup>، و كما اختلف<sup>٧</sup>  
 ١٥ أحوال نبي آدم بحسب اختلاف طبيعتهم من بين خيث و طيب و ما بين  
 ذلك، اختلف أحوالهم فيما به تجدد خلقهم من رزقهم، فمن اغتذى  
 بدنه من شيء ظهرت أخلاق نفس ذلك المغتذى به و أوصافه فى نفسه،  
 و رين على القلب أو صفاء، لتقويه بما يسمى عليه من ذكر الله أو كفر به

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : قدرها (٣-٢) سقط ما بين  
 الرقين من ظ (٤) فى الأهل و ظ : حرم (٥) فى ظ : اختلف .



بذكر غيره ، و جامع منزله على حده / من استثناء قليله من متسع<sup>١</sup> الحلال  
 قوله تعالى ” قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا ان  
 يكون ميتة او دما مسفوحا “ هذا لمضرته بالبدن ” او لحم خنزير “  
 وهذا لتخيشته للنفس و ترجيسه لها كما قال [ تعالى - ٢ ] ” انه رجس  
 او فسقا اهل لغير الله به “ و هذا لرينه على القلب ، و هذه الآية مدنية ه  
 و أثبتها تعالى في سورة مكية إشعارا بأن التحريم كان مستحقا في أول  
 الدين و لكن آخر<sup>٢</sup> إلى حين اجتماع جمّة الإسلام بالمدينة تأليفا لقلوب  
 المشركين و تيسيرا على ضعفاء [ الدين - ٣ ] الذين آمنوا و اكتفاء للمؤمنين  
 بتنزههم عن ذلك و عما يشبهه استبصارا منهم حتى أن الصديق رضي الله  
 عنه كان قد حرم الخمر [ على نفسه - ٤ ] في زمن الجاهلية لما رأى فيها ١٠  
 من نزع العقل ، فكيف بأحوالهم بعد الإسلام ! و الحق بها في سورة  
 ” الذين آمنوا “ ما كان قتله<sup>٥</sup> سطوة من غير ذكر الله عليه من المنخقة  
 و الموقوذة و المتردية و النطيحة و ما أكل السبع إلا ما أدرك<sup>٦</sup> بالتذكية  
 المنهورة للدم الموصل في التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن  
 حد الطعام في الابتداء و الأعضاء في الانتهاء المستدركة ببركة التسمية أثر ١٥  
 ما أصابها من مفاجأة السطوة ، و الحق بها أيضا<sup>٧</sup> في هذه السورة  
 (١) من ظ ، و في الأصل : سعى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده في ظ :  
 مطلب - كذا (٤) في ظ : بما (٥) في ظ : قبله (٦) في ظ : تدرك (٧) موضعه  
 في ظ : قبل التذكية .

تحريم الخمر لرجسها كالتحذير كما ألحقت المقتولة بالميتة ، و كما حرم الله ما فيه جماع الرجس من التحذير و جماع الإثم من الخمر حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه<sup>١</sup> حظ من ذلك ، فألحق بالتحذير السباع حماية<sup>٢</sup> من سورة غضبها لشدة المضرة في ظهور الغضب من العيد لأنه لا يصلح إلا لسيدم ، و حرم الخمر الأهلية حماية من بلادتها و حرانها الذي هو علم غريزة الخرق في الخلق ، و ألحق صلى الله عليه وسلم بتحريم الخمر التي سكرها مطبوع<sup>٣</sup> تحريم المسكر الذي سكره مصنوع ، و كما حرم الله ما يفر العبد في ظاهره و باطنه حرم عليه فيما بينه و بينه ما يقطعه عنه من أكل الربا ، [ و الربا -<sup>٤</sup> ] بضع و سبعون بابا و الشرك ١٠. مثل ذلك ، و جامع منزله في قوله تعالى ” الذين يأكلون الربوا ” - إلى قوله : و أحل الله البيوع و حرم الربوا<sup>٥</sup> - إلى انتهاء ذكره إلى ما ينتظم من ذلك في قوله : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا<sup>٦</sup> اضمافا مضغفة<sup>٧</sup> - الآية ما يلحق بذلك في قوله : و ما آتيتم من ربا<sup>٨</sup> - الآية ، هكذا قال : إن هذه الآية مدنية ، و هو - مع<sup>٩</sup> كوني لم أره لغيره - مشكل ١٥ بقوله ” و قد فصل لكم ما حرم عليكم ” - الآية .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : حتما به (٣) في ظ : مطبوع - كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٧ (٦) سورة ٣ آية ١١٣ (٧) سورة ٣ آية ٣٩ (٨) من ظ ، و في الأصل : موضع (٩) راجع آية ١١٩ من سورة الأنعام وهي مكة .

ولما كان تحريم الربا لما بين الرب والعبد، كان فيه<sup>١</sup> الوعيد بالإيدان بحرب من الله ورسوله، ولذلك حمت الأئمة ذرائعه أشد الحماية، وكان أشدهم في ذلك عالم المدينة حتى أنه<sup>٢</sup> حصى من صورته<sup>٣</sup> من الثقة بسلامة الباطن منه، وعمل بضد ذلك في محرمات ما بين العبد ونفسه، وكما حرم الله الربا فيما بينه وبين عبده من هذا الوجه الأعلى كذلك حرم<sup>٤</sup> أكل المال بالباطل فيما بين العبد وبين غيره من الطرف الأدنى، وجامع منزله في قوله تعالى "و لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها" [الى الحكام]-<sup>٥</sup> - الآية إلى ما ينتظم به<sup>٦</sup> من قوله تعالى : [يا ايها الذين امنوا -<sup>٧</sup> لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم - إلى ما ينتظم به من قوله تعالى : و اتوا اليشئى اموالهم<sup>٨</sup> ] - الآيات في ١٠ أموال اليتامى، فخرمه تعالى من جهة الأعلى والمثل والأدنى، وانتظم التحرير في ثلاثة أصول : من جهة ما بين الله وبين عبده، ومن جهة ما بين العبد و [بين -<sup>٩</sup> ] نفسه، ومن جهة ما بين العبد وبين غيره ، / عما تستقرأ<sup>١٠</sup> جملة آيه في القرآن وأحاديثه في السنة ومثاله في فقه الأئمة ؛ ولما كان له متسع ، وقع فيما بين الحلال واليّن والحرام ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : كانه (٣) في ظ : سورته (٤) في ظ : علم (٥) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٨٨ ، وفي الأصل موضعه : يا ايها الذين امنوا (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) في (٨) بذلك (٨) ظ : زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ٢٩ (٩) سورة ٤ آية ٢ (١٠) زيد من ظ . (١١) في الأصل : يستقرا ، وفي ظ : تستقر .

البين أمور متشابهات لا يعلها كثير من الناس ، لأنها تشبه الحلال  
من وجهه وتشبه الحرام من وجهه ، فلو قوعها بينهما يختلف فيها الأمة  
علما ، ويحتنب جميعها الصالحون عملا ، من اتقى الشبهات استبرا لدينه في  
العقبى ولعرضه في الأولى ، وعن حماية الله عباده عن ويل الحرام بتحقيق  
٥ لهم اسمه د الطيب ' ، ، فلم يتطب بطب الله من لم يحتم عن محرماته  
ومتشابهاتها ، وهو الورع الذي هو ملاك الدين ، ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلي العظيم ، ثم قال فيما تحصل به قراءة [ حرف - ٢ ] الحرام  
تماما في العلم والحال والعمل : اعلم أن الإنسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه  
بزرتان : بزره للخير وبزره للشر ، وبحسب تطهره وتخلصه من مزاحمة

١٠ نبات بزره أثمر تنمو فيه وتركوا بزره الخير ، ولكل واحدة من البزرتين  
منبت في جسمه ونفسه وفؤاده ، فأول الحريف في الترتيب العمل ، والأساس  
لما بعده هو قراءة حرف الحرام ، لتحصل به طهرة البدن الذي هو السابق  
في وجود الإنسان ، فمن غذى بالحرام في طفولته لم يقدر على اجتناب  
الآثام في كهولته إلا أن يطهر الله بما شاء من نار الورد في الدنيا من  
١٥ الأمراض والضراء ، فهو الأساس الذي ينبني عليه تطهر النفس من  
المناهي وتطهر الفؤاد من العمه والمجاهل ، والذي تحصل به قراءة هذا  
الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم ويؤذي النفس وما يكره الخلق

(١) من ظ ، وفي الأصل : الطيب (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : مزاحمات (٤) من  
ظ ، وفي الأصل : ينمو (هـ) في ظ : ينشا .

و ما يغضب الرب، فمن أصاب شيئا من ذلك ولم يادر إليه بالتوبة عذب بكل آية قرأها وهو مخالف لحكمها من لم ييال من أى باب دخل عليه رزقه لم ييال الله من أى باب أدخله النار . .

ولما كان الورع كف اليد ظاهرا<sup>٢</sup> عن الشيء الضار، وكانت الجوارح لا تنقاد إلا عن تأثر من النفس، لم يصح الورع ظاهرا<sup>٢</sup> إلا أن ه يقع في النفس روعة باطنه من تناول ذلك الشيء<sup>٢</sup>، ولما كانت النفس لا تتأثر إلا عن تبصر القلب في الضار كما لا ينكف اليد إلا عند تقدر النفس<sup>٢</sup> لما تدرك العين قدره<sup>٢</sup> حتى أن النفس الرضية تأقف من المحرمات كما يأتف المستنظف من المستقذرات، فأكلة الحرام هم دود جيفة الدنيا يستقذروهم أهل البصائر كما يستقذرون هم دود جيف المزابل . . ١٠

ولما كان الحرام ما يضر العبد في نفسه كالميتة، تيسر على المستبصر كف يده عنها لما يدرى من مضرتها بجسمه، وكذلك الدم المسفوح لانه ميتة بافصاله عن الحى ومفارقته لروح الحياة التى تحالطه في العروق، قلت: وسيأتى قريبا تعليله في التوراة بما يقتضى أنه أكثر فعلا في النفس و تطيعا لها<sup>٢</sup> بخلق ما هو<sup>٢</sup> دمه من اللحم - والله الموفق؛ وكذلك ١٥ ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لانه رجس، و الرجس هو خبائث الأخلاق التى [هى - ٦] عند العقلاء أقبح من خبائث الأبدان، وذلك لأن<sup>٢</sup>

(١) فى ظ: فصل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) فى ظ: قدرة .  
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل: جنات الاخلاط (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: ان .

من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه بنفسانية ذلك الحيوان  
و بخلق<sup>١</sup> من أخلاقه، وفي نفس التحذير مجامع رذائل الأخلاق من  
الإباء والحران والمكر والإقدام على ما يعاين فيه الهلاك ومتابعة  
الفساد، والانكباب على ما تقبل<sup>٢</sup> عليه في أدنى<sup>٣</sup> الأشياء على ما ظهرت  
٥ في خلقته آياته فانه ليس له استشراف كذوات الأعناق، وكذلك ما  
يضر بهما<sup>٤</sup> وبالعقل كالخمر في نزفها للعقل وتصديعها للرأس وإيقاعها  
العداوة والبغضاء في خلق النفس، ولذلك هي جاع الإثم، فالتبصر  
في المحرمات يأنف منها لما يدرى من مضرتها وأذاها في الوقت الحاضر  
وفي معيها<sup>٥</sup> في يوم الدنيا إلى ما أخبر به من سوء عقابها في يوم الدين،

٢٦٥ / ١٠ ومن / شرب الخمر ومات ولم يتب منها كان حقا على الله أن يسقيه  
من طينة الجبال، وهي عصارة أهل النار، ولو هدد شاربها في الدنيا  
من له أمر بأن يسقيه من بوله ورجيعه لوجد من الورع ما تحمله  
على الورع عنها، وإذا استبصر ذودراية فيما يضره في ذاته فأنف  
منه رعاية نفسه لحق له بذلك التزام رعايتها عما يتطرق له منه درك  
١٥ من جهة غيره فيتورع من<sup>٦</sup> أكل أموال الناس بالباطل لما يدرى من  
المواخظة عليها في العاجل وما أخبر به من المعاقبة عليها في الآجل،  
ولها في ذاته مضرة في الوقت<sup>٧</sup> بتعرفها من موارد القرآن بنور الإيمان

(١) من ظ، وفي الأصل: تخلق (٢) في ظ: يقبل (٣) من ظ، وفي الأصل:  
اذى (٤) من ظ، وفي الأصل: هما (٥) في ظ: مغبتها - كذا (٦) في ظ: عن.  
(٧) من ظ، وفي الأصل: الوقت.

”الذين ياكلون اموال اليتيم ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا“<sup>١</sup> وإن لم يحس بها ، وليس تأويله الوعد بالنار لأن ذلك إنباء عند قوله تعالى ”وسيلون سعيرا“ ، وكذلك إذا أتق بما بضره في نفسه وخاف مما يتطرق إليه ضره من غيره ، أعظم أن يقرب حى ما يتطرق إليه السطوة من ربه لأجله ، وذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه وعدم التفاوت ه في أمر رحمانيته في محرم الربا ، ولما فيه أيضا من مضرة وقته الحاضر التى يقبدها<sup>٢</sup> بالإيمان من تعريف ربه ، فانه تعالى كما<sup>٣</sup> عرف أن أكل مال الغير بالباطل نار في البطن ، عرف أن أكل مال الربا جنون في العقل وخبال في النفس ”الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس“<sup>٤</sup> وأعظم<sup>٥</sup> من ذلك ما حرمه الله لعرائه عن اسمه ١٠ عند إزهاق روحه ، لأنه مأخوذ عن غير الله ، وما أخذ عن غير الله كان أكله فسقا وكفرا<sup>٦</sup> لأنه تناول الروح من يد من لا يملكها ، ولذلك فرضت التسمية في التذكية ونقلت فيما سوى ذلك ، فلا تصح قراءة هذا الحرف إلا بتبصرة القلب فيه وروعة النفس منه وورع اليد عنه ، وإلا فهو من الذين يقرأون حروفاً ويضيعون حدوده ، الذين قال ١٥ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ”كثير هؤلاء من القراء ، لا كثرهم الله! ومن لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواه

(١) سورة ٤ آية ١٠ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يقبلها (٣) في ظ : لا (٤) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٥) في ظ : اعلم (٦) من ظ ، وفي الأصل : كفى - كذا .

نظم الدرر (سورة الأنعام: ٦: ١٤٦ و ١٤٧) ج - ٧

ولا تصح له عبادة، وهو الذى لا يزيده صلاته<sup>١</sup> من الله إلا بعدا،  
ولا يقبل منه دعاؤه والرجل يطلب الله مطعمه<sup>٢</sup> حرام ومشربه حرام  
وملبسه حرام وغذى بالحرام، يقول: يا رب يا رب! فأنى يستجاب  
لذلك<sup>٣</sup>، فهذه<sup>٤</sup> قراءة هذا الحرف وشرطه - والله ولى التوفيق.

٥ ولما كان قوله "طاعم" نكرة فى سياق النفي، يعم كل طاعم  
من أهل شرعنا وغيرهم، وكان سبحانه قد حرم على اليهود<sup>٥</sup> أشياء  
غير ما تقدم، اقتضت إحاطة العلم أن قال مينا لإحاطة علمه وتكذيبا  
لليهود<sup>٦</sup> فى قولهم: لم يحرم الله علينا شيئا، إما حرما على أنفسنا ما حرم  
إسرائيل على نفسه: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ أى اليهود ﴿حرما﴾  
١٠ بما لنا من العظمة التى لا تدافع ﴿كل ذى ظفر﴾ أى على ما هو كالإصبع  
للآدمى من<sup>٧</sup> الإبل<sup>٨</sup> والسباع والطيور التى تتقوى بأظفارها  
﴿ومن البقر والغنم﴾ أى التى هى ذوات الأظلاف ﴿حرما﴾ أى  
بما لنا من العظمة ﴿عليهم شحومهما﴾ أى الصنفين؛ ثم استثنى فقال:  
﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ أى من الشحوم مما علق بالظهر والجنب  
١٥ [من داخل بطونهما - °] ﴿أو الحوايا﴾ وهى الأمعاء التى هى متعاطفة  
متلوية، جمع حوية فوزنها فحائل<sup>٩</sup> كسفينة وسفائن، وقيل: جمع حاوية  
أو حواياها<sup>١٠</sup> كفصاصها ﴿أو ما اختلط﴾ أى [من - °] الشحوم  
(١) من ظ، وفى الأصل: صلوة (٢) من ظ، وفى الأصل: مطعم (٣) فى  
ظ: وهذه (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ.  
(٧) من ظ، وفى الأصل: عاريا - كذا.



(بعضهم) مثل شحم الآلية فان ذلك لا يحرم، وهذا السياق بتقديم الجار وبناء الكلام عليه يدل على أن ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم .  
ولما كان كانه قيل : لم حرم عليهم هذه الطيبات ؟ قيل : (ذلك) أى التحريم العظيم و الجزء الكبير [و هو تحريم الطيبات - ٢] (جزئتهم) أى بما لنا من العظمة (ينبغيهم) أى فى أمورهم / التى تجاوزوا فيها الحدود ، ٥ / ٢٦٦  
[و - ٢] فى إيلاء هذه الآية - التى فيها ما حرم على اليهود - لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الأمة و غيرها أمران جليان : أحدهما بيان إطلاعه صلى الله عليه وسلم على تفصيل ما أوحى إلى من تقدمه و لما يشامم أحدا من أتباعهم و لا دارس علما و لا درس علما قط ، فلا دليل على صدقه على الله أعظم ٢ من ذلك ، ١٠  
و الثانى تفضيله هذه الأمة بأنه أحل لها الحائث عند الضرورة رحمة لهم ، و أزال عنها فى تلك الحالة ضررها و لم يفعل بها كما فعل باليهود فى أنه حرم عليهم طائفة من الطيبات و لم يحلها لهم فى حال من الأحوال عقوبة لهم ، و فى ذلك أتم تحذير لهذه الأمة من أن يغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما نبه عليه فى قوله ” غير محلى الصيد و انتم حرم “ فإن ١٥  
الصدق و حصص الحق و لم يبق لمتغنت كلام . فحسن جدا ختم ذلك بقوله ( و انا لصدقون ) أى ثابت صدقنا أزلا و أبدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة ، و تعقيبه بقوله : (فان) أى وتسبب عن هذا الإيحاء الجامع الوجيز  
(١) فى ظ : بتقديم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم عظم - كذا .  
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اليه (٦) فى ظ : الایجاد .

الدال على الصدق الذى لا شبهة فيه أنا نقول ذلك: إن (كذبوك قتل) والتعير بأداة الشك مشير إلى أن الحال يقتضى أن يستبعد أن يقع منهم تكذيب بعد هذا (ربكم) أى المحسن إليكم بالبيان والإمهال [مع كل امتنان (ذو رحمة واسعة ج) أى فهو مع اقتداره قضى أنه يحلم عنكم بالإمهال - ١] إلى أجل يعلمه .

ولما أخبر عن رحمته، نوه بعظيم سطوته فقال: (ولا يرد بأسه) أى<sup>٢</sup> إذا أراد الانتقام (عن القوم المجرمين ه) أى القاطعين لما ينبغى وصله، فلا يغير أحد بامهاله فى سوء أعماله وتحقيق<sup>٣</sup> ضلاله، وفى [هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على الحد - ١] الأقصى من البلاغة .

ولما تم ذلك فلم أن إقدامهم على الأحكام الدينية بغير حجة أصلاً، اقتضى الحال أن يقال: [قد - ١] بطل بالعقل والنقل جميع ما قالوه فى التحريم على وجه أبطل شركهم، فهل بقى لهم مقال؟ فأخبر سبحانه بشبهة يقولونها اعتذاراً عن جهلهم على وجه [هو وحده - ١] ١٥ كاف فى الدلالة على حقيقة ما يقوله<sup>٤</sup> من الرسالة، فوقع طبق ما قال عن أهل الضلال، فقال مخبراً بما سيقولونه قبل وقوعه دلالة على صدق رسله وكذب المشركين فيما يخالفونهم فيه: (سيقول) أى فى المستقبل، وإظهار موضع الإضرار تنصيصاً عليهم وتبكيثاً لهم فقال: (الذين أشركوا)

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) زيد فى ظ: الذى (٣) فى ظ: تحقق . (٤) من ظ، وفى الأصل: حقيقة (ه) من ظ، وفى الأصل: يقول .

تكدياً

تكذيباً منهم ﴿ لو شاء الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال عدم إشراكنا  
وتحریمنا ﴿ ما اشركنا ﴾ أى بصنم ولا غيره ﴿ ولا أبأؤنا ﴾ أى ما  
وقع من إشراك ﴿ ولا حرماناً من شيء ﴾ ' أى ما ' تقدم من البحار  
و السوائب و الزروع وغيرها أى<sup>٢</sup> ولكنه لم يشأ الترك و شاء الفعل ففعلنا  
طوع مشيئته ، وهو لا يشاء إلا الحق و الحكمة لأنه قادر ، فلو لم يكن حقاً ه  
يرضاه لمنعنا منه ، وهو لم يمنعنا منه فهو حق .

و لما كان هذا عناداً منهم ظاهراً بعد وضح الأمر بما أقام على  
صدق رسله من البينات ، كان كأنه قيل تعجباً منهم : [ هل<sup>٢</sup> - ] فعل  
أحد غيرهم مثل فعلهم هذا أو قال مثل ما قالوا ؟ فقيل : نعم ﴿ كذلك ﴾  
أى مثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب ﴿ كذب الذين ﴾ و لما ١٠  
لم يكن التكذيب عاماً أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ من الأمم  
الخالية بما أوقعوا من نحو هذه المجادلة فى قولهم إذا كان الكل بمشيئة  
الله كان التكليف عبثاً ، فكانت دعوى الأنبياء باطلة ، وهذا القول من  
المشركين عناد بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات وإخبار الرسل بأنه يشاء  
الشيء و يعاقب عليه لأن ملكه تام و ملكه عام ، فهو لا يسأل عما يفعل ، ١٥  
و تبادى بهم غرور التكذيب ﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ أى عذابنا لما<sup>٣</sup> لنا من  
العظمة ، فإن من له الأمر كله لا يسأل عما يفعل<sup>٤</sup> ، فلم ينفعهم عنادهم  
عند ذوق البأس ، / بل<sup>٥</sup> انحلت عزائمهم ففرضوا لنا و آمنوا برسلنا ،

٢٦٧ /

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : بما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من  
ظ ، وفى الأصل « و » (٥) فى ظ : بما (٦) زيد فى ظ : و تبادى بهم غرور  
التكذيب .

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، فالآية من الاحتباك : أثبت أولا  
 الإشراك دليلا<sup>١</sup> على حذفه ثانيا ، وثانيا التكذيب دليلا على حذفه أولا ،  
 وسيأتى توجيه أنه لا بد من تضليل إحدى الطائفتين المتعاندتين<sup>٢</sup> وإن  
 كان الكل بمشيئة الله ، لأنه لا مانع من إتيان الأمر على خلاف الإرادة .  
 ٥ ولما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم ، أعلى درجاتها أن يكون  
 من أنواع الخطابة فتفيد<sup>٣</sup> الظن في أعظم مسائل علم الأصول الذى لا يحل  
 الاعتماد فيه إلا على القواطع ، أمره أن يقول لهم ما ينبههم على ذلك فقال :  
 ﴿ قل ﴾ أى هؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان إليهم - كما أشير إليه  
 فى سورة الحج - [ تهكما بهم فى بعدهم عن العلم وجدالهم بعد نهوض  
 ١٠ الحجج - ] ﴿ هل عندكم<sup>٤</sup> ﴾ أيها الجهمية ، وأغرق فى السؤال فقال :  
 ﴿ من علم ﴾ أى يصح الاحتجاج به فى مثل هذا المقام الضنك  
 ﴿ فتخرجوه لنا<sup>٥</sup> ﴾ أى لى ولا تباعى وإن كان مما يجب أن يكون  
 مكنونا مضمونا به على غير أهله مخزونا ، فهو تهكم بهم .

ولما كان جوابهم عن هذا السكوت لأنه لا علم عندهم ، قال دالا  
 ١٥ على ذلك : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تتبعون ﴾ أى فى قولكم هذا وغالب  
 أموركم ﴿ الا الظن ﴾ أى فى أصول دينكم وهى لا يحل فيها<sup>٦</sup> قول إلا بقاطع  
 ﴿ وان ﴾ أى وما ﴿ انتم الا تخرصون<sup>٧</sup> ﴾ أى تقولون<sup>٨</sup> تارة  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : دليل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فيفيد (٤) زيد  
 ما بين الحازرين من ظ (٥-٥) تأخر فى الأصل عن السؤال فقال « والترتيب  
 من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) من ظ ، وفى الأصل : يقولون .

بالحزر والتخمين و تارة بالكذب المحض اليقين .

ولما اتفق<sup>١</sup> أن يكون لهم حجة ، وثبت أن الأمر إنما هو لله ، ثبت أنه  
المختص بالحجة الواضحة ، فقال مسياع عن ذلك : ( قل لله ) أى الإله الأعظم  
وحده<sup>٢</sup> ( الحجة البالغة ) أى التى<sup>٣</sup> بلغت أعلى درجات الحق قوة ومتانة وبيانا  
ووضوحا و رصانة بسبب أنه شامل العلم كامل القدرة كما أقررتم بذلك ه  
حين قلتم ” و<sup>٤</sup> لو شاء الله ما اشركنا “ وإن كنتم قلتموه على سبيل الإلزام  
و العناد لا لأجل الدين والاعتقاد ( فلو شاء ) أى الله ( لهدنكم )  
أى أتم و مخالفكم ( اجمعين ه ) ولكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء هداية  
بعض و ضلال آخرين ، فوقع ذلك على الوجه الذى شاءه ، فلزمت على  
قولكم أن يكون الفريقان محقين ، فيكون الشيء الواحد حقا غير حق فى ١٠  
حال واحد ، وهذا لا يقوله عاقل ، و يلزمكم على ذلك أيضا<sup>٥</sup> أن توالوا  
أخصامكم و لا تعادوهم و إن فعلوا ما فعلوا ، لأنه حق رضى الله عنه<sup>٦</sup>  
بمشيئته و أنتم لا تقولون ذلك ، فطل قولكم فثبت أنه قد يشاء الباطل لأنه  
لا يستل عما يفعل و يرسل الرسل [ إليكم - ٦ ] لإزالته ليقيم بهم الحجة  
على من<sup>٧</sup> يريد عقابه على ما يتعارفه الناس بينهم ، و ورود<sup>٨</sup> الأمر على ١٥  
خلاف الإرادة غير ممتنع .

ولما صدق الحق ، [ و - ٦ ] انكسر جند الباطل و اندق ييطان

(١) من ظ ، وفى الأصل : تنفى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ :  
الذى (٤) من ظ ، وفى الأصل : حق (ه) من ظ ، وفى الأصل : لا .  
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : ما (٨) من ظ ، وفى الأصل : ورد .

جميع شبههم ، ونظقت الدلائل و ألغى المجادل ، فإن أنه لا شاهد لهم بحق  
لأنه لا حق لهم ، كان كأنه قيل : قل لهم : ها أنا قد شهد لي بما قلته من  
لا ترد شهادته و زكاني الذي لا يقبل إلا تركيته بهذا الكتاب الذي كان  
عجزكم عن الإتيان بشيء من مثله شاهدا بأنه قوله ، فهل لكم أتم من شاهد  
يقبل ! و لما لم يكن لهم شاهد غير متخصصهم<sup>٢</sup> ، فإن المبطل يظهر باطله  
عند المحاققة سنة من الله مستمرة ، فيظهر للشهود لهم بما يلوح من بهتهم  
أنهم ليسوا على شيء<sup>٣</sup> ، أمره سبحانه أن يأمرهم بدعائهم ليظهر خزيهم  
و تشهر فضيحتهم<sup>٤</sup> فقال : ﴿ قل لهم ﴾ أي احضروا ، و هي كلمة دعوة  
يستوى فيها المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع عند الحجازيين  
١٠ ﴿ شهداءكم ﴾ .

و لما كان كأنه قيل : أي شهداء ؟ قال : ﴿ الذين يشهدون ﴾ أي  
يوقعون الشهادة على ﴿ ان الله ﴾ أي الذي لا حكم لغيره ﴿ حرم هذا ﴾  
أي الذي ذكرتموه من قبل ، و إضافة الشهداء إليهم و وصفهم  
بـ « الذين » دليل على أنهم معروفون<sup>٥</sup> / موسومون بنصرة مذهبهم بالبطل ،  
١٥ و لو قال : شهداء - من غير إضافة لأنهم أن المطلوب من يشهد بالحق  
و ليس كذلك ، لأنه أقيم الدليل العقلي على أنه لا حجة لهم و أن الحجة

/ ٢٦٨

(١) في ظ : هذا (٢) في ظ : محترسيهم (٣) العبارة من هنا إلى « عند الحجازيين »  
تقدمت في ظ على « فان المبطل » (٤ - ٤) من ظ ، و في الأصل : شهر فضحهم  
- كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : عن (٦ - ٦) من ظ ، و في الأصل : أنتم  
معروفون - كذا .

لله على خلاف ما ادعوه، فبطل قطعاً أن يكون أحد يشهد على ذلك بحق .

ولما كان كأنه قيل : فانهم إذا أحضروا<sup>١</sup> لا يقدرّون - إن كان لهم عقل أو فيهم حياء<sup>٢</sup> - على النطق إذا سمعوا هذا الحق، بنى عليه قوله : ﴿فان﴾ اجتروا بوقاحة ﴿شهدوا﴾ أى كذبا و زورا بذلك ه الذى أبطلناه بالأدلة القطعية ﴿فلا تشهد معهم﴾ أى فتركهم [ولا تسلّم لهم - ٢] ، فانهم على ضلال و ليست شهادتهم مستندة [إلا - ٢] إلى الهوى ﴿ولا تتبع أهواء﴾ وأظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقاً للحكم بالوصف دلالة على أن القائد إلى التكذيب و كل ردى إنما هو [الهوى - ٢] ، و أن من خالف ظاهر الآيات إنما هو صاحب هوى ، ١٠ فقال : ﴿الذين كذبوا﴾ أى أوقعوا التكذيب ﴿بأيتنا﴾ أى على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها إلينا .

ولما وصفهم بالتكذيب ، أتبعه الوصف بعدم الإيمان ، و دل بالنسق بالواو على العراقة في كل من الوصفين فقال : ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أى التى [هى - ٢] دار الجزاء ، فانهم لو جوزوها<sup>١٥</sup> ما اجتروا على الفجور ﴿وهم بربهم﴾ أى الذى لا نعمة عليهم و لا خير عندهم إلا وهو منه وحده ﴿يعدلون﴾ أى يجعلون غيره عدلاً له ، و سيعلمون حين يقولون لشركائهم و هم في جهنم يختصمون " تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين " .

(١) في ظ : حضروا (٢) في ظ : حياة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : جوزها (٥) سورة ٢٦ آية ٩٧ و ٩٨ .

و لما أبطل دينهم كله أصولاً وفروعاً في التحريم والإشراك، وبين فساد بالدلائل النيرة، ناسب أن يخبرهم [ بالدين الحق - ' ] بما حرّمه الملك الذى له الخلق والأمر [ ومن غيره - ' ]، فليس التحريم لأحد غيره فقال: ﴿ قل تعالوا ﴾ أى أقبلوا إلى صاعدين من حضيض الجهل والتقليد و سوء المذهب إلى أوج العلم ومحاسن الأعمال؛ قال صاحب الكشف: ه هو من الخاص<sup>٢</sup> الذى صار عاماً، يعنى حتى صار يقوله الأسفل للأعلى ﴿ اتل ﴾ أى اقرأ، من التلاوة وهى إتباع بعض الحروف بعضاً. و لما كان<sup>٤</sup> القصد عموم كل أحد بالتلاوة [ وإنما خص مخاطبين بالذكر لاعتقادهم خلاف ذلك - ' ]، و كان الحرم أهم، قدمه فقال: ﴿ ما حرم ربكم ﴾ ١٠ أى المحسن إليكم بالتحليل والتحريم ﴿ عليكم ﴾ فسخطه منكم، وما وصاكم به إقداماً وإحجاماً فرضية<sup>٥</sup> لكم من قبيل<sup>٦</sup> الأصول والفروع؛ ثم فسر فعل التلاوة ناهياً عن الشرك، وما بعده من مضمون الأمر إنما عدى عنها، فقال: ﴿ لا تشركوا به شيئاً ﴾ الآيات مرتباً جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد فى صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل ١٥ قبل التحلى بالفضائل، فإن التقية<sup>٨</sup> بالحجة قبل الدواء، و قرن به البر لانهما من باب شكر المنعم وتعظيم الأمر العقوق، ثم أولاه القتل الذى هو أكبر الكبائر بعد الشرك، وبدأه بقتل الولد لأنه أخشه وأخش من مطلقه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: بما (٣) فى ظ «و» (٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد بعده فى ظ: لما (٦) من ظ، وفى الأصل: فرضته (٧) من ظ، وفى الأصل: قبيل (٨) فى ظ: التقية.



فعله<sup>١</sup> خوف القلة، فلما وصى بأول واجب للنعم الأول الموجد من العدم،  
أتبعه ما لأول منعم بعده بالتسبب في<sup>٢</sup> الوجود، فقال ناهيا عن الإساءة  
في صورة الأمر بالإحسان على أوكد وجه لما للنفوس من التهاون في  
حقهما، وكذا جميع المأمورات ساقها هذا السياق المفهم لأن أضدادها  
منهى عنها ليكون مأمورا بها منها عن أضدادها، فيكون ذلك أوكد لها<sup>٣</sup>  
وأضخم: ﴿و بالوالدين ج﴾ أى افعلوا بهما ﴿احسانا ج﴾ .

ولما أوصى بالسبب في الوجود، نهى عن التسبب في الإعدام وبدأ  
بأشده فقال: ﴿ولا تقتلوا اولادكم﴾ ولما كان النهى غاما، وكان  
ربما وجب على الولد قتل، خص لبيان<sup>٤</sup> الجهة فقال: ﴿من املاق<sup>٥</sup>﴾  
أى من أجل فقر حاصل بكم، ثم علل ذلك، ولأجل أن الظاهر هو حصول ١٠  
الفقر قدم الآباء فقال: ﴿نحن نرزقكم﴾ بالخطاب، / أى أيها الفقراء،  
ثم عطف عليه الأبناء فقال: ﴿و اياهم ع﴾ وظاهر قوله في الإسراء "خشية  
املاق<sup>٥</sup>" أن الآباء موسرون ولكنهم يخشون من إطعام الأبناء الفقر،  
فبدأ بالاولاد فقال: "نحن -<sup>٦</sup> رزقهم" ثم عطف الآباء فقال "و اياكم -  
نه عليه أبو حيان .

١٥

ولما كان قتلهم الخش الفواحش بعد<sup>٧</sup> الشرك. أتبعه النهى عن  
مطلق الفواحش، وهى ما غلظت<sup>٨</sup> قباحه، وعظم أمرها بالنهى عن

(١) في ظ : فعله - كذا (٢) في ظ : الى (٣) في ظ : بيان (٤) سقط من ظ .  
(٥) آية ٣١ (٦) زيد من ظ والقرآن الكريم (٧) في ظ : ثم (٨) من ظ ،  
وفي الأصل : عطف .

نظم الدرر (سورة الانعام ٦: ١٥١ : ١٥٢) ج - ٤

القربان فضلا عن الغشيان فقال: ﴿و لا تقربوا الفواحش﴾ ثم أبدل منها تأكيداً للتعميم قوله: ﴿ما ظهر منها﴾ أى الفواحش ﴿وما بطن﴾ ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيماً له بالتخصيص<sup>١</sup> بعد التعميم فقال: ﴿و لا تقتلوا النفس التى حرم الله﴾ أى الملك الأعلى عليكم قتلها ٥ ﴿الا بالحق﴾ أى الكامل، ولا يكون كاملاً إلا وهو كالشمس وضوحاً لاشبهه فيه، فصار قتل الولد منها عنة ثلاث مرات؛ ثم أكد المذكور بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم فى هذه المذكورات .

ولما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس، ختمها بما لا يقوله<sup>٢</sup> إلا المحب الشفوق ليتقبلها<sup>٣</sup> القلب فقال: ﴿وَصُصِّكُمْ بِهِ﴾ أمراً ونهياً؛ ولما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرهما وجلالة وقعها فى النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر قال: ﴿لعلكم تعقلون ٥﴾ أى لتكونوا على رجاء من المشى على منهاج العقلاء<sup>٤</sup>، فلم من ذكر الوصية أن هذه المذكورات هى الموصى بها والمحرمات أضدادها، فصار شأنها مؤكداً من وجهين: التصريح بالتوصية<sup>٥</sup> بها، والنهى عن أضدادها .

١٥ ولما كان المال عدل الروح من حيث أنه لا قوام لها إلا به، ابتدأ الآية التى تليها بالأموال، ولما كان أعظمها خطراً وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره، ابتدأ به فنهى عن قربه فضلاً عن أكله أو شربه

(١) من ظ، وفى الأصل: بالتخفيف (٢) من ظ، وفى الأصل: لا تقوله .  
(٣) فى ظ: ليقبلها (٤) من ظ، وفى الأصل: ليكونوا (٥) فى ظ: العقل (٦) من ظ، وفى الأصل: بالوصية .

قَالَ: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ أَيُّ بَنُوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبَانِ عَمِلَ فِيهِ  
أَوْ غَيْرِهِ ﴿إِلَّا بِأَلْفٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾ مِنْ الْحُصَالِ مِنَ السَّعْيِ فِي تَنْمِيَّتِهِ وَتَمْيِيرِهِ  
وَلَيْسَتْ ذَلِكَ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وَهُوَ سَنٌ يَبْلُغُ بِهِ أَوَانُ حُصُولِ  
عَقْلِهِ عَادَةً وَعَقْلٌ يَظْهَرُ بِهِ رَشْدُهُ؛ ثُمَّ ثَنَى بِالْمَقَادِيرِ عَلَى وَجْهِ يَغْنَمُ فَقَالَ:  
﴿وَارْفُوا﴾ أَيُّ أَتَمُّوا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ لِأَنَّهَا الْحُكْمُ فِي أَمْوَالِ الْإِيْتَامِ،  
وغيرهم؛ وَلَمَّا كَانَ الشَّيْءُ رُبَّمَا أَطْلُقَ عَلَى مَا قَارَبَهُ نَحْوُ "قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ"  
أَيُّ قَرَبَ قِيَامُهَا، وَهَذَا وَقْتُ كَذَا - إِذَا قَرَبَ جَدًّا، أَزِيلَ هَذَا الْإِحْتِمَالَ  
بِقَوْلِهِ: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أَيُّ أَبْغَاءَ كَاتِبًا بِهِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَقْرِيطٍ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْمَقَادِيرُ لَا تَكَادُ تَتَسَاوَى لَا سِوَا الْمِيزَانِ فَانْهَ أَبْعَدَهَا  
مِنْ ذَلِكَ، وَأَقْرَبَهَا الذَّرْعَ وَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْكَيْلِ، فَانْه يَقَالُ: كَالِ ١٠  
الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ: قَاسَهُ، أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْمَكْلَفِ الْمَبْنَى أَمْرُهُ عَلَى  
الْعِجْزِ لِلضَّعْفِ إِلَّا الْجُهْدَ فَقَالَ: ﴿لَا نَكْلَفُ﴾ أَيُّ عَلَى مَا لَنَا مِنَ الْعِظْمَةِ  
﴿نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ وَمَا وَرَاءَ الْوَسْعِ مَعْفُو عَنْهُ؛ ثُمَّ ثَلَّثَ بِالْعَدْلِ فِي  
الْقَوْلِ لِأَنَّهُ الْحُكْمُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ الْفِعْلَ لِأَنَّهُ دَالٌّ  
عَلَيْهِ، فَضَارَ الْفِعْلُ مَوْصًى بِهِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا قَلَمُ﴾ أَيُّ فِي شَهَادَةِ ١٥  
أَوْ [فِي - ٢] حُكْمٍ أَوْ تَوْفِيقٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ﴿فَاعْدِلُوا﴾ أَيُّ  
تَوْفِيقًا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ .

وَلَمَّا كَانَتِ النُّفُوسُ مَجْبُولَةً عَلَى الشَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيبِ قَالَ:

(١) مِنْ ظ، وَفِي الْأَصْلِ: أَشُدَّهُ (٢) فِي الْأَصْلِ وَظ: حُبَّتْ (٣) زَيْدٌ مِنْ ظ.  
(٤) مِنْ ظ، وَالْأَصْلُ: تَوْفِيقٌ (٥) سَقَطَ مِنْ ظ.

(ولو كان) أى المقول فى حقه له أو عليه بشهادة أو غيرها (ذاقربى ع) ولا تحابوه طمعا فى مناصرته أو خوفا من مضارته ؛ ثم ختم بالمهد لجمعه البكل فى القول و الفعل / فقال : ( و بهد الله ) أى الملك الأعظم خاصة (أو فوا) وهذا يشمل كل ما على الإنسان و له ، فان الله لم يفعل شيئا به غير تقدم فيه ؛ ثم أكد تعظيم ذلك بقوله : (ذلكم) أى الأمر المعنى ' به (و تحكم به) أى ربكم المحسن إليكم .

ولما كانت هذه الأفعال و الأقوال شديدا على النفس العدل فيها لكونها ' شهوات ، تقدم بالترغيب فيها و الترهيب منها بأن كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله ، فلذلك حض ١٠ على التذكر فى الوصية بها ولأنها خفية ٢ تحتاج إلى مزيد تدبر فقال : (لعلكم تذكرون لا) أى لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر - ولو على وجه خفى بما أشار إليه الإدغام - فيما جللت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم ، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم .

ولما قرر هذه الشرائع ، نه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعم ١٥ جميع ما ذكر فى السورة بل و فى غيرها ، فقال ' عاطفا على ما تقديره - عاطفا على المنهيات و أضداد المأمورات على وجه يشمل مآثر الشريعة - : ولا تزيغوا عن سبيلى ٤ : (و ان) أى ولأن - على قراءة الجماعة بالفتح ، أى اتبعوه لذلك ، وعلى قراءة ابن عامر و يعقوب بالكسر هو ابتداء

(١) من ظ ، وفى الأصل : المعين (٢) فى ظ : بكونها (٣) من ظ ، وفى الأصل : حقيقة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ .

﴿ هذا ﴾ أى الذى شرعته لكم ﴿ صراطى ﴾ حال كونه ﴿ مستقيما فاتبعوه ج ﴾  
 أى بغيته جهدكم لأنه الجامع للعباد على الحق الذى فيه كل خير .  
 ولما كان الأمر باتباعه متضمنا للنهى 'عن غيره' ، صرح به  
 تأكيدا لأمره فقال: ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ أى المنشعبة عن الأهوية المفرقة  
 بين العباد ، ولذا قال مسيبا ﴿ فترق بكم ﴾ أى تلك السبل الباطلة ه  
 ﴿ عن سبيله ﴾ ٢ ولما مدحه آمرا به ناهيا عن غيره مينا لليلة فى ذلك ،  
 أكد مدحه فقال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم من اتباعه ﴿ وضمكم به ﴾ .  
 ولما كان قد حذر من الزلل عنه ، وكان من المعلوم أن من ضل  
 عن الطريق الأقوم وقع فى المهالك ، وكان كل من ٣ يتخيل أنه يقع فى  
 مهلك يخاف ، قال: ﴿ لعلمكم تتقون ه ﴾ أى اتبعوه واركبوا غيره ليكون ١٠  
 حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك ، وهذا  
 كما مدحه سبحانه سابقا فى قوله " وهذا صراط ربك مستقيما " ، " قد  
 فصلنا الآيت لقوم يذكرون " ، وفصل ما هنا من الأحكام فى ثلاث  
 آيات ، وختم كل آية لذلك بالوصية ليكون ذلك أكد فى القول فيكون  
 أدعى للقبول ، وختم كل واحدة منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا ١٥  
 إلى التذكر فعمل على التقوى .

ولما كانت هذه الآيات الثلاث وافية بالآيات العشر التى كتبها الله

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : على وجه خفى ملبس

كما أشار إليه الادغام (٣) من ظ ، وفى الأصل : شىء (٤) فى ظ : أكد .

لموسى عليه السلام على لوحى<sup>١</sup> الشهادة فى أول ما أوحى إليه فى طور سيناء  
المشار إليها بقوله ” و علمتم ما لم تعلموا اتم ولا ابلؤكم “ و بنى عليها التوراة  
و أمره أن يودعها فى تابوت العهد لتكون<sup>٢</sup> شهادة عليهم و على أعقابهم  
كما هو مذكور فى وسط السفر الثانى من التوراة وقد مضى بيانه فى البقرة  
و بأتى فى آخر هذه المقولة وزائدة عليها من الأحكام و المحاسن ما شاء  
الله ؛ حسن أن تذكر بعدها التوراة ، فقال مشيراً بأداة التراخى إلى كل من  
الترتيب<sup>٣</sup> و التعظيم : ﴿ ثم اتينا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى [تقتضى -<sup>٤</sup>]  
تعظيم ما كان [من -<sup>٤</sup>] عندنا / ﴿ موسى الكتب ﴾ أى المشار إليه بقوله  
تعالى ” قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى “ - وهى - و الله أعلم -

/ ٢٧١

١٠ معطوفة على قوله ” و على الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر “ لأنه تعالى  
بعد أن أعطى موسى العشر الآيات و أعدّه إلى الجبل مواعدة ثانية ، فشرع  
له بعض الأحكام و أمره بنصب قبة الزمان التى<sup>٥</sup> يوحى إليه فيها و يصلون  
إليها ، و ببعض ما يتخذ من آلائها كما مضى فى البقرة ، ثم ذكر بعد  
ذلك يسير تحريم الشحوم عليهم ، فقال فى أوائل السفر الثالث  
١٥ و هو سفر الكهنة ، وفيه تلخيص<sup>٦</sup> أمر القرايين : و دعا الرب موسى و كلمه  
فى قبة الأمد و قال له : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : كل إنسان منكم إذا  
قرب للرب قربانا من البهائم فلتكن قرايينكم<sup>٧</sup> من البقر و من الغنم - إلى  
(١) من ظ ، و فى الأصل : لوح (٢) من ظ ، و فى الأصل : ليكون .  
(٣) من ظ ، و فى الأصل : الترك (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ ، و فى الأصل :  
الذى (٦) من ظ ، و فى الأصل : تخلص (٧) فى ظ : قرايينه .

أن

أن قال<sup>١</sup>: و يقرب قربانا [ للرب الحجاب المبسوط على الاحتشاء و كل  
 الثوب الذي على الأكتاف والكليتين = <sup>٢</sup> ] و الشحم الذي عليهما و على  
 الجنب - إلى أن قال: وقال: الشحوم<sup>٣</sup> للرب عهد الأبد، ولا تأكلوا  
 دما ولا شحما، ثم قال: و كلم الرب موسى وقال له: كلم بني إسرائيل  
 و قل لهم: لا تأكلوا شحم البقر و لا شحم الغنم: الضأن و الماعز جميعا، لأن ه  
 كل من أكل شحم بهيمة و يقرب قربانا للرب، تهلك تلك النفس من  
 شعبها، ولا تأكلوا دما حيث ما سكنتم. لادم البهائم و لادم الطير،  
 و آية<sup>٤</sup> نفس أكلت دما تهلك تلك النفس من شعبها، و قال في السفر  
 الخامس: فأما الدم فلا تأكلوا و لكن ادفقوه على الأرض مثل الماء،  
 ثم قال بعده بقليل: و كلوا في قراكم من كل شهوات أنفسكم، و لكن إياكم ١٠  
 أن تأكلوا دما، لأن دم البهيمة هو في نفسها، فلا تأكلوا النفس<sup>٥</sup>  
 مع اللحم ليحسن إليكم و إلى أولادكم من بعدكم إذا علمتم الحسنة<sup>٦</sup>  
 أمام الله ربكم: رجع إلى السفر الثالث ثم قال: و دخل موسى  
 و هارون إلى قبة الزمان و خرجا و دعوا الشعب، فظهر مجد الرب أمام  
 جميع الشعب، و نزلت نار من قبل الرب فأحرقت الشحم و الذبيحة ١٥  
 الكاملة لله<sup>٧</sup> على المذبح، و عاين ذلك جميع الشعب<sup>٨</sup> و حمدوا الله، و خرّ

(١) من ظ، و في الأصل: تعالى - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقم سقط ما بين  
 الرقين من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: كل (٥) سقط من ظ (٦) زيد  
 بعده في ظ: كل (٧) في ظ: الدم (٨) في ظ: الحسانت.

الشعب كله على وجهه؛ ثم ذكر عقب ذلك بيسير<sup>١</sup> محرمات الحيوان، وكذا ذكر<sup>٢</sup> في السفر الخامس وقد جمعت بينهما ومعظم السياق للخامس: قال: لا تأكلوا شيئاً نجساً، هذا<sup>٣</sup> كلوا من جميع البهائم: الثور: والجل والنعجة والمعز والأيل والظبي<sup>٤</sup> والجودر والرخ والرثم والوعل<sup>٥</sup> والبيثل؛ كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلّفها تجتحر<sup>٦</sup> كلوها، وحرّموا من التي لا تجتحر، ومن التي لها ظلوف مقسومة ولا تجتحر<sup>٧</sup> الجمل والأرنب والوبر التي تجتحر وليس لها أظلاف مقسومة هي نجسة لكم، وفي الثالث: وحرّموا من البهائم التي ليست لها أظلاف التي تجتحر<sup>٨</sup>: الجمل الذي يجتحر وليس له أظلاف هو [نجس - ٦] محرم عليكم، والأرنب الذي يجتحر وليس له [٦ - ٦] أظلاف منجس محرم عليكم؛ رجع: والتحذير الذي له أظلاف ولا يجتحر هو نجس، لا تأكلوا من لحوم هذه ولا تقربوا إلى أجسادها؛ وقال في الثالث: ولا تمسوا لحومها لأنها<sup>٩</sup> نجسة محرمة عليكم؛ وقال في الخامس من ترجمة الاثنين والسبعين: وإياكم أن تأكلوا كل نجس، ويكون الذي تأكلونه من الدواب العجل من البقر<sup>١٠</sup> والخروف من الغنم والجدى من المعز أو الأيل والغزال والعين<sup>١١</sup>

(١) من ظ، وفي الأصل: سر (٢) في ظ: ذكره (٣) من ظ و التوراة، وفي الأصل: الطير (٤) من ظ، وفي الأصل: الفيل، وفي التوراة: البيثل - وهو صحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ . (٧) من ظ، وفي الأصل: لا .



و الوعل و غزال الجبل و البحور و ناقة القمر<sup>١</sup> و الزرافة ، و كل دابة مشقوقة الظلف و هي تنبت أظافير [في -<sup>٢</sup>] كل ظلفها و اجتر من الدواب فإياه فكلوا ، و الذي لا تأكلون منه من الذي يجتر و من المشقوق الظلف الذي ينبت<sup>٣</sup> له أظافير الجمل و الأرنب و اليربوع ، فان ذلك يجتر و لكنه غير مشقوق الظلف ، / و هو لا يحل<sup>٤</sup> لكم ، و الخنزير أيضا فان ظلفه ٥ / ٢٧٢ مشقوق<sup>٥</sup> و ينبت في ظلفه أظافير غير أنه لا يجتر ، و ما لا يجتر فانه لا يحل لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تقربوا أجسادها ؛ و قال في الثالث منها : و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما : كلما بني إسرائيل و قولاً لهما : إن الذي تأكلونه من المواشى من جميع الأنعام التي على الأرض كل بهيمة قد شق ظلفها و<sup>٦</sup> هي تخرج أظفاراً في كلاً ظلفيها و تجتر<sup>٧</sup> ، فذلك ١٠ الذي تأكلونه من الأنعام ، و الذي لا يحل مما يجتر<sup>٨</sup> و لم يشق ظلفه الجمل الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق<sup>٩</sup> فانه غير طاهر لكم ، و اليربوع - و في نسخة : السنجاب - الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق [فانه غير طاهر لكم لم يطهر لكم ، و الأرنب الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم و الخنزير فانه مشقوق -<sup>١٠</sup>] الظلف و يخرج أظفاراً في ظلفه و هو لا يجتر ٩٥ فانه لا يطهر لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تمسوا ما مات منها ، فان

(١) في ظ : الثمر - كذا (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : نبت (٤) من ظ ، و في الأصل : لا تحل (٥) في الأصل و ظ : مشقوقة . (٦-٧) من ظ ، و في الأصل : هو يخرج (٧) من ظ ، و في الأصل : كل (٨) في الأصل و ظ : يجتر (٩) في ظ : لا يجتر .

ذلك لا يطهر لكم؛ رجع إلى نسختي، ثم ذكر في الطير ودواب البر قريبا  
 ما في ' شرعنا إلى أن قال: ولا تأكلوا أشياء نجسة بل ادفعوها إلى  
 السكان الذين في قراكم يأكلونها أو يبيعونها' من الغرباء، لأنك شعب  
 طاهر لله ربك لا تطبخوا جدبا بلبن أمه؛ وقال في ترجمة الاثنين والسبعين:  
 ٥. ولا تطبخ الحروف بلبن أمه؛ وقال في السفر الخامس: وكلوا من الطير  
 ما كان زكيا وحرموها هذه التي أصف لكم، لا تأكلوا منها شيئا: النسر  
 والحدهاء - وذكر نحوها بما عندنا، وقال في نسختي في الثالث: فمن مس  
 شيئا من هذه - أي المحرمات - يكون نجسا إلى المساء، ومن حمل منها  
 شيئا فليفسل ثيابه ويكون نجسا إلى الليل - انتهى . الظبي - بالمعجمة  
 ١٠. المشاركة<sup>٢</sup> - معروف، والجوزر - بفتح الجيم والذال المعجمة [والراء -<sup>٤</sup>]:  
 البقرة الوحشية، والرثم - بكسر المهملة: الظبي الخالص البياض، والثيل -  
 بمثلثين مفتوحين بينهما ياء تحتانية ساكنة: بقر الوحش، والآيل - بفتح  
 الهمزة وكسر التحتانية المشددة، الوعل - بفتح الواو وكسر المهملة - وهو  
 تيس الجبل، والحمل - بفتح المهملة: الرضيع من أولاد الضأن، وقوله:  
 ١٥. لا تطبخوا جدبا بلبن أمه، الظاهر أن معناه النهي عن أكله ما دام يرضع،  
 وما بعد الذي في الثالث هو معظم التوراة، والذي في الخامس إنما هو  
 إعادة لما في الثالث، فإن الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص  
 والأحكام مع زيادات، فصدق أن إتياء الكتاب أتى معظمه بعد  
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: يتبعونها (٣) من ظ، وفي الأصل:  
 المشاة - كذا (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

تحريم ما حرم عليهم ، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره : ذلكم وصاكم به كما وصى نبي إسرائيل في الفصل الذى نسبته من التوراة كنسبة أم القرآن من القرآن ، وذلك هى العشر الآيات التى<sup>١</sup> هى أول ما كتبه الله لموسى عليه السلام ، وهى أول التوراة فى الحقيقة لأنها أول الأحكام ، وما قبلها فهو قصص وحاصل هـ هذه العشر<sup>٢</sup> [ آيات - ٤ ] : الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر من العبودية والرق ، لا يكون<sup>٣</sup> لك إله غيرى ، لا تقسم باسمى كذبا ، احفظ يوم السبت ، أكرم والديك ، لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تمدن عينيك<sup>٤</sup> إلى ما فى أيدي الناس ، فالمنى : ذلك وصيناكم به كما وصينا نبي إسرائيل به فى العشر الآيات<sup>٥</sup> وبعض ما آتينا<sup>٦</sup> موسى من التوراة ، ويجوز أن يكون التقدير : لكون هذه الآيات<sup>٧</sup> محكمة فى كل الشرائع لم تنسخ فى أمة من الأمم ولا تنسخ<sup>٨</sup> ، وصاكم به يا نبي آدم فى الزمن الاقدم ، ولم يزد الأمر بها فى التوصية إلا شدة "ثم آتينا" أى بما لنا من العظمة "موسى الكتب" أى جميعه وهى فيه ، حال كونه (تماما) لم ينقص عما يصلحهم شيئا (على) الوجه ١٥ (الذى أحسن) أى [ آتى - ١ ] بالإحسان فأثبت الحسن وجمعه بما بين (١) فى ظ : الذى (٢) زيد بعده فى ظ : سبب - كذا (٣) من ظ ، وفى الأصل : العشرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يكون (٦) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ . (٨) من ظ ، وفى الأصل : لا ينسخ (٩) زيد من ظ .

من الشرع و بما حى طوائف / أهل الأرض به من الإهلاك<sup>٢</sup> بعامه ،  
 فانه نقل أن الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد<sup>٣</sup> إزال التوراة<sup>٤</sup>  
 (و تفصيلا لكل شيء) من جملة ذلك الفصل المحتوى على الكلمات العشر  
 الحاوية لكل شيء يحتاج إليه من أمر الدين و الدنيا ، كما أن القرآن  
 تفصيل لكل شيء من الجوامع السبع التى حوتها أم القرآن الحاوية  
 لمصالح الدارين ، وفى هذين الاحتمالين المقتضيين لكون "ثم" على حقيقتها  
 من الترتيب و المهلة علم من أعلام النبوة ، وهو الاطلاع على أن العشر  
 الآيات و تحريم ما حرم عليهم بالبعى فى أوائل ما أوحى إلى موسى عليه السلام  
 بعد إغراق فرعون و أن معظم التوراة<sup>٥</sup> أنزل بعد ذلك ، وهذا لا يعرفه  
 ١٠ إلا أحبارهم (و هدى) أى بيانا (ورحمه) أى إكراما لمن يقبله و يعمل به  
 (لعلهم) أى بنى إسرائيل (بلقاء ربهم) أى الذى أخرجهم من مصر  
 من العبودية و الرق بقوته العظيمة و كلماته التامة (يؤمنون ع) أى ليكون  
 حالهم بعد إزال الكتاب - لما يرون من حسن شرائعه<sup>٦</sup> و فخامة كلامه  
 و جلالة أمره - حال من يرجى أن يحدد الإيمان فى كل وقت بلقاء ربه  
 ١٥ لقدرة على البعث الذى الإيمان به نهاية تصديق الانبياء لانه [ لا - ' ]  
 تستقل به العقول ، وإنما يثبت<sup>٧</sup> بالسمع مع تجويز العقل له ، فيعملوا  
 أنه لا يشبهه شيء كما أن كلامه لا يشبهه كلام فلا ييغوا باتخاذ عجل غاية  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : أهلاك (٢) من ظ ، وفى الأصل : عند (٣) من ظ ،  
 وفى الأصل : السورة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : سابقه (٦) من ظ ،  
 وفى الأصل : ثبت .

أمره خوار لا يفهم وجمجمة لا تفيد .

فلما بين<sup>١</sup> أن إنزال الكتب رحمة منه لأن غايتها الدلالة على منزلها  
فتمثل<sup>٢</sup> أوامره وتتق<sup>٣</sup> مناهيه وزواجره، بين أنه لم يخص تلك الأمم  
بذلك، بل أنزل على هذه الأمة كتابا ولم يرض لها كونه مثل تلك  
الكتب، بل جعله أعظمها بركة وأبينها دلالة، فقال: ﴿ وهذا ﴾ أى ٥  
القرآن ﴿ كتب ﴾ أى عظيم ﴿ أنزلته ﴾ أى بعظمتنا إليكم بلسانكم حجة  
عليكم ﴿ منرك ﴾ أى ثابت كل ما فيه من وعد ووعد وخير وغيره  
ثباتا لا يمكن إزالته مع اليمين والخير .

ولما كان هذا معناه: وكان داعيا إليه محببا فيه، سبب عنه قوله:

﴿ فاتبعوه ﴾ أى، ليكون جميع أموركم ثابتة ميمومة، ولما أمر باتباعه ١٠  
وكان الإنسان ربما تبعه في الظاهر، أمر بإيقاع التقوى المصححة للباطن  
إيقاعا عاما، ولذلك حذف الضمير فقال: ﴿ واتقوا ﴾ أى ومع ذلك  
فأوقعوا التقوى، وهى إيجاد الوقاية من كل محذور، فإن الخطر الشديد  
والسلامة<sup>٤</sup> على غير القياس، فلا تزايلوا الخوف من منزله بمجهودكم، فإن  
ذلك أجدر أن يحملكم على تمام الاتباع وإخلاصه ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ ١٥  
أى ليكون حالكم حال من يرجى له الإكرام بالعطايا الجسام، والآيتان  
ناظرتان إلى قوله [ تعالى " قل من أنزل الكتب الذى جاء به موسى -  
إلى قوله - " ]: وهم على صلاتهم يحافظون<sup>٥</sup>، ثم بين المراد من إزاله

(١) فى ظ: تبين (٢) من ظ، وفى الأصل: فيمثل (٣) من ظ، وفى الأصل:  
يتق (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: لا يمكن (٦-٧) سقط ما بين  
الرفين من ظ (٧) زيد من ظ .

و هو إقامة الحجة البالغة فقال: ﴿ان﴾ أى لان لا ﴿تقولوا﴾ أو كراهة  
 أن تقولوا أتيتها الامة الامية ﴿انما انزل الكتب﴾ أى الربانى المشهور  
 ﴿على طائفتين﴾ و قرب الزمن و بعضه بادخال الجار فقال:  
 ﴿من قبلنا﴾ أى اليهود و النصارى ﴿وان﴾ أى و أنا - أو و أن  
 هـ الشأن - ﴿كنا عن دراستهم﴾ أى قراءتهم لكتابهم قراءة مرددة<sup>٢</sup>.  
 و لما كانت هى المخففة أتى باللام الفارقة بينها و بين النافية فقال:  
 ﴿لغفلين لا﴾ أى لا نعرف حقيقتها ولا ثبتت عندنا حقيقتها [ولا هى بلساننا-<sup>٣</sup>  
 ﴿او تقولوا﴾ أى أبها العرب: لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا  
 عالمين بها، ولكنه لا يجب اتباع الكتاب إلا على المكتوب إليه  
 ١٠ فلم يتبعه، و ﴿لو انا﴾ أهلنا لما أهلوا له حتى ﴿انزل علينا الكتب﴾ أى جنسه  
 أو الكتاب الذى أنزل إليهم من عند ربنا ﴿لكننا اهدى / منهم﴾ أى  
 لما لنا من الاستعداد بوفور العقل و حدة الاذهان و استقامة الافكار  
 و اعتدال الامرجة و الإذعان للحق، و لذلك سبب عن هاتين العلتين  
 قوله: ﴿فقد جاءكم﴾ و ذكر الفعل مدحا لهذا القرآن و تفضيلا و تشريفا له  
 ١٥ على كل ما تقدمه [و تنيها على أن يبان هذه السورة فى النهاية لانها  
 سورة أصول الدين-<sup>٢</sup>] ﴿بين﴾ أى حجة ظاهرة بلسانكم ﴿من ربكم﴾  
 أى المحسن إليكم على لسان رجل [منكم-<sup>٢</sup>] تعرفون أنه أولاكم بذلك  
 ﴿وهدى﴾ أى يبان لمن تدبره عظيم<sup>٤</sup> ﴿و رحمة﴾ أى إكرام لمن قبله،  
 (١) من ظ، و فى الأصل: اى (٣) فى خط تنمودودة (٣) زيد ملائين الحاجزين  
 من ظ (٤) فى الأصل و ظ: فلم يتبعه (٥) سقط من ظ

فكذبتم بها .

و لما قامت عليهم الحجة ، حسن وقوع [ تحذير - ١ ] التقرير بقوله ٢ :  
 ﴿ فن ﴾ أى قتسب ٣ عن تكذيبكم أنه يقال يانا لأنكم أظلم الناس : من  
 ﴿ اظلم من كذب ﴾ [ أى أوقع التكذيب - ١ ] ﴿ بايئت الله ﴾ أى الذى  
 لا أعظم منه فلا أعظم من آياته ، لأن الأثر على قدر المؤثر ﴿ و صدف ﴾ ه  
 أى أعرض [ إعراضا صار به كأنه فى صدف أى سد عن سهولة الانقياد  
 للدليل - ١ ] ﴿ عنها ١ ﴾ [ بعد ما عرف صحتها - ١ ] .

و لما كان الجواب قطعا : لا أحد أظلم منه ، فكان الحال مقتضيا  
 لتوقع ما يجازى به ، قال : ﴿ سنجزى ﴾ أى بوعد صادق لا خلف فيه ،  
 و أظهر ما أصله الإضممار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [ فقال - ١ ] : ١٠ :  
 ﴿ الذين يصدفون ﴾ أى يحددون الإعراض و لا يتوبون ﴿ عن آيتنا ﴾ أى  
 على ما لها ١ من العظمة ﴿ سوء العذاب ﴾ أى الذى يسوء نفسه ١  
 ﴿ بما كانوا يصدفون ه ﴾ أى بسبب إعراضهم الذى كان عادة لهم .

و لما كان أسوء السوء حقوق العذاب ٢ ، و كان حقوقه بعدم قبوله  
 التوبة ، فيمره بقوله مهونا له ٤ و مسهلا بتجريد الفعل : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ١٥  
 ما ينظرون هؤلاء المكذبون أدنى انتظار و أقرب و أيسره ﴿ إلا ان تاتيهم ﴾  
 [ أى حال تكذيبهم - ١ ] ﴿ الملتصكة ﴾ أى بالامر الفیصل من عذابهم

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقوله (٣) من ظ ،  
 وفى الأصل : تحسب (٤) من ظ ، وفى الأصل : قيد (٥) من ظ ، وفى الأصل :  
 لنا (٦) فى ظ : منه (٧) من ظ ، وفى الأصل : عذاب (٨) سقط من ظ .

كما هي عادتها في إتيانها المكذبين ﴿او يأتى ربك﴾ أى ظهور أمر المحسن إليك أتم ظهور بجميع الآيات التى تحملها العقول - وذلك يوم الجزاء ﴿او يأتى﴾ وأبهم تهويلا للأمر وتعظيما فقال: ﴿بعض أئنت ربك﴾ أى أسراط الساعة التى يكون فيها ظهوره التام وإحسانه إليك الأعظم  
 ٥ مثل دابة الأرض التى تميز الكافر من المؤمن و طلوع الشمس من مغربها المؤذن باغلاق باب التوبة ؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ثم قرأ الآية .

١٠ ولما كان إتيان الملائكة - أى كلهم - أمرا لا يحتمل العقول وصف عظمتها، ولا بشرى للجرمين عند رؤيته، فانه لو وقع على صورتهم لتقطعت أوصالهم ولم يحتمله قواهم فقضى الأمر ثم لا ينظرون، وأما تجلى الرب سبحانه وعز اسمه وجلت عظمتها

فالأمر أعظم من مقالة قاتل إن رقق البلاء أو<sup>٢</sup> إن غفموا

١٥ ترك ما يترتب عليه وقال: ﴿يوم يأتى﴾ [أى يكشف ويظهر -<sup>١</sup>] ﴿بعض أئنت ربك﴾ أى المحسن إليك بالإتيان بذلك تصديقا لك وترويعا وتدميرا لمخالفك ﴿لا ينفع نفسا﴾ أى كافرة ﴿إيمانها﴾ أى إذا ذاك، ولا نفسا مؤمنة كسبها الخير إذا ذاك فى إيمانها المتقدم على تلك الآية [بالتوبة فما وراءها -<sup>٤</sup>]، ولذلك بينه بقوله واصفا نفسا: ﴿لم تكن﴾

(١) من ظ، وفى الأصل: تكون (٢) فى ظ: لم تحتمله (٣) من ظ، وفى الأصل «و» (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٥) سقط من ظ .



أى الكافرة ﴿أمنت﴾ و يسر الأمر ببعض زمان<sup>١</sup> القبل ، ولم يكلف<sup>٢</sup> باستغراقه بالإيمان<sup>٣</sup> فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل<sup>٤</sup> مجيء الآية فى زمن<sup>٥</sup> متصل بمجيئها<sup>٦</sup> .

ولما ذكر الكافرة ، أتبعها المؤمنة فقال عاطفا على "أمنت": ﴿أو﴾  
لم تكن المؤمنة العاصية ﴿كسبت﴾ [أى من قبل -<sup>١</sup>] ﴿فى إيمانها﴾<sup>٥</sup>  
أى السابق على مجيء الآية ﴿خيرا<sup>١</sup>﴾ أى توبة ، وبعبارة أخرى: نفسا  
كافرة<sup>٢</sup> إيمانها المجدد بعد مجيء الآية ، وهو معنى "لم تكن أمنت من قبل"  
أو نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجيء الآية ما لم تكن كسبت / فى إيمانها<sup>٢٧٥ /</sup>  
السابق على الآية خيرا ، والحاصل أنه لا يقبل عند ذلك إيمان كافر ولا  
توبة فاسق - كما قاله البغوى - لأن المقصود من التصديق والتوبة الإيمان<sup>١٠</sup>  
بالغيب وقد فات بالآية الملجئة ، فيكون فاعل الفعل المقدر فى "كسبت"  
مخدروفا ، والتقدير: لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ، أو لم تكن كسبت  
فى إيمانها خيرا إيمانها و كسبها ، فالإيمان راجع إلى من لم يؤمن ، والكسب  
راجع إلى من لم يكسب ، وهو ظاهر ، والتهديد بعدم نفع الإيمان  
عند مجيء الآية أعظم دليل على ما ذكرته من التقدير ، والآية من الاحتباك: ١٥  
ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية ، وذكر جلتى  
"أمنت و كسبت" ثانيا دال على حذف كافرة ومؤمنة أولا .

ولما كان هذا تهديدا - كما ترى - هائلا ، أتبعه ما هو أشد منه للتنبيه

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) فى ظ : باستغراق الإيمان (٣ - ٣) من ظ ، وفى الأصل :  
مستقبل مجيئها (٤) زيد من ظ .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٦: ١٥٨ و ١٥٩) ج - ٧

على أن أهل الإيمان سالمون من ذلك بقوله: ﴿قل انتظروا﴾ أى بغاية جهدكم أيها المكذبون ﴿'انا منتظرون' هـ﴾ بجهدنا، و ستعلمون لمن تكور العاقبة .

ولما نهى عن اتباع السبل<sup>٢</sup> لأنها سبب التفرق عن الحق، و كان قد كرر<sup>٣</sup> فى هذه السورة<sup>٤</sup> نصب الحجج و إنارة الأدلة و إزاحة الشكوك و محو آثار الشبه، و أشرفت السورة على الانقضاء . و كان من المعلوم قطعاً أن الحق - من حيث هو حق - شديد التأثير فى إزهاق الباطل<sup>٥</sup> فكيف إذا كان كلام الملك الذى لا يخالف أمره و لا يخرج عن إرادته؛ اشتد استشراف<sup>٦</sup> النبي صلى الله عليه و سلم إلى رؤية ذلك الأثر مع ما عنده

١٠ من الحرص على إسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموماً و عليهم خصوصاً، و إنما يكون ذلك الأثر بإيجاد هدايتهم و محو غوايتهم، فلما ختم سبحانه بهذين التهديدين العظيمين الدالين على غشاوتهم، فاته<sup>٧</sup> صلى الله عليه و سلم بما كان رجاء من هدايتهم أمر كأنه [كان -<sup>٨</sup>] قد حصل، و ذلك مورث للشفوق من الأسف [على -<sup>٩</sup>] ما لا يدرى

١٥ قدره و لا يوصف خبره، فثبت سبحانه و سلاه بقوله: ﴿ان الذين فرقوا﴾ أى بعد إبلاغك إياهم ﴿دينهم﴾ أى بتكذيبهم ببعض آيات الله و صدوفهم<sup>١٠</sup> عنها و إيمانهم ببعضها فقارقوه، لأن الكفر ببعضه كفر ب كله، و أضيف الدين إليهم لشدته<sup>١١</sup> رغبتهم فيه و مقاتلتهم عليه<sup>١٢</sup>؛

(١ - ١) - سقط ما بين الرقین من ظ (٢) فى ظ : الرسل (٣) فى ظ : ذكر .  
(٤) - سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ : فاته (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : صدوفهم (٨) من ظ، و فى الأصل : شدة .

وكانوا

( و كانوا شيعة ) كل فرقة تشايح و تشيع إمامها كالعرب الذين تحزبوا  
أحزابا بالاستكثار من الأصنام ، فكان في كل قطر لهم معبود أو اثنان  
فأكثر ، و كأهل الكتاب الذين ابتدعوا في دينهم بدعا أوصلتهم إلى  
تكفير بعضهم بعضا و آمنوا ببعض الأنبياء و كفروا ببعض . و كالمجوس  
الذين مزقوا دينهم باعتقاد أن الإله اثنان : النور و الظلمة ، و عبدوا  
الأصنام و النجوم و جعلوا لكل نجم صنما يتوسل به في زعمهم إليه  
( لست منهم ) أى من حسابهم و لا [ من - ' ] عقابهم و لا من  
خلق الهداية في قلوبهم ( في شيء ) و في هذا غاية الحث على الاجتماع  
و نهاية التواعد على الافتراق .

و لما خفف عنه صلى الله عليه وسلم بترته منهم ، أسند إلى نفسه ١٠  
المقدس ما يحق له في إحاطة علمه و قدرته ، فقال جوابا لمن يقول :  
قالى من يكون أمرهم ؟ ( إنما أمرهم ) أى فى ذلك كله و فى كل ما يتعلق  
بهم ، لا يحصره حد و لا يحصيه عد ( الى الله ) أى الملك الذى  
لا أمر لأحد معه<sup>٢</sup> غيره ، فمن شاء هداه و من شاء أعماه ،<sup>٢</sup> و من شاء  
أهلكه و من شاء أبقى<sup>٢</sup> لأن له كمال العظمة .

١٥

و لما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله فى الرتبة و فى الزمان ،  
لا تبلغ كنه عظمتة العقول ، نه على ذلك بالتعبير بأداة التراخي و التنيه

( ١ ) زيد من ظ ( ٢ ) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ  
لحذفها ( ٣-٣ ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

٢٧٦ / [ بقوله - ١ ] : ( ثم ) بعد استيفاء ما ضرب لهم / من الآجال ( بنبتهم )  
 أى تنبت<sup>٢</sup> عظيمة جليلة<sup>٣</sup> مستقصاة بعد أن يحشرهم إليه داخرين ( بما كانوا )  
 [ أى جبلة و طبعاً - ١ ] ( يفعلون ) [ أى - ١ ] من تلك الأشياء<sup>٢</sup> القبيحة  
 التى كان لهم إليها أتم<sup>٤</sup> داعية غير متوقفين فى إصدارها على علم مع ادعاء  
 ٥ التدين بها ، \* و الآية \* - مع ما تقدم من مقتضياتها<sup>٦</sup> - تعليل لقوله  
 \* و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سيله \* .

و لما أخبر أن أمرهم ليس إلا إليه ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل بهم  
 حيثئذ ؟ فأجيب بقوله : ( من جاء ) أى منهم أو من غيرهم ( بالحسنة ) أى  
 الكاملة بكونها على<sup>١</sup> أساس الإيمان ( فله ) من الحسنات ( عشر أمثالها )  
 ١٠ كرماً و إحساناً و جوداً و امتناناً ، يجازيه بذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ،  
 و هذا المحقق<sup>٢</sup> لكل أحد و يزداد<sup>٣</sup> البعض<sup>٤</sup> وضوحاً بحسب النيات ، و ذكر  
 العشر ، لأنه بمعنى الحسنة ، و هو مضاف إلى ضميرها . و لما تضمن قوله  
 " و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط " مع تعقيه بقوله " لا تكلف نفساً "  
 الا وسعها " الإشارة إلى أن المساواة فى الجزاء<sup>١</sup> " بما ينقطع " دونه أعناق  
 ١٥ الخلق ، أخبر أن ذلك عليه هين لأن عليه شامل و قدرته كاملة بقوله :

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : عظيم جليل (٣) فى ظ :  
 الاسباب (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .  
 (٦) فى ظ : فيضاتها (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) من ظ ، و فى الأصل :  
 لتحقق (٩) فى ظ : يزداد (١٠) زيد فى ظ : ببعض (١١-١١) فى ظ : لا تكلف نفس .  
 (١٢-١٢) من ظ ، و فى الأصل : بما ينقطع .

﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ أى أى شئ . كان من هذا الجنس ﴿ فلا يحزى ﴾  
 أى فى الدارين ﴿ الا مثلها ﴾ [ إذا جوزى ، ويعفو عن كثير - ١ ] .  
 ولما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه وإن كانت ظاهرة  
 فى ذلك ولا سيما فى هذه العبارة ، صرح بما هو ظاهره لأنه أطيب للنفس  
 وأسكن للروح فقال : ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أى بكونها مثلها فى الوحدة .  
 وإن كانت أكبر أو من جنس أشد من جنسها ونحو ذلك ، بل المماثلة  
 موجودة فى الكم والكيف <sup>٢</sup> ، فلا ينقص أحد فى ثواب ولا يزداد  
 [ فى - ١ ] عقاب .

ولما تضمن ماضى تصحيح التوحيد بالأدلة القاطعة وتحقيق أمر  
 القضاء والقدر وإبطال جميع أديان الضلال وصفها بتفرق أهلها الدال ١٠  
 على بطلانها واعوجاجها ، وختم بهذا التحذير الذى لا شئ أقوم منه  
 ولا أعدل ، أمره صلى الله عليه وسلم بالإعلان بأمره وأن يصف دينه  
 الذى شرعه له<sup>١</sup> وهداه إليه بما فيه من المحاسن تحييا فيه وحثا عليه ولأن  
 ذلك من نتيجة هذه السورة فقال : ﴿ قل ﴾ وأكد بالإتيان بالنونين  
 فقال : ﴿ انى هدنى ﴾ أى يانا وتوفيقا ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى بكل ١٥  
 خير لا سيما هذا الذى أوحاه إلى وأنزله على ﴿ الى صراط مستقيم ﴾  
 أى طريق واسع بين ، ثم مدحه بقوله : ﴿ دينا قيما ﴾ أى بالغ الاعتدال  
 والاستقامة ثابته ، هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو بفتح

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أكثر (٣) فى ظ : الكيل (٤) فى ظ : لامته .  
 (٥) تأخر فى الأصل عن « واسع بين » والترتيب من ظ .

نظم الدرر (سورة الانعام ٦: ١٦١ - ١٦٣) ج - ٧

القاف و تشديد الياء المكسورة<sup>١</sup> ، وهو<sup>٢</sup> في قراءة الباقيين بكسر القاف  
 وفتح الياء الخفيفة مصدر بمعنى القيام وصف به للبالغة ، وزاده مدحا  
 بقوله مذكرا لهم - لتقليد الآباء - بأنه دين أيهم الأعظم : ﴿ مله ابراهيم ﴾  
 والملة ما أظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما ألزمه الناس من عوائد  
 ه أمر الدنيا - أفاده الحرالي . و لذلك قال : ﴿ حنيفا ج ﴾ أى لنا هينا  
 سهلا قابلا للاستقامة لكونه<sup>٣</sup> ميلا مع الدليل غير جاف ولا كز واقف  
 مع التقليد عمى عن نور الدليل - كما تقدم ذلك في البقرة ، وهو معنى  
 قوله : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنه ما<sup>٤</sup> ﴿ كان من المشركين ه ﴾ أى الجامدين  
 مع أوهامهم في ادعاء شريك لله مع رؤيتهم له في كونه لا يضر ولا ينفع  
 ١٠ ولا يصلح لشركه آدمى فضلا عن غيره بوجه ، لا ينقادون لدليل ولا يصغون  
 إلى قيل ، فكان<sup>٥</sup> هذا مدحا لهذا الدين الذى هدى إليه صلى الله عليه وسلم  
 ويانا لأنه الذى اختاره سبحانه لخليله إبراهيم عليه السلام رجوعا إلى<sup>٦</sup>  
 ” واذ قال ابراهيم لايه ازر “ الذى بنيت السورة فى الحقيقة عليه ،  
 وألقيت / أزمة أطرافها إليه ، وترغيبا فى هذا الدين لأن جميع المخالفين  
 ١٥ يتشبثون بأذيال إبراهيم عليه السلام : العرب و أهل الكتابين بنسبة الأبوة ،  
 والمجوس بنسبة البلد والأخوة ، وأشار بذلك إلى أن محمدا صلى الله  
 عليه وسلم فهم<sup>٧</sup> ما حاج به أبوه إبراهيم عليه السلام قومه وقبله<sup>٨</sup> ، فلم ينسب  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : مكسورة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى  
 الأصل : بكونه (٤) من ظ ، وفى الأصل : وكان (ه) من ظ ، وفى  
 الأصل : قلبه .

كغيره إلى جهود ولا عناد .

ولما كان [ كأن - ١ ] سائلاً قال : و<sup>٢</sup> ما هذه الملة التي تكرر مدحها  
والدعاء إليها ؟ أجب بقوله ليتأسى به أهل الإيمان ، فليتزموها جميع  
ما يدعوا إليه على وجه<sup>٣</sup> الإخلاص : ﴿ قل ان صلاتي ﴾ أي التي هي لباب  
الدين و صفاته<sup>٤</sup> ﴿ ونسكي ﴾ أي جميع عبادتي من الذبائح وغيرها ه  
﴿ ومحياي ﴾ أي حياتي وكل ما يجمعه من زمان ومكان وفعل ﴿ ومماتي لله ﴾  
أي الملك الأعظم الذي لا يخرج شيء عن أمره ؛ و [ لما - ٤ ] علم بالاسم  
الأعظم أنه يستحق ذلك لذاته ، أعلم أنه يستحقه من كل أحد لإحسانه  
إليه وإنعامه عليه فقال : ﴿ رب العلمين ٥ ﴾ الموجد والمدير والموعى<sup>٦</sup> لهم .  
ولما أعلم أنه يستحقه لذاته و وصفه ، أعلم أنه يستحقه وحده ١٠  
فقال : ﴿ لا شريك له ج ﴾ أي<sup>٧</sup> ليكون لشريكه [ على زعمكم شيء - ٤ ] من  
العبادة لما<sup>٨</sup> كان له شيء من الربوبية ، فأبان بهذا أن وجهه صلى الله عليه  
وسلم ووجه من تبعه واحد لا افتراق فيه<sup>٩</sup> ، وهو قصد الله وحده على  
سبيل الإخلاص كما أنه يوحد<sup>١٠</sup> بالإحياء والإماتة فينبغي أن يوحد بالعبادة .  
ولما دل على ذلك ببرهان العقل ، أتبعه بحجزم النقل فقال [ عاطفا ١٥  
على ما تقديره : إلى ذلك أرشدني دليل العقل - ٤ ] : ﴿ وبذلك ﴾  
أي الأمر العالي من توجيه أموري<sup>١١</sup> إليه على وجه الإخلاص .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : صفاته -  
كذا (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ ، وفي الأصل : المذل - كذا (٦) في ظ : ان .  
(٧) من ظ ، وفي الأصل : منه (٨) في ظ : توحد (٩) من ظ ، وفي الأصل : امرى .

[ ولما كان له سبحانه في كل شيء آية تدل على أنه واحد ، فكان كل شيء آمرا بالتوحيد بلسان حاله أو ناطق بآله ، نبى للفعول قوله - ' ] :  
 ( امرت ) [ أى - ' ] يعنى أن هذا الدين لو لم يرد به أمر كان ينبغي للعاقل أن يدين به ولا يعدل عنه لشدة ظهوره و انتشار نوره بما قام عليه من الدلائل و درج على اتباعه من الأفاضل و الأماثل ، فكيف إذا برزت به الأوامر الإلهية و دعت إليه الدواعى الربانية ( وانا أول المسلمين )  
 أى المتفادين لما يدعو إليه داعى الله فى هذا الدين ، لا اختيار لى أصلا ، بل أنا مسلوب الاختيار فيه منقاد أتم انقياد ، وهذه الأولوية على سبيل الإطلاق فى الزمان و الرتبة بالنسبة إلى أمته صلى الله عليه و سلم و فى الرتبة بالنسبة إلى من تقدمه من الأنبياء و غيرهم ، و هذا أيضا من باب الإحسان فى الدعاء بالتقدم إلى ما يدعو إليه و أن يجب للدعو ما [ يجب - ' ] لنفسه ليكون أنفى للتهمة و أدل على النصيحة فيكون أدعى للقبول .

ولما حاجوه فى الشرك فى هذه السورة غير مرة كما حاج إبراهيم عليه السلام قومه ، و كان آخر ذلك أن دعاهم صلى الله عليه و سلم إلى تلاوة ما أنزل عليه سبحانه فى تحريم الشرك و شرح دينه القيم ، ثم كرر هنا ذمهم بالتفرق الدال على الضلال و لابد ، و مدح دين الرسل الذى تقدم أنهم لم يختلفوا<sup>٢</sup> فيه أصلا ، و أياس الكفار من موافقته صلى الله عليه و سلم لهم نوعا من الموافقة و ميله معهم شيئا من الميل ، أمره

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و القرآن الكريم و فى الأصل: من (٣) من ظ ، و فى الأصل: لم يخلفوا (٤) من ظ ، و فى الأصل: اليهم .



سبحانه - بعد أن ثبت بأول السورة و أثنائها و آخرها أنه لا رب غيره -  
 بالإنكار على من يريد منه ميلاً إلى غير من تفرد بمجياه و بماته ، فكان  
 له التفرد بما بينهما و ما بعد ذلك من غير شبهة ، و التوبيخ الشديد فقال :  
 ﴿ قل ﴾ أي هؤلاء الذي يطمعون أن تظرد أصحابك من أجلهم  
 ﴿ اغير الله ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿ اغير ﴾ أي أطلب و أر يد بالإشراك ه  
 فان الفنى المطلق لا يقبل من أشرك به شيئاً ﴿ ربا ﴾ أي منما يتولى  
 مصالحى كما يقيم أتم ، فهو تعريض بهم و تنبيه لهم ، و الإستناد إليه  
 صلى الله عليه وسلم = و المراد جميع الخلق - من باب الإنصاف فى المناظرة  
 للاستعطاف ﴿ و هو ﴾ أي و الحال أنه كما ثبت بالقواطع و ركز فى  
 العقول الثواب و طبع / فى أنوار الأفكار اللوامع ﴿ رب كل شئ ﴾ ١٠ / ٢٧٨  
 أى موجد و مربية ، أفينفى لاحد أن يدين لغير سيده و ذلك الغير  
 محبوب مثله لسيدته ، هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه .

و لما أنكر على من ينجح إلى غيره مع عموم بره و خيره ، أتبعه  
 الترويع من قويم عدله فى عظيم ضره فقال : ﴿ ولا ﴾ أى و الحال أنه  
 [ لا - ١٠ ] ﴿ تكسب كل نفس ﴾ أى ذنبا و إن قل مع التصميم و العزم ١٥  
 القوى الذى هو بحيث يصدقه العمل - كما مضى فى آية البقرة ﴿ الا عليها ﴾  
 أى لا يمكن أن يكون باطلا لا عليها و لا على غيرها ، وإذا كان عليها

(١) من ظ ، و فى الأهل : الميل (٢) فى ظ : لا يقبله (م) فى ظ : الاستناد ،  
 (٤) زيدت الواو بعده فى الأهل ، و لم تكن فى ظ فخذناها (ه) زيد من ظ .

نظم الدرر (سورة الأنعام ٤: ١٦٤ و ١٦٥) ج = ٧

لا يمكن<sup>١</sup> أن يحاسب به سبحانه شواها لأنه عدل حكيم فكيف أدعو غيره  
دعاء جليلاً أو خفياً وذلك أعظم الذنوب<sup>٢</sup> ! والتفكير من الشرك الحقني  
بالبراء وكل معصية وإن صغرت<sup>٣</sup>، جرد الفعل عن الافتعال لثلاثتهم  
أنه لا يكون عليها إلا [ ما - ٢ ] بالفت<sup>٤</sup> فيه، والسياق هنا واضح في  
ه أن الكسب مقيد بالذنوب فإنه في دعاء غير الله وآية البقرة للإيمان إلى  
الذنوب [ الذي - ٥ ] لا يقع<sup>٦</sup> إلا بشهوة شديدة من النفس له طبعها على  
التقائص، فهي لا تنافي هذه لأن ما كسبه من الذنوب قد علم من ثم<sup>٧</sup>  
أنه اكتساب<sup>٨</sup>، وأحسن من هذا أن يقال: ولما كان المعنى أني إن بغيت  
ربا غيره وكلفني إلى ما توليته، وأنا إنسان والإنسان مطبوع على التقائص  
١٠ فهلك، عبر عنه بقوله مجردا للفعل لقصد العموم: "ولا تكسب كل  
نفس" بما هي نفس ناظرة في نقاستها معرضة عن رباها موكولة إلى حولها  
وقوتها "الا عليها" ولا يحمل عنها غيرها شيئا من وزرها؛ ولما كان  
ربما حمل أحد عن غيره شيئا من أثقاله مساعدة له، نفى ذلك بقوله:  
(ولا تزر وازرة حمل أي تحمل حاملة ولو كانت والدا أو ولدا (وزر)  
١٥ أي إثم (أخرى ج) "وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء  
ولو كان ذا قربي"<sup>٩</sup>، فإذا كان الأمر كذلك فلا يحمل بعاقل أن يعرض  
نفسه لحمل شيء من غضب هذا الملك الذي لا شريك له وإليه المرجع  
(١) في ظ: لا ينبغي (٢) زبدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ لحذفها.  
(٣) زيد من ظ (٤) في ظ: بلغت (٥) زيد لاستقامة العبارة (٦-٧) -حقط ما بين  
الرقين من ظ (٧) من ظ: وفي الأصل: اكتسب (٨) -سورة ٢٥ آية ١٨-  
وإن

وإن طال المدى .

ولما عم في الكسب وحمل الوزر لئلا يقول متعنت أن خص هذا لك لائنا، عم في المرجع أيضا لمثل ذلك ، فقال مهددا لهم بعد كمال الإيضاح عاطفا على ما أرشد إليه الإنكار من النفي في نحو أن يقال : إني لا أفعل شيئا من ذلك ، لا أبغى ربا غير ربي أصلا ، وأما أنتم فافعلوا ه ما أنتم فاعلمون فإن ربكم عالم به : ( ثم ) [ أى بعد طول الإمهال - ٢ ] لكم لطفًا منه بكم ( إلى ربكم ) أى الذى أحسن إليكم بكل نعمة ، لا إلى غيره ( مرجعكم ) أى بالحشر وإن عمرتم كثيرا أو بقيتم طويلا ( فينبشكم ) أى يخبركم إخبارا جليلا عظيما مستوفى .

ولما كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم ، قال : ( بما كنتم ) أى جلة ١٠ وطبعا ، ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه ولا ذهول ولا نسيان فقال : ( فيه تختلفون ه ) أى مع رسول وغيره ، ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه ، وحالكم جدير بأن يعظم عقابكم لأنكم كفرتم نعمته ؛ قال أبو حيان : حكى النقاش أنه روى أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد ١٥ آلهتنا وارك ما أنت عليه ونحن تكفل لك بكل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك ، فزلت هذه الآية - انتهى .

ولما قدم أنه المحسن إلى كل شيء بالربوبية ، وختم بالتهديد بالحشر ،

(١-١) يسقط ما بين الرقيين من ظ (٢) يسقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : استحقوا به - كذا .

أتبعه التذكير بتخصيصهم بالإحسان، قال عاطفا على "وهو رب كل شيء" مستعطفاً لهم إليه بالتذكير بنعمته: (وهو) أى لا غيره (الذى جعلكم) أى أيها الإس (خلّفت الأرض) أى تفعلون فيها فعل الخليفة متصكين من كل ما تريدونه، ويجوز أن يراد بذلك العرب، ويكون ظاهر الكلام أن المراد بالأرض ما هم فيه من جزيرة العرب، وباطنه البشارة

٢٧٩ / / باعلاء دينهم الإسلام على الدين كله وغلبتهم على أكثر أهل الأرض في هذه الأزمان وعلى جميع أهل الأرض في آخر الزمان (ورفع بعضكم) في مراق العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية (فوق بعض درجت) أى مع كونكم من نفس واحدة، وربما كان الوضع أعقل من الرفيع ولم ينفعه عقله فبدل ذلك دلالة واضحة على أن ذلك كله إنما هو فعل الواحد القهار، لا يعجز<sup>٢</sup> ولا جهل ولا بخل؛ ثم علل ذلك بقوله: (ليلوكم) أى يفعل معكم فعل المختبر ليقيم الحجة عليكم وهو أعلم بكم منكم (في ما أنكم) فينظر هل يرحم الجليل الحقيّر ويرضى الفقير بعبثاته اليسير، ويشكر القوى ويصبر الضعيف<sup>١</sup>

١٥ ولما ذكر علو بعضهم على بعض، وكان من طبع الآدمي التجبر، أتبعه التهديد للظالم والاستعطاف للتائب بما يشير - بما له - سبحانه من علو الشأن وعظيم القدرة - إلى ضعف العالي منهم وعجزه عن عقاب السافل بمن يحول بينه وبينه من شفيع وناصر وبما يحتاج إليه من

(١) من ظ، وفي الأصل: يفعلون (٢) في ظ: لعجز (٣) من ظ، وفي الأصل: لتقيم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ.

تمهيد الأسباب ، محذرا من البغى والعصيان فقال موجها الخطاب إلى  
أكمل الخلق تطيبا لقلبه إعلاما بأنه ربه سبحانه أجل تربية وأدبه أحسن  
تأديب: ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك ﴿سريع العقاب﴾ أى لمن يريد  
عقابه ممن يكفر نعمته لكونه لا حائل بينه وبين من يريد عقابه ولا يحتاج  
إلى استحضار آلات العقاب، بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد ”انما امره ه  
إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون“ وفى ذلك تهديد شديد لمن  
لا يتعظ .

ولما هدد و خوف، رنجى من أراد التوبة واستعطف فقال:  
﴿وانه لغفور رحيم﴾ معلما بأنه - على تمام قدرته عليهم وانهما كهم فيما  
يوجب الإهلاك - بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة ”ولو يؤاخذ الله الناس  
بظلمهم ما ترك عليها من دابة“ حثا على عفو الرفيع من الوضع، وتأكيده<sup>١٠</sup>  
الثانى دون الاول ناظر إلى قوله ”كتب على نفسه الرحمة“ وان رحمتى  
سبقت غضبى، لأنه فى سياق التأديب لهذه الأمة والتذكير بالإنعام عليهم  
بالاستخلاف، وسيأتى فى الأعراف بتأكيد الاثنين لأنه فى حكاية ما وقع<sup>١١</sup>  
لبنى إسرائيل من إسرائهم فى الكفر ومبادرتهم<sup>١٢</sup> إليه واستحقاقهم على ذلك<sup>١٥</sup>  
العقوبة، وجاء<sup>١٤</sup> ذلك على طريق الاستئناف على تقدير أن قائلا قال: حيثذ

(١) سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) سورة ١٦ آية ٦١ (٣) فى ظ: تأكيد (٤) زيد بعده  
فى الأصل: النفى، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (ه) من ظ، وفى الأصل:  
بالاختلاف (٦) فى ظ: وقعت (٧) من ظ، وفى الأصل: يبادرهم - كذا .  
(٨) سقط من ظ .

يسرع العالى<sup>١</sup> إلى عقوبة السافل<sup>٢</sup> فأجيب بأن الله فوق الكل و هو  
أسرع عقوبة<sup>٣</sup>، فهو قادر على أن يسلط الوضع أو أحقر منه على الرفيع  
فيهلكه؛ ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل  
أسبل ذيل غفرانه و رحمته بامهاله العصاة وقوله اليسير من الطاعات بأنه  
خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور منافع لهم ثم هم به  
يعدلون<sup>٤</sup> و لو لا غفرانه و رحمته لأسرع عقابه لمن عدل به<sup>٥</sup> غيره فأسقط  
عليهم السماوات و خسف بهم الأرضين التي أنعم عليهم بالخلقة فيها  
و أذهب عنهم النور و أدام الظلام، فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فان  
قوله ” و هو الذى جعلكم خلائف الارض “ هو المراد بقوله ” هو الذى  
١٠ خلقكم من طين “ و قوله ” اغير الله ابني ربا و هو رب كل شئ “ هو معنى  
قوله ” خلق السموات و الارض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا  
بربهم يعدلون “ - و الله الموفق .

\*\*\*\*\*

(١) من ظ، و فى الأصل : الحال - كذا (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .  
(٢-٣) فى ظ : عبد (٤) زيد بعده فى ظ : تم الجزء الأول و يليه الجزء الثانى  
من أول سورة الأعراف ، و هو الحمد مباركاً طيباً و الصلاة و التسليم على سيدنا  
محمد و آله و صحبه و سلم .

## سورة 'الأعراف'

مقصودها إنذار من أعرض عمادعا إليه الكتاب في السورة الماضية  
من التوجيه والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل  
في الأنعام ، وتحذيره<sup>٢</sup> بقوارع الدارين ، وهذا أحسن مما كان ظهر لى  
وذكرته عند<sup>٣</sup> " والوزن يومئذ الحق " وأدل ما فيها على هذا المقصد<sup>٥</sup>  
أمر الأعراف فان اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة / و النار و الوقوف  
على حقيقة ما فيها و ما أعد لأهلها<sup>٦</sup> الداعى إلى امثال كل خير و اجتناب  
كل شر و الاعتاظ بكل مرقق ﴿ بسم الله ﴾ المتردى برداء الكبر  
و إزار العظمة و الجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذى من رحمته انتقامه<sup>٧</sup> من  
أهل الكفر و الضلال ﴿ الرحيم ﴾ الهادى لأهل الاصطفاء إلى لزوم<sup>١٠</sup>  
طريق الوفاء ﴿ البصيص ﴾ .

لما ذكر سبحانه فى آخر التى قبلها أنه أنزل إليهم كتابا مباركا ،  
و أمر باتباعه و علل إزاله و ذكر ما استتبعه ذلك بما لا بد منه فى منهاج  
البلاغة<sup>٩</sup> و ميدان البراعة<sup>٦</sup> ، و كان من جلته أن أمر المدعويين به ليس  
إلا إليه ، إن شاء هداهم و إن شاء أضلهم ، واستمر فيما لا بد منه فى تميم<sup>١٥</sup>  
ذلك إلى أن ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به ، فاشتد اعتناقه له

- (١) زيد قبله فى ظ : بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم . و من هنا تبتدى  
صفحة ظ ١ / الف (٢) مكية ، وهى مائتان و خمس آيات فى البصرى و الشامى ،  
وست فى المدنى و الكوفى (٣) فى ظ : تحذير (٤) من ظ و فى الأصل : أهلها .  
(د) من ظ ، و فى الأصل : انتقام (٦ - ٧) حلق ما بين الرقيين من ظ .

حتى صارا كشيء<sup>١</sup> واحد؛ أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه<sup>٢</sup>، فقال مخبرا عن مبتدئ تقديره: [هو -<sup>٣</sup>]: ﴿كتب﴾ أى عظيم أوضح الطريق المستقيم فلم يدع بها لبسا ولم يذر خيرا إلا أمر به ولا شرا إلا نهى عنه، فانزله من عظيم رحمته؛ ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمته بقوله: ﴿انزل اليك﴾ أى أنت أكرم الناس نفسا وأوسعهم صدرا وأجلهم قلبا وأعرقهم إصالة وأعرفهم باستعطاف المبادئ واستجلاب المنافر المباحض، وهذا شيء قد خصك به فرضك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا حد لها فتستقصي<sup>٤</sup>.

١٠ ولما كان المقصود من البعث أولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال، وكانت مواجهة الناس بالإنذار شديدة على النفوس، وكان الإقدام عليها من الصعوبة بمكان عظيم؛ قدم قوله مسييا عن تخصيصه بهذه الرحمة: ﴿فلا يكن﴾ [وعبر عن القلب بمسكنه الذى هو أوسع منه مبالغة في الامر قال -<sup>٢</sup>]: ﴿في صدرك حرج﴾ أى شيء من ضيق<sup>٥</sup> بهم أو خوف ١٥ أو<sup>٦</sup> نحو ذلك ﴿منه﴾ على ما تعلق بـ "انزل" من قوله<sup>٧</sup>:

(١) من ظ، وفي الأصل: كثر (٢) من ظ، وفي الأصل: تقدم (٣) زيد من ظ (٤) زيد في ظ: به (٥) في ظ: احلهم (٦) من ظ، وفي الأصل: فينقضي - كذا (٧) من ظ، وفي الأصل: حر - كذا (٨) من ظ، وفي الأصل: «و». (٩) زيدت الواو بعده في الأصل وظ، ولم تكن في القرآن العظيم فحذفناها. لتندر (٨٧) ٣٤٨



( لتندر به <sup>١</sup> ) أى نذرى لكل من بلغه أو للخالفين من سرعة العقاب على نحو ما أوقع سبحانه بالقرون الماضية و الأمم السالفة - كما أشار إليه آخر الأنعام، [و-<sup>٢</sup>] سيقص من أخبارهم <sup>٣</sup> من هذه <sup>٤</sup> السورة (و) لتندر به (ذكرى) أى عظيمة (للمؤمنين) أى بالبشر و المواعظ و الغفران و الرحمة على ما أشار إليه ختام الأنعام، و حذف المفعول يدل على عموهم الرسالة لكل من أمكن إنذاره و تذكيره من العقلاء، و يجوز أن تتعلق لام " لتندر " بمعنى النهى، أى انق الحرج لكذا، فإن من كان منشرح الصدر أقدم على ما يريد أو يخرج، أى لا يكن الحرج الواقع<sup>٥</sup> لإجل أن تندر، أى لإجل إنذارك به، و النهى للنبي صلى الله عليه و سلم، تحول إلى الحرج مبالغة و أدبا، و يجوز أن يكون التقدير: لتندر به و تذكر به، ١٠ فإنه نذرى للكافرين و ذكرى للمؤمنين، و الآية على كل تقدير من الاحتباك: إثباته " لتندر " أولا دال على حذف ' لتذكر ' ثانيا، و إثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخالفين أولا، فإن النفوس على قسمين: نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة فى طلب اللذات الجسائية و الشهوات الحيوانية فبعضة الرسل فى حقهم إنذار و تحوير، و نفوس ١٥ شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية فبعضة الرسل فى حقهم تذكير لأن هذه النفوس بمقتضى جواهرها الأصلية و جبلتها الخلقية مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد<sup>٦</sup> فيعرض لها

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ (٣-٢) فى ظ : فى آخر .  
(٤) من ظ ، وفى الأصل : كذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل :  
الاجال - كذا .

نوع ذهول و غفلة ، فاذا سمعت دعوة الانبياء و اتصلت بها أنوار  
أرواح رسل الله تذكرت<sup>١</sup> مركزها و أبصرت منشأها ، فاشتاق إلى  
ما حصل هناك من الروح و الريحان فطارت نحوهم كل مطار قتمحض  
لديها تلك الأنوار ؛ و قال أبو حيان : و اعتلاق هذه السورة بما قبلها  
هو أنه لما ذكر تعالى قوله<sup>٢</sup> ” و هذا كتب أنزلته مبارك فاتبعوه<sup>٣</sup> “

/ ٢٨١

و استطرد منه / لما بعده ، إلى قوله في آخر السورة ” و هو الذي جعلكم  
خلف الأرض<sup>٤</sup> “ و ذكر ابتلاءهم فيما آتاهم ، و ذلك لا يكون  
إلا بالتكاليف الشرعية ، ذكر ما يكون<sup>٥</sup> به التكاليف ، و هو الكتاب  
الإلهي ، و ذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله ” و هذا كتب أنزلته  
١٠ مبارك فاتبعوه “ - انتهى . و قال شيخه الإمام أبو جعفر بن الزبير :

لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار ” ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن  
مكثهم<sup>٦</sup> في الأرض ما لم نمكن لكم و أرسلنا السماء عليهم مدرارا و جعلنا  
الأنهر تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم و أنشأنا من بعدهم قرنا  
آخرين<sup>٧</sup> “ [ ثم قال تعالى -<sup>٨</sup> ] ” و لقد استهزئ برسل من قبلك<sup>٩</sup> فخاق  
١٥ بالذين يخفون منهم ما كانوا به يستهزئون<sup>١٠</sup> “ ثم قال تعالى ” قل سيروا  
في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين<sup>١١</sup> “ ثم قال تعالى

(١) في ظ : فتذكرت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٥ (٤) زيدت  
الواو بعده في البحر المحيط ٢٦٦/٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) في ظ : تكون (٧) في ظ :  
مكناكم (٨) سورة ٦ آية ٦ (٩) زيد من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «من قبلك»  
ساقطة من ظ (١١) سورة ٦ آية ١٠ (١٢) سورة ٦ آية ١١ .

”و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا<sup>١</sup>“ - الآية ، وقال تعالى  
 ”و لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذنهم باللباساء والضراء<sup>٢</sup>“ - الآية ، وقال  
 تعالى ”يعضش الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم ابنتي<sup>٣</sup>“ فوقعت  
 الإحالة في هذه الآي<sup>٤</sup> على الاعتبار بالأمم السالفة وما كان منهم حين  
 كذبوا أنبياءهم وهلاك تلك القرون بتكذيبهم و عتوم وتسليه رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بحريان ما جرى له بمن تقدمه<sup>٥</sup> من الرسل ”قد نعلم انه  
 ليحزنك الذي<sup>٦</sup> يقولون“ فاستدعت الإحالة والتسليه بسط أخبار الأمم  
 السالفة و<sup>٧</sup> القرون الماضية ، والإعلام بصبر الرسل - عليهم السلام - عليهم  
 وتلطفهم في دعائهم ، ولم يقع في السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل  
 هذه الإحالة والتسليه وقد تكررت في سورة الأنعام كما تبين بعد انقضاء ١٠  
 ما قصد من بيان طريق المتقين أخذاً وتركاً وحال من حاد عن سننهم بمن  
 رماه أو قصده فلم يوفق له ولا آم له أمله من الفرقين<sup>٨</sup> : المستندة للسمع  
 والمعتمدة للنظر ، فحاد الأولون بطارئي التفسير والتبديل ، وتنكب<sup>٩</sup>  
 الآخرون بسوء التناول وقصور الأفهام و علة حيد الفريقين السابقة الأزلية ؛  
 فلما انقضى أمر هؤلاء و صرف الخطاب إلى تسليته عليه السلام وتثبيت قواده ١٥

- (١) سورة ٦ آية ٣٤ (٢) سورة ٦ آية ٤٢ (٣) سورة ٦ آية ١٣٠ (٤) من  
 ظ ، وفي الأصل : الآية (٥) زيد بعده في الأصل : عن مقدمة ، ولم تكن  
 الزيادة في ظ فخذناها (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ٣٣ ، وفي  
 الأصل : الذين (٧) زيد في ظ : تلك (٨) من ظ ، وفي الأصل : الفريقين .  
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : ننكبث - كذا .

بذكر أحوال الانبياء مع أممهم وأمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة،  
وقد كان قدّم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الانبياء "اولئك  
الذين هدى الله فبهداهم اقتده"<sup>١</sup> بسط تعالى حال من وقعت الإحالة عليه،  
و<sup>٢</sup> استوفى الكثير<sup>٣</sup> من قصصهم إلى آخر سورة هود إلى قوله سبحانه  
هـ "وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك"<sup>٤</sup> فتأمل بما افتحت  
به السورة المقصود بها قصص الأمم وبما اختتمت يُلحُح<sup>٥</sup> لك ما أشرت  
إليه - والله أعلم بمراده، وتأمل افتتاح سورة الاعراف بقوله "فلنقصن  
عليهم<sup>٦</sup> بلعلم<sup>٧</sup> وما كنا غائبين"<sup>٨</sup> وختم القصص فيها بقوله "فانقص القصص  
لعلهم يتفكرون"<sup>٩</sup> بعد تعقيب قصص نبي إسرائيل بقصة بلعام<sup>١٠</sup> واتل عليهم  
١٠ نبا الذي اتيناه<sup>١١</sup> ايقتنا<sup>١٢</sup> - الآية، ثم قال "ذلك مثل القوم<sup>١٣</sup> الذين كذبوا بآياتنا"<sup>١٤</sup>  
فتأمل هذا الإيماء بعد ذكر القصص، وكيف ألحق من كذب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم بمن قص ذكره<sup>١٥</sup> من المكذبين،  
وتأمل افتتاح ذكر الاشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما بمن  
كفر على علم، وفي ذلك أعظم موعظة، قال الله تعالى إثر ذلك "من يهد الله  
١٥ فهو المهتدي"<sup>١٦</sup> - الآية، فبدأ<sup>١٧</sup> الاستجابة بنيه<sup>١٨</sup> صلى الله عليه وسلم بذكر  
ما أنعم عليه<sup>١٩</sup> وعلى من استجاب له فقال تعالى "المص كتب انزل اليك"<sup>٢٠</sup>

- (١) سورة ٦ آية ٩ (٢-٢) من ظ، وفي الأصل: استقرى الكبير (٣) آية ١٢٠.  
(٤) من ظ، وفي الأصل: بذ - كذا (٥) من ظ و القرآن الكريم، وفي الأصل:  
عليك (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: ذكر (٨) في ظ: بذكر.  
(٩) من ظ، وفي الأصل: هلاهما (١٠-١١) في ظ: لاستجابة نبيه.  
(١٨) فأشار

فأشار إلى نعمته بأزال الكتاب الذى جعله هدى للتقين ، و أشار هنا إلى ما يحمله [عليه -'] من<sup>٢</sup> التسلية وشرح الصدور<sup>٣</sup> / بما جرى من العجائب و القصص مع كونه هدى ونورا ، فقال ” فلا يكن فى صدرك حرج منه “ أى أنه قد تضمن مما أحلتك عليه<sup>٤</sup> ما يرفع الحرج و يسلى النفوس لتتذكر به كما أنذر من قبلك بمن نقص خبره من الرسل ، و لتستن فى إنذارك ه و دعائك و صبرك سننهم ، و ليتذكر المؤمنون ؛ ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال ” اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم “ فان هلاك من نقص عليكم خبره من الامم إنما كان لعدم الاتباع و الركون إلى أولياتهم من شياطين الجن و الإنس ، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط<sup>٥</sup> الشياطين و كيد و أنه عدو لهم ١٠

” ينبئ آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة “ و وقع فى قصة آدم هنا ما لم يقع فى قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد و تصور خيريته بخلقه من النار و طلبه الإنظار<sup>٦</sup> و التسلط<sup>٧</sup> على ذرية آدم و الإذن له فى ذلك و وعيده و وعيد متبعيه ثم أخذه فى الوسوسة إلى آدم عليه السلام و حلفه له ” و قاسمهما انى لكما لمن النصحين “ ١٥

و كل هذا مما أجمل فى سورة البقرة و لم تتكرر قصة إلا و هذا شأنها ، أعنى<sup>٨</sup> أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا ؛ ثم انجرت

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الصدر (٤) من ظ ، وفى الأصل : عليك (٥) من ظ ، وفى الأصل : سلط (٦) فى ظ : الانتظار (٧) من ظ ، وفى الأصل : السلط .

الآى إلى ابتداء<sup>١</sup> قصة نوح عليه السلام واستمرت القصص إلى قصص  
 بنى إسرائيل ، فبسط هنا من حالهم وأخبارهم شبيه ما بسط في قصة  
 آدم وما جرى من محنة<sup>٢</sup> إبليس ، وفصل هنا الكثير وذكر ما لم يذكر<sup>٣</sup>  
 في البقرة حتى لم يتكرر<sup>٤</sup> بالحقيقة . ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ،  
 ه ومن عجيب الحكمة أن الواقع في السورتين من كنانة<sup>٥</sup> القصتين مستقل  
 شاف ، وإذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله ووضح كماله ،  
 فبارك من هذا كلامه ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة . ولما أعقب  
 تعالى قصصهم في البقرة بأمره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح فقال  
 تعالى ” فاعفوا واصفحوا<sup>٦</sup> “ أعقب<sup>٧</sup> تعالى أيضا هنا بقوله لنبيه عليه  
 الصلاة والسلام ” خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجهلين “  
 وقد خرجنا عن<sup>٨</sup> المقصود فلنرجع إليه - انتهى .

ولما تقدم سبحانه إليه صلى الله عليه وسلم في أمر الإنذار  
 والإذكار بالكتاب تقدم إلى أتباعه فأمرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع  
 أهل الضلال وما يوحى إليهم أولياؤهم من زخارفهم بعد أن أخبر بكونه  
 ١٥ ذكرى أنه سبب لعلو شأنهم وعز سلطانهم ، فقال ملتفتا إليهم مقبلا بعز جلاله

(١) في ظ : الابتداء (٢) من ظ ، وفي الأصل : تمنحه - كذا (٣) من ظ ،  
 وفي الأصل : لم تذكر (٤) من ظ ، وفي الأصل : لم تتكرر (٥) في الأصل :  
 كلا ، وفي ظ : كلام (٦) آية ١٠٩ (٧) في ظ : عقب (٨) من ظ ، وفي  
 الأصل : على .

عليهم ﴿اتبعوا﴾ أى حملوا أنفسهم حملا عظيما بجهد ونشاط على اتباع  
 ﴿ما أنزل إليكم﴾ أى قد خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة  
 ﴿من ربكم﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم ﴿ولا تتبعوا﴾ ولعله  
 عبر بالافتعال إيماء إلى أن ما كان دون علاج - بل هفوة و بنوع غفلة -  
 فى محل العفو ﴿من دونة﴾ أى دون ربكم ﴿اولياء﴾ أى من الذين ه  
 نهيناكم عنهم فى الانعام و بينا ضررهم لكم من شياطين الإنس و الجن  
 وعدم إغنائهم و أن الامر كله لربكم .

ولما كانوا قد خالفوا فى اتباعهم صريح العقل و سليم الطبع ،  
 و عندهم أمثلة ذلك لو تذكروا ، قال منبها لهم على تذكر ما يعرفون من  
 تصرفاتهم: ﴿قليل﴾ و أكد التقليل [بـ "ما" - ٢] النافى و بادغام ١٠  
 تاء<sup>٥</sup> التفعّل فقال: ﴿ما تذكرون﴾ أى تعالجون أنفسكم على ذكر  
 ما هو مركز في فطركم الاولى فانكم مقرون بأن ربكم رب كل شىء ،  
 فكل من تدعون من دونه مربوب ، و أتم لا تجدون / فى عقولكم  
 و لا طباعكم و لا استعمالكم ما يدل بنوع دلالة على أن مربوبا يكون  
 شريكا لربه .

١٥

ولما كان من أعظم ما يتذكر سار<sup>١</sup> النعم و ضار النقم للاقبال  
 على الله و الإعراض عما سواه و عدم الاغترار بأسباب الأمن و الراحة ،  
 قال: ﴿وكم﴾ أى قلّ تذكركم و خوفكم من سطواتنا و الحال أنه<sup>٢</sup>

(١) مقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقد (٣) زيد من ظ (٤) فى  
 الأصل : بالنافى ، و سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : التاء (٦) من  
 ظ ، وفى الأصل : مفاد - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان .

كم<sup>١</sup> (من قرية) وإن جلت ، ولما كان المراد المبالغة في الإهلاك ، أسنده إلى القرية والمراد أهلها فقال : (اهلكنها) أى بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله ، فلا تغفروا بأوليائكم من دونه وأتم عالمون بأنهم لم ينفعوا من ضل من الأمم السالفة وقت إنزالنا بهم السطوة ٥ وإحلالنا بهم الثقمة وتحقق المهلكون<sup>٢</sup> إذ ذاك - مع أنهم كانوا أشد منكم بطشا وأكثر عددا وأمن كيدا - عدم إغنائهم فلم يوجهوا آمالهم نحوهم .

ولما كان المعنى : أردنا إهلاكها وحكمتنا به ، سبب عنه قوله : (فجاءها بأسنا) أى عذابنا بما لنا من القوة والعظمة ، أو الإهلاك ١٠ على حقيقته وهذا تفصيل له وتفسير ؛ ولما كان لافرق في إتيان عذابه سبحانه بين كونه ليلا أو نهارا ، وكان أخش البأس وأشد ما كان في وقت الراحة والدعة والغفلة قال : (يأتانا) أى وقت الاستكثان في البيوت ليلا كما أهلك<sup>٣</sup> قوم لوط عليه السلام<sup>٤</sup> وقت السحر<sup>٥</sup> .

ولما كان المراد بالقرية أهلها ، بينه بقوله [لأنه إذا حذف ١٥ المضاف جاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى : أن لا يلتفت إليه - كما في أول الآية ، وأن يلتفت إليه - كما في هذا الأخير لبيان أن الأهل هم المقصودون بالذات لأنه موضع التهديد -<sup>٦</sup> ] : (أو هم قائلون ه) أى

(١) في الأصل : لكم (٢) من ظ ، وفي الأصل : أثرتنا (٣) من ظ ، وفي الأصل : الملوك - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : ما لهم - كذا (٥) في ظ د و . (٦) في ظ : جاء (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) زيد ما بين الحازنين من ظ .



نائمون وقت القائلة أو مستريحون من غير نوم كما أهلك قوم شعيب عليه السلام، يعنى أنهم كانوا في كل من الوقتين غافلين بسبب أنهم كانوا آمنين، لم يظنوا أن شيئاً من أعمالهم موجب للعذاب ولا كانوا مترقبين لشئ منه، فالتقدير: يأتاهم فيه<sup>١</sup> باثنون أى نائمون، أو قائلة هم فيها قائلون أى نائمون، فالآية من الاحتباك: دل إثبات "يأتا" ه<sup>٥</sup> أولاً على حذف "قائلة"، ثانياً، وإثبات "هم قائلون"، ثانياً<sup>٢</sup> على حذف "هم نائمون"<sup>٣</sup>، أولاً، والذي أرشدنا إلى هذا المعنى الحسن مذكور "هم" من غير واو، وهذا قريب من قوله تعالى فيما يأتي "أفامن أهل القرى ان يأتهم بأسنا [يأتا = °] وهم نائمون" فالأقرب أن يكون المحذوف أولاً نائمون، وثانياً نهارة، فيكون التقدير: يأتاهم فيه نائمون، أو نهارة هم<sup>١٤</sup> فيه قائلون، وبين عظمة ما جاءهم وهوله بأنهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر أحد منهم التصويب إلى مدافعتهم بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿فما كان دعوتهم﴾ أى قولهم الذى استدعوه ﴿اذ جاءهم بأسنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿إلا ان قالوا﴾ أى إلا قولهم ﴿انا كنا﴾ أى بما لنا من الجلبة ﴿ظلمين ه﴾ أى فى أنا لم تقع ما أنزل إلينا من ربنا، فلم يقدم ذلك<sup>١٥</sup> شيئاً غير شدة التحسر؛ ثم سبب عما مضى من أمر الرسول والامم

- (١) زيد بعده فى ظ: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .  
 (٣) من ظ، وفى الأصل: باثنون (٤) من ظ، وفى الأصل: أرسلنا (ه) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ٧ آية ١٧ (٦) فى ظ: فالاول (٧) من ظ، وفى الأصل: النصب (٨) من ظ، وفى الأصل: فلم يقدم.

قوله دفعا لوم من يظن أن الأمر انقضى بما عذبوا به في الدنيا: ﴿فلنستن﴾  
 أى بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ و التقرير للعصاة و التشريف  
 و التعظيم للطيعين، [و-'] أظهر موضع الإضمار تعميما فقال ﴿الذين﴾ -  
 و لما كانت الملامة على تكذيب الرسول لا بقيد كونه معينا، بنى  
 ه للفعول قوله: ﴿ارسل اليهم﴾ أى وهم الأمم، هل امثلوا أو امرنا  
 و أحجموا عند زواجرتنا كما أمرتهم الرسل أم لا ﴿ولنستن﴾ أى بعظمتنا  
 ﴿المرسلين﴾ أى هل كان في صدورهم حرج بما أرسلناهم به و هل  
 بلغوه أم لا يوم تكونون شهداء على الناس بما علمتم من شهادتي في هذا  
 القرآن و يكون الرسول عليكم شهيدا . فانا لا بد [أن -'] نحبيكم بعد الموت  
 ١٠ ثم نسألهم في يوم تظهر فيه السرائر و تنكشف' - وإن اشتد خفاؤها -

الضمار، / ولترين الأفعال و الأفعال، و لا نترك شيئا من الأحوال .

/ ٢٨٤

و لما كان السؤال يفهم خفاء المسؤل عنه على السائل، سبب عن

ذلك ما يزيل هذا الوم بقوله مؤذنا بأنه أعلم من المسؤولين عما سألهم

عنه: ﴿فلنقصن﴾ أى بما لنا من صفات العظمة المستلزمة لكل كمال

١٥ ﴿عليهم﴾ أى المسؤولين من الرسل و أمهم، جميع أحوالهم و ما

يستحقون من جزائها ﴿بعلم﴾ أى مقطوع به لا مظنون، فقد كنا معهم

في جميع تقلباتهم ﴿و ما كنا﴾ أى في وقت من الاوقات<sup>٢</sup> كما هو مقتضى

ما لنا من العظمة<sup>٢</sup> ﴿غائبين<sup>ه</sup>﴾ أى مطلقا و لا عن أحد من الخلق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: ينكشف (٣-٣) سقط ما بين

الرقين من ظ (ه) من ظ و القرآن الكريم، و في الأصل: غافلين .. كذا .

بل علمنا شامل لجميع الكليات و الجزئيات لأن ذلك مقتضى العظمة و مقتضى ما لنا من صفات الكمال، [ و من لم يكن محيط العلم بأن يميز المطيع من العاصي لا يصح أن يكون إلها - ' ] .

ولما تقدمت الإشارة بقوله تعالى "و اوفوا السكيل و الميزان بالقسط" -

الآية إلى أن المساواة الحقيقية في الميزان معجوز عنها و أنه أبعد المقادير ه عن التساوى ، و النص في قوله تعالى " و من جاء بالحسنة فله أجر عظيم الا مثلها " على قدرة القدير<sup>٢</sup> على ذلك ، و ختم الآية السالفة بأحاطة العلم على الوجه الأبلغ المقتضى لذلك على أعلى الوجوه ؛ أكد الأمر أيضا و قصره على علمه هنا فقال : ﴿ و الوزن<sup>٢</sup> ﴾ بميزان حقيق لصحف الأعمال

أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك ١٠ بعد أن يقذف الله في القلوب العلم به ، و لعله حال من نون العظمة في الآية التي قبلها ، أى إنا لانكتفى بما نقص بل نزنه [ فيصير - ' ] بحيث يظهر لكل أحد أنه على غاية ما يكون من التساوى ؛ قال أبو حيان و على ابن الحسين النحوى الأصفهاني في إعرابه : " الوزن " مبتدأ ﴿ يومئذ ﴾

ظرف منصوب به ﴿ الحق ج ﴾ خبره المتبدا ، زاد الأصفهاني فقال : ١٥ واستضعف إعمال المصدر و فيه لام التعريف و قد ذكرنا أنه جاء في التنزيل " لا يحب [ الله - ٧ ] الجهر بالسوء من القول الا من ظلم " - انتهى . أى [ و - ' ] الوزن في ذلك اليوم مقصور على الحق ، يطابقه الواقع

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : التقدير (٣) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ لحذفناها (٤) من ظ ، و في الأصل : يعرف (٥) من ظ و البحر المحيط ٢٧١/٤ ، و في الأصل : فيه - كذا (٦) من ظ ، و في الأصل : اراد (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ١٤٨ .

مطابقة حقيقية لا فضل فيها أصلاً ولا يتجاوز الوزن في ذلك اليوم الحق إلى شيء من الباطل بزيادة ذرة [و - ١] لا نقصها ولا مادون ذلك ، فحرر أن مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب ، وهو يتضمن الحث على اتباع الرسول و الدلالة على التوحيد و القدرة على البعث<sup>١</sup> ببيان الأفعال الهائلة في ابتداء الخلق و إهلاك الماضين إشارة إلى أن من لم يتبعه و يوحد - من أنزله<sup>٢</sup> على هذا الأسلوب الذي لا يستطيع ، و المنهاج الذي وقفت دونه العقول و الطباع ، لما قام من الأدلة على توحيده بعجز من سواه عن أقواله و أفعاله - أوشك أن يعاجله قبل يوم البعث بنقاب مثل عقاب الأمم السالفة و القرون الخالية مع ما ادخله في ذلك اليوم ١٠ من سوء المنقلب و إظهار أثر الغضب :

ولما أخبر أن العبرة بالميزان على وجه يظهر أنه لا حيف فيه بوجه ، تسبب عنه قوله : ﴿ فمَن ثَقُلَتْ ﴾ أى ذست و رسبت على ما يعهد في الدنيا ﴿ موازينه ﴾ أى موزونات أعماله ، [ أى أعماله - ١ ] الموزونة ، ولعله عبر بها عنها إشارة إلى أن كل عمل يوزن على حدة ليسعى في ١٥ إصلاحه ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ هم ﴾ [ أى خاصة - ١ ] ﴿ المفلاحون ﴾ أى الظاهرون بجميع مآربهم ﴿ و من خفت ﴾ أى طاشت ﴿ موازينه ﴾ [ أى - ١ ] التى توزن فيها الاعمال الصالحة ﴿ فاولئك ﴾ المبدون ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ أى التى هى رأس ما لهم فكيف بما دونها ﴿ بما كانوا بايتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ يظلمون ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : البحث (٣) فى ظ : انزاله (٤) من ظ ، وفى الأصل : يوزن .

أى باستمرار ما يجدونه من وضعها في غير المحل الذى يليق بها فعل  
من هو في ظلام؛ قال الحسن: وحق لميزان توضع فيه [ الحسنات أن  
يثقل، وحق لميزان توضع فيه - ١ ] السيئات أن يخف .

ولما أمر الخلق بمتابعة الرسل وحذرهم من مخالفتهم، فأبلغ / في ٢٧٥ /

تحذيرهم بعذاب الدنيا ثم بعذاب الآخرة، التفت إلى تذكيرهم ترغيا في •  
ذلك بأسباغ نعمه وتحذيرا من سلبها، لأن المواجهة أردع للخطاب،  
فقال في موضع الحال من " خسروا انفسهم ": ( ولقد مكثكم ) أى  
خسروها والحال أنا مكناكم<sup>٢</sup> من إنجائها بخلق القوى والقدر<sup>٣</sup> وإدراج  
النعم، وجعلنا مكانا يحصل التمكن فيه ( في الارض ) أى كلها، ما منها  
من بقعة إلا وهى صالحة لاتفاهم بها ولو بالاعتبار ( وجعلنا لكم ) أى ١٠  
بما لنا من العظمة ( فيها معاش<sup>٤</sup> ) أى: جميع معيشة، وهى أشياء  
يحصل بها العيش، وهو تصرف<sup>٥</sup> أيام الحياة بما ينفع، والياء أصلية  
فلذا لا تهمز، [ وكذا ما ولى ألف جمعه حرف علة أصلى وليس قبل  
ألفه واو كأوائل ولا ياء كخيائر جمع أول وخير فانه لا يهمز إلا شاذا  
كنناثر ومصائب جمع منارة ومصيبة - ١ ] .

١٥

ولما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه أوجدكم وقوام وخلق لهم  
[ ما - ١ ] يديم قوامهم، فأكلوا خيره وعبدوا غيره، أنتج قوله على  
وجه التأكيد: ( قليلا ما تشكرون ) أى لمن أسبغ عليكم نعمه ظاهرة

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: مكناهم (٣) من ظ، وفي الأصل: القدرة (٤) سقط  
من ظ (٥) في ظ: جمع (٦) في ظ: التصرف .

و باطنة بما تنجون به أنفسكم ؛ وقال أبو حبان : إنه راجع للذين 'خطبوا  
بـ "اتبعوا ما أنزل إليكم" و ما بينهما أورد مورد الاعتبار و الاعتناظ  
بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا و ما يؤل إليه في الآخرة - انتهى .

و لما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ، ذكّرهم ما كانوا عليه  
ه قبل هذه المكنة من العدم تذكيرا بالنعم<sup>٢</sup> في سياق دال على البعث  
الذى فرغ من تقريره ، وعلى ما خص به أباهم آدم [ عليه السلام -<sup>٢</sup> ]  
من التمكين في الجنة بالخلق و التصوير و إفاضة روح الحياة  
و روح العلم و أمر أهل سماواته بالسجود له و الغضب على من عاداه  
و طرده عن محل كرامته و معدن سعادته و إسكانه هو بذلك المحل الأعلى

١٠ و الموطن الأسنى مأذونا له في كل ما فيه إلا شجرة واحدة ، فلما خالف  
الامر أزاله عنه و أخرجه منه ؛ و في ذلك تحذير لأهل المكنة من إزالة  
المنة في استدرار النعمة و إحلال النعمة فقال : ﴿ ولقد خلقكم ﴾ أى بما  
لنا من صفات العظمة ﴿ ثم صورثكم ﴾ أى قدرنا خلقكم ثم تصويركم بأن  
جعلنا فيكم قابلية قريية من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره  
١٥ المعين بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك كما يهبأ التراب

بتخميره بانزال المطر لأن يكون منه شجرة ، و قد تكون تلك الشجرة  
مهيئة لقبول صورة الثمرة و قد لا تكون كما قال تعالى " ولقد خلقنا  
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة

(١) في ظ : الى الذين (٢) من ظ ، و في الأصل : بالنعمة (٣) زيد من ظ .  
(٤) من ظ ، و في الأصل : تهما (٥-٥) تكرر ما بين الرقنين في الأصل (٦) من  
ظ ، و في الأصل : القمر - كذا .

علقة فخلقنا العلة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما ثم انشأناه خلقا آخر<sup>١</sup>“ وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح . وعنه أيضا رضى الله عنه عند مسلم قال : سمعت ه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال : يا رب ! أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء<sup>٢</sup> ويكتب الملك - الحديث . فظاهر هذا الحديث مخالف للفظ الذى قبله وللآية ، فيحمل على أن معنى صورها : هيأها في مدة الأربعين الثانية لقبول الصورة . ١ . تهية قريبة من الفعل ، وسهل أولها بالتخمير<sup>٣</sup> على هيئة مخصوصة بخلاف ما قبل ذلك ، فانها كانت نطفة فكانت بعيدة عن قبول الصورة ، ولذلك اختلفوا في احترامها وهل يباح إفسادها والتسبب في إخراجها ، ومعنى ”خلق“ : قدر<sup>٤</sup> أى جعل لكل شيء من ذلك حدا لا يتجاوزه في الجملة ، والدليل على هذا المجاز شك في كونها ذكرا<sup>٥</sup> أو أنثى ، ولو كان ذلك ٢١٥

على ظاهره لما حصل شك في كونها / ذكرا أو أنثى إذ آلة الذكر والأنثى ٢٨٦/

(١) سورة ٢٣ آية ١٢-١٤ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وصحيح مسلم - كتاب القدر ، وفي الأصل : يشاء (٤) من ظ ، وفي الأصل : بالتخمير (هـ) من ظ ، وفي الأصل : تقدر ، (٦) في ظ : ذكر .

من جملة الصورة ، و بهذا تلتئم هذه الآية مع قوله تعالى<sup>٢</sup> ” اذ قال ربك للشيكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين “ فهذا خلق بالفعل ، و الذى فى هذه السورة بايداعه القوة المقربة منه ، و المراد من الآية التذكير بالنعم استعطافا إلى المؤالفة و تقظيعا<sup>٣</sup> بحال المخالفة ، أى خسروا أنفسهم و الحال أنا أنعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد [أن -<sup>٤</sup>] أنشأنهم على الصورة المذكورة بعد أن كانوا عدما ، و أسيجدا ملائكتنا لأبيهم و طردنا<sup>٥</sup> من تكبر عليه طردا لا طرد مثله ، و أبعدها عن محل قدسنا بعدا لا قرب معه ، و أسكننا أباهم الجنة دار رحمتنا و قربنا ، فقال تعالى مترجما عن ذلك : ﴿ ثم قلنا ﴾ أى على ما لنا من الاختصاص بالعظمة ﴿ للشيكة ﴾ أى الموجودين فى ذلك الوقت من أهل السماوات و الأرض كلهم ، بما دلت عليه ’ ال ’ سواء قلنا : إنها للاستغراق أو الجنس ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ أى بعد كونه رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من التسمية ؛ ثم سبب عن هذا الأمر قوله : ﴿ فسجدوا ﴾ أى كلهم بما دل عليه الاستثناء فى قوله : ﴿ إلا إبليس ﴾ و لما كان معنى ذلك لإخراجه ١٥ ممن سجد أنه لم يسجد ، صرح به فقال : ﴿ لم يكن من الساجدين ه ﴾ أى لآدم . و لما كان مخالف<sup>٦</sup> الملك فى محل العقاب ، تشوف السامع إلى خبره فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى لإبليس إنكارا عليه و تويخا له<sup>٧</sup> استخرجا لكفره الذى كان يخفيه بما يبدى من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده

(١) فى ظ : جهة (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧١ لحذفناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : تغليظا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تركنا (٦) من ظ ، وفى الأصل : مخالفا (٧) فى ظ ” و “ .



( ما منعك ) ولما كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده ، فكان  
المعنى لا يلبس بادخال 'لا' في قوله: ( الا تسجد ) أتى بها لتفيد التأكيد  
بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل و الإقدام على الترك ، فيكون  
كأنه قيل: ما منعك من السجود وحملك على تركه ( اذ ) أى حين  
( امرتك<sup>١</sup> ) أى حين حضر الوقت الذى يكون فيه أداء المأمور به ه  
( قال ) أى إبليس ناسبا زبه سبحانه إلى الجور أو عدم العلم بالحق  
( انا خير منه ج ) أى فلا يليق لى السجود لمن هو دونى ولا أمرى بذلك  
لأنه مناف للحكمة ؛ ثم بين وجه الخيرية التى تصورها بسوء فهمه أو بما  
قاده إليه سوء طبعه بقوله: ( خلقتنى من نار ) أى فهمى أغلب أجزائى  
وهى مشرقة مضيئة عالية [ غالبه -<sup>٢</sup> ] ( و خلقتة من طين ه ) أى هو ١٠  
أغلب أجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب ، وقد غلط غلطا فاحشا  
فان الإيجاد خير من الإعدام ببلا نزاع ، و النار سبب الإعدام و المحق  
لما خالطته ، و الطين سبب النماء و التربة لما خالطه ، هذا لو كان الأمر  
فى الفضل باعتبار العناصر و المبادئ و ليس كذلك ، بل هو باعتبار الغايات .  
ولما كان هذا أمرا ظاهرا ، و كان مجرد التكبر على الله كفرا ١٥  
على أى وجه كان ، أعرض عن جوابه بغير الطرد [ الذى معناه نزوله  
المنزلة الذى موضع ما طلب من علوها -<sup>٢</sup> ] فاستأنف قوله: ( قال )  
مسبيا عن إباته قوله: ( فاهبط منها ) مضمرا للدار التى كان فيها وهى  
(١) من ظ ، وفى الأصل: ليفيد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى  
ظ: هو .

الجنة . فانها لا تقبل عاصيا ، و عبر بالهبوط الذى يلزم منه سقوط المنزلّة دون الخروج ، لأن مقصود هذه السورة الإنذار وهو أدل عليه - <sup>١</sup> ] ، و سبب عن أمره بالهبوط [ الذى معناه النزول والحدور والانحطاط و نقصان و الوقوع فى شيء منه - <sup>١</sup> ] قوله <sup>٢</sup> : ﴿ فإيكون ﴾ أى يصح و يتوجه بوجه من الوجوه ﴿ لك ان تكبر ﴾ أى تعتمد الكبر [ وهو الرفعة فى الشرف و العظمة و التجبر - <sup>١</sup> ] ، و لا مفهوم لقوله ” لك “ و لا لقوله : ﴿ فيها ﴾ لوجود الصرائح بالمنع من الكبر مطلقا ” انه <sup>٢</sup> لا يجب المستكبرين “ ، كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر <sup>٣</sup> ، ” قال الذين استكبروا انا كل فيها “ ، و إنما قيد بذلك تهويلا للأمر ، فكأنه قيل : لا ينبغي التكبر ١٠ . إلّا لنا ، [ و - <sup>١</sup> ] كلما قرب الشخص من محل القدس الذى هو مكان المطيعين المتواضعين جل تحريم الكبر عليه ” لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر “ - رراه مسلم وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه ، <sup>١</sup> و سبب <sup>٢</sup> عن كونها لا تقبل الكبر قوله : ﴿ فاخرج ﴾ أى من الجنة دار الرضوان <sup>٣</sup> ، [ فأتنى أن يكون الهبوط من موضع عال ١٥ من الجنة إلى موضع منها أخط منه - <sup>١</sup> ] ، ثم علل أمره بالهبوط و الخروج بقوله مشيرا إلى / أن كل من أظهر الاستكبار ألبس الصغار : ﴿ انك من الصغرين ﴾ أى الذين هم أهل للطرد و البعد و الحقارة و الهوان .

/ ٢٨٧

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لانه ، و راجع سورة ١٦ آية ٢٣ (٤) سورة ٤٠ آية ٣٥ (هـ) سورة ٤ آية ٤٨ (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : رضوان .

ولما علم أن الحسد قد أبعدته ونزل به عن ساحة الرضى وأقعدته ،  
تمادى فيه فسأل ما يتسبب به <sup>١</sup> إلى إنزال المحسودين عن درجاتهم العالية  
إلى دركته السافلة ، ولم يسأل بشقاوته فيما يليه من دركته السافلة إلى  
درجاتهم العالية ، وذلك بأن ﴿ قال ﴾ أى إبليس ، وهو استئناف ؛  
[ولما كان السياق - ولا سيما الحكم بالصغار العارى عن تقييد - يأبى لأن ه  
يكون سياقاً لسؤاله الانتظار ، ذكره بصيغة الإحسان فقال - <sup>٢</sup> ] : ﴿ انظرنى ﴾  
أى بالإمهال ، أى اجعلنى <sup>٣</sup> موجوداً بحيث أنظر وأتصرف فى زمن ممتد  
﴿ إلى يوم يعثون ه ﴾ أى من القبور ، وهو يوم القيامة ، وكان اللعين  
طلب بهذا أنه لا يموت ، فإن ذلك الوقت ليس وقتاً للوت ، إنما هو  
وقت إفاضة الحياة الأبدية فى شقاوة أو سعادة ، فأعلم سبحانه أنه <sup>٤</sup> حكم له .  
بالانتظار ، لكن لا على ما أراده [ولا على أنه إجابة له ، ولكن هكذا  
سبق فى الأزل فى حكمه فى قديم عله ، وإليه يرشد التعبير - <sup>٥</sup> ] بقوله :  
﴿ قال انك من المنظرين ه ﴾ أى فى الجملة ، ومنعه من الحماية عن الموت  
بقوله كما ذكره فى سورتي الحجر و ص " إلى يوم الوقت المعلوم " وهو  
وقت النفخة الأولى التى يموت فيها الأحياء فيموت ذو معيهم ، وكان ١٥  
ترك هذه الجملة فى <sup>٦</sup> هذه السورة لأن هذه السورة للأنذار ، وإيهام الأمر  
أشد فى ذلك ، وأجابه إلى الإنظار وهو يريد به الفساد ، لأنه لا يعدو  
أمره فيه وتقديره به ، ولأنه سبحانه لا يستل عما يفعل ، ولتظهر حكمته  
تعالى فى الثواب والعقاب .

(١) فظ : فيه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : اجعلوه .

(٤-٤) من ظ ، وفى الأصل : أجابه إلى الانتظار (٥) آية ٢٨ وآية ٨١ (٦) فظ : من .

ولما كان قد حكم عليه بالشقاء ، قابل نعمة الإمهال وإطالة  
 العمر بالتمادي في الكفر ، وأخبر عن نفسه بذلك بأن ﴿ قال ﴾  
 مسيا عن إيقاعه في المعصية بسبب نوع الآدميين ﴿ فبما اغويتني ﴾ أى  
 فبسبب إغوائك لى ، وهو إيجاد الغي و<sup>١</sup> اعتقاد الباطل في قلبى من  
 ٥ أجلهم والله ﴿ لا قعدن لهم ﴾ أى أفل في قطعهم عن الخير فعل المتمكن  
 المقبل بكليته [ المتأنى الذى لا شغل له غير ما أقبل عليه -<sup>٢</sup> ] فى مدة  
 إمهالك لى بقطعهم عنك بمنعهم من فعل ما أمرتهم به ، وحملهم<sup>٣</sup> على فعل  
 ما نهيتهم عنه ، كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف ﴿ صراطك ﴾  
 أى فى جميع صراطك ، بما دل عليه نزع الخافض ﴿ المستقيم<sup>٤</sup> ﴾ وهو  
 ١٠ الإسلام بجميع شعبه ، ومن أسند الإغواء إلى غير الله بسبب اعتقاده أن  
 ذلك مما ينزه الله عنه ، فقد وقع فى شر مما فر منه ، وهو أنه جعل فى  
 الوجود فاعلين يخالف اختيار أحدهما اختيار الآخر .

ولما كان قد أقام نفسه فى ذلك بغاية الجد ، فهو يفعل فيه بالوسوسة  
 بنفسه و من أطاعه من شياطين الجن و الإنس ما يفوت الحد و يعجز  
 ١٥ القوى ، أشار إليه بحرف الترخى [ فقال -<sup>٢</sup> ] مؤكدا : ﴿ ثم لا تينهم ﴾  
 أى إتيانا لا بد لى منه كائنا ابتداءؤه ﴿ من بين ايديهم ﴾ أى مواجهة ،  
 فأحملهم على أن يفعلوا ما يعلمون<sup>٥</sup> أنه خطأ ﴿ و<sup>٥</sup> ﴾ كائنا ﴿ من خلفهم ﴾  
 أى مغافلة ، فيعملون<sup>٦</sup> ما هو فاسد فى غاية الفساد ولا شعور لهم بشئ .

(١) زيد فى ظ : هـ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
 حملتهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : يعملون (٥) تأخر فى الأصل عن « كائنا »  
 والترتيب من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : يفعلون .

من فسادہ حين تعاطيه فأدلهم<sup>١</sup> بذلك على تعاطي مثله و هم [ لا - ٢ ]  
 يشعرون ( وعن ) أى و مجاوزا للجهة<sup>٢</sup> التى عن<sup>٣</sup> ( إيمانهم ) إليهم  
 ( وعن ) أى و مجاوزا لما عن<sup>٤</sup> ( شئآئلهم<sup>٥</sup> ) أى مخايلة ، فيفعلونه  
 و هو<sup>٦</sup> مشتبه عليهم ، و هذه هى الجهات التى يمكن الإتيان منها ، و لعل  
 فائدة 'عن' ، المفهومة للمجازة<sup>٧</sup> و صل خطى القدام و الخلف ليكون إتيانه  
 مستوعبا لجميع الجهة المحيطة ، [ و أفهمت الجهات الأربع قدحه و تليسه  
 فيما يعلمونه حق علمه و ما يعلمون شيئا منه و ما هو مشتبه عليهم<sup>٨</sup> اشتباها  
 قليلا أو كثيرا ، و هم من ترك ذكره الأعلى أنه لا قدرة له على الإتيان  
 منه ثلثا يلتبس أمره بالملائكة ، و قد ذكر ذلك فى بعض الآثار كما  
 ذكره فى ترجمة ورقة بن نوفل رضى الله عنه - ٢ ] .

١٠

و لما عزم اللعين على هذا عزمًا صادقًا ، و رأى أسبابه ميسرة<sup>٩</sup> من  
 الإنظار<sup>١٠</sup> و نحوه ، ظن أنه<sup>١١</sup> بما رأى لهم من الشهوات و الحظوظ<sup>١٢</sup> يظفر  
 بأكثر<sup>١٣</sup> حاجته ، فقال عاطفا<sup>١٤</sup> على ما تقديره : فلا غوئهم و ليتبعنى :  
 ( و لا تجد أكثرهم ) كما هى عادة الأكثر فى الخبث ( شكريين<sup>١٥</sup> ) فأريد به  
 الشقاء فأغرق فى الحسد ، و لو أريد بالشق<sup>١٥</sup> الخير لاستبدل بالحسد الغبطة ١٥

(١) وفى ظ : فادريه - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ،  
 وفى الأصل : بلهة (٤) من ظ ، وفى الأصل : على (٥) من ظ ، وفى الأصل :  
 هم (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، وفى الأصل : بالمجازة (٨) فى ظ : عليه (٩) فى  
 ظ : متيسرة (١٠) فى ظ : الانتظار (١١) سقط من ظ (١٢) زيد فى ظ : انه .  
 (١٣) من ظ ، وفى الأصل : الجنة (١٤) فى ظ : عطفا (١٥) من ظ ، وفى  
 الأصل : بالشقا .

[فطلب -<sup>١</sup>] أن يرتقى هو إلى درجاتهم / العالية بالبكاء و الندم  
و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و بذل النصيحة خضوعاً لمقام  
الربوبية و ذلاً لعظيم شأنه .

و لما كان كأنه قيل: ماذا قال له؟ قيل: ﴿ قال ﴾ في جواب  
هـ ما ذكر لنفسه في هذا السياق من القوة و الاقتدار<sup>٢</sup> و أبان<sup>٣</sup> عنه من الكبر  
و الافتخار ما دل على أنه من أهل الصغار ، لا يقدر على شيء إلا بأقرار  
العزیز الجبار ، [ مصرحاً بما أريد من الهبوط الذي ربما حمل على النزول  
من موضع من<sup>٤</sup> الجنة عال إلى مكان منها أحط منه -<sup>١</sup> ] ﴿ اخرج منها ﴾  
أي الجنة ﴿ مذهباً ﴾ أي محقوراً مخزياً بما تفعل ، قال ابن القطاع:  
١٠ ذأمت الرجل: خزيته ، و قال ابن فارس: ذأمته ، أي حقرتة ﴿ مدحوراً<sup>٥</sup> ﴾  
أي مبعداً مطروداً عن كل ما لا أريده .

و لما علم بعض حاله ، تشوفت النفس إلى حال من تبعه ، فقال  
مقسماً مؤكداً بما يحق له من القدرة التامة و العظمة الكاملة:  
﴿ لمن تبعك منهم ﴾ أي بني آدم ، و أجاب القسم بما أغنى عن جواب  
١٥ الشرط فقال: ﴿ لا ملأن جهنم منكم ﴾ أي منك و من قبيلك<sup>٦</sup> و منهم  
﴿ اجمعين هـ ﴾ أي لا يفوتني منكم أحد ، فلم يزل\* من فعل ذلك منكم على  
أذى نفسه و لا أبالي أنا بشيء .

و لما أوجب له ما ذكر من الشقاوة تماديته في الحسد و كثرة كلامه

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢ - ٣) في ظ : بأن (٣) ليس في ظ .  
(٤) من ظ ، وفي الأصل: قبلك (هـ) من ظ ، وفي الأصل: فكم رد - كذا .

فى محسوده، التفت إلى محسوده الذى لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل اشتغل  
بنفسه فى البكاء على ذنبه، واكتفى بفعل ربه بما ينجيه من حبال مكره  
التي نصبها بما ذكر، ليكون ذلك سبب سعاده<sup>١</sup>، فقال عطفًا على  
”أخرج منها“: ﴿وَيَأْذُمُ اسْكُنْ﴾ ولما كان المراد بهذا الأمر هو نفسه  
لا التجوز<sup>٢</sup> به عن بعض من يلبسه، أكد ضميره لتصحيح العطف ه  
ورفع التجوز قليل: ﴿انت وزوجك الجنة﴾ .

ولما كان السياق هنا للتعريف بأنه مكن<sup>٣</sup> لآيينا فى الجنة أعظم  
من تمكينه لنا فى الأرض بأن حباه فيها رغد العيش مقارنا لوجوده؛  
ثم حسن فى قوله: ﴿فكلا﴾ العطف بالفاء الدال على أن المأكول كان  
مع الإسكان، لم يتأخر عنه، ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو فى البقرة، ١٠  
لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو، ولا منافاة بين النوع  
والجنس، وقوله: ﴿من حيث شئنا﴾ بمعنى رغدا أى واسعا، فانه  
يدل على إباحة الأكل من كل شئ فيها غير المنهى عنه، وأما آية  
البقرة فتدل على إباحة الأكل منها فى أى مكان كان، وهذا السياق إلى  
آخره مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه وهدم عزه وإن ١٥  
كان فى غاية المكنة ونهاية القوة كما أخرج من أعظم له المكنة باسجاد  
ملائكته وإسكان جنته وإباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة؛ أكد  
تحريمها بالنهى عن قربانها دون الاكتفاء بالنهى عن غشيانها [فقال-ه]:

- (١) فى ظ: سعاده (٢) من ظ، وفى الأصل: التجوز (٣) -قط من ظ .  
(٤) فى ظ: فى (ه) زيد من ظ .

﴿ولا تقربا﴾ أى فضلا عن أن تتناولوا ﴿هذه الشجرة﴾ مشيرا إلى شجرة بعينها أو نوعها؛ ثم سبب عن القربان العصيان، فإن من حام حول الحبي أوشك أن يواقعه فقال: ﴿فتكونا﴾ أى بسبب قربها ﴿من الظلمين﴾ أى بالآكل منها الذى هو ' مقصود النهى فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشى فى الظلام<sup>٢</sup>؛ ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد مع المحسودين فيما سأل الإنظار بسببه، وأنه وقع على كثير من مراده واستغوى منهم أما تجاوزوا الحد وقصر عنهم مدى العد؛ ثم بين أنه أقل من أن يكون له فعل، وأن الكل بيده سبحانه، هو الذى جعله آلة لمراده منه ومنهم، وأن [من - ٢] يهد الله فهو المهتدى، ومن ١٠ يضل فأولئك هم الخاسرون، فقال: ﴿فوسوس﴾ أى ألقى فى خفاء وتزيين [و تكرير - ٢] واشتهاء ﴿لها الشيطان﴾ [أى - ٢] بما مكنه الله منه من أنه يحرى من الإنسان مجرى الدم<sup>١</sup> ويلقى له فى خفاء ما يميل به قلبه إلى ما يريد؛ ثم بين علة الوسوسة بقوله: ﴿ليبدى﴾ أى يظهر ﴿لها ما ورى﴾ أى ستر وغطى بأن جعل / كأنه وراءهما لا يلتفتان ١٥ إليه ﴿عنهما﴾ والبناء للفعول إشارة إلى أن الستر بشىء لا كلفة عليهما فيه كما يأتى فى قوله "ينزع عنهما لباسهما" ﴿من سواتهما﴾ أى المواضع التى يسوءهما انكشافها، وفى ذلك أن إظهار السوء موجب للبعد من الجنة وأن بينهما منفية الجمع<sup>٥</sup> وكال التباين.

ولما أخبر بالوسوسة وطوى مضمونها مفهما أنه أمر كبير وخداع

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الضلال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: نسوف - كذا (٥) فى ظ: الجنة.



- طويل ، عطف عليه قوله : ﴿ وقال ﴾ أى [ فى - ١ ] وسوسه أيضا ،  
 أى زين<sup>١</sup> لهما ما حدث بسبه فى خواطرهما هذا القول : ﴿ ما نهكما ﴾  
 وذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا باكرامه لهما تجرئة لهما على ما يريد  
 منهما فقال : ﴿ ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بما تعرفانه من أنواع إحسانه  
 ﴿ عن ﴾ أى ما جعل نهايتكما فى<sup>٢</sup> الإباحة للجنة متجاوزة عن ﴿ هذه الشجرة ﴾ ٥  
 جمع بين الإشارة و الاسم زيادة فى الاعتناء بالتنصيص ﴿ الآ ان ﴾ أى  
 كراهية أن ﴿ تكونا ملكين ﴾ أى فى عدم الشهوة وفى القدرة على الطيران  
 والتشكل و غير ذلك من خواصهم ﴿ او تكونا ﴾ أى بما يصير لكما من  
 الجلبة ﴿ من الخلدین ٥ ﴾ أى الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا .  
 ولما أوصل إليهما هذا المعنى ، أخبر أنه أكده تأكيدا عظيما كما ١٠  
 يؤكد الحالف ما يحلف عليه فقال : ﴿ وقاسمهما ﴾ أى أقسم لهما ، لكن  
 ذكر المفاعلة ليدل على أنه حصلت بينهما فى ذلك مزملوغات ومحاولات  
 بذل فيها الجهد ، وأكد معرفته<sup>٣</sup> أنها طبعاً على النفرة من المعصية -  
 ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد فى قوله : ﴿ انى لكما ﴾ فأفاد تقديم الجار  
 المفهم للاختصاص أنه يقول : إني خصصتكما بجميع نصيحتي ﴿ لمن النصحين لا ﴾ ١٥  
 و فيه تنبيه على الاحتراز من الحالف ، وأن الأغلب أن كل خلاف  
 كذاب ، فانه لا يحلف إلا عند<sup>٤</sup> ظنه أن سامعه لا يصدقه ، ولا يظن  
 ذلك إلا وهو معتاد للكذب .

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عن (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
 بكما (٥) من ظ ، وفى الأصل : لمعزة (٦) من ظ ، وفى الأصل : العطية - كذا .  
 (٧) فى ظ : على .

ولما أخبر بعض وسوسته لها ، سبب 'عنها ترجمتها' بأنها إهباط  
 من أوج شرف إلى حضيض أذى وسرف فقال: ﴿فدلّهما﴾ أى أنزلهما  
 عما كانا فيه من علو الطاعة [ مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التى أوجبت  
 له الهبوط من دار الكرامة - ٢ ] ﴿بغرور<sup>٤</sup>﴾ أى بخداع و حيلة حتى  
 ٥ نسي آدم عهد ربه ، وقوله: ﴿فلما ذاقا﴾ مشير<sup>٢</sup> إلى الإسراع فى الجزاء  
 بالقاء والذوق الذى هو مبدأ الأكل ﴿الشجرة﴾ أى وجدا طعمها  
 ﴿بدت﴾ أى ظهرت ﴿لهما سواتهما﴾ أى عوراتهما اللتان يسوءهما  
 ظهورها ، و تهافت عنهما لباسهما فأبصر كل واحد ما كان مستورا عنه من  
 عورة الآخر ، وذلك قصد الحسود فاستحيا عند ذلك ﴿وطفقا﴾ أى  
 ١٠ شرعا وأقبلا ﴿يخضفن عليهما﴾ أى يصلان بالخياطة ﴿من ورق الجنة﴾  
 ورقة إلى أخرى ﴿وناذهما ربهما﴾ أى المحسن إليهما بأمرهما ونهيها ،  
 ولم يفعل شيئا من ذلك إلا بمرأى منه ، فقال منكرا عليهما ما فعلاه ومعاتبا:  
 يا عبدى ﴿الم انهما﴾ أى أجعل لكما نهاية فيما أذن لكما فيه متجاوزة  
 ﴿عن تلكما الشجرة﴾ أى التى كان حقها البعد منها ، الموجبة °للقرية من °  
 ١٥ هذا الموضع الشريف إحسانا إليكما ﴿واقلا لكما ان الشيطان﴾ أى  
 الذى تكبر<sup>٣</sup> عن السجود<sup>١</sup> حسدا لك يا آدم ونفاة عليك ، فاحترق  
 (١-١) من ظ ، وفى الأصل : عنها ترجمتها (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .  
 (٣) فى الأصل وظ : مشيرا (٤) فى ظ : عراتهما (٥ - ٥) فى ظ : للغربة عن .  
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : يكبر (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن  
 فى ظ لحذفها .

بغضبي فطرد و أبعد عن رحمتي ﴿ لكما ﴾ أى لك و لزوجك و لكل من  
تفرع<sup>١</sup> منكما و نسب إليكما ﴿ عدو ميين<sup>٥</sup> ﴾ ظاهر العداوة بأتيكم من  
كل موضع يمكنه الإتيان منه بجاهرة و مساترة و مماكرة فهو مع<sup>٦</sup> ظهور  
عداوته دقيق المكر بما أقدرته عليه من إقامة الأسباب ، فان<sup>٧</sup> أعطيته  
قوة على [ الكيد ، و أعطيتكم قوة على الكيد و أعطيتكم قوة على - ٢ ]<sup>٥</sup>  
الحلاص و قلت لكم : تغالبوا ، فان غلبتموه فأتتم من حزبي ، و إن غلبكم  
فأتتم من حزبه مع ما له إليكم من العداوة ، فالآية منبهة على أن من غوى  
فانما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لاولى أوليائه .

/ ولما كان هذا ، تشوف السامع إلى جوابها ، فأجيب بقوله :

﴿ قالا ﴾ أى آدم و حواء - عليهما السلام و أزكى التحية و الإكرام - ١٠  
[ قول الخواص بأسراعهما فى التوبة - ٢ ] ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن  
إلينا و المنعم علينا ﴿ ظلمنا أنفسنا سئتنا ﴾ أى ضررناها<sup>٨</sup> بأن أخرجناها  
من نور الطاعة إلى ظلام المعصية ، فان لم ترجع بنا و تبت علينا لنستمر<sup>٩</sup>  
عاصيين ﴿ و ان لم تغفر لنا ﴾ أى تمحو ما عملناه عينا و أثرا ﴿ و ترحمنا ﴾  
فتعالى<sup>١٠</sup> درجاتنا - ﴿ لنكونن من الخسرين<sup>٥</sup> ﴾ فأعربت الآية عن أنهما ١٥  
فزعا إلى الانتصاب<sup>٦</sup> بالاعتراف ، و سميَا ذنبهما<sup>٧</sup> - و إن كان إنما هو خلاف

(١) من ظ ، و فى الأصل : يفرع (٢) فى ظ : موضع - كذا (٣) زيد ما بين  
الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ضررنا (٥) من ظ ، و فى الأصل :  
كنتم - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : فتعالى (٧) من ظ ، و فى الأصل :  
الانصاف (٨) من ظ ، و فى الأصل : ذنبهم .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ٢٤ و ٢٥) ج - ٧

الاولى<sup>١</sup> لانه بطريق النسيان كما في ظه - [ ظلما - ' ] كما هي عادة الاكابر  
في استعظام الصغير منهم ، ولم يجادلا كما فعل إبليس ، وفي ذلك إشارة<sup>٢</sup>  
إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الاشراف لكونه من  
معالي الاخلاق ، وأنه لا مثيل له في اقتضاء العفو وإزالة الكدر ، وأن  
الجدال من فعال الارذال ومن مساوى الاخلاق وموجبات الغضب  
المقتضى للطرده .

ولما تشوفت النفس الى جواب العلي الكبير سبحانه ، أجبت<sup>٣</sup> بقوله :  
( قال ابطوا ) أى إلى دار المجاهدة والمقارعة والمناكدة حال كونكم  
( بعضكم لبعض عدو ) أى أنتم ومن ولدتمه أعداء إبليس ومن  
١٠ ولد ، وبعض أولادكم أعداء لبعض ، ولا خلاص إلا باتباع ما منحتكم  
من هدى العقل وما أنزلت اليكم من تأييده<sup>٤</sup> بالنقل ، وفي ذلك تهديد  
صادع لمن له أدنى مسكة بالإشارة إلى قبح مغبة<sup>٥</sup> المخالفة ولو مع التوبة ،  
وحت على دوام المراقبة خوفا من سوء المعاقبة ( ولكم في الارض )  
أى جنسها ( مستقر ) أى موضع استقرار كالسهول<sup>٦</sup> وما شابهها  
١٥ ( ومتاع الى حين ) أى انقضاء آجالكم ثم انقضاء أجل الدنيا .

ولما علم بهذا أن للكون في الأرض آخرا ، [ وكان من القلاسة

- (١) من ظ ، وفي الأصل : للاولى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ :  
إرشاد (٤) من ظ ، وفي الأصل : اجيب (٥) من ظ ، وفي الأصل : يده - كذا .  
(٦) من ظ ، وفي الأصل : معه (٧) من ظ ، وفي الأصل : بالسهول .

التناسخية و غيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول : إن النفوس مجردة عن  
الجسمية و علائقها و إنه إذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات إما بكوكب  
أو غيره أو انحطت في سلك الملائكة و بطل تعلقها بالبدن من كل وجه  
فلا تتصل به لا بتدبير ولا غيره ولا بالبعث - عند من قال منهم بالبعث -<sup>١</sup> ،  
كان كأنه قيل : فماذا يكون بعد ذلك ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ ٥  
[ أى الله رادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن معبرا بالخطاب  
بالضمير الذى يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص روحا و جسدا -<sup>٢</sup> ]  
﴿ فيها ﴾ [ أى الأرض لا فى غيرها -<sup>٣</sup> ] ﴿ تحيون ﴾ أى أولا و<sup>٤</sup> ثانيا  
[ على ما أنتم عليه بظواهركم و بواطنكم أبدانا و أرواحا -<sup>٥</sup> ] ﴿ وفيها ﴾  
[ أى كذلك ، لا فى غيرها كما أنتم لذلك مشاهدون -<sup>٦</sup> ] ﴿ تموتون ﴾ أى ١٠  
من الحياة الأولى [ بمجملتكم ، فيكون للأرواح تعلق بالأبدان بوجه ما  
حتى يقعد الميت فى القبر و يجب سؤال الملكين عليهما السلام ، و تلتذ  
الاجساد بلذتها و تتألم بتألمها -<sup>٧</sup> ] ، فأشير إلى الحشر مع تفصيل حال الكون  
فى الأرض ، و ختمت القصة بما ابتدئت به من الإعلام بالبعث بقوله :  
﴿ و منها ﴾ [ أى لا من غيرها باخبار الصادق -<sup>٨</sup> ] ﴿ تخرجون ﴾ أى ١٥  
[ روحا و بدنا -<sup>٩</sup> ] بعد موتكم فيها و<sup>١٠</sup> عودكم إلى ما كنتم عليه أولا ترابا ،  
للجزاء و إظهار ثمرة الملك بانصاف بعضهم من بعض و التحلى [ بصفة -<sup>١١</sup> ]  
العدل فيما كان بعضهم يفعل مع بعض من العسف و الجور الذى لا يرضى  
أقل رؤسائكم أن يقر عليه عييده ، و علم بهذا أن الدلالة على الحشر فذلك

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او .

القصة ، و هذا أبين [ من ذكره - ١ ] فيما مضى [ فى قوله ” فلنسلطن الذين  
ارسل اليهم “ - الآيات .

ولما بين فيما مضى أن - ١ [ موجب الإخراج من الجنة ٢ هو ما  
أوجب ٢ كشف السوءة من المخالفة و فرغ بما استتبعه حتى أخبر بأنه حكم  
باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار ، شرع يحذرنا من عدونا كما حذر  
أبانا عليه السلام ٣ ، و بدأ بقوله يانا لأنه أنعم علينا فيها بكل ما يحتاج  
إليه فى الدين و الدنيا و إيدانا بما فى كشف العورة من الفضيحة و الإبعاد  
عن كل خير و إشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى :  
( يَنْبَىٰ آدَمَ ) .

١٠ ولما كان الكلام فى كشف العورة ، و أن آدم عليه السلام أعوزه  
السار حتى فزع إلى الورق ، كان موضع أن يتوقع ما يكون فى ذلك  
فقال مفتحا بحرف التوقع : ( قد انزلنا ) أى بعظمتنا ( عليكم ) من  
آثار بركات السماء ، إما ابتداء بخلقه و إما بانزال أسبابه من المطر و نحوه  
( لباسا ) أى لم يقدر عليه أبوكم فى الجنة ( يوارى سواكم ) إرشادا  
١٥ إلى دواء ذلك الداء و إعلاما بأن نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات  
الكمال ، و قال : ( وریشا ٤ ) إشارة إلى أنه سبحانه زادنا على السار ما به

( ١ ) زيد ما بين الحاجزين من ظ ( ٢-٢ ) سقط ما بين الرقين من ظ ( ٣ ) العبارة  
من هنا إلى ” آدم عليه السلام “ تكررت فى ظ ( ٤ ) من ظ ، و فى الأصل :  
توقع ( ٥ ) من ظ ، و فى الأصل : قال .

الزينة والجمال استعارة من ريش الطائر، محبباً فيما يبعد من الذنب و يقرب إلى حضرة<sup>٢</sup> الرب .

- ولما ذكر اللباس / الحسى،<sup>٢</sup> وقسمه على سائر ومزين<sup>٣</sup>، أتبعه ٢٩١ / المعنوى فقال مشيراً - بقطعه في قراءة الجمهور عما قبله - إلى كمال تعظيمه حثا عليه و ندبا إليه : ﴿ ولباس التقوى<sup>٤</sup> ﴾ فعلم أن سائر العورات حسى ومعنوى، ٥ فالحسى لباس الثياب، و المعنوى التحلى بما يبعث على المثاب<sup>٥</sup>؛ ثم زاد في تعظيم المعنوى بقوله : ﴿ ذلك خير<sup>٦</sup> ﴾ أى ولباس التقوى [ هو -<sup>٥</sup> ] خير من لباس الثياب، و لكنه فصل باسم الإشارة المقترن بأداة البعد إيماء إلى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه أهم اللباسين لأن نزعه يكون بكشف العورة الحسية و المعنوية، فلو تجمل الإنسان بأحسن الملابس و هو غير متق كان كله ١٠ سوءات، و لو كان متقيا و ليس عليه إلا خريقة توارى عورته كان في غاية الجمال و السر و الكمال، بل و لو كان مكشوف العورة في بعض الأحوال كما قال صلى الله عليه وسلم ستر ما بين عوراتكم و أعين الجن أن يقول أحدكم إذا دخل الخلاه: بسم الله اللهم! إني أعوذ بك من الخبيث و الخبائث، رواه الترمذى و ابن ماجه عن علي رضى الله عنه، [ و الذى يكاد يقطع ١٥ به أن المعاصى سبب إحلال السوءة الذى منه ضعف البدن و قصر العمر حسا أو معنى بمحق البركة منه لما يفهمه ما تقدم في البقرة في بدء الخلق عن التوراة أن الله تعالى قال لأدم عليه السلام: كل من جميع أشجار
- (١) في ظ : تحييا (٢) في ظ : حضرات (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .  
(٤) من ظ، و في الأصل: المثاب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : أهل .

الفردوس ، فأما شجرة علم الخير و الشر فلا تأكل منها لأنك في اليوم الذي تأكل منها تموت موتاً أى تنهياً للوثة حساً ، و يقضى عليك بالاشتغال بأسباب المعيشة فيقصر عمرك معنى بذهاب بركته - والله أعلم - [١٠].  
 و لما كان في شرع اللباس تمييز الإنسان عن بقية الحيوان و تهئية أسبابه التي لم يبعدها آدم عليه السلام في الجنة من الفضل و النعمة و الدلالة على عظمة المنعم و رحمته و قدرته و اختياره ما هو معلوم ، قال :  
 ﴿ ذلك ﴾ أى إنزال اللباس ﴿ من أيت الله ﴾ أى الذى حاز صفات الكمال الدالة على فضله و رحمته لعباده ، و لعل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في ﴿ لعلمهم يذكرون ٥ ﴾ - ولو على أذن وجوه التذكر بما يشير إليه الادغام - ثلثا يقول المتعنت : إن الحث على التذكر خاص بالمخاطب و يدعى أنه المسلمون فقط ، أى أنزلنا ذلك ليكون حالهم حال من يتذكر فيعرف أنه يستقبح منه ما يستقبح من غيره .

و لما كان المقصود من ذكر القصص لا سيما قصص الأنبياء الاعتبار بها ، فكان بيان ما وقع بين آدم عليه السلام و بين الشيطان من شديد العداوة مقتضياً للتحذير من الشيطان ، و كان المقام خطراً و التخلص عسراً ، أشار إلى ذلك بالتأكيد و بيان ما سلب الشيطان به من المكاييد الخفية و الأسباب الدقيقة ليعلم الناجى أنه إنما نجى بمحض التوفيق و مجرد اللطف فيقبل على الشكر متبرئاً من الحول و القوة ، فقال منادياً لهم بما يفهم الاستعطاف و التواضع و التحنن و الترفق و الاستضعاف : ﴿ يَبْنَىٰ أَدَمَ ﴾

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) في ظ : حالكم (٣) في ظ : الاستعطاف .



أى الذى خلقته يدي وأسكته جتى ثم أنزلته إلى دار محبتي إرادة الإعلاء  
لكم إلى الذروة من عبادتي والإسفال<sup>١</sup> إلى الحضيض من معصيتي ﴿ لا يفتنكم ﴾  
أى [ لا - ٢ ] يخالطنكم بما يميلكم عن الاعتدال ﴿ الشيطان ﴾ أى البعد<sup>٣</sup>  
المحترق بالذنوب<sup>٤</sup>، يصدكم عما يكون سببا لردكم إلى وطنكم بتزيين ما ينزع  
عنكم من لباس التقوى المفضى إلى هتك العورات الموجب لحزى الدنيا، ه  
فيمنعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار ﴿ كما أخرج ابويكم  
من الجنة ﴾ بما فتنها به بعد أن كانا سكانها و تمكنا فيها وتوطناها،  
وقد علمتم أن الدفع أسهل من الرفع فأياكم ثم إياكم ! فالآية من الاحتباك :  
ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيا، والإخراج ثانيا دليلا على حذف  
ضده أو نظيره\* أولا.

١٠

ولما كان الشيطان قد بذل الجهد فى إخراجهما، فسر الإخراج - مشيرا  
إلى ذلك - باطالة الوسواس وإدامة المكر والخديعة بالتعبير بالفعل المضارع  
فقال [ فى موضع الحال من ضمير " الشيطان " - ٢ ] : ﴿ ينزع عنهما ﴾ أى  
[ بالتسبب - ٢ ] بادامة التزيين و الأخذ من المأمن ﴿ لباسهما ﴾ [ أى الذى

كان الله سبحانه قد سترهما به ماداما حافظين لأنفسهما من مواجهة ما نهاها عنه، ١٥  
ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله : ﴿ ليربهما سواتهما<sup>١</sup> ﴾ - ٢ ]

٢٩٢ /

فان ذلك مبدأ ترك الحياء والحياء والإيمان / فى قرن - كما أخرج  
الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما، والحياء لا يأتى  
(١) فى ظ : الاشتغال (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل :  
من ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) من ظ ، وفى الأصل : بالذنب .  
(٥) من ظ ، وفى الأصل : يظهره .

إلا بخير - كما رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضى الله عنهما ،  
 ولما كان نهى الشيطان عن قتنا إنما هو في الحقيقة نهى لنا عن  
 الاقتان به ، فهو في قوة ليشدد حذرکم من فتنه فانه دقيق الكيد بعبد  
 الغور<sup>١</sup> بديع المخاتلة ؛ علل ذلك بقوله : ﴿ الله يرکم ﴾ أى الشيطان  
 ٥ ﴿ هو وقيله ﴾ أى جنوده ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ عن مالك بن  
 دينار أن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله .

ولما كان كأنه قيل : لم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذى  
 لا يكاد يسلم معه أحد ، قال مخففا لأمرهم موهيا في الحقيقة لكيدهم :  
 ﴿ انا ﴾ أى فعلنا ذلك لأننا بما لنا من العظمة ﴿ جعلنا الشيطين ﴾ أى  
 ١٠ المحترقين بالغضب البعدين من الرحمة ﴿ اولياء ﴾ أى قراء<sup>٢</sup> وقرناء  
 ﴿ للذين لا يؤمنون ٥ ﴾ أى يحددون الإيمان ، لأن بينهم تناسبا في الطباع  
 بوجوب الاتباع ، وأما أولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم أو قتلناهم يسيرا بهم ،  
 ثم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم بأولياء ، بل هم لهم أعداء وآيتهم  
 أنهم يؤمنون ، والمعنى أنا مكنناهم من مخالطكم بسترهم عنكم وإظهاركم لهم ،  
 ١٥ فسلطانهم بذلك على من حكمنا بأنه لا يؤمن بتزيينهم لهم وتسويلهم  
 واستخفافهم بأن ينصروهم في بعض المواطن ويوصلوهم<sup>٣</sup> إلى شيء من  
 المطالب ، فعلنا ذلك ليقين الرجل الكامل - الذى يستحق الدرجات العلى  
 ويتردد إليه الملائكة بالسلام والجنى<sup>٤</sup> - من غيره فخذوا حذرکم فان الأمر

(١) من ظ ، وفي الأصل : الغور (٢) في ظ : اقرباء (٣) في ظ : يوصلهم .  
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : الحى - كذا .

محطّر 'أو الخلاص' عسر، و بعبارة أخرى: إنا سلكناكم<sup>٢</sup> طريقاً و جعلنا  
 بمحبتنا<sup>٣</sup> أعداء يرونكم<sup>٤</sup> ولا ترونهم، و أقدرناهم<sup>٥</sup> على بعضكم، فمن ملك  
 سواء السبيل نجحاً من شذ أسره العدو، ومن دنا من الخافات بمرافقة الشبهات  
 قارب العدو و من قاربه استغواه، فكلما دنا منه تمكن<sup>٦</sup> من أسره، و كل  
 من تمكن من أسره بعد من الخلاص<sup>٧</sup> فاحذروا، و عدم رؤيتنا لهم في هـ  
 الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم على أنه قد صح تصورهم في الأجسام  
 الكثيفة و رؤية بنى آدم لهم في تلك الأجسام كالشيطان الذى رآه  
 أبو هريرة رضى الله عنه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ  
 الصدقة، و كذا أبى بن كعب رضى الله عنه، و حديث خالد بن الوليد  
 رضى الله عنه فى شيطان العزى معروف فى السير، و كذا حديث سواد ١٠  
 ابن قارب رضى الله عنه فى إرشاد رتيه من الجن له، و كذا خطر ابن  
 مالك رضى الله عنه فى مثل<sup>٨</sup> ذلك و غيرهما، و فى شرحى لنظمى للسيرة  
 كثير من ذلك، و كذا حديث العفريت الذى تقلت على رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته فأخزاه الله و أمكن  
 منه [ رسول الله - ١٠ ]، و قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو لا دعوة أخى ١٥  
 سليمان عليه السلام لأصبح مربوطاً بسارية المسجد يتلعب<sup>١١</sup> به ولدان أهل  
 (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ: سلكناهم (٣) من ظ، و فى  
 الأصل: تحتها (٤) من ظ، و فى الأصل: يركم - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل:  
 أقدرناكم (٦) من ظ، و فى الأصل: يمكن (٧) من ظ، و فى الأصل: الاخلاص.  
 (٨) فى الأصل: لا، و فى ظ: كما (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) من  
 ظ، و فى الأصل: يتلعب.

المدينة؛ قال أبو حيان: إلا أن رؤيتهم في الصور نادرة كما أن الملائكة عليهم السلام تبدو في صور كحديث جبريل عليه السلام .

و لما جعل أمارتهم في ولاية الشيطان عدم الإيمان، عطف على ذلك أمانة أخرى فقال: ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ أى أمرا بالغا في القبح كالشرك و كشف العورة في الطواف ﴿قالوا﴾ معللين لارتكابهم إياها ﴿وجدنا عليها﴾ أى الفاحشة ﴿آباءنا﴾ و لما كانت هذه العلة ظاهرا عارها بينا عوارها، ضموا إليها اقراء<sup>١</sup> ما يصلح للعيلة، فقالوا معبرين بالاسم الأعظم غير محتشين من جلاله وعظمته و كماله: ﴿والله امرنا بها<sup>٢</sup>﴾ .

و لما كانت العلة الأولى ملغاة، و كان العلم يطلانها بديها، لأن ١٠ من المعلوم أنهم لو وجدوهم على سفه في تحصيل المال ما تابعوهم: أعرض / عنها إشارة إلى ذلك، و أمر بالجواب عن الثانية التى هى اقراء على الملك الأعلى مع ادعائهم أنهم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أشدهم تحريا بقوله: ﴿قل إن الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿لا يامر بالفحشاء<sup>٣</sup>﴾ أى بشيء من هذا الجنس .

١٥ و لما كان الكذب قبيحا في نفسه و هو عندهم أقبح القبيح مطلقا، فكيف به على كبير منهم فكيف إذا كان على أعظم العظماء! قال منكرًا عليهم موبخا لهم مهددا: ﴿اتقولون على الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ما لا تعلمون﴾ لأنكم لم تسمعوا ذلك عن<sup>٢</sup> الله بلا واسطة و لا نقل إليكم بطريق صحيح عن نبي من الأنبياء<sup>٣</sup> عليهم السلام، و فيه

(١) من ظ، و فى الأصل: اقراء - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: من .

(٣) فى ظ: انبيائه .

تهديد شديد على الجهل<sup>١</sup> والقول على الله بالظن .

ولما كان تعليلهم بأمر الله مقتضيا لانه إذا امر بشيء أتبع ، أمره أن  
يلفهم أمره الذي جاء به دليل العقل مؤيدا بجازم النقل فقال: ﴿ قل ﴾ أى  
لهؤلاء الذين نابذوا الشرع والعرف ﴿ امر ربى ﴾ المحسن إلى التكليف  
بمحاسن الأعمال ، التى تدعو إليها الهمم العوال ﴿ بالقسط ﴾ وهو الأمر  
الوسط بين ما فحش فى الإفراط صاعدا عن الحد ، وفى التفريط [ هابطا  
منه ؛ ولما كان التقدير : فأقسطوا اتباعا لما أمر به ، أو كان القسط - ٢ ]  
مصدرا ينحل إلى : أن أقسطوا ، عطف عليه ﴿ واقموا وجوهكم ﴾ مخلصين  
غير مرتكبين لشيء من الجور ﴿ عند كل مسجد ﴾ أى مكان و وقت و حال  
يصلح السجود فيه ، ولا يتقيدن أحد بمكان ولا زمان [ بأن - ٢ ] يقول ١٠  
وقد أدركته الصلاة : أذهب فأصلى فى مسجدى ﴿ وادعوه ﴾ عند ذلك  
كله دعاء عبادة ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى لا تتركوا به شيئا .  
ولما كان المعنى : فإن من لم يفعل ذلك عذبه بعد إعادته له بعد الموت ،  
ترجمه مستدلا عليه بقوله معللا : ﴿ كما بدأكم ﴾ أى فى النشأة الأولى فأنتم  
تبتدون نعيمكم بعد الموت فأنتم ﴿ تعودون ﴾ حال كونكم فريقين : ١٥  
﴿ فريقا هدى ﴾ أى خلق الهداية فى قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية  
﴿ وفريقا أضل ﴾ ثم فسر ' أضل ' - لانه واجب التقدير بالنصب - بقوله :  
﴿ حق ﴾ أى ثبت و وجب ﴿ عليهم الضلالة ﴾ أى لانه أضلهم فيحشرون  
علي ما كانوا عليه فى الدنيا من الأديان ، و الأيدان ، و قد تبين أن مهنا

(١) من ظ ، وفى الأصل : الجهد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ٣٠ و ٣١) ج - ٧

احتباكين: أثبت في أولهما 'بدا' دليلا على حذف 'يعيد' وذكر 'تعودون'  
دليلا على حذف 'تبتدون'. وأثبت في الثاني 'هدى' دليلا على حذف '  
'أضل' وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى.

ولماكرر سبحانه ذكر البعث كما تدعو إليه الحكمة في تقرير ما  
ينكره المخاطب تأنيسا له به وكسرا لشوكته وإيهانا لقوته وقعا لسورته إلى  
أن ختم بما هو أدل عليه مما قبل من قوله 'ومنها تخرجون' "ولنسئلن  
الذين ارسل اليهم" علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة أى  
وجوبها أى وجوب وبالها عليهم بقوله: ﴿انهم اتخذوا﴾ أى كلّفوا  
أنفسهم ضد ما دعتهم إليه الفطرة الأولى بأن أخذوا ﴿الشياطين اولياء﴾ أى  
١٠ أقرباء وأنصارا ﴿من دون الله﴾ أى الملك الاعلى الذى لا مثل له  
﴿ويحسبون﴾ أى والحال أنهم يظنون بقلّة عقولهم ﴿انهم مهتدون﴾  
فأشار بذلك إلى أنهم استحقوا النكال لأنهم قنعوا فى الأصول- التى يجب  
فيها الابتغال- إلى القطع - بالظنون .

ولما أمر سبحانه بالقسط وباقامة الوجه عند كل مسجد، أمرهم  
١٥ بما ينبغي عند تلك الإقامة من ستر العورة الذى تقدم الحث عليه و بيان  
لخشع الهتك وسوء أثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيبا فيه وإذنا فى الزينة  
و بيان أنها ليس<sup>٢</sup> بما يتورع عنه لقوله صلى الله عليه وسلم "ان الله يحب  
إذا بسط على عبد رزقه أن يرى أثر نعمته عليه، رواه أحمد والترمذى

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) فى  
ظ: الانتهاء .

وابن منيع عن أبي هريرة رضى الله عنه ، و أتبع ذلك أعظم ما ينبغي  
 لابن آدم أن يعتبر فيه القسط من المأكل و المشرب فقال مكررا النداء  
 استعطافا و إظهارا لعظيم الإشفاق / و تذكيرا بقصة أيهم آدم عليه السلام / ٢٩٤  
 التى أخرجته من الجنة مع كونه صفى الله ليشدد الحذر: ﴿ يَنْبَىٰ آدَمَ ﴾  
 أى الذى زيناه فغره الشيطان ثم وقيناه شره بما أنعمنا عليه به من ٥  
 حسن التوبة و عظيم الرغبة ﴿ خذوا زينتكم ﴾ أى التى تقدم التعبير عنها  
 بالريش لستر العورة و التجميل عند الاجتماع للعبادة ﴿ عند كل مسجد ﴾  
 'و أكد ذلك' كوئهم كانوا قد شرعوا أن غير الجنس يطوفون عراة .  
 و لما أمر<sup>٢</sup> بكسوة الظاهر بالثياب لأن صحة الصلاة متوقفة عليها،  
 أمر بكسوة<sup>٣</sup> الباطن بالطعام و الشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال: ١٠  
 ﴿ و كلوا و اشربوا ﴾ و حسن ذلك أن بعضهم كان يتدين فى الحج  
 بالتضييق فى ذلك .

ولما أمر بالملبس و المطعم ، نهى عن الاعتداء فيهما فقال:  
 ﴿ ولا تسرفوا ﴾ بوضع شيء من ذلك فيما لا يكون أحق مواضعه ولو  
 بالزيادة على المعاء ، [و من ذلك أن يتبع السنة فى الشرب فيسبى لأن العكر ١٥  
 يرسب فى الإناء فر بما أذى من شربه ، و لذلك نهى عن النفس فى الإناء  
 لأنه ربما أثنى فعاثه النفس ، و أما الطعام فيلحسن إناءه و الأصابع لئلا  
 البركة و هو أنظف - ٢ ] ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه لا يحب المسرفين ٤ ﴾  
 ( ١ - ١ ) من ظ ، و فى الأصل : كذلك ( ٢ - ٢ ) سقط ما بين الرقنين من ظ .  
 ( ٣ ) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

أى لا يكرمهم ، ولا شك أن من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط به كل شر ، ومن جملة السرف الآكل في جميع البطن ، والاقتصاد الاقتصاد على الثلث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « حسب ابن آدم لقيمت يمين صلبه فان كان لابد فقلت للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ، و « ما ملا » ابن آدم وعاء شرا من بطن » ، و « الكافر يأكل في سبعة أمعاء »<sup>٢</sup> والمؤمن يأكل في معى واحد ، أخرجه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال الأطباء : الأمعاء سبعة ، فالمعنى حيث أن الكافر<sup>٣</sup> يأكل شعبا فيملا الأمعاء السبعة ، والمؤمن يأكل تقوتا<sup>٤</sup> ، فيأكل في معى واحد ، وذلك سبع بطنه ، واليه الإشارة بـ « لقيمت » ، فان لم يكن في معامين شيء وهو الثلث - والله أعلم ، وسبب الآية أنهم كانوا يطرحون ثيابهم إذا أرادوا الطواف ، يقولون : لا نطوف في ثياب إذ بتنا فيها ، وتتعري منها لتعري<sup>٥</sup> من الذنوب إلا<sup>٦</sup> الخمس وهم قريش ومن ولده ، وكانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما ، فقال المسلمون : يا رسول الله ! فخن أحق أن تفعل ذلك ، فأنزلت .

١٥ ولما كان من المعلوم أن ما كانوا ألقوه واتخذوه ديناً يستعظمون تركه ، لأن الشيطان يوسوس لهم بأنه توسع [ الدنيا ، والتوسع -<sup>٨</sup> ]

(١) في ظ : بطنه (٢-٢) في ظ : معى واحد (٣) من ظ ، وفي الأصل : كافر .  
(٤) من ظ ، وفي الأصل : مقوتا (٥) في ظ : لنقوى (٦) زيد بعده في الأصل : غير ، ولم تكن الزيادة في ظ فجذناها (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : ير - كذا .  
(٨) زيد من ظ .



فيها بما ينفى الزهد فيه كما دعا إليه كثير من الآيات ، أكد سبحانه الإذن في ذلك بالإنكار على من حرمه ، فقال منكرا عليهم إعلاما بأن الزهد المدح ما كان مع صحة الاعتقاد في الحلال والحرام ، وأما ما كان مع تبديل شيء من الدين بتحليل حرام أو عكسه فهو مذموم : ﴿ قل ﴾ منكرا موبخا ﴿ من حرم زينة الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لاحد معه ه ﴿ التى اخرج لعباده ﴾ أى ليشتموا بها من الثياب والمعادن وغيرها .

ولما ذكر الملابس التى هى شرط فى صحة العبادة على وجه عم غيرها من المراكب وغيرها ، أتبعها المآكل والمشارب فقال : ﴿ والطيبات ﴾ أى من الحلال المستلذ ﴿ من الرزق ١ ﴾ كالبخار والسواحب ونحوها :

ولما كان معنى الإنكار : لم يحرمها من يعتبر تحريمه بل أحلها ، وكان ربما غلا ١٠ فى الدين غال تمسكا بالآيات المنفرة عن الدنيا الموهنة لشأنها مطلقا فضلا عن زينة [ وطيبات الرزق ، قال مستأنفا لجواب من يقول : لمن ؟ : ﴿ قل هى ﴾ أى الزينة - ٢ ] والطيبات ﴿ للذين آمنوا ﴾ وعبر بهذه العبارة ولم يقل : ولغيرهم ، تنبيها على أنها لهم بالإصالة ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ وأما الكفار :

فهم تابعون لهم فى التمتع بها وإن كانت لهم أكثر ، فهى غير خالصة ١٥ لهم وهى للذين آمنوا ﴿ خالصة ﴾ أى لا يشاركهم [ فيها - ٣ ] أحد ، هذا على قراءة نافع بالرفع ، والتقدير على قراءة غيره : حال كونها خالصة ﴿ يوم القيمة ٤ ﴾ وفى هذا تأكيد لما مضى من إحلالها بعد تأكيد ومحو

الشكوك ٦ ، وداعية للتأمل فى الفصل بين المقامين / لبيان أن الزهد المأمور به

(١) فى ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الكافرون .

(٥) من ظ ، وفى الأصل : كان (٦) فى ظ : لشكوك .

إنما هو بالقلب بمعنى أنه لا يكون للدنيا عنده قدر ولا له إليها التفات ولا هي أكبر منه، وأما كونها ينتفع بها فيما أذن الله فيه وهي محقورة غير مهمتها بذلك من المحاسن.

ولما كان هذا المعنى من دقائق المعاني ونفائس المباني، أتبعه تعالى قوله جواباً لمن يقول: إن هذا التفصيل 'فاتق فهل' يفصل غيره هكذا؟ (كذلك) أى مثل هذا التفصيل البديع (فصل الأيت) أى نين أحكامها ونميز بعض المشتبهات من بعض (لقوم يعلمون) أى لهم ملكة وقابلية للعلم ليتوصلوا به إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح.

ولما بين أن ما حرموه ليس بحرام فتقرر<sup>٣</sup> ذلك تقرراً نزع من ١٠ النفوس ما كانت ألفت من خلافه، ومحا من القلوب ما كانت أشربته من ضده؛ كان كأنه قيل: فماذا حرم الله الذى ليس التحريم إلا إليه؟ فأمره تعالى بأن يحيمهم عن ذلك ويزيدهم بأنه لم يحرم غيره فقال: (قل إنما حرم ربى) أى المحسن إلى بجعل ديني أحسن الأديان (الفواحش) أى كل فرد منها وهي ما زاد قبحه؛ ولما كانت الفاحشة ما يزايد قبحه ١٥ فكان ربما ظن أن الإسرار بها غير<sup>٤</sup> مراد بالنهى قال: (ما ظهر منها) بين الناس (وما بطن) .

ولما كان هذا خاصاً بما عظمت شناعته قال: (والائمه) أى

(١) فى ظ: عليه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: تقرر (٤) من ظ، وفى الأصل: اخلاسه (٥) من ظ، وفى الأصل: ثم (٦) من ظ، وفى الأصل: فرضاً .

مطلق الذنب' الذى يوجب الجزاء، فان الإثم الذنب والجزاء؛ ولما كان  
 البغى زائد القبح مخصوصا بأنه من أسرع الذنوب عقوبة، خصه بالذكر  
 فقال: ﴿والبغى﴾ وهو الاستعلاء على الغير ظلما، ولكنه لما كان  
 قد يطلق<sup>٢</sup> على مطلق الطلب، حقق معناه العرفى الشرعى فقال:  
 ﴿بغير الحق﴾ أى الكامل الذى ليس فيه شائبة باطل، فمضى كان فيه هـ  
 شائبة باطل كان بغيا، ولعله يخرج العلو بالحق بالاتصار من الباغى  
 فانه حق كامل الحقيقة، وتكون تسميته بغيا على طريق المشاكلة تنفيها -  
 بادخاله تحت اسم البغى - من تعاطيه وندبا إلى العفو كما تقدم مثله فى  
 "لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم"<sup>٣</sup> ويمكن أن يكون  
 تقييده تأكيدا لمنعه بأنه لا يتصور إلا موصوفا بأنه بغير الحق كما قال ١٠  
 تخصيصا<sup>٤</sup> و تنصيحا تنبيها على شدة الشناعة: ﴿وان تشركوا بالله﴾ أى  
 الذى اختص بصقات الكمال ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ فانه لا يوجد ما يسميه  
 أحد شريكا إلا وهو ما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به فى الواقع  
 ولا برهان، ولعله إنما قيده بذلك إرشادا إلى أن أصول الدين لا يجوز  
 اعتمادها إلا بقاطع فكيف بأعظمها وهو التوحيد! ولذلك عقبه بقوله: ١٥  
 ﴿وان﴾ أى وحرم أن ﴿تقولوا على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه  
 ولا كفو له ﴿ما لا تعلمون﴾ أى ما ليس لكم به علم بخصوصه ولا هو  
 مستند إلى علم أعم من أن يكون من الأصول أو لا .

(١) فى ظ: الكذب (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: نطق (٤) من  
 ظ، وفى الأصل: يكون (٥) سورة ٤ آية ١٤٨ (٦) من ظ، وفى الأصل: تخصيصا.

نظم الدرر (سورة الاعرف ٧: ٣٤ و ٣٥) ج - ٧

ولما تقدم أن الناس فريقان: مهتد وضال، وتكرر ذم الضال  
باجترائه على الله بفعل ما منعه منه وترك ما أمره به، وكانت العادة  
المستمرة للولك أنهم لا يمهلون من تكرر مخالفته لهم؛ كان كأنه قيل:  
فلم لا يهلك من يخالفه؟ فليل وعظا وتحذيرا: إنهم لا يضرون بذلك  
ه إلا أنفسهم، ولا يفعلون شيئا منه إلا بارادته، فسواء عندهم بقاؤهم  
وهلاكهم، إنما يستعجل من يخاف الفوت أو يخشى الضرر، ولهم أجل  
لا بد من استيفائه، وليس ذلك خاصا بهم بل (ولكل أمة أجل ج)  
و' هو [عطف - ٢] على "فيها تحيون وفيها تموتون"  
(فاذا جاء أجلهم).

١٠. ولما كان نظرم إلى الفسحة في الأجل، وكان قطع رجائهم منه

من جملة عذابهم، قدمه فقال: (لا يستأخرون) أي عن الأجل

(ساعة) عبر بها والمراد أقل ما يمكن، لأنها أقل الأوقات في

الاستعمال في العرف، ثم عطف على الجملة الشرطية بكاملها لا على جزائها

قوله: (ولا يستقدمون ه) أي على الأجل المحتوم، لأن الذي ضربه

لهم ما ضربه الا وهو عالم بكل ما يكون / من أمرهم، لم يتجدد له علم،

لم يكن يتجدد شيء من أحوالهم، ويجوز أن يكون معطوفا على قوله

"ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين" وتكون الآية معللة

بأنهم سيتناسلون فيكثررون حتى يكونوا أمتا، ولا يتعرضون جملة

بل يكون لكل أمة وقت .

(١) في ظ: اي (٢) زيد من ظ .

ولما كان استشراف النفس<sup>١</sup> إلى السؤال عما يكون بعد حين  
المستقر والمتاع أشد من استشرافها<sup>٢</sup> إلى -هذا لكونه أخفى منه، فهو  
أبعد من خطوره في البال؛ قدم قوله "قال فيها تحيون" - الآية؛ ولما  
كان ذكر الدواء لداء هتك السوء أهم قدم "انزلنا عليكم لباسا"  
ثم [ما - ٣] بعده حتى كان الأنسب بهذه<sup>٣</sup> الآية هذا الموضع فظمت فيه .  
ولما تقدمت الإشارة إلى الحث على اتباع الرسل بآيات المقصد  
الاول من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى "كتب انزل اليك"  
و "لتنذر" و "اتبعوا ما انزل اليكم" وقوله "فلنسلن الذين ارسل  
اليهم" - [الآية - ٢]، وقوله "قل امر ربي بالقسط"، "انما حرم ربي  
الفواحش" والتحذير من الشياطين بقوله "ولا تتبعوا من دونه اولياء" ١٠  
و بقوله "لا تعدن لهم صراطك المستقيم"، "لا يفتنكم الشيطان"، وغيره،  
فتحرر أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالرسول، وختم ذلك بالاجل حثا على  
العمل في أيام المهلة؛ أتبع ذلك قوله حاثا على التعلق بأسباب النجاة  
باتباع [الدعاة - ٢] الهداة قبل الفوت بجاذب الموت<sup>٤</sup> ببيان الجراء  
لمن أحسن الاتباع في الدارين: ﴿يَبْنِيْ اِدم﴾ . ١٥

ولما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعي العقل من غير  
إرسال رسول، وكان إرسال الرسل جائزا له وفضلا منه سبحانه إذ

(١) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: استشراف (٣) زيد من ظ .  
(٢) في ظ: لهذه (٥) من ظ والقرآن الكريم، وفي الأصل: انزلنا (٦) زيدت  
الواو بعده في ظ .

نظم الدر (سورة الاعراف ٧: ٣٥ و ٣٦) ج - ٧

لا واجب عليه، أشار إلى ذلك بحرف الشك فقال: ﴿اما﴾ هي 'إن' الشرطية وصلت بها 'ما' تأكيداً ﴿يأتينكم رسل﴾ ولما كانت زيادة الخبرة بالرسول أقطع للعدو وأقوى في الحجة قال: ﴿منكم﴾ أي من نوعكم من عند ربكم.

٥ [و لما كان الأغلب على مقصد هذه السورة العلم كما تقدم في "فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين" و يأتي في "و لقد جنهنم بكسب فضله على علم" وغيرها، كان التعبير بالقص - الذي هو تتبع الأثر كما تقدم في الأنعام - أليق فقال - ٢]: ﴿يقصون عليكم آيتي لا﴾ أي يتابعون ذكرها لكم على وجه مقطوع به، [و - ٢] يتبع بعضهم بها أثر بعض لا يتخالفون في أصل واحد من الأصول.

و لما كان لقاء الرسل حتماً والهجرة إليهم واجبة لأن العمل لا يقبل إلا بالاستناد<sup>٢</sup> إليهم مهما وجد إلى ذلك سبيل، ربط الجزاء بالقاء فقال: ﴿فمن اتقى﴾ أي خاف مقامى و خاف وعيدى بسبب التصديق بالرسول و التلقى عنهم ﴿و اصلح﴾ أي عمل صالحاً باقتفاء آثارهم ﴿فلا خوف﴾ ١٥ أي غالب ﴿عليهم﴾ أي بسبب ذلك من شيء يتوقعونه ﴿ولا هم﴾ أي بضائرهم ﴿يحزنون ه﴾ أي يتجدد لهم [في - ٢] وقت ما حزن على شيء فاتهم، لأن الله يعطيهم ما يقر به أعينهم، وكأنه غاية في التعبير لأن إجلالهم لله تعالى و هيبته لهم يمكن أن يطلق عليهما خوف.

(١) في ظ: الخير (٢) زيد ما بين الحائرين من ظ (٣) في ظ: باستناد (٤) في ظ: تقر (ه) في ظ: لانه (٦) في ظ: عليها.

ولما ذكر المصدق، أتبعه المكذب فقال: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾  
 أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ ولما كان التكذيب قد يكون  
 عن شبهة أو نوع من العذر، نفى ذلك بقوله: ﴿واستكبروا عنها﴾  
 أى أوجدوا الكبر إيجاداً من هو طالب له عظيم الرغبة فيه، متجاوزين  
 عنها إلى أضداد ما دعت إليه .

ولما كان ذلك ليس سبباً حقيقياً للتعذيب، وإنما هو كاشف عن  
 ذراه الله لجهنم لإقامة الحجة عليه، أعزى عن الفاء قوله: ﴿اولئك﴾  
 أى البعداء البغضاء ﴿اصحاب النار﴾ ولما كان صاحب الشيء هو  
 الملازم له المعروف به، قال مصرحاً بذلك: ﴿هم﴾ أى خاصة ليخرج  
 العاصي من غير تكذيب ولا استكبار<sup>٢</sup> ﴿فيها﴾ أى النار خاصة، وهى ١٠  
 تصدق بكل طبقة من طبقاتها ﴿تخلدون﴾ فقد تبين أن إثبات الفاء  
 أولاً للترغيب فى الاتباع، وتركها ثانياً للترهيب من شكاسة الطباع،  
 فالمقام فى الموضعين خطر، ولعل / من فوائده الإشارة إلى أنه إذا بعث  
 رسول وجب على كل [من - °] سماع به أن يقصده لتحرير أمره، فإذا  
 بان له صدقه تبعه، وإن تخلف عن ذلك كان مكذباً - والله الموفق . ١٥  
 ولما كان تكذيب الرسل تارة يكون بشرع شيء لم يشرعوه،

(١) محط من ظ (٢) تأخر فى الأصل عن « لا استكبار » والترتيب من ظ .  
 (٣) من ظ : وفى الأصل : استكباراً (٤) تأخر فى الأصل عن « من طبقاتها »  
 والترتيب من ظ (٥) زيد من ظ .

و تارة برد ما شرعوه قولاً و فعلاً، و أخبر أن المكذبين أهل النار،  
 علل ذلك بقوله: ﴿فن اظلم﴾ أى أشنع ظلماً ﴿ومن افترى﴾ أى تعدد  
 ﴿على الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿كذباً﴾ أى كمن شرع فى المطاعم و الملابس  
 غير ما شرع، أو ادعى أنه يوحى إليه فحكم بوجود<sup>۲</sup> ما لم يوجد  
 ۵ ﴿او كذب بآيته﴾ أى برد ما أخبر به الرسل فحكم بانكار ما وجد<sup>۳</sup>.

و لما كان الجواب: لا أحد أظلم من هذا، بل هو أظلم الناس،  
 و كان مما علم أن الظالم مستحق للعقوبة فكيف بالأظلم قال: ﴿اولئك﴾  
 أى البعداء من الحضرات الربانية ﴿ينالهم نصيبهم من الكتب﴾ أى  
 الذى كتب حين نفخ الروح أو من الآجال التى ضربها سبحانه [لهم - ۴]  
 ۱۰ و الارزاق التى قسمها، تأكيداً لرد اعتراض من قال: إن كنا خالفنا فما

له لا يهلكنا؟ ثم غيى نيل النصيب بقوله: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾  
 أى الذين قسمنا لهم<sup>۵</sup> من عظمتنا ما شئنا حال كونهم ﴿يتوفونهم﴾  
 أى يقبضون أرواحهم كاملة من جميع أبدانهم ﴿قالوا ابن ما كنتم﴾  
 عنادا كمن هو فى جبلته ﴿تدعون﴾ أى دعاء عبادة ﴿من دون الله﴾  
 ۱۵ أى تزعمون<sup>۶</sup> أنهم واسطة لكم عند الملك الأعظم و تدعونهم حال كونكم  
 معرضين عن الله، ادعواهم الآن ليمنعوكم من عذاب الهوان<sup>۷</sup> الذى نذيقكم  
 ﴿قللوا ضلوا﴾ أى غابوا ﴿عنا﴾ فلا ناصر لنا .

(۱) فى ظ و (۲) من ظ، وفى الأصل: يوجد (۳) فى ظ: يوجد (۴) فى ظ:  
 الذى (۵) زيد من ظ (۶) سقط من ظ (۷) من ظ، وفى الأصل: يزعمون .  
 (۸) من ظ، وفى الأصل: او (۹) فى ظ: الهون .



ولما كان الإله لا يغيب فعلوا ضلالهم بغيتهم عنهم ، قال مترجما عن ذلك : ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ أى بالغوا فى الاعتراف ﴿ انهم كانوا كافرين ﴾ أى ساترين عناداً لما كشف لهم عنه نور العقل فلا مانع منه إلا حظوظ النفوس ولزوم البؤس .

ولما كان كأنه قيل : لقد اعترفوا ، والاعتراف - كما قيل - إنصاف ، هـ  
فهل ينفعهم ؟ قيل : هيئات ! فأت محله بفوات ' دار العمل لا جرم ! ﴾ قال ﴿  
أى الذى جعل الله إليه أمرهم ﴾ ادخلوا ﴾ كائنين ﴾ فى أمم ﴾ أى فى جملة جماعات و فرق أم بعضها بعضاً ؛ ثم وصفهم دالاً بقاء التأنيث على ضعف عقولهم فقال : ﴿ قد خلت ﴾ ولما كان فى الزمن الماضى من آمن ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ ولما كان الجن الأصل فى الإغواء ١٠ قدمهم فقال : ﴿ من الجن والانس ﴾ ثم ذكر محل الدخول فقال : ﴿ فى النار ﴾ .

ولما جرت عادة الرفاق بأنهم يتكلمون و حين الاجتماع يتسالمون تشوف السامع إلى حالهم فى ذلك فقال مجيباً له : ﴿ كلما دخلت أمة ﴾ أى منهم فى النار ﴿ لعنت اختها ﴾ أى القرية منها فى الدين ١٢ والملة التى قضيت آثارها و اتبعت منارها ، يلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى - وهكذا ، واستمر ذلك منهم ﴿ حتى إذا ادركوا ﴾ أى تداركوا وتلاحقوا ، يركب بعضهم بعضاً - بما يشير إليه الإدغام ﴿ فيها جميعاً ﴾ لم يبق منهم أمة ولا واحد من أمة ﴿ قالت اخرئهم ﴾ أى فى الزمن

(١) فى ظ : بفوت (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : الزمن (٤) من ظ ، وفى الأصل : نعت - كذا (٥) فى ظ : احداً .

والمثولة ، وهم الاتباع والسفل ﴿لأولهم﴾ أى لأجلهم مخاطبين لله  
خطاب المخلصين ﴿ربنا﴾ أى الذى ما قطع إحسانه فى الدنيا عنا على<sup>٢</sup>  
ما كان منا من مقابلة إحسانه بالإساءة ﴿هؤلاء﴾ أى الأولون ﴿اضلونا﴾  
أى لكونهم أول من سن الضلال ﴿فاتهم﴾ أى أذقهم بسبب ذلك  
هـ ﴿عذابا ضعفا﴾ أى يكون بقدر عذاب غيرهم<sup>٣</sup> مرتين لأنهم ضلوا  
و اضلوا لأنهم سنوا الضلال ، « ومن سن سنة [ سيئة - <sup>١</sup> ] كان عليه  
وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » ومنه « لا تقتل » [ نفس ظلما  
إلا على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل - <sup>٤</sup> ] ،  
ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم : / ﴿ من النار ﴾ .

/ ٢٩٨

١٠. ولما كان كأنه قيل : لقد قالوا ما له وجه ، فبم أجبوا ؟ قيل :  
﴿ قال ﴾ أى جوابا لهم ﴿ لكل ﴾ أى من السابق واللاحق والمتبوع  
والتابع ﴿ ضعف ﴾ وإن لم يكن الضعفان<sup>٦</sup> متساويين لأن المتبوع وإن  
كان سببا لضلال التابع فالتابع<sup>٧</sup> أيضا كان سببا لهدى المتبوع فى ضلاله  
وشدة شكيمته [ فيه بتقويته - <sup>٤</sup> ] بالاتباع وتأيدته بالمناضلة عنه والدفاع ؛  
١٥ ولما كانوا جاهلين باستحقاقهم الضعف لسبب هذه الدققة قال :  
﴿ ولكن لا تعلمون هـ ﴾ أى بذلك .

ولما ذكر ملام الآخرين على الأولين ، عطف عليه جواب الأولين  
فقال : ﴿ وقالت أولهم ﴾ أى أولى الفرق والامم ﴿ لاخرهم ﴾ مسيين  
(١) من ظ ، وفى الأصل : ايها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ربهم ربهم - كذا .  
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يقبل (٦) من ظ ، وفى الأصل :  
الضعفا - كذا (٧) فى ظ : اذ - كذا .

عن<sup>١</sup> تأسيسهم لهم الضلال ودعائهم إليه ﴿فما كان لكم علينا﴾  
 أى بسبب انقيادكم لنا واتباعكم في الضلال ﴿من فضل﴾ أى لنحمل<sup>٢</sup>  
 عنكم بسببه شيئاً من العذاب لأنه لم يعد علينا من ضلالكم نفع وقد شاركتمونا  
 في الكفر ﴿فذوقوا﴾ أى بسبب ذلك ﴿العذاب﴾ في سجين ﴿بما﴾  
 أى بسبب ما ﴿كتم تكسبون<sup>٣</sup>﴾ لا بسبب اتباعكم لنا في الكفر . ه  
 ولما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص<sup>٤</sup>، أخبر  
 أن هؤلاء ليسوا كذلك، لأنهم أنجاس فليسوا أهلاً لمواطن الأقداس،  
 فقال مستأنفاً لجواب من كأنه قال: أما هؤلاء خلاص؟ وأظهر موضع  
 الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف: ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا﴾ أى  
 وهى المعروفة بالعظمة بالنسبة إلينا ﴿واستكبروا عنها﴾ أى وأوجدوا ١٠  
 الكبر<sup>٥</sup> متجاوزين عن اتباعها ﴿لا تفتح لهم﴾ أى لصعود أعمالهم  
 ولا دعائهم ولا أرواحهم ولا لنزول البركات عليهم ﴿ابواب السماء﴾  
 لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية فاذا صعدت<sup>٦</sup> أرواحهم  
 الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب دونها ثم أقيمت  
 من هناك إلى سجين ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أى التى هى أطهر المنازل ١٥  
 وأشرفها ﴿حتى﴾ يكون ما لا يكون بأن ﴿يلج﴾ أى يدخل ويجوز<sup>٧</sup>  
 ﴿الجل﴾ على كبره ﴿في سم﴾ أى في<sup>٨</sup> خرق ﴿الخياط<sup>٩</sup>﴾ أى  
 (١) من ظ، وفي الأصل: على (٢) من ظ، وفي الأصل: ليحمل (٣) من ظ  
 والقرآن الكريم، وفي الأصل: تكفرون - كذا (٤) - سقط من ظ (٥) من  
 ظ، وفي الأصل: الكفر (٦) من ظ، وفي الأصل: اصعدت (٧) في ظ: ينجيل - كذا.

الإبرة<sup>١</sup> أى حتى يكون ما لا يكون ، إذا<sup>٢</sup> [ فهو تعليق على محال -<sup>٣</sup> ] ، فإن  
الجل مثل فى عظم الجرم عند العرب ، وسم الإبرة مثل فى ضيق  
المسلك ، يقال : أضيق من خرق الإبرة ، ومنه الماهر الخريت للدليل  
الذى يهتدى فى المضايق المشبهة بأخراق الإبر ؛ وعن ابن مسعود  
رضى الله عنه أنه سئل عن الجل فقال : زوج الناقة - استجهالا للسائل  
وإشارة إلى أن<sup>٤</sup> طلب معنى آخر غير هذا الظاهر تكلف .

ولما كان هذا للكذابين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين أيضا  
فقال : ( وكذلك ) أى [ و -<sup>٥</sup> ] مثل ذلك الجزاء بهذا العذاب

[ وهو أن دخولهم الجنة محال عادة -<sup>٦</sup> ] (نجزى المجرمين \* ) أى القاطعين  
١٠ لما أمر الله به أن يوصل وإن كانوا أذنانا مقلدين للمستكبرين [ المكذبين -<sup>٧</sup> ] ؛  
ثم فسر جزاء الكل فقال : ( لهم من جهنم مهاد ) أى فرش من تحتهم ،  
جمع مهد ، ولعله لم يذكره لأن المهاد كالصريح فيه ( ومن فوقهم غواش<sup>٨</sup> )  
أى أعطية - جمع غاشية - تغشيهم من جهنم<sup>٩</sup> ؛ و صرح فى هذا بالفوقية  
لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال ، أو كانت بمعنى مجرد الوصول  
١٥ والإدراك ، ولعله إنما حذف الأول لأن الآية من الاحتباك ، فذكر  
جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا ، و ذكر الفوق ثانيا دليلا على إرادة  
التحت أولا .

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .  
(٤) من ظ ، وفى الأصل : جهتهم .

و لما كان بعضهم 'ربما لا تكون' له أهلية قطع ولا وطل ، قال  
 عاما لجميع أنواع الضلال : ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك الجزء  
 ﴿ نجزي الظالمين ﴾ ليعرف أن المدار على الوصف ، والمجرم : المذنب ،  
 ومادته ترجع<sup>١</sup> إلى القطع ، والظالم : الواضع للشيء في غير موضعه كفعل  
 من يمشى في الظلام ، [ ويجوز -<sup>٢</sup> ] أن يكون نبه سبحانه بتغاير الأوصاف<sup>٣</sup> هـ  
 على تلازمها ، فمن كان ظالما لزمه الإجرام والتكذيب والاستكبار  
 / وبالعكس .

٢٩٩ /

و لما أخبر عن أحوالهم ترهيبا ، أتبعه الإخبار عن أحوال المؤمنين  
 ترغيبا فقال : ﴿ والذين آمنوا ﴾ في مقابلة "الذين كذبوا"<sup>٤</sup> .  
 و لما قال : ﴿ وعملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم في مقابلة "الذين استكبروا"<sup>٥</sup> .  
 ﴿ الصلحت ﴾ وكان ذلك مظنة لتوهم أن عمل جميع الصالحات - لأنه  
 جمع محلى<sup>٦</sup> [ بالالف و -<sup>٢</sup> ] اللام - شرط في دخول الجنة ؛ خلل ذلك بجملة  
 اعتراضية تدل على التخفيف فقال : ﴿ لا تكلف نفسا الا وسعها ﴾ وترغيبا  
 في اكتساب<sup>٧</sup> ما لا يوصف من النعيم بما هو في الوسع ﴿ اولئك ﴾ أى  
 العالو الرتبة<sup>٨</sup> ﴿ اصحب الجنة ﴾<sup>٩</sup> و لما كانت الصحة تدل على الدوام ، ١٥  
 صرح به فقال : ﴿ هم فيها خالدون ﴾ .

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : انما لا يكون (٢) من ظ ، وفي الأصل : يرجع هـ  
 (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الأصواف (٥) من ظ و القرآن  
 الكريم ، وفي الأصل : اتقوا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : كفروا - كذا .  
 (٧) في ظ : نحكي (٨) من ظ ، وفي الأصل : باللام (٩) من ظ ، وفي الأصل :  
 الكتاب (١٠) من ظ ، وفي الأصل : الدين ،

ولما كانت الدار لا تطيب إلا بحسن الجوار قال : ( ونزعنا )  
 أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء ( ما<sup>١</sup> ) كان فى الدنيا  
 ( فى صدورهم من غل ) أى ضغينة وحق و غش من بعضهم على بعض  
 يغفل ، أى يدخل بلطف إلى صميم القلب ، ومنه الغلول ، وهو الوصول  
 بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة ، ويقال : غل فى الشيء<sup>٢</sup> وتغلغل فيه - إذا  
 دخل فيه بلطافة كالحب يدخل فى صميم الفؤاد ، حتى أن صاحب الدرجة  
 [ الساقطة لا يحسد صاحب - ٣ ] العالية .

ولما كان حسن الجوار لا يلد إلا بطيب القرار باحكام الدار ، وكان  
 الماء سبب العمارة و طيب المنازل ، و كان الجارى منه أعم نقعا و أشد  
 ١٠ استجلابا للسرور<sup>٣</sup> قال تعالى : ( تجري من ) وأشار إلى علوم بقوله :  
 ( تحتهم الأنهرج ) فلما تمت لهم النعمة بالماء الذى به حياة كل شيء ففرح  
 أنه يكون<sup>٤</sup> عنه الرياض و الأشجار<sup>٥</sup> و كل ما به حسن الدار ، أخبر عن  
 تعاطيهم الشكر لله و لرسوله المستجلب للزيادة بقوله : ( وقالوا الحمد ) أى  
 الإحاطة بأوصاف الكمال ( لله ) أى المحيط بكل شيء علما و قدرة لذاته  
 ١٥ لا لشيء آخر ، ثم وصفوه بما يقتضى ذلك له لأوصافه أيضا ، فقالوا  
 معلين أنه<sup>٦</sup> لا سبب لهم فى الوصول إلى النعيم غير فضله فى الأولى

( ١ ) تأخر فى الأصل عن « فى الدنيا » والترتيب من ظ ( ٢ ) من ظ ، وفى  
 الأصل : السى ( ٣ ) زيد من ظ ( ٤ ) سقط من ظ ( ٥ ) فى ظ : بالسرور ( ٦ ) زيد  
 بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها ( ٧ ) فى ظ : تكون ( ٨ ) من  
 ظ ، وفى الأصل : الإيجاب - كذا ( ٩ ) فى ظ : لأنه .

و الأخرى : ﴿الذى هدنا﴾ أى بالبيان و التوفيق ، [ و أوقعوا الهداية على ما وصلوا إليه إطلاقاً للسبب على السبب - ١ ] ﴿لهذا﴾ أى للعمل<sup>٢</sup> الذى أوصلنا إليه ﴿وما﴾ أى و الحال أنا ما ﴿كنا لنهتدى﴾ أصلاً لبناء جبلتنا على خلاف ذلك ﴿لو لا ان هدنا الله﴾ أى الذى له الأمر كله ، و قراءة<sup>٣</sup> ابن عامر بغير واو على أن الجملة موضحة لما قبلها ، و القراءتان هـ دامتان للقدرة .

و لما كان تصديقهم للرسل فى الدنيا إيماناً بالغيب من باب علم اليقين ، أخبروا فى الآخرة بما وصلوا إليه من عين<sup>٤</sup> اليقين سرورا و تبججا لا تعبداً ، و ثناء على الرسل و من أرسلهم بقولهم<sup>٥</sup> مفتحين بحرف التوقع لأنه محله : ﴿لقد جاءت رسل ربنا﴾ أى المحسن إلينا ١٠ ﴿بالحق﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع الذى لا زوال له .

و لما غبطوا أنفسهم و حقروها و أثبتوا الفضل لأهله ، عطف على قولهم [ قوله - ١ ] ما بنا عليهم بقبول أعمالهم ، و لما كان السار الإخبار عن الإرث لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿و نودوا﴾ أى إتماماً لنعيمهم ﴿ان﴾ هى المخففة من الثقيلة أو هى المفسرة ﴿تلكم الجنة﴾ ١٥ العالية ﴿اورثتموها﴾ أى صارت إليكم<sup>٦</sup> من غير<sup>٧</sup> تعب و لا منازع ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كنتم تعملون هـ﴾<sup>٨</sup> لأنه سبحانه جعله سبباً

- (١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : العمل (٣) فى ظ : قوا (٤) فى ظ : علم (هـ) فى ظ : بقواه (٦) فى ظ و ، (٧ - ٧) فى ظ : بغير . (٨) زيد بعده فى الأصل : أى إتماماً لنعيمهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذلتها .

١ ظاهريا بكرمه ، و السبب الحقيقي هو ما ذكره [م - ٢] من توفيقه .

ولما استقرت بهم الدار ، و نودوا بدوام الاستقرار ، أجزبتهم

أنهم أقبلوا متبججين على أهل النار شامتين بهم في إخلالهم داز البوار

تليذذا لأنفسهم بالنعم و تكديرا على الأشقياء في قوله : ( و نادى اصحب

الجنة ) أى بعد دخول<sup>٢</sup> كل من الفريقين إلى داره ( اصحب النار )

يخبرونهم بما أسبغ عليهم من النعم ، و يقررونهم بما كانوا يتوعدونهم

به من حلول<sup>٣</sup> النقم ؛ ثم فسر<sup>٤</sup> ما وقع له النداء بقوله : ( ان ) أو هي<sup>٥</sup>

مخففة من الثقيلة ، و ذكر حرف التوقع لأنه محله فقال : ( قد وجدنا )

أنى / بالبيان كما كنا واجدين له بالإيمان ( ما وعدنا ربنا ) أى المحسن / ٣٠٠

١٠ إلينا فى الدارين من الثواب ( حقا ) أى [ وجدنا جميع ما وعدنا

ربنا لنا و لغيرنا حقا - ٢ ] كما كنا نعتقد ( فهل وجدتم ) أى كذلك

( ما وعد ) و أثبت المفعول الأول تليذذا ، و حذفت هنا احتقارا

للخاطئين ، و ليشمل<sup>٦</sup> ما للفريقين فيكون ' وجد ' بمعنى العلم و بمعنى اللقي ،

و فى التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك تهكم بهم ( ربكم ) أى الذى

١٥ أحسن إليكم فقابلتم إحسانه بالكفران<sup>٧</sup> من العقاب ( حقا ) [ لكونكم

وجدتم ما توعدكم به ربكم حقا - ٢ ] ( قالوا نعم ج ) أى قد وجدنا ذلك

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : ظاهرا بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .

(٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : النعم بهم غير - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل :

يشتمل (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالكفر .



- كله حقا ؛ قال سيويه : 'نعم' عِدَّة ، أى فى جواب : أتعطينى كذا ، و تصديق فى مثل قد كان كذا ، [ و الآية من الاحتباك : أثبت المفعول الثانى أولا دليلا على حذف مثله ثانيا ، وحذفه ثانيا دليلا على إثبات مثله أولا - والله أعلم - ] .
- ولما حبا من النعم بما تقدم ، وكان منه الجار الحسن ، وكان العيش مع ذلك لا يهنا إلا بابعاد جار السوء ، أخبروا ببعده و زيدوا سرورا ه
- باهاته فى قوله : ﴿ فاذن ﴾ أى بسبب ما أقر به أهل النار على أنفسهم ﴿ مؤذن بينهم ﴾ أى بين الفريقين ﴿ ان ﴾ مخففة أو مفسرة فى قراءة نافع و أبى عمرو و عاصم ، و شددتها الباقون و نصبوا ﴿ لعنة الله ﴾ أى طرد الملك الأعظم و إبعاده على وجه الغضب ﴿ على الظالمين ﴾ أى الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الأشياء فى غير مواضعها كحال ١٠
- من لم ير نورا أصلا ﴿ الذين يصدون ﴾ أى لهم فعل الصد لمن أراد الإيمان و لمن آمن و لغيرهما بالإضلال بالإرغاب و الإرهاب و المكر و الخداع ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى طريق دين الملك الذى لا كفوء له الواضح الواسع ﴿ و ييغونها ﴾ أى يطلبون لها ﴿ عوجاج ﴾ بالقاء الشكوك و الشبهات ، و قد تقدم ما فيه فى آل عمران ﴿ و هم بالآخرة كفرون ﴾ ١٥
- أى ساترون ما ظهر لعقولهم من دلائلها ؛ فتى وجدت هذه الصفات الأربع حقت اللعنة ﴿ و بينهما ﴾ أى [ و - ] حال الفريقين عند [ هذه - ] ١
- المناداة أنه بينهما ؛ أو بين الدارين ؛ ﴿ حجاب ج ﴾ أى سور لثلا يحجب أهل
- 
- (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لخال (٣) فى ظ : فى - كذا .  
(٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

النعم في دارهم ما يكدر نعيمها ﴿و على الاعراف﴾ جمع عرف وهو كل عال مرتفع لانه يكون أعرف مما انخفض ، و هي المشرفات من ذلك الحجاب ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم و سيئاتهم فوقوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا في مسند ابن أبي خيثمة من حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يعرفون كلا﴾ أى من أصحاب الجنة و أصحاب النار قبل دخول كل منهم داره ﴿بسيمئهم﴾ أى علامتهم ﴿و نادوا﴾ أى أصحاب الاعراف ﴿اصحب الجنة﴾ أى بعد دخولهم إليها و استقرارهم فيها ﴿ان سلم عليكم﴾ أى سلامة و أمن من كل ضار .

١٠ و لما كان هذا السلام ربما أشعر أنه بعد دخول أهل الاعراف الجنة ، فكأنه قيل : أ<sup>٢</sup> كان نداؤهم بعد مفارقتهم الاعراف ودخولها ؟ قليل : لا ، ﴿لم يدخلوها﴾ أى الجنة بعد ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم ﴿يطمعون﴾ فى دخولها ، و عبر بالطمع لانه لا سبب للعباد إلى الله من أنفسهم وإن كانت لهم أعمال فضلا عن مؤلاء الذين لا أعمال لهم .

١٥ و لما دل ما تقدم على أنهم مقبلون على الجنة و أهلها ، قال مرغبا مرها : ﴿واذا صرفت﴾ بناء للفعول لأن الخيف لهم الصرف لا كونه من معين ﴿ابصارهم﴾ أى صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم ﴿تلقاء﴾ أى وجاه ﴿اصحب النار﴾ أى بعد استقرارهم فيها فرأوا ما فيها من العذاب ﴿قالوا﴾ أى أصحاب الاعراف حال كونهم لم يدخلوها

(١) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ ،

وهم يخافون [مستعيزين منها - ١] ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا فى الدنيا بكل إحسان وفى الآخرة بكونك لم تدخلنا إلى هذا الوقت إلى النار ﴿لا نجعلنا مع القوم الظالمين﴾ بأن تدخلنا مدخلهم .

ولما تقدم كلامهم لأهل الجنة بالسلام، أخبر أنهم يكلمون أهل النار بالتوبيخ والملام فقال: ﴿ونادى﴾ وأظهر الفاعل ثلثا يلبس بأهل الجنة فقال: ﴿اصحب الاعراف﴾ أى حال صرف وجوههم إلى جهة أهل النار ﴿رجالا﴾ أى من أهل النار ﴿يعرفونهم﴾ أى بأعيانهم، وأما معرفتهم إجمالا فتقدم، وإنما قال هنا: ﴿بسمهم﴾ لأن النار قد أكلتهم وغيرت معاملهم مع تغيرهم بالسمن وسواد الوجوه وعظم الجثث ونحوه ﴿قالوا﴾ نفيا أو استفهاما توبيخا وتقريبا ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ ١٠ أى للمال والرجال ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ أى تجددون بها هذه الصفة وتوجدونها دائما فى الدنيا زاعمين أنه لا غالب لكم؛ ثم زادوا فى توبيخهم وتقريعهم وتحزينهم وتأسيفهم والإنكار عليهم بقولهم مشيرين إلى ناس كانوا يستضعفونهم من أهل الجنة ويحقرونهم: ﴿اهؤلاء﴾ وكأنه يكشف لهم عنهم حتى يروهم زيادة فى عذابهم ﴿الذين اقسستم﴾ ١٥ أى فى الدنيا ﴿لا ينالهم الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿برحمة﴾ فكيف بكمال الرحمة .

ولما كان التصريح بأمرهم بدخول الجنة إنكاه لأهل النار لانه أنقى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: الجنب (٤) فى ظ  
«و» (٥) من ظ، وفى الأصل: بقوله (٦) من ظ، وفى الأصل: وهم - كذا.

لما أقسموا عليه ، قالوا : ﴿ ادخلوا ﴾ أى قال الله لهم أو قائل من قبله :  
 ادخلوا ﴿ الجنة لا خوف عليكم ﴾ أى من شئ يمكن توقع أذاه  
 ﴿ ولآ اتم تخزنونه ﴾ أى يتجدد لكم حزن فى وقت من الاوقات على  
 شئ فات لما عندكم من الخيرات التى لا تدخل تحت الوصف .

٥ ولما تقدم نداء أصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها  
 لأصحاب النار بما يؤلم وينكى<sup>١</sup> ، وختم بهذه الرحمة التى تطمع المحروم  
 فيما يسر ويزكى ، أخبر أن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة عند ما حصل  
 لهم من الغم بدخولها ، لكن بما شأنه أن يرقق ويبكى ، فقال ما يدل على أن  
 عندهم كل مانق عن أهل الجنة فى ختام الآية السالفة من الخوف والحزن :  
 ١٠ ﴿ و نادى أصحاب النار ﴾ أى بعد الاستقرار ﴿ أصحاب الجنة ﴾ بعد أن<sup>٢</sup>  
 عرفهم إياهم وأمر الجنة فتزخرفت فكان ذلك زيادة فى عذابهم ؛  
 ثم فسر المنادى به فقال : ﴿ ان افيضوا علينا من الماء ﴾ أى لأنكم أعلى  
 منا ، فاذا أفضتموه وصل إلينا ، وهذا من فرط ما هم فيه من البلاء ، فان  
 بين<sup>٣</sup> النار والجنة أهوية لا قرار لها ولا يمكن وصول شئ من الدارين  
 ١٥ إلى الأخرى معها .

ولما كانت الإفاضة تتضمن الإنزال قالوا : ﴿ او ﴾ أى<sup>٢</sup> أو أنزلوا  
 علينا ﴿ بما رزقكم الله<sup>١</sup> ﴾ أى الذى له الغنى المطلق ، من أى شئ هان  
 عليكم إنزاله ﴿ قالوا ﴾ أى أصحاب الجنة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى حاز  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : لا يدخل (٢) فى ظ : يبكى (٣) سقط من ظ .  
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : يتضمن .

جميع العظمة ﴿ حرهما ﴾ أى منعها بتلك الأهوية وغيرها من الموانع  
 ﴿ على الكافرين ١ ﴾ أى الساترين لما دلم عليهم قويم العقل و صريح  
 النقل ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى تكلفوا غير ما دلم عليهم عليه العقل الفطرى  
 حين نبه بالعقل الشرعى بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ بعد ما محقوا صورته  
 و حقيقته كما يحق الطين إذا اتخذته خزفا ، فصار الدين ﴿ لهوا ﴾ أى ٥  
 اشتغالا بما من شأنه أن يقفل و ينسى عن كل ما ينفع من الأمور المعجبة  
 للنفس من غير نظر فى عاقبة ، فجوزوا من [جنس - ١] عملهم بأن  
 لم ينظر لهم فى إصلاح العاقبة .

ولما قدم ما هو أدعى إلى الاجتماع على الباطل الذى هو ضد  
 مقصود السورة من الاجتماع على الجد و أدعى إلى الغفلة ، وكان من ١٠  
 شأن الغفلة [ عن الخير - ٢ ] أن تجر إلى استجلاب الأفراح و الانهاك  
 فى الهوى ، حقق ذلك [ بقوله - ٢ ] : ﴿ ولعبا ﴾ أى إقبالا على ما يجلب  
 السرور و يقطع الوقت الحاضر بالغرور ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ و غرتهم ﴾  
 أى فى فعل ذلك ﴿ الحياة الدنيا ﴾ أى بما فيها من الأعراض الزائلة من  
 تأميل طول العمر و البسط\* فى الرزق و رغد العيش حتى صاروا بذلك ١٥  
 مجبورين عن نظر معانيها و عما دعا إليه تعالى من الأعراض عنها فلم يحسبوا  
 / حساب ما وراءها . [ ولما كان تركهم من رحمته سبحانه مؤبدا ، أسقط  
 ٣٠٢ / الجار - ١٢ ] ﴿ فالיום ﴾ أى قسب<sup>٦</sup> عن ذلك أنا فى هذا اليوم ﴿ أنفسهم ﴾  
 (١) فى ظ : دل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : بالغرور (٥) فى ظ :  
 البسطة (٦) من ظ ، و فى الأصل : فسبب .

نظم الدرر (سورة الاعرف ٧: ٥١-٥٣) ج - ٧

أى نتركهم ترك المنسى ﴿ كما ﴾ فعلوا [ م - ' ] بأنفسهم بأن ﴿ نسوا ﴾ أى تركوا ﴿ لقاء يومهم هذا ﴾ فلم يعدوا له عدته ﴿ وما ﴾ أى و ﴿ كانوا ﴾ أى جيلة و طبعاً ﴿ بآيتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ﴿ يمحذون ﴾ أى ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لأنها فى غاية الظهور .

٥ ولما ذكر نسيانهم و جحودهم ، ذكر حالهم عند ذلك فقال :  
﴿ ولقد ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أنا و عزتنا قد ﴿ جننهم ﴾ أى على عظمتنا باتيان رسولنا إليهم عنا ﴿ بكتب ﴾ ليس هو موضعاً للجد أصلاً ؛ ثم بين ذلك فى سياق مرغب للؤالف مرهب للخالف فقال :  
﴿ فصلنه ﴾ أى بينا معانيه لم ندع فيها لبساً ، وجعلنا آياته فواصل حال  
١٠ كون ذلك التفصيل ﴿ على علم ﴾ أى عظيم ، فجاء معجزاً فى نظمه ومعناه وسائر علمه ومغزاه ، و حال كونه ﴿ هدى ﴾ أى يانا ﴿ ورحمة ﴾ أى إكراماً ، ثم خص المتفهمين به لأن من لا ينتفع بالشيء فهو كالمعدوم فى حقه فقال : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أى فيهم قابلية ذلك ، وفيه رجوع إلى وصف الكتاب [ الذى هو أحد مقاصد السورة على  
١٥ أبدع وجه فى أحسن أسلوب .

ولما وصف الكتاب - ' ] و ذكر المتفهم به ، تشوفت النفس إلى السؤال عن حال من لا يؤمن به وهم الجاحدون ، فقال مشيراً إلى أن حالهم فى وقوفهم عن<sup>٢</sup> المتابعة بعد العلم بصدقه بعجزهم عنه كحال من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : على .

ينتظر

ينتظر أن يأتي مضمون وعيده: ﴿هل ينظرون﴾ أى ينظرون، ولكنه لما لم يكن لهم قصد فى ذلك بغير ما يفهمه الحال، جرد الفعل وإفادة أنه بتحقيق إتيانه<sup>٢</sup> فى غاية القرب حتى كأنه مشاهد لهم ﴿الا تاويله<sup>٣</sup>﴾ أى تصوير<sup>٤</sup> ما فيه من وعد وعيد إلى مقارنه وعواقب أمره التى أخبر أنه يصير إليها.

ولما كان كأنه قيل: ما يكون حالهم حينئذ؟ قال: التحسر والإذعان حيث لا ينفع، والتصديق والإيمان حين لا يقبل، وعبر عن ذلك بقوله: ﴿يوم يأتى تاويله﴾ أى بلوغ وعيده إلى مبلغه فى الدنيا أو فى الآخرة؛ ولما قدم اليوم اهتماما به، أتبعه العامل فيه فقال: ﴿يقول الذين نسوه﴾ أى تركوه ترك المنسى، ويجوز أن يكون عد ذلك ١٠ نسيانا لأنه ركز فى ° الطباع أن كل ملك لا بد له من عرض جنده ومحاسبتهم، فلما أعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز فى ° طباعهم.

ولما كان نسيانهم فى بعض الزمان السابق، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل كشف الغطاء محققين للتصديق ﴿قد جاءت﴾ أى ١٥ فيما سبق من الدنيا ﴿رسل ربنا﴾ أى المحسن إلينا ﴿بالحق ج﴾ أى المطابق لهذا الواقع الذى نراه مما كانوا يتوعدونا به، فما صدقوا حتى رأوا

(١) فى ظ: ليحقق (٢) من ظ، وفى الأصل: إتيانه (٣) من ظ، وفى الأصل: يصير (٤-٤) تكرر ما بين الرقين فى ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ.

فلم يؤمنوا بالغيب [ولا - ١] أوقعوا الإيمان في دار العمل فلذا لم ينفعهم .

ولما وصفوه سبحانه بالإحسان لما كشف الحال عنه من حله و طول  
أناته، سيوا عن ذلك قولهم: ﴿فهل لنا من شفعاء﴾ أى في هذا اليوم،  
وكانهم جمعوا الشفعاء لدخولهم في جملة الناس في الشفاعة العظمى لفصل  
القضاء؛ ثم سيوا عن ذلك تحقيق كونهم لهم أى بالخصوص فقالوا:  
﴿فيشفعوا لنا﴾ أى سواء كانوا من شركائنا الذين كنا توهم فيهم النفع  
أو من غيرهم ليغفر لنا ما قدمنا من الجرائم ﴿او زرد﴾ أى إن لم يغفر لنا  
إلى الدنيا التي هي دار العمل، والمعنى أنه لا سبيل لنا إلى الخلاص إلا  
١٠ أحد هذين السبيلين<sup>٢</sup>؛ ثم سيوا عن جواب هذا الاستفهام الثاني قولهم:  
﴿فنعمل﴾ أى في الدنيا ﴿غير الذي كنا﴾ أى بجلالتنا من غير نظر  
عقلي ﴿نعمل ط﴾ .

ولما كان من المعلوم عند من صدق القرآن و علم 'مواقع ما فيه'  
من الأخبار أنه لا يكون لهم شيء من ذلك، كانت نتيجة قوله:  
١٥ ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ أى فلا أحد أخسر منهم ﴿و ضل﴾ أى غاب و بطل  
/ ٣٠١ / ﴿عنهم ما كانوا﴾ / أى جبلة و طبعا، لا يمكنهم الرجوع<sup>٣</sup> عنه إلا عند  
روية البأس<sup>٤</sup> ﴿يفترون ع﴾ أى يتعمدون في الدنيا من الكذب

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الشيتين .

(٤-٤) في ظ : ما وقع (٥) في ظ : نتيجة (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ .



في أمره لقصد العناد للرسل من ادعاء أن الأصنام تشفع لهم [ و - ١ ] من غير ذلك من أكاذيبهم .

ولما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع : التوحيد و النبوة و المعاد و العلم ، و طال الكلام في إخباره سبحانه عن أوامره و نواهيه و أفعاله بأوليائه و أعدائه الدالة على تمام القدرة و العلم ، و ختم بأن شركاءهم هـ تغنى عنهم ، علل <sup>٢</sup> ذلك بأنه<sup>٢</sup> الرب لا غيره ، في سياق دال على الوحدانية التي هي أعظم مقاصد السورة ، كفيل باظهار الحجج عليها ، و على المقصد الثاني - و هو الإعادة التي فرغ من تقرير أحوالها بالإبداء الذي تقرر في العقول أنه<sup>٣</sup> أشد من الإعادة - بأدلة متكفلة<sup>٤</sup> بتمام القدرة و العلم فقال :

﴿ ان ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد من العدم و تدبير المصالح هو ﴿ الله ﴾ ١٠  
أى الملك الذى لا كفوء له وحده لا صنم ولا غيره ؛ ثم وصفه بما حقق ذلك فقال : ﴿ الذى خلق السموات و الارض ﴾ أى على اتساعها و عظمتها .

ولما كان ربما قال الكفار : ما له إذا كان قادرا و أنت محق في رسالتك لا يعجل لنا الإتيان بتأويله ، بين أن عادته الأناة و إن كان ١٥ أمره و أخذه كلمع بالبصر إذا أراد<sup>٥</sup> ، فقال : ﴿ فى ستة ايام ﴾ أى في مقدارها<sup>٦</sup> ؛ ولما كان تدبير هذا الخلق أمرا باهرا لا تسعه العقول ، ولهذا كانت قريش تقول : كيف يسع الخلق إله واحد ! أشار إلى

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : بان (٣) في ظ : الذى (٤) من ظ ، و في الأصل : متكلفة (٥) من ظ ، و في الأصل : اراد (٦) من ظ ، و في الأصل : مقدارها .

عظمته وعلو رتبته بأداة البعد فقال: ﴿تم استوى على العرش﴾<sup>١</sup>  
 أى أخذ فى التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذا مستوفى مستقصى  
 مستقلا<sup>٢</sup> به لأن هذا شأن من يملك ملكا يأخذ فى تديره وإظهار  
 أنه لا منازع له فى شيء منه وليكون<sup>٣</sup> خطاب الناس على ما ألفوه<sup>٤</sup> من  
 ٥ ملوكهم لتستقر فى عقولهم عظمتة سبحانه، وركز فى فطرم الأولى من  
 نفي التشبيه<sup>٥</sup> منه، ويقال: فلان جلس على سرير الملك، وإن لم يكن  
 هناك سرير ولا جلوس، وكما يقال فى ضد ذلك: فلان ثل عرشه، أى  
 ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد أمره، فيكون هذا كناية لا يلتفت  
 فيه إلى أجزاء التركيب، والألفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل:  
 ١٠ طويل النجاد، وللكریم: عظيم الرماد.

ولما كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ابتدأ من التدبير بما هو آية  
 ذلك بمشاهدته فى تغطية الأرض بظلامه فى آن واحد، فقال دالا على  
 كمال قدرته المراد بالاستواء بأمر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التى  
 جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود: ﴿يغشى﴾ أى استوى حال كونه  
 ١٥ يغشى ﴿الليل النهار﴾ و<sup>٦</sup> قال أبو حيان: وقرأ حميد بن قيس: يغشى الليل -  
 بفتح الباء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام، كذا<sup>٧</sup> قال عنه<sup>٨</sup>  
 أبو عمرو الداني،<sup>٩</sup> وقال أبو الفتح بن جنى عن حميد بنصب الليل ورفع  
 (١) من ظ، وفى الأصل: مستقبلا (٢) من ظ، وفى الأصل: قال - كذا.  
 (٣) من ظ، وفى الأصل: الفقى - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: الشبه.  
 (٥) سقط من ظ (٦-٦) تكرر ما بين الرقین فى ظ (٧) العبارة من هنا إلى  
 «أبى عمرو الدانى» ساقطة من ظ.

النهار ، وقال ابن عطية : وأبو الفتح أثبت ، [ و - ١ ] هذا الذي قاله<sup>٢</sup>  
 - من أن أبا الفتح أثبت - كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءة  
 [ ومعرفتها - ١ ] وضبط رواياتها واختصاصه بذلك بالمكان<sup>٣</sup> الذي  
 لا يدانيه أحد من أئمة القراءة فضلا عن النحاة الذين ليسوا مقرئين<sup>٤</sup>  
 ولا رويوا القراءة<sup>٥</sup> عن أحد ولا روى عنهم القراءة<sup>٥</sup> أحد ، هذا مع ٥  
 الديانة<sup>٦</sup> الزائدة والتثبت<sup>٦</sup> في النقل وعدم التجاسر<sup>٧</sup> وفور الحظ من  
 العربية ، فقد رأيت له كتابا في ' كلا ' وكتابا في إدغام أبي عمرو الكبير  
 دلا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة ولا المقرئين إلى  
 سائر تصانيفه ، والذي نقله أبو عمرو الداني عن حميد أمكن من حيث  
 المعنى ، لأن ذلك موافق لقراءة الجماعة إذ " البيل " في قراءتهم - وإن كان ١٠  
 منصوبا - هو الفاعل من حيث المعنى إذ همزة / النقل أو<sup>٨</sup> التضعيف  
 صيره مفعولا ، ولا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى ، لأن  
 المنصوبين تعدى إليهما الفعل وأحد هما فاعل من حيث المعنى ، فيلزم  
 أن يكون الأول منهما كما لزم ذلك في : ملكت زيدا عمرا ، إذ رتبة التقديم  
 هي الموضحة أنه الفاعل من حيث المعنى كما [ لزم ذلك - ٩ ] في ضرب ١٥  
 موسى عيسى - انتهى .

(١) زيد من البحر المحيط ٤ / ٣٠٩ (٢) من البحر ، وفي الأصل : قال (٣) في  
 ظ : المكان (٤) في ظ : معربين (٥) في البحر : القرآن (٦-٦) من ظ والبحر ،  
 وفي الأصل : الزيادة والتثيت (٧) من ظ والبحر ، وفي الأصل : النجاسة -  
 كذا (٨) من البحر ، وفي الأصل و ظ « و » (٩) زيد من ظ والبحر .

و لما أخبر سبحانه أن الليل يغطي النهار ، دل على أن النهار كذلك بقوله  
 مينا لحال الليل: ﴿ يطلبه ﴾ أى الليل يجر<sup>١</sup> و يطلب<sup>٢</sup> النهار دائماً طلباً (حيثاً)  
 أى سريعاً جداً لتغطية<sup>٣</sup> الليل ، وذلك لأن الشيء لا يكون مطلوباً  
 إلا بعد وجوده ، وإذا وجد النهار كان مغطياً لليل<sup>٤</sup> ، لأنها ضدان ،  
 ٥ وجود أحدهما ماح لوجود الآخر ، و ابتداء سبحانه بذكر الليل لأن  
 إغشائه أول كائن بعد تكمل الخلق ، و حركتهما بواسطة حركة  
 العرش ، و لذا ربطتهما به ، و هى أشد الحركات سرعة و أكملها شدة ،  
 و للشمس نوعان من الحركة : أحدهما بحسب ذاتها تتم بقطع الدرج كلها  
 فى<sup>٥</sup> جميع الفلك ، و بسببه تحصل السنة ، و الثانى بحسب حركة الفلك  
 ١٠ الأعظم تتم<sup>٦</sup> فى اليوم بليته ، و الليل و النهار إنما يحصلان<sup>٧</sup> بسبب<sup>٨</sup>  
 حركة السماء الأقصى الذى يقال له<sup>٩</sup> العرش لا بسبب حركة النيرين ،  
 و أجاز ابن جنى أن يكون " يطلبه " حالا من النهار فى قراءة الجماعة  
 و إن كان مفعولاً ، أى حال كون النهار يطلب الليل حيثاً ليغطيه<sup>١٠</sup> ،  
 و أن يكون حالا منهما معا لأن كلا منهما طالب للآخر ، " و بهذا  
 ١٥ ينظم ما قاله فى قراءة حميد ، فان كلا منهما يكون غاشياً للآخر " ،  
 قال فى كتابه المحتسب فى القراءات الشواذ : و وجه صحة القراءتين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : طلب (٣) فى ظ : ليغطيه .  
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : الليل (٥) من ظ ، وفى الأصل : فمن (٦) فى ظ :  
 يتم (٧) من ظ ، وفى الأصل : يحصلان (٨) فى ظ : بحسب (٩) من ظ ،  
 وفى الأصل : لتغطيه (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[و- ١] التقاء معنيهما أن الليل والنهار يتعاقبان ، وكل واحد منهما<sup>٢</sup> وإن أزال صاحبه فإن صاحبه أيضا مزيل له . وكل واحد منهما على هذا فاعل وإن كان مفعولا ومفعول وإن كان فاعلا ، على<sup>٣</sup> أن الظاهر في الاستحاث هنا إنما هو النهار لأنه بسفوره وشروقه أظهر أثرا في الاستحاث من الليل . ولما ذكر الملوك ، أتبعها آية كل فقال : ﴿ والشمس والقمر والنجوم ﴾ أى 'خلقها ، أو' يغشى كل قبيل منهما<sup>٤</sup> ما الآخر آيته حال كون الكل ﴿ مسخرات ﴾ أى للسير وغيره ﴿ بامرء ﴾ وهو إرادته وكلامه ، تقودها الملائكة كما<sup>٥</sup> روى أن الله ملائكة يحرون الشمس والقمر .

ولما صح<sup>٦</sup> أن جميع ما نراه<sup>٧</sup> من الذوات خلقه ، وما نعلمه من المعاني أمره ، أنتج قطعا قوله : ﴿ الاله ﴾ أى وحده ، [ و قدم المسبب ١٠ على السبب ترقية - كما هو مقتضى الحكم - من المحسوس إلى المعقول فقال - ١ ] : ﴿ الخلق ﴾ وهو ما كان من الإيجاد بتسيب وتنمية وتطوير ، قال الرازى : فكل ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق ، فعالم الخلق بتسخيره ، وعالم الأمر بتدبيره ، واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره<sup>٨</sup> ﴿ و الامر ﴾ وهو ما كان من ذلك ١٥ إخراجا من العدم من غير تسبب كالروح ، وما كان حفظا وتديرا بالكلام

(١) زيد من ظ (٢-٢) زيد بعده في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها .  
(٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : منها (٦) في ظ : اوضح (٧) من ظ ، وفي الأصل : يراه (٨) من ظ ، وفي الأصل : بتقدير .

كالاديان و كل ما يلاحظ القيومية؛ وقال الرازى : كل ما كان بريثا من الحجم و المقدار كان من عالم الامر ، و عد الملائكة من عالم الامر ، فأتج 'ذلك قطعا' قوله على سبيل المدح الذى ينقطع دونه الاعناق و يتقاصر دون عليائه ذرى الآفاق : ﴿ تبرك ﴾ أى ثبت ثبوتا لا ثبوت فى الحقيقة غيره مع اليمن و البركة و كثرة الآثار الفاضلة و النتائج الشريفة ﴿ الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام<sup>٢</sup> .

و لما دل على أنه يستحق هذا اثناء لذاته ، دل على أنه يستحقه لصفاته فقال : ﴿ رب العلين ٥ ﴾ أى مبدع ذلك كله و مريه<sup>٣</sup> خلقا و تصرفا بأمره ، [و - ٤] فى الجزء السادس من فوائد / المخلص عن سفيان / ٣٠٥

١٠ ابن عينة أنه قال : ما يقول هذه الدويبة - يعنى بشرا المريسى ؟ قالوا : يا أبا محمد ايزعم أن القرآن مخلوق ، فقال : كذب ، قال الله عز و جل "الاله الخلق و الامر" فالخلق خلق الله ، و الامر القرآن - انتهى . و هذا الذى فسر به مما تحتمله الآية بأن يكون الامر هو المراد بقوله "بأمره"<sup>٦</sup> و هو الإرادة و الكلام مع احتمال ما قدمته .

١٥ و لما ذكر تعالى تفرد بالخلق و الامر المقتضى لتفرد بالعبادة للتوجيه إلى تحصيل المعارف النفسانية و العلوم الحقيقية ، أمر بهذا المقتضى اللائق بتلك المعارف ، و هو الدعاء الذى هو منح العبادة فقال : ﴿ ادعوا ربكم ﴾ أى الدائم الإحسان إليكم دعاء عبادة و خضوع ﴿ تضرعا ﴾ أى تذلا

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : الكريم (٣) من ظ ، وفى الأصل : مزينه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : هو (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : للتوجه .

ظاهراً ﴿ وخفية ١ ﴾ أى و تذلاً باطناً ، و قد أثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال " اذ نادى ربه نداء خفياً ١ " أى اجمعوا إلى خضوع الظاهر خضوع الباطن ، أى اخلصوا له العبادة ، إنه يحب المخلصين لأن تفرد به بأن يدعى هو اللائق بمقام عز ٢ الربوبية ، و التذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية ، و هذا هو المقصود ٣ من الدعاء لا تحويل العلم ٥ الأزل ، و هو المقصود من جميع العبادات ، ٤ فان العبد لا يدعو إلا و قد استحضر من نفسه الذل و الصعب و الحاجة ، و من ربه العلم و القدرة و الكفاية ، و هذا هو المقصود من جميع العبادات ، فلهدا ٥ كان الدعاء مخ العبادة ، و قد جمع هذا الكلام على و جازته كل ما يراد ٦ تحقيقه و تحصيله من شرائط الدعاء بحيث أنه لا مزيد عليه ، و من فعل خلاف ١٠ ذلك فقد تجاوز الحد ، و إلى ذلك أوماً بتعليقه بقوله : ﴿ انه لا يجب المعتدين ٤ ﴾ أى المجاوزين لما أمروا به فى الدعاء و غيره ، قالوا : فالمعنى أن من ترك هذا لا يحبه الله ، أى لا يثيبه البتة و لا يحسن إليه ، فالآية من الاحتباك : آخرها يدل على حذف ضده من صدرها ، و صدرها يدل على أنه ٧ حذف قبل الآخر : و لا تركوا الإخلاص تكونوا معتدين ١٥ و لما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية و القيام بحق العبودية مقتضياً للصالح ، أمر بادامته بالنهى عن ضده فى قوله : ﴿ و لا تفسدوا ﴾ أى ٢ لا تدفعوا فساداً ﴿ فى الارض ﴾ أى بالشرك و الظلم ، فهو ٨ منع من

(١) سورة ١٩ آية ٣ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : العهد (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ : فلذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : ير - كذا (٧) فى ظ : انها . (٨) من ظ ، وفى الأصل : وهو .

إيقاع<sup>١</sup> ماهية الإفساد في الوجود ، و ذلك يقتضى المنع من جميع أنواعه  
 فيتناول الكليات الخمس التى اتفقت عليها الملل ، وهى الأديان<sup>٢</sup> و الأبدان  
 و العقول و الأنساب و الأموال<sup>٣</sup> ( بعد اصلاحها ) و الظاهر أن  
 الإضافة بمعنى اللام وهى إضافة [ فى - ٢ ] المفعول ، أى لا تدنسوها  
 ٥ بفساد بعد أن أصلحها لكم خلقا بما سوى فيها من المنافع المشار إليها بقوله  
 ” يغشى الليل النهار “ - الآية ، الدال على الوجدانية الداعى إلى الحق إقامة  
 للأبدان ، و أمر بما أنزل من كتبه على السنة رسله عليهم الصلاة و السلام  
 إقامة للأديان لجمع إلى الإيجاد الأول الإبقاء الأول .

و لما كان ذلك ربما اقتضى الاقتصار بكالم التذلل على مقام الخوف ،  
 ١٠ نفي ذلك بقوله : ( و ادعوه خوفاً ) أى من عدله ؛ و لما كان لاسبب  
 للعباد من أنفسهم فى الوصول إليه سبحانه ، عبر بالطمع فقال : ( و طمعاً )  
 أى فى فضله ، فان من جمع بين الخوف و الرجاء كان فى مقام الإحسان  
 وكأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه  
 داعى الجمال إلى بساط رأفته ، و من حاز مقام الإحسان كان أهلاً للرحمة  
 ١٥ ( ان رحمت الله ) إى إكرام ذى الجلال و الإكرام لمن يدعوه على هذه  
 الصفة ، و نغمها بالتذكير لإضافتها إلى غير مؤث فيما قال سيويه ، فقال :  
 ( قريب ) و كان الأصل : منكم ، ولكنه أظهر تعميماً و تعليقاً للحكم  
 بالوصف / فقال : ( من المحسنين ٥ ) .

/ ٣٥٤

(١) فى ظ : انقطاع (٢ - ٢) فى ظ : فالأبدان فالعقول فالأنساب فالأموال .  
 (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .



و لما كان دوام الصلاح لا يكون إلا بالغيث، وهو من أجل أنواع  
الرحمة، 'وهو' لا يكون إلا بالسحاب، وهو لا يكون إلا بالريح، قال تعالى  
عاطفا<sup>٢</sup> [على<sup>٢</sup>] "ان ربكم الله" تنبيها بعد تحقيق المبدأ على تحقيق المعاد:  
(وهو) أى لا غيره (الذى يرسل) أى بالتحريك (الريح) هذا  
في قراءة الجماعة، وأنواعها خمس: جنوب و شمال و صبا و دبور و تكباء، هـ  
وهي كل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين، و واحد ابن كثير و حمزة  
و الكسائي على إرادة الجنس (نشرا<sup>٣</sup>) بضمين في قراءة أهل الحجاز  
و البصرة، أى منتشرة جمع نشور من النشر<sup>٤</sup>، وهو بسط ما كان مطويا،  
[و تفرقه في كل وجه لا لذات الريح و إلا لدام ذلك منها و لا بقوة فلك  
أو نجم لأن نسبتها إلى الهواء واحدة -<sup>٢</sup>] (بين يدي) أى قبل (رحمته<sup>٥</sup>) ١٠  
أى المطر، و لعله عبر فيه باليدين: اليمين و اليسرى<sup>٦</sup>، لدلالته - مع ما فيه  
من الفخامة - على أنه تارة يكون رحمة و تارة يكون عذابا كما كان على قوم  
نوح عليه السلام و إن كانت الرحمة فيه أغلب و هي ذات اليمين، و تارة تكون  
الرياح جامعة لها لحفظ الماء، و تارة مفرقة مبطله لها، و تارة تكون مقومة  
للزروع و الأشجار<sup>٧</sup> مكملة لها و هي اللواحق، و تارة تكون منمية لها أو مهلكة ١٥  
كما يكون في الخريف، و تارة تكون طيبة و تارة مهلكة إما بشدة الحرارة  
و البرودة؛ ثم غيى الإرسال بقوله: (حتى<sup>٨</sup> إذا آقلت سحابا) أى حملتها

- (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من (٢) في ظ: عاطفا (٣) زيد من ظ.  
(٤) سقط من ظ (هـ) وفي مصاحفنا: بشرا (٦) من ظ، وفي الأصل: النشور.  
(٧) في ظ: الشوى (٨) في ظ: الاشجاع (٩) من ظ، وفي الأصل: شدة.

قلتها عندها لحقتها عليها ﴿ثقلًا﴾<sup>١</sup> أى بالماء؛ ولما دل على العظمة بالجمع وحقق الأمر بالوصف، أفرد<sup>٢</sup> اللفظ دلالة على غاية العظمة بسوقه مجتمعا كأنه قطعة واحدة، لا يفرق جزء منه عن سائرهِ إذ لو تفرق لاختل أمره، فقال: ﴿سقته لبلد﴾<sup>٣</sup> أى لأجله وإليه<sup>٤</sup> ﴿ميت﴾<sup>٥</sup> أى بعدم النبات ﴿فأزلنا﴾<sup>٦</sup> أى بما لنا من العظمة ﴿به﴾<sup>٧</sup> أى بالبلد، أو بسبب ذلك السحاب ﴿الماء﴾<sup>٨</sup> أى هذا الجنس، وأشار إلى عظمة الإنبات بالنون فقال: ﴿فاخرجنا به﴾<sup>٩</sup> أى بالماء ﴿من كل الثمرات﴾<sup>١٠</sup> أى الحقيقية على الأشجار، والمجازية من النبات وحبوبه . ولما كان هذا - مع ما فيه من التذكير - بالنعمة المقتضية لتويده بالدعوة - دليلا ثانيا في غاية الدلالة على القدرة على البعث، قال تعالى: ﴿كذلك﴾<sup>١١</sup> أى مثل ما أخرجنا هذا النبات من الأرض بعد أن لم يكن ﴿نخرج الموتى﴾<sup>١٢</sup> أى من الأرض بعد أن صاروا ترابا ﴿لعلكم تذكرون﴾<sup>١٣</sup> أى قلنا هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكر هذه الآية المشاهدة القرية المأخذ ولو على أدنى وجوه التذكر<sup>١٤</sup> بما أشار إليه الإدغام، لأنه سبحانه كما قدر على إعادة النبات بجمع الماء له من جوف الأرض بعد أن<sup>١٥</sup> كان تغيب<sup>١٦</sup> في الأرض وصار ترابا، وأحيى الشجرة بعد أن كانت لا روح لها بإيداع الثمرة التي هي روحها، فهو

(١) العبارة من هنا إلى «أمره فقال» - ساقطة من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: على، فحذفنا الزيادة لأنها لا تناسب السياق (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل: بعد (٥) من ظ، وفي الأصل: التذكر (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: التذكير (٨ - ٨) في ظ: كانت تنفتت - كذا .

قادر على إعادة الأشباح وإيداعها الأرواح<sup>١</sup> كما كانت أول مرة ، لأنه لا فرق بين الإخراجين .

ولما كانت الموت موتين : حسيا ومعنويا - كما أشير إليه في الأنعام في آية<sup>٢</sup> "انما يستجيب الذين يسمعون والموتى بيعتهم الله<sup>٣</sup>" و آية<sup>٤</sup> "او من كان ميتا فاحيئنه<sup>٥</sup>" كان كأنه قيل : لا فرق في ذلك عندنا بين أموات الإيمان و أموات الأبدان<sup>٦</sup> ، فكما أننا فاورنا بين جواهر الاراضى بخلق بعضها جيدا وبعضها رديئا كذلك فاورنا بين عناصر الاناسى يجعل بعضها طيبا وبعضها خبيثا ، فالجيد العنصر يسهل إيمانه<sup>٧</sup> ، والخبيث الأصل يعسر إذعانه و تبعد استقامته وإيقانه (و البلد الطيب) [أى -<sup>٨</sup>] الذى طابت أرضه فكانت كريمة منبته (يخرج نباته) أى إذا<sup>٩</sup> نزل عليه<sup>١٠</sup> الماء ١٠ خروجها كثيرا حسنا [سهلا -<sup>١١</sup>] غزيرا<sup>١٢</sup> (بأذن) أى بتمكين (ربه ج) أى الرب له بما هياه<sup>١٣</sup> له ، [و الذى طاب فى الجملة ولم يصل إلى الغاية يخرج له نبات دون ذلك ، و الخبيث لا يخرج له نبات أصلا بمنع ربه له -<sup>١٤</sup>] (و الذى خبث) أى حصلت له خبابة فى جبلته يكون أرضه / سبخة أو نحوها مما لم يهينه الله تعالى للانبات (لا يخرج) أى نباته ١٥ / ٣٠٧

(الا) [أى -<sup>١٦</sup>] حال كونه (نكدنا<sup>١٧</sup>) أى قليلا ضعيف المنفعة ، و هو

(١) من ظ ، و فى الأصل : لأرواح (٢) آية ٣٦ (٣) آية ١٢٢ (٤-٤) فى ظ :  
الابدان و اموات الايمان (ه) من ظ ، و فى الأصل : اتمامه (٦) زيد من ظ .  
(٧-٧) فى ظ : أنزل عليها (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هيا .

- مع كونه دالا على أن ذلك ما كان على ما وصف مع استواء الأراضى<sup>١</sup> في الأصل و استواء المياه و نسبتها إلى الأفلاك و النجوم إلا بالفاعل المختار - مثل ضربه سبحانه للمؤمن و الكافر عند سماعها للذكر من الكتاب و السنة، [و الآية من الاحتباك - ٢] .

٥ ولما استوت هذه الآيات على الذروة<sup>٣</sup> من بدائع الدلالات، كان السامع جديرا بأن يقول: هل تبين جميع هذه<sup>٤</sup> الآيات هذا البيان؟ فقل: ﴿كذلك﴾ أى نعم، مثل هذا التصريف، و هو التريد مع اختلاف الإيماء لاختلاف الدلالات و إبرازها في قوالب الألفاظ الفارقة و المعانى الرائقة في النظم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر: ١٠ ﴿نصرف الإيت﴾ أى كلها؛ ولما تم ذلك على هذا المنهاج الغريب و المتوال العجيب المذكور<sup>٥</sup> بالنعم فى أسلوب دال على التفرد و تمام القدرة، كان أنسب الاشياء ختمه بقوله مخصصا بها المتفع لأنها بالنسبة إلى غيرهم كأنها لم توجد: ﴿لقوم يشكرون﴾ أى يوجد منهم الشكر للنعم وجودا مستمرا فلا يشركون<sup>٦</sup> بل يتفنعون بما أنعم عليهم به وحده فى عبادته ١٥ وحده، و ينظرون بعقولهم أنه أقدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه، فلا يسلبون عنه شيئا من قدرته على بعث و لا غيره فانهم يزعمون أنهم أهل معالى الأخلاق التى منها أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

(١) من ظ، و فى الأصل: الارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل: الدورة (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ: المذكور (٦) فى ظ: فلا يشكرون - كذا .

ولما طال<sup>١</sup> تهديده سبحانه لمن أصر<sup>٢</sup> على إفساده<sup>٣</sup>، ولم يرجع عن غية وعنده بمثل مصارع الأولين و مهالك الماضين، ونوع في هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة و بينات قاهرة و براهين قاطعة و حجج ساطعة، ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيّا على أن في الناس الخبيث و الطيب مع الكفالة - 'في الدلالة' على تمام<sup>٤</sup> القدرة و الغيرة من الشرك على تلك الحضرة - بتفصيل أحوال من سلفت الإشارة<sup>٥</sup> إلى إهلاكهم و بيان مصارعهم و أنه لم تغن عنهم قوتهم شيئا و لا كثرتهم بقوله تعالى " وكم من قرية اهلكناها " - الآية و قوله " فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة " - الآية تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم و تقوية لصالحي أتباعه بالتنبيه على أن الإعراض عن الآيات ليس من خواص<sup>٦</sup> هذه الأمة بل هي<sup>٧</sup> عادة الأمم السالفة، و على أن النعم خاصة بالشاكرين، و لذا كانت النعم مقصورة على الكافرين، فقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا﴾ أي بعظمتنا، وافتحه بحرف التوقع لما للسامع الفطن من التشوف إلى ذكر ما<sup>٨</sup> تكرر من الإشارة إليه، و لأن اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون بها غالبا إلا مقترنة بقد، لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا<sup>٩</sup> للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة بمعنى التوقع الذي هو معنى 'قد' عند استماع المخاطب كلمة القسم ﴿نوحا﴾ يعني ابن ملك بن (١) في ظ: كان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و في الأصل: فساد (٤-٤) من ظ، و في الأصل: بالدلالة (٥-٥) في ظ: سلف بالإشارة (٦) من ظ، و في الأصل: الآية (٧) في ظ: هذه (٨-٨) في ظ: ذكره لا .

متوشلخ بن خنوخ ، وهو إدريس عليه السلام ، و كان عند الإرسال ابن  
خمسين سنة .

ولما كان إرساله صلى الله عليه وسلم قبل تفرق القبائل باختلاف  
اللغات قال : ﴿ الى قومه ﴾ أى الذين كانوا ملء الارض كما فى حديث  
الشفاعة فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله عنه : أتوا نوحا أول  
نبي بعثه الله إلى أهل الارض . وفيهم من القوة<sup>١</sup> على القيام بما يريدون  
ما لا يخفى على من تأمل آثارهم وعرف أخبارهم ، فان كانت آثارهم قد  
حصل المراد ، وإن كانت<sup>٢</sup> لمن بعدهم علم<sup>٣</sup> - بحكم قياس الاستقراء - / أنهم

/ ٣٠٨

أقوى على مثلها وأعلى منها ، ولسوق ذلك دليلا على [ ما - ٢ ] ذكر  
١٠ جاء مجردا عن أدوات العطف ، وهو مع ذلك كله منه على أن جميع  
الرسل متطابقون على الدعوة إلى ما دل عليه برهان ” ان ربكم الله الذى  
خلق السموات والارض “ من التوحيد والصلاح إلى غير ذلك من  
بحور الدلائل والحجاج المتلاطمة الأمواج - والله الهادى إلى سبيل  
الرشاد ، وكون نوح عليه السلام رسولا إلى جميع أهل الارض - لأنهم  
١٥ قومه لوحدة لسانهم - لا يقدح فى تخصيص نبينا صلى الله عليه وسلم  
بعموم الرسالة ، لأنه معنى العموم إرساله إلى جميع الاقوام المختلفة باختلاف  
الالسن وإلى جميع من ينوس من<sup>٤</sup> الإنس والجن<sup>٥</sup> والملائكة ، وسيأتى  
إن شاء الله تعالى فى سورة الصافات لهذا مزيد بيان .

ولما كان من المقاصد العظيمة الإعلام بأن الذى دعا إليه هذا  
(١) من ظ ، وفى الأصل : القوم (٢) فى ظ : كان (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى  
ظ : الجن والانس .

الرسول لم تزل<sup>١</sup> الرسل - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام و التحية والإكرام - تدعو إليه ، و كان نوح أول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر إرساله بذكر ما أرسل به بالفاء بقوله : ﴿ فقال يقوم ﴾ [ أى -<sup>٢</sup> ] فتجب إليهم بهذه الإضافة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة من الخلق و الأمر ، فانه مستحق لذلك و قد كلف عباده به . ٥

و لما كان المقصود إفراده بذلك ، علله بقوله مؤكدا له باثبات الجار : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفي فقال : ﴿ من الة غيره<sup>٣</sup> ﴾ ثم قال معللا أو<sup>٤</sup> مستأنفا مخوفا مؤكدا لأجل تكذيبهم : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ فى الدنيا و الآخرة ، و لعله قال هنا : ﴿ عذاب يوم عظيم<sup>٥</sup> ﴾ و فى هود " اليوم " و قال فى المؤمنون " افلا<sup>٦</sup> تتقون " لأن ترتيب السور الثلاث - و إن ١٠ كان الصحيح أنه باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم - فلعله جاء على ترتيبها فى النزول ، لأنها مكيات<sup>٦</sup> ، و على ترتيب مقال نوح عليه السلام لهم فالأن لهم أولا المقال من حيث أنه أروهم أن العظم الموصوف به " اليوم " [ لا -<sup>٢</sup> ] بسبب العذاب بل لأمر آخر ، فيصير العذاب مطلقا يتناول أى عذاب كان [ و -<sup>٢</sup> ] لو قل ، فلما تمالى تكذيبهم ١٥ بين لهم أن عظمه<sup>٧</sup> إنما هو من جهة إبلام العذاب الواقع فيه ، فلما لجوا فى عتوهم قال لهم قول<sup>٨</sup> القادر إذا هدد عند مخالفة غيره له :

(١) من ظ ، و فى الأصل : لم يزل (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) آية ٢٦ . (٥) من ظ و القرآن الكريم آية ٢٣ ، و فى الأصل : الا (٦) فى ظ : محكميات - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : عظمه (٨) من ظ ، و فى الأصل : قال .

ألا تفعل ما أقول لك؟ أى متى خالفت بعد هذا عاجلك بالعقاب  
وأنت تعرف قدرتى<sup>١</sup>.

ولما تم ذلك، وكان الحال مقتضيا - مع ما نصب من الأدلة  
الواضحة على الوحداية - لأن يجيوا بالتصديق، كان كأنه قيل: فيما ذا  
كان جوابهم؟ فقال: ﴿قال الملا﴾ أى الإشراف الذين يملأ العيون  
مرآهم عظمة، و تتوجه<sup>٢</sup> العيون فى المحافل إليهم، ولم يصفهم فى هذه  
السورة بالكفر لأن ذلك أدخل فى التسلية، لأنها أول سورة قص فيها  
مثل هذا فى ترتيب الكتاب، ولأن من آمن به مطلقا كانوا فى جنب  
من لم يؤمن فى غاية القلة. فكيف عند تقييدهم بالشرف! وأكد ذمهم  
١٠ تسلية لهذا النبى الكريم بالتعريف<sup>٣</sup> بقربهم منه فى النسب بقوله:  
﴿من قومه﴾ وقابله رفته وأدبه بغلظة مؤكدا ما تضمنته من البهتان  
لأن حالهم مكذب لهم فقالوا: ﴿انا لنراك﴾ أى كل واحد منا يعتقد  
اعتقادا هو فى الثقة به كالروية أنك ﴿فى ضلل﴾ أى خطأ وذهب عن  
الصواب، هو ظرف لك محيط بك ﴿مبين ه﴾ أى ظاهر فى نفسه حتى  
١٥ كأنه يظهر ذلك لغيره.

ولما قدفوه بضلال مقيد بالوضوح، نفي الضلال المطلق الذى هو  
الأعم، و بنفيه ينتفى كل أخصياته<sup>٤</sup> بل نفي أقل شيء من الضلال، فقال

(١) من ظ، وفى الاصل: قدرى (٢) من ظ، وفى الأصل: توجه (٣) من  
ظ، وفى الأصل: بالتعريب (٤) فى الأصل وظ: مؤكدا (ه) من ظ، وفى  
الأصل: حالة (٦) فى ظ: أخصياته.



٣٠٩ /

تعالى مخبرا عنه ﴿ قَالَ يُقَوْم ﴾ مجددا / لاستعطافهم ﴿ ليس بي ضللة ﴾  
فني وحدة غير معينة، ولا يصدق ذلك إلا بنى لكل فرد، فهو أنص من  
نفي المصدر، ولم يصف الملا من قومه هنا بالذين كفروا و وصفهم بذلك  
في سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى  
بإثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين: إحداهما قبل أن يسلم ه  
أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم .

ولما نفي<sup>٢</sup> ما رموه به على هذا الوجه البليغ، أثبت له [ ضده - ٣ ]  
بأشرف ما يكون من صفات الخلق، فقال مستدركا - بعد نفي الضلال - إثبات  
ملزوم ضده: ﴿ ولكني رسول ﴾ أى إليكم بما أمرتكم به فأنا على أقوم  
طريق ﴿ من رب العالمين ه ﴾ أى المحسن إليهم بارسال الرسل لهدايتهم ١٠  
بانقاذهم من الضلال، فرد الامر عليهم؛ بالطف إشارة؛ ثم استأنف الإخبار  
عن وظيفته بيانا لرسالته فقال: ﴿ المغم ﴾ و كأن أبواب كفرهم كانت  
كثيرة فجمع باعتبارها أو باعتبار تعدد معجزاته أو تعدد نوبات الوحي  
في الأزمان المتطاولة والمعاني المختلفة، أو أنه جمع له ما أرسل به من قبله  
كادريس جده وهو ثلاثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة ١٥  
عليهما السلام فقال: ﴿ رسلت ربي ﴾ أى المحسن إلى من الأوامر والنواهي  
وجميع أنواع التكليف من أحوال الآخرة وغيرها، لا أزيد فيها أنقص  
منها كما هو شأن كل رسول مطيع .

(١) من ظ، وفي الأصل: أحدهما (٢) من ظ، وفي الأصل: نفوا (٣) زيد من  
ظ (٤) في ظ اليهم (ه) من ظ، وفي الأصل: كريم (٦) من ظ، وفي الأصل: وه .

ولما كان الضلال من صفات<sup>١</sup> الفعل، اكتفى بالجملة الفعلية الدالة على الحدث في قوله: ﴿وانصح﴾ وقصر الفعل ودل على تخصيص النصح بهم ومحضه لهم فقال: ﴿لكم﴾ والنصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، ولما كان الضلال من الجهل قال: ﴿واعلم من الله﴾ أى من صفات الذى له صفات الكمال وسائر شؤنه ﴿مالا تعلمون﴾ أى من عظيم أخذه لمن يعصيه وغير ذلك مما ليس لكم قابلية لعلمه بغير سفارتى فخذوه عنى تصيروا علماء، ولا تركوه بنسبتى إلى الضلال تزدادوا ضلالاً<sup>٢</sup>.

ولما كان الحامل لهم على هذا مجرد استبعاد أن يختص عنهم بمضيلة<sup>٣</sup> ١٠ وهو منهم كما سبأنى في غير هذه السورة، أنكر ذلك عليهم بقوله: ﴿او عجبتم﴾ أى أكذبتم وعجبتم ﴿ان جاءكم﴾ وضمن جاء معنى أنزل، فلذلك جعلت صلاه<sup>٤</sup> على، فقال: ﴿ذكر﴾ أى رسالة ﴿من ربكم﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد والتربية منزلاً ﴿على رجل﴾ أى كامل فى الرجولية وهو مع ذلك بحيث لا تهمونه فانه ﴿منكم﴾ [اقولكم] "ما سمعنا بهذا"<sup>٥</sup> ١٥ أى إرسال البشر "فى ابائنا الاولين"<sup>٦</sup> [لينذركم] لتحذروا<sup>٧</sup> ما ينذركموه ﴿ولتتقوا﴾ أى يعملوا بينكم وبين ما تحذرونه وقاية لعلمكم تنجون ﴿وللعلم ترعون﴾ أى وليكون حالكم إذا القيم الله حال من ترجى<sup>٨</sup> (١) من ظ، وفى الأصل: صفة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: ضلال (٤) فى ظ: لقوله (٥) سورة ٢٣ آية ٤٤ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: ليحذروا (٨) من ظ، وفى الأصل: يرجى.

رحمته بأن يرفعه<sup>١</sup> الله في الدارين .

و لما نسبوه أولا إلى الضلال وهو قد يكون خطأ عن  
 ذهول و نحوه ، فأقام لهم الدليل على<sup>٢</sup> أنه على الصواب ،  
 أخبر أنه لم يتسبب عن ذلك إلا تصريحهم بما لوحوا إليه أولا بالضلال  
 من التكذيب فقال : ﴿ فكذبوه ﴾ أى الملا<sup>٣</sup> و تبعهم من دونهم ؛ و لما  
 تسبب<sup>٤</sup> عن تكذيبهم له تصديق الله له باهلاكهم و إنجائه<sup>٥</sup> و من آمن به .  
 قال مقدما لإنجائه اهتماما به : ﴿ فاجئنه ﴾ بما لنا من العظمة من أهل  
 الأرض كلهم و من عذابنا الذى أخذناهم به<sup>٦</sup> ﴿ و الذين معه ﴾ أى بصحبة  
 الأعمال الدينية ﴿ فى الفلك ﴾ و هو السفينة التى من الله على الناس  
 بتعليمه عملها<sup>٧</sup> لتفيه من الطوفان فكانت<sup>٨</sup> آية و منفعة عظيمة لمن آتى<sup>٩</sup>  
 بعدهم ﴿ و أغرقنا ﴾ أى / بالطوفان ، و هو الماء الذى طبق ظهر الأرض  
 فلم يبق منها موصعا حتى أحاط به ، و أظهر موضع الإضممار تعليقاً  
 للفعل بالوصف إشارة إلى أن من فعل مع الرسول شيئا فاعما فعله مع  
 مرسله فهو يجازيه بما يستحقه فقال : ﴿ الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أى و هى  
 من الظهور فى حد لاخفاء به لما لها من العظمة بالنسبة إلينا ، و عدى هنا<sup>١٠</sup>  
 فعل النجاة بالهمزة<sup>١١</sup> و هى الأصل فى التعدي ، و قرنت بـ " الذين "  
 لانه أخلص الموصولات و أصرحها .

(١) فى ظ : يرحمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٤) زيد بعده  
 فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٥) من ظ ، وفى الأصل : فيه .  
 (٦) فى ظ : علمه - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : وكانت (٨) فى  
 ظ : بالهمز .

ولما أعيدت القصة في سورة يونس عليه السلام ، كان الأليق  
بكلام البلغاء و الأشبه بطرائق الفصحاء التفتن في العبارة ، فعدى [ التضعيف  
مع ما فيه من الأبلغية بفاهام مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم - ١ ] من  
مزيد التفويض في قوله ” فاجمعوا امركم وشركاءكم “<sup>٢</sup> - الآية ، وتلا  
هـ بـ ” من “ ضمنا للفرع إلى الفرع فان [ ” من “ - ١ ] مشترك بين الوصل والشرط ،  
وهي أيضا قد تطلق على ما لا يعقل ، فناسب ذلك الحال ، وزيد هناك  
في وصف الناجين ” وجعلتهم خائف “<sup>٣</sup> نظرا إلى قوله تعالى [ في - ١ ]  
أول السورة ” ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا “<sup>٤</sup> - الآية ،  
ثم قال ” ثم جعلكم خائف في الارض من بعدهم “<sup>٥</sup> لنظر كيف تعملون “  
١٠ فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا . ثم أشار لهم - في قصة نوح عليه السلام  
بكونه أعلمهم أن الخلائف هم الناجون الباقي ذكرهم وذريتهم - إلى أنه  
تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة ورحمهم بهذا النبي الكريم - عليه  
أفضل الصلاة والتسليم - فقضى أنهم غير مهلكين .

ولما افتتحت القصة بنسبتهم له إلى الضلال باطلا ، وهو ناشئ  
١٥ عن عمى البصيرة أو البصر ، ناسب أن يقلب الأمر عليهم على وجه الحق  
فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك : ﴿ انهم كانوا ﴾ أي لما في جبلتهم من العوج

(١) زيد من ظ (٢) آية ٧١ (٣) زيد بعده في الأصل : الارض ، ولم تكن  
الزيادة في ظ ولا في القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٣ فحذفناها (٤) آية ١٣ .  
(٥) من ظ و القرآن الكريم آية ١٤ ، وفي الأصل « و » (٦) من ظ و القرآن  
الكريم ، وفي الأصل : بعدكم .

(قوما عین ۱) ای مطبوعین فی عمی القلب مع قوتهم فیما یحاولونه،  
ثابت لهم ذلك، بما أشار إليه فعل دون أن یقال فاعل، وختمت  
القصة فی یونس بقوله "فاظر کیف كان عاقبة المنذرین" لقوله أولها  
"ان كان کبر علیکم مقامی و تذکیری" ۲ "ای إنذاری لأنه أعلم أنه کبر"  
عليهم و لو كان تبشیرا ۳ لما عز عليهم .

٥

ولما كان عاد بعدهم، و لم یکن هنا ما یقتضی تشویش الترتیب،  
اتبعهم بهم مقدما المرسل إليه لیفید تخصیص رسالته بهم و هم بعض أهل  
الأرض فقال: (و الى عاد) ۴ ای خاصة أرسلنا (اخام) ۵ ای فی النسب  
لأنهم عنه أفهم و بحاله فی الثقة و الامانة أعرف؛ و لما عطفه علی نوح  
عليهما السلام بعد تقديم المرسل إليهم، بینة بقوله: (هودا) ۶ بخلاف ۱۰  
قوم نوح فانهم كانوا جمیع أهل الأرض، لأن القبائل لم تكن فرقت  
ناس و لا الالسة إذ كان لسان الكل واحدا، و لم تفرق الالسة إلا بعد  
الصرح، و لهذا عم ۷ الغرق جمیع أهل الأرض، فكان المعنی حیثئذ  
لا یختلف فی قصته بتقديم و لا تأخیر، فناسب تقديم الرسالة أو المرسل  
لأنه أم .

١٥

و لما كانت قصة نوح علیه السلام أول قصص الانبیاء مع قومهم ۸،  
و لم یکن للعرب عهد بمجاورات الانبیاء و من یرسلون إليه، فأتی فیها

(۱) آیه ۷۳ (۲) آیه ۷۱ (۳) من ظ، و فی الأصل: اکبر (۴) من ظ، و فی  
الأصل: بشیرا (۵) سقط من ظ (۶) من ظ، و فی الأصل: علیه (۷) من ظ،  
و فی الأصل: اعم (۸) فی ظ و ۹ (۹) فی الأصل: قوتهم، و فی ظ: قولهم .

نظم الدرر (سورة الاعراف: ٦٥ و ٦٦) ج - ٧

بالأصل ، أرسلناه ، فقال سيقا واحدا إخبارا لمن هو فارغ الذهن من كل جزء من أجزائها ؛ أنت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام مما وقع من تبليغه لهم و ردهم عليه ، فلما ذكر إرساله تشوف السامع إلى أنه هل قال لهم كما قال نوح و هل ردوا عليه كرد قومه  
 ٥ أو كان الأمر بخلاف ذلك ؟ فأجيب سؤال المتشوف بقوله : ﴿ قال ﴾ كقول نوح عليه السلام سواء ﴿ يقوم ﴾ مذكرا لهم بأنه أحدهم يهمه ما يهمهم ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى لاستحقاقه ذلك لذاته ؛ ثم علل أو استأنف بقوله : ﴿ ما لكم ﴾ / و أغرق فى النقي فقال : ﴿ من اله غيره ﴾ و لما كانوا عارفين بما أصاب قوم نوح قال : ﴿ افلا تتقون ﴾ أى أفلا تتعلمون  
 ١٠ بينكم و بين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية .

/ ٣١١

و لما تشوف السامع إلى جوابهم بعد هذا الترغيب الممزوج بالترهيب ، أجيب بقوله : ﴿ قال الملا ﴾ أى الإشراف الذين يملأون العيون بهجة و الصدور هية ؛ و لما كانت عاد قليلا بالنسبة إلى قوم نوح عليه السلام ، و كان قد أسلم من أشرافهم من له غنى فى الجملة ، قيد بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾  
 ١٥ أى ستروا ما من حقه الظهور من أدلة الوجدانية ، و وصفوا تسلياً لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفاء قومه بأن مثل ذلك كان لإخوانه من الأنبياء بقوله : ﴿ من قومه ﴾ و أكدوا ما واجهوه به من الجفاء لأنهم عالمون بأن حاله فى علمه و حكمه يكذبهم بقولهم : ﴿ انا لنترك ﴾ أى نعلمك علما متيقنا  
 (١) من ظ ، و فى الأصل : اخبروا (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (٣) من ظ ،  
 و فى الأصل : عنا .

حتى كأنه محسوس (في سفاهة) أى مظرورفا لحفة العقل، فهي محيطة بك من جمع الجوانب، لا خلاص لك منها، فلذا أدتلك إلى قول لاحقيقة له، فالتنوين للتعظيم، فان قيل: بل للتحقير، كأنهم توقفوا في وصفه بذلك كما توقفوا<sup>١</sup> في الجزم بالكذب فقالوا<sup>٢</sup>: ﴿وانا لنظنك من الكذابين﴾ أى المتعمدين للكذب، وذلك<sup>٣</sup> لأنه كان عندهم علم من الرسل وما يأتيه مخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا، وأما قوم نوح فجزموا بالضلال وأكدوه بكونه مينا، لأنه لم يكن عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك، ولهذا قالوا "ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين"، قيل: ليس كذلك، فقد ورد في جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا، وهو قوله "بل ظنكم كذابين"<sup>٤</sup>؛ ١٠ فان قيل: إنما كان هذا في ثانی الحال بعد أن نصب لهم الأدلة وأقام البراهين على صحة مدعاه و ثارت حظوظ الانقراض بالجدال، فانه يبعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم، قيل: و الأمر كذلك في قصة هود عليه السلام سواء، فانه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه، فتقيدهم<sup>٥</sup> بالوصف يدل على أنه كان فيهم<sup>٦</sup> من اتبعه، بل وإن متبعه كان ١٥ من أشرافهم<sup>٧</sup> بالظن، و تعبير في الكذب لإيرادتهم أنه يكنى في (١) زيد بعده في الأصل: في وصفه بذلك كما توقفوا، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٢) من ظ، وفي الأصل: فقال (٣) من ظ، وفي الأصل: لذلك. (٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) آية ٢٧ (٧) من ظ. وفي الأصل: تقيدهم (٨) في ظ: فيه (٩) في ظ: تعبير.

وصفه بالسفاهة التي زعموها إقدامه على ما يحتمل معه ظنهم لكذبه ،  
أو يكون قوله غير الحق في زعمهم مرددا بين أن يكون قاله عن  
تعمد أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل . ولما قابلوا  
لبنته لهم وشفقته عليهم بهذه الغلظة ، أعرض عن ذلك وعاملهم  
من الحلم بضد ما سموه<sup>٢</sup> به بأن (( قال )) معلبا الأدب في مخاطبة السفهاء  
(بِقُوم) مذكرا بما بينهم من النسب الداعي إلى الود و المناصحة و العطف  
و الملاطفة (( ايسر بي سفاهة )) فتى أن يكون به<sup>٣</sup> شيء من خفة حلم ،  
فاتقن أن يكون كاذبا لأن الداعي إلى الكذب الخفة و الطيش فلم يحتاج  
إلى تخصيصه بنفى .

١٠ ولما نفى السفاهة ، أثبت ما يلزم منه ضدها بقوله : (( و لكنى رسول ))  
و بين المرسل تعظيما للأمر بقوله : (( من رب العالمين )) أى المحسن  
إليهم بعد نعمة الإيجاد و الأرزاق بارسال الرسل إليهم ليكسبهم معالي  
الأخلاق التي بها انتظام نعمة الإبقاء (( ابلفكم )) و جمع الرسالة لما تقدم  
في قصة نوح عليه السلام فقال : (( رسلت ربى )) أى المحسن إلى بتعليمي  
١٥ ما لم أكن أعلم و تأهيل لما لم يكن في حسابي .

و لما كانوا قد رموه بالسفه الذي هو من غرائز النفس لأنه ضد  
الحلم و الرزاة ، عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضى الثبات فقال :  
(( و انالكم ناصح )) أى لم يزل النصيح من صفى ، وليس هو [ ما - ° ]  
تكسبته بل غريزة في ° / قد بلوتمنى فيه قبل الرسالة و إظهار هذه المقالة

/ ٢١٣

(١) في ظ : لينه (٢) من ظ ، و في الأصل : عامهم - كذا (٣) في ظ : رسموه .  
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .



دهرا دھيرا و<sup>١</sup> زمانا طويلا ؛ و لما قالوا : إنهم يظنون كذبه ، زادهم  
صفة الأمانة فقال : ﴿ امين ٥ ﴾ .

و لما كان يعرف ما يعتقدونه من أماته و عقله ، و ظن أنه ما حملهم  
على هذا إلا العجب من أن يطلع على ما لم يطلعوا عليه ، أنكر عليهم  
ذلك ذا كرا لما ظنه حاملا لهم ملوحا بالعطف إلى التكذيب فقال : ٥  
﴿ او عجبتم ﴾ أى أكذبتم و عجبتم ﴿ ان جاءكم ذكر ﴾ أى شرف و تذكير  
﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع<sup>٢</sup> إحسانه عنكم<sup>٣</sup> قط ، منزلا  
﴿ على رجل منكم ﴾ أى عزه عزكم و شرفه شرفكم فما<sup>٤</sup> فاتكم شيء  
﴿ لينذرکم<sup>٥</sup> ﴾ أى يحذرکم ما لمن كان على ما أتم عليه من وخامة العاقبة .

و لما كان التقدير : فاحذروا ، عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرا به إلى ١٠  
التحذير من عظيم النعمة فى قوله : ﴿ و اذكروا اذ ﴾ أى حين ﴿ جعلكم خلفاء ﴾  
أى فيما أتم فيه من الأرض ، و لما كان زمنهم متراخيا بعدهم ، أتى بالجاء  
فقال : ﴿ من بعد قوم نوح ﴾ أى يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام  
فى قوله ” او عجبتم ” من طلب الجواب ، أى أجيبوا و اذكروا ، أى  
و لا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما أنعم به عليكم ، و فيه الإشارة ١٥  
للى التحذير مما وقع لقوم نوح ، أو يكون العطف على معنى الاستفهام  
الإنكارى فى ” افلا تتقون “ ، ” او عجبتم ” أى اتقوا و لا تعجبوا و اذكروا ،  
أو يكون العطف - وهو أحسن - على ” اعبدوا الله ” و قوله ” خلفاء ”

(١) من ظ ، و فى الأصل : او (٢) فى ظ : لم يقع (٣) فى الأصل : عليكم ، و فى ظ :  
عنه (٤) من ظ ، و فى الأصل : فلما (٥) فى ظ : من .

قيل : إنه يقتضى أن يكونوا قاموا<sup>١</sup> مقامهم ، و من المعلوم أن قوم  
 نوح كانوا ملء<sup>٢</sup> الأرض ، و أن عادا إنما كانوا في قطعة منها يسيرة  
 و<sup>٣</sup> هي الشجرة من ناحية اليمن ، فقليل : إن ذلك لكون شداد بن عاد  
 ملك جميع الأرض ، فكأنه قيل : جعل جدكم خليفة في جميع الأرض ،  
 هـ فلو حصل الشكر اتمت النعمة ، فأطيعوا يزدكم من فضله ، [ و قيل - ٤ ] :  
 إن<sup>٥</sup> قصة ممود مثل ذلك ، و لم يكن فيهم من ملك الأرض و لا أرض  
 عاد ، فأجيب<sup>٦</sup> بما طرد<sup>٧</sup> ، و هو أن عادا لما كانوا أقوى أهل الأرض  
 أبدانا و أعظمهم أجسادا و أشدهم خلقا و أشهرهم قبيلة و ذكرا ، كان  
 سائر<sup>٨</sup> الناس لهم تبعاً ، و كذا ثمود فيما أعطوه من القدرة على نحت  
 الجبال و نحوها بيوتا ، و عندى أن السؤال من أصله لا يرد ، فان  
 بين قولنا - : [ فلان - ٩ ] خليفة فلان ، و فلان خليفة من بعد فلان -  
 من الفرق ما لا يخفى ، فالمخلوف في الثاني لم يذكر ، فكأنه قيل : جعلكم  
 خلفاء لمن كان قبلكم في هذه الأرض التي أنتم بها ، و خص قوم نوح  
 و عاد بالذكر تذكيراً بما حل بهم من العذاب ، و لهذا بعينه خص الله  
 هذه<sup>١٠</sup> الأمم التي وردت في القرآن بالذكر ، و إلا فقد كانت الأمم  
 كثيرة المد زائدة على الحد عظيمة الانتشار في جميع الأقطار ، و معلوم  
 (١) في ظ : اقاموا (٢) زيد بعده في ظ : اهل (٣-٣) من ظ ، و في الأصل :  
 هو الشجر (٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة  
 في ظ : فخذناها (٦) من ظ ، و في الأصل : فاجيب (٧) في ظ : يطرد .  
 (٨) سقط من ظ .

أن الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول " و ما كنا معذيين حتى  
نبعث رسولاً " و في قصة هود في سورة الأحقاف " و قد خلت  
النذر من بين يديه و من خلفه "؛ و له سر آخر و هو " أن هذه الأمم كان  
عند العرب كثير من أخبارهم ففصلت لهم أحوالهم ، و طوى عنهم من  
لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا إلا إجمالاً لئلا يسارعوا إلى التكذيب بما  
ينزل فيهم من غير دليل شهودى يقام عليهم .

و لما ذكرهم بمطلق الإبقاء بعد ذلك الإغراق العام ، أتبعه التذكير  
بالزيادة فقال : ﴿ و زادكم ﴾ أى على من قبلكم أو على من هو موجود فى  
الأرض فى زمانكم ﴿ فى الخلق ﴾ أى الخاص بكم ﴿ بسطة ج ﴾ أى فى الحس  
بطول الأبدان و المعنى بقوة الأركان ، قيل : كان طول كل واحد منهم ١٠  
أفئ عشر ذراعا ، و قيل : أكثر .

و لما عظمت النعمة ، كرر عليهم التذكير فقال مسيياً عن ذلك  
﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ أى نعم الذى استجمع صفات العظمة التى أنعم عليكم  
بها من الاستخلاف و القوة و غيرها ، و اذكروا أنه لا نعمة عندكم لغيره  
أصلاً ، فصار مستحقاً لأن تخصوه بالعبادة ﴿ لعلمكم تفلحون ه ﴾ أى ليكون ١٥  
حالك حال من يرجى فلاحه و هو ظفره بجميع مراده ، لأن الذكر موجب  
للشكر الموجب للزيادة .

(١) سورة ١٧ آية ١٥ (٢) آية ٢١ (٣) فظ : هـ (٤) فظ : كانت (هـ) فى  
ظ : ما (٦) فى ظ : يوجب .

و لما كان هذا منه موجبا و لابد لكل سامع منصف [ من - ' ]  
 المبادرة إلى الإذعان لهذه الحجة القطعية، وهي استحقاقه للأفراد بالعبادة  
 للتفرد بالإنعام، ازداد تشوف المخاطب إلى جوابهم، فأجيب بقوله:  
 ﴿قَالُوا﴾ منكرين عليه معتمدين على محض التقليد ﴿اجتئنا﴾ أى من عند  
 ٥ من ادعيت أنك رسوله ﴿لنعبد الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿وحده﴾ و لما  
 كان هذا منهم فى غاية العجب المستحق للإنكار، أتبعوه ما هو كالعلة  
 لإنكارهم عليه ما دعاهم إليه فقالوا: ﴿ونذر﴾ أى ترك على غير صفة  
 حسنة ﴿ما كان يعبد آبائنا﴾ أى مواطنين على عبادته بما دلوا عليه  
 بـ "كان" وصيغة المضارع - مع الإشارة بها إلى تصوير آباؤهم فى  
 ١٠ حالهم ذلك - ليحسن فى زعمهم إنكار مخالفتهم لهم .

و لما كان معنى هذا الإنكار أنا لا نطيعك، وكان قد لوح لهم  
 بالذکر<sup>١</sup> بقوم نوح و قوله "افلا تتقون" إلى الأخذ إن أصروا،  
 سببوا عن ذلك قولهم: ﴿فاتنا﴾ أى عابنا ﴿بما تعدنا﴾ أى من العذاب  
 بما لوح إليه إيمانهم إلى التكذيب بقولهم: ﴿ان كنت من الصدقين ٥﴾  
 ١٥ و تسميتهم بالإنذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء .

و لما كانوا قد بالغوا فى السفه فى هذا القول، وكان قد علم من محاورته  
 صلى الله عليه وسلم لهم الحلم عنهم، اشتد التطلع إلى ما يكون  
 من جوابه لهذا و التوقع له . فشفي غليل هذا التشوف بقوله :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بالذكر (٣) من ظ و القرآن الكريم ، وف  
 الأصل : الا .

( قال قد وقع ) أى حق ووجب و قرب أن يقع ( عليكم من ربكم )  
 أى الذى غركم به تواتر إحسانه عليكم و طول إملائه لكم ( رجس )  
 أى عذاب شديد الاضطراب فى تتبع أقصاكم و أدناكم موجب لشدة  
 اضطرابكم ( و غضب ) أى شدة فى ذلك العذاب لا تفلتون منها .

و لما أخبرهم بذلك ، بين لهم أن سببه كلامهم هذا فى سياق الإنكار ه  
 فقال : ( اتجادلوننى ) و لما كانت آهتهم تلك التى يجادلون فيها لا تزيد على  
 الأسماء لكونها خالية من كل معنى . قال : ( فى أسماء ) ثم بين أنه لم يسمها  
 آلهة<sup>٢</sup> من يعبد به فقال : ( سميتوها أنتم و آبؤكم ) و لما كان لله تعالى أن يفعل  
 ما يشاء و أن يأمر بالخضوع لمن يشاء ، قال [ نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفي  
 الإنزال -<sup>٣</sup> ] : ( ما نزل الله ) أى الذى ليس الأمر إلا له ( بها ) ١٠  
 أى بتعبدكم لها أو بتسميتكم إياها ، و أغرق فى النفي فقال : ( من سلطان )  
 و لعله أتى بصيغة التنزيل لأن التفعيل يأتى بمعنى الفعل المجدد و بمعنى  
 الفعل بالتدرج فقصده - [ لأنه فى سياق المجادلة و فى سورة مقصودها إنذار  
 من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدرج -<sup>٤</sup> ] - النفي بكل

اعتبار ، سواء كان تجديدا أو تدرجيا و إشارة إلى أنه لو نزل عليهم فى ١٥  
 الأمر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم  
 الأمر فيه مرة بعد أخرى ، ففعلوا أن ذلك أمر حتم لا بد منه كما فعله  
 بنو إسرائيل فى الأمر بذبح البقرة لأجل القتل لأجل أنهم لم يعقلوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : تجادلون (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يزيد (٣) - سقط

من ظ (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ (ه) من ظ ، وفى الأصل : تكرر .

معناه، دل ذلك قطعا على [ أن - ' ] الأمر لهم بعبادتها إنما هو ظلام الهوى لأنه عمى محض من شأن الإنسان ركوبه بلا دليل أصلا .

ولما أخبرهم بوقوع العذاب وسيه، بين لهم أن الوقوع ليس على ظاهره في الإنجاز، وإنما معناه الوجوب الذي لا بد منه فقال: ﴿ فانتظروا ﴾ ثم استأنف الإخبار عن حاله بقوله: ﴿ انى ﴾ وأشار بقوله: ﴿ معكم ﴾ إلى أنه لا يفارقهم لحشيتهم منهم ولا غيرها ﴿ من المنتظرين ه ﴾ ولما كان هذا ينبغي أن يكون سببا للتصديق الذي هو سبب الرحمة<sup>٢</sup>،

بين أنه إنما سبب لهم العذاب، وله ولمن تبعه النجاة، / فبدأ بالمؤمنين / ٣١٤

اهتماما بشأنهم [ بقوله - ' ]: ﴿ فاجئنه ﴾ أى بما لنا من العظمة [ إنجاء وحيًا سريعًا سللناهم به من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين - ' ] والذين معه ﴿ أى فى الطاعة، وأشار إلى أنه لا يجب على الله شيء بقوله: ﴿ برحمة ﴾ أى باكرام وحيطة ﴿ منا ﴾ أى لا بعمل ولا غيره<sup>٣</sup> .

ولما قدم الإنجاء اهتماما به، أتبعه حالهم فقال معلما بأن أخذه على غير أخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء فى الطلب، فتفوتهم أو آخر العساكر<sup>٤</sup> وشذاب<sup>٥</sup> الجنود والأتباع ﴿ وقطعنا ﴾ دابرهم أى آخرهم، هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر تصريحًا بالمقصود ويانا لعله أخذهم فقال: ﴿ دابر ﴾ أى آخر، أى استأصلنا وجعلنا ذلك الاستئصال معجزة لهود عليه السلام ﴿ الذين كذبوا بآيتنا ﴾ أى ولم يراقبوا عظمتها بالنسبة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : فقال (٣) زيد بعده فى الأصل : ما، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤) فى ظ : بغيره (ه - ه) سقط ما بين الرقيين

[ إلينا - ١ ] ، وقوله : ﴿ وما كانوا ﴾ أى خلقا و جلة ﴿ مؤمنين ٤ ﴾ .  
عطف على صلة " الذين " وهى " كذبوا بايتنا " وهى جارية مجرى  
التعليل لأخذهم مؤذنة [ بأنه - ١ ] لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح  
بقوله " انهم كانوا قوما عمن " تعليلا لإغراقهم ، أى أنا قطعنا دابرهم  
وهم مستحقون لذلك ، لأنهم غير قابلين للإيمان لما فيهم من شدة العناد  
ولزوم الإلحاد ، فالمعنى : وما كان الإيمان من صفتهم ، أى ما آمنوا فى  
الماضى ولا يؤمنون فى الآتى ، فيخرج منه من آمن وكان قد كذب  
قبل إيمانه ومن لم يؤمن فى حال دعائه لهم وفى علم الله أنه سيؤمن ،  
ويزيده حسنا أنهم لما افتتحوا كلامهم بأن نسبوه إلى السفاهة كاذبين ؛  
ناسب ختم القصة بأن يقلب الأمر عليهم فيوصفوا ' بمثل ذلك ' صدقا ١٠  
بكلام يبين أن اتصافهم به هو الموجب لما فعل بهم ، لأن الإيمان لا يصدر  
إلا عن كمال الثبات و الرزاق وترك الهوى و وقع رعونات النفس و الانقياد  
لواضح الأدلة و ظاهر البراهين ، فمن تركه مع ذلك فهو فى غاية الطيش  
و الخفة و عدم العقل ، و أيضا فوصفهم بالكذب بالفعل الماضى لا يفهم  
دوامهم على تكذيبهم ، فقال سبحانه ذلك لنفى احتمال أنهم آمنوا بعد ١٥  
التكذيب و أن أخذهم إنما كان لمطلق صدور التكذيب منهم ، و أنهم  
لم يبادروا إلى الإيمان قبل التكذيب ، و يحتمل أن تكون ٢ الجملة حالا ،  
و المعنى على كل تقدير : قطعنا دابرهم فى حال تكذيبهم و عدم إيمانهم .  
ولما أتم سبحانه ما أراد من قصة عاد ، أتبعهم نمود فقال :

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :

يكون (٤) فى ظ : تم .

﴿وإلى ثمود﴾ أى خاصة، 'منع من' الصرف لأن المراد به القبيلة، وهو مشتق من الثمد وهو الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر<sup>٢</sup> بين الحجاز والشام إلى وادى القرى، أرسلنا ﴿إخاهم صلحاء﴾ ثم استأنف الإخبار عن قوله - كما مضى فى هود عليه السلام فقال: ﴿قال يقوم﴾ ٥. مستعطفًا لهم بالتذكير بالقرابة وعاطف النسابة ﴿اعبدوا الله﴾ أى الذى لا كمال إلا له ﴿مالكم﴾ وأكد النفي بقوله: ﴿من اله غيره<sup>٣</sup>﴾. ولما دل على صدقه فى ذلك أنهم دعوا أوثانهم فلم تجبهم، ودعا هو صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه فأخرج لهم الناقة، علل صحة ما دعا إليه بقوله: ﴿قد جاءكم بينة﴾ أى آية ظاهرة جدا على صدق فى ادعاء ١٠. رسالتى وصحة ما أمرتكم به، وزادهم رغبة بقوله: ﴿من ربكم<sup>٤</sup>﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم؛ ثم استأنف بيانها بقوله: ﴿هذه﴾ مشيرا إليها بعد تكوينها تحفيقا [ها - ٣] و تعظيما لشأنها وشأنه فى عظيم خلقها وسرعة تكوينها لأجله.

ولما أشار إليها، سماها فقال: ﴿ناقة الله﴾ شرفها بالإضافة ١٥. إلى الاسم الأعظم، ودل على تخصيصها بهم بقوله: ﴿لكم﴾ حال كونها ﴿آية﴾ أى<sup>٥</sup> لمن شاهدها ولمن سمع بها وصح عنده أمرها؛ ثم سبب عن ذلك قوله: ﴿فذروها﴾ أى أتركوها ولو على أدنى وجوه<sup>٦</sup> الترك ﴿تاكل﴾ أى من النبات ﴿فى أرض الله﴾ أى مما أنبت الله الذى له كل شئ. (١ - ١) فى ظ: يمنع (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: امره. (٥) فى ظ: احوال.



و'هي' ناقته' / كما أن الأرض كلها مطلقا أرضه والنبات رزقه،  
ولذلك أظهر ثلاثا يختص [أكلها - ٢] بأرض دون أخرى .

ولما أمرهم بتركها لذلك ، أكد الأمر بنهيهم عن أذاها فقال :

(ولا<sup>٢</sup> تمسوها بسوء) فضلا عما بعد المس (فياخذكم) أى أخذ قهر

بسبب ذلك المس وعقبه (عذاب اليم<sup>٥</sup>) أى مؤلم .

ولما أمرهم ونهاهم ، ذكر لهم ترغيا مشيرا إلى ترهيب فقال :

(واذكروا) أى نعمة الله عليكم (اذ جعلكم خلفاء) أى فيما أنتم فيه

(من بعد عاد) أى إهلاكهم (وبواكم فى الأرض) أى جعل لكم فى

جنسها مساكن تبوؤن أى ترجعون إليها وقت راحتكم ، سهل عليكم من

عملها فى [أى - ٢] أرض أردتم ما لم يسهل<sup>٤</sup> على غيركم ؛ ولهذا فسر ١٠

المراد بقوله : (تتخذون) أى بما لكم من الصنائع (من سهولها قصورا)

أى أبنية<sup>٥</sup> بالطين واللبن<sup>٦</sup> والآجر واسعة عالية حسنة يقصر<sup>٧</sup> أمل الآمل

ونظر الناظر عليها مما فيها من المرافق والمحاسن (وتسحتون الجبال)

أى أى جبل أردتم تقدرونها (يوتاج<sup>٨</sup>) .

ولما ذكرهم بهذه النعم مرغبا مرهبا ، كرر ذلك إشارة وعبرة ١٥

فقال مسياعا ذكرهم به : (فاذكروا) أى ذكر إذعان ورغبة ورهبة

(الآء) أى نعم (الله) أى الذى [له - ٢] صفات الكمال فلا حاجة

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : هو ناقه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ والقرآن

الكریم ، وفى الأصل : فلا (٤) من ظ ، وفى الأصل : لم يسهل (٥-٥) فى ظ :

باللبن والطين (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقصر .

به إلى أحد، فاحسانه هو الإحسان في الحقيقة ﴿ولا تشوا في الأرض﴾  
 من العثى وهو الفساد، وهو مقلوب عن العيث - قاله ابن القطاع،  
 وحيث يكون قوله: ﴿مفسدين﴾ بمعنى متعمدين<sup>٢</sup> للفساد.  
 ولما حصل الالتفات إلى جوابهم، قيل: ﴿قال الملا﴾ أى الإشراف،  
 ٥ و بينه بقوله: ﴿الذين استكبروا﴾ أى أوقعوا الكبر واتصفوا به فصار لهم  
 خلقا فلم يؤمنوا؛ ونبه على التأسية بقوله: ﴿من قومه﴾ ولما قال:  
 ﴿للذين استضعفوا﴾ كان ربما فهم أنهم آمنوا كلهم، فتنى ذلك بقوله  
 مبذلا منه: ﴿لمن آمن منهم﴾ أى المستضعفين، فهو أوقع في النفس  
 وأروع<sup>٣</sup> للجنان من البيان في أول وهلة مع الإشارة إلى أن أتباع الحق  
 ١٠ هم الضعفاء، وأنه لم يؤمن إلا بعضهم، فنيه إيماء إلى أن الضعف أجل  
 النعم لملازمته لطرح النفس المؤدى إلى الإذعان للحق، و بناؤه للقول  
 دليل على أنهم في غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل أحد ﴿اتعلون﴾  
 أى بدأوم الإنكار صدا لهم عن الإيمان ﴿ان صلحا﴾ سموه باسمه جفاء  
 و غلظة وإرهابا للمسؤولين ليجيئهم بما يرضيهم ﴿مرسل من ربه﴾  
 ١٥ وكأنهم قالوه ليعلموا حالهم فينبوا عليه ما يفعلونه، لأن المستكبرين  
 لا يتم لهم كبرهم إلا بطاعة المستضعفين.

ولما علموا ذلك منهم، أعلمهم بالمنازمة اعتمادا على الكبير المتعال

(١) من ظ، وفي الأصل: القطان - كذا (٢) من ظ، وفي الأصل: معتمدين.

(٣) من ظ، وفي الأصل: اورع (٤-٤) في ظ: لان (٥) زيد بعده في الأصل:

المستضعفين، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها

الذى يضمحل كل<sup>١</sup> كبر عند كبره ولا يعد لاحد أمر مع أمره، بأن  
 ﴿ قالوا ﴾ منبهين لهم على غلظتهم وغلظهم في توسمهم في حالهم معبرين<sup>٢</sup>  
 بما ذل على العلم بذلك والإذعان له ﴿ انا بما أرسل به ﴾ وبنى للفعول  
 إشارة إلى تعميم التصديق وإلى أن كونه من عند الله أمر مقطوع به  
 لا يحتاج إلى تعيين ﴿ مؤمنون ﴾ أى غريقون<sup>٣</sup> في الإيمان به ، ولذلك ه  
 ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ أى فى جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم  
 والمعادنة ﴿ انا بالذئ ﴾ ووضعوا موضع 'أرسل به' - ردا لما جعلوه  
 معلوما وأخذوه مسلما ﴿ آمتم به ﴾ أى كائنا ما كان ﴿ كفرون ﴾  
 ثم سبب عن قولهم قوله ﴿ فعقروا الناقة ﴾ أى التى جعلها الله لهم آية ، و عبر  
 بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها لأن ابن إسحاق ذكر أنه اجتمع ١٠  
 لها ناس منهم فرماها أحدهم بسهم وضرب آخر قوائمها بالسيف ونحرها آخر  
 فأطلق اسم السبب على المسبب ، لكن قوله تعالى "فنادوا صاحبهم فتعاطى  
 فعقروا" وقوله "اذ انبعث اشقها"<sup>٤</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم انبعث  
 لها رجل عزيز عارم منيع فى قومه<sup>٥</sup> قالوا: هو قدار<sup>٦</sup> بن سالف ، جعلت / له  
 ٣١٦ / امرأة من قومه ابنتها إن عقرها ، ففعل فكان أشقى الأولين ، وأشقى الآخرين ١٥  
 عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : على - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : معتبرين .  
 (٣) فى ظ : الغريقين (٤) من ظ ، وفى الأصل : فودا (٥) سورة ٤٤ آية ٢٩ .  
 (٦) سورة ٩١ آية ١٢ (٧) من معالم التنزيل - راجع الخازن ٢ / ٢١٠ ، وفى  
 الأصل : قوم ، وفى ظ : قوله - كذا (٨) فى ظ : قدا .

جعلت له قطام امرأة من بنى عجل جميلة نفسها إن قتله ، فالمناسبة بينهما<sup>١</sup>  
 أن كلا منهما ألقى نفسه في المعصية العظمى لأجل شهوة فرجه في زواج  
 امرأة ، وقوله صلى الله عليه وسلم : أشقى الأولين عاقر الناقة ، يدل على  
 أن عاقرها رجل واحد ، وحيث أن المراد به قطع القوائم ، [ فحيث  
 جمع أراد الحقيقة و المجاز معا ، و حيث أفرد أراد الحقيقة فقط - ٢ ] ،

فالتعبير به لأنه الأصل<sup>٢</sup> و السبب الأعظم في ذبح الإبل ؛ قال البغوى :  
 قال الأزهرى : العقر هو قطع عرقوب البعير ، ثم جعل النحر عقرا لأن  
 ناجر البعير يعقره ثم ينحره - انتهى . وكان هذا إشارة إلى أن المراد بالعقر  
 في كلامه النحر ، [ و - ٣ ] لا ريب في أن أصل العقر في اللغة القطع ،  
 ١٠ و مادته تدور على ذلك ، عقر النخلة - إذا قطع رأسها فيبست ، و الفرس :

ضرب قوائمها بالسيف ، و أكثر ما يستعمل العقر في الفساد ، و أما النحر  
 فيستعمل غالبا في الانتفاع بالمنحور لحما و جلدا و غيرها ، فلعل التعبير به  
 دون النحر إشارة إلى أنهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها عتوا على الله  
 و عنادا و فعلا للسوء مخالفة<sup>٤</sup> لنهى صالح<sup>٥</sup> عليه السلام ، و لا يشكل ذلك

١٥ بما ورد من أنهم اقتسموا لحما ، لأنه لم يدع أن العقر يلزمه عدم الانتفاع  
 بالمنحور ، [ و - ٢ ] على<sup>٦</sup> التنزل فهم<sup>٧</sup> لم يريدوا بذلك الانتفاع باللحم ،  
 و إنما قصدوا - حيث لم يمكنهم<sup>٨</sup> المشاركة جميعا في العقر - أن يشتركوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٣) في ظ : اصل (٤) من ظ ،  
 و في الأصل : هلاكها (٥-هـ) في ظ : لصالح (٦) من ظ ، و في الأصل : يلزمها .  
 (٧-٧) من ظ ، و في الأصل : يرى فيهم - كذا (٨) في ظ : لم تمكنهم .

فما نشأ عنه تعريضا برضام به ومشاركتهم فيه بما يمكنهم ﴿وعتوا﴾  
 أى تجاوزوا الحد فى الغلظة والتكبر ﴿عن امر﴾ أى امثال أمر  
 ﴿رهم﴾ أى المحسن إليهم الذى أتاهم على لسان رسوله من تركها  
 ﴿وقالوا﴾ زيادة فى القو ﴿يُصلح اتنا﴾ .

ولما نزلوا وعيدهم له - حيث لم يؤمنوا به - منزلة الوعد والشارة ، ه  
 قالوا : ﴿بما تعدنا﴾ استخفا منهم ومبالغة فى التكذيب ، [ كأنهم  
 يقولون : نحن على القطع بأنك لا تقدر على أن تأتينا بشيء من ذلك ،  
 وإن كنت - ٢ ] صادقا فافعل ولا تؤخره رفقا بنا وشفقة علينا ، فانا  
 لاتأذى بذلك ، بل تلهذ به تلهذ من يلقي الوعد الحسن ، وحاصله التهم  
 منهم به وإلاشارة إلى عدم قدرته ؛ وأكدوا ذلك بقولهم بأداة الشك : ١٠  
 ﴿ان كنت من المرسلين ه﴾ أى الذين سمعنا أخبارهم فيما مضى ؛  
 ثم سبب عن عتوم<sup>٢</sup> قوله : ﴿فاخذتهم الرجفة﴾ أى التى كانت عنها أو منها  
 الصيحة ، أخذ من هو فى القبضة على غاية من الصغار والحقارة ، ولعل  
 توحيد الدار هنا مع الرجفة فى قصة صالح وشعيب عليهما السلام فى  
 قوله تعالى : ﴿فاصبخوا فى دأرهم﴾ أى مساكنهم ، وجمعها فى القستين ١٥  
 مع الصيحة فى سورة هود عليه السلام للإشارة إلى عظم الزلزلة والصيحة  
 فى الموضعين ، وذلك لأن الزلزلة إذا كانت فى شيء واحد كانت أمكن ،  
 فتكون فى المقصود من النكال أعظم ، والصيحة من شأنها الانتشار ،  
 فاذا عمت الأماكن المتناحية والديار المتباعدة فأهلكت أهلها ومزقت  
 (١) فى ظ : تركوا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عرهم (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
 فيكون .

جماعتها و فرقت شملها. كانت من القوة المفرطة و الشدة البالغة بحيث  
 تنزعج<sup>١</sup> من تأمل وصفها النفوس و تحب له القلوب ، و حاصله أنه حيث  
 عبر بالرجفة و حد الدار إشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب ، و حيث  
 عبر بالصيحة جمع إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت ، و لا مخالفة لأن  
 عذابهم كان بكل منهما ، و لعل إحداها كانت سببا للأخرى ، و لعل  
 المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها ، أو أن الدار رجفت  
 فرجفت القلوب و هو أقرب ، و خصت<sup>٢</sup> الاعراف بما ذكر فيها ، لأن مقصودها  
 إنذار المعرضين ، و الرجفة أعظم قرعا لعدم الإلف لها - و الله اعلم (جشمين ه)  
 أى باركين على ركبهم لازمين أما كنهم لا حراك بأحد منهم ، و لم يبق  
 ١٠ / ٣١٧ منهم فى تلك الساعة أحد؛ إلا رجل / واحد كان فى الحرم ، فلما خرج  
 منه أصابه ما أصاب قومه و هو أبو رغال\* ، و مساقاة الحرم عن أرضهم  
 تزيد على مسيرة عشرة أيام ، و من الآيات العظيمة أن ذلك الذى  
 [خلع -<sup>٣</sup>] قلوبهم و أزال أرواحهم لم يؤثر فى صالح عليه السلام  
 و المستضعفين معه شيئا ، و ذلك مثل الريح التى<sup>٤</sup> زلزلت الأحزاب ،  
 ١٥ و أنالتهم أشد العذاب ، و رمتهم بالحجارة و التراب حتى هزمتهم و ما نال  
 النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه منها كبر أذى ، و كفها الله عن  
 (١) من ظ ، و فى الأصل : يتزعج - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : للآخر .  
 (٣) فى ظ : مضت (٤) سقط من ظ (ه) من ظ و المعالم ، و فى الأصل :  
 أبو رغال (٦) من ظ ، و فى الأصل : مسير (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى  
 الأصل : الذى (٩) فى ظ : المصطفى .

حذيفة ، وكذا البرد الذي كان ذلك زمانه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف له أخبارهم .

ولما أصابهم ذلك ، سبب لهم الهجرة عن ديارهم ديار السوء والغضب واللعنة فقال تعالى إعلاما لنا بذلك : ﴿ فتولى ﴾ أى كلف نفسه الإعراض ﴿ عنهم و قال ﴾ أى لما أدركه من أحوال البشر من الرقة على فوات هـ إيمانهم وهم أصله وعشيرته ﴿ يقوم ﴾ أى الذين يعز على ما يؤذيهم ﴿ لقد ابلغتم ﴾ ولعله وحد قوله : ﴿ رسالة ربى ﴾ لكون آيته واحدة ﴿ ونصحت ﴾ وقصر الفعل وعده باللام فقال : ﴿ لكم ﴾ دلالة على أنه خاص [ بهم - ٢ ] ، روى <sup>١</sup> أنه خرج عنهم في مائة وعشرة من المسلمين وهو يسكى ، وكان قومه ألفا وخمسمائة دار ، وروى أنه رجع ١٠ بمن معه فسكنوا ديارهم <sup>٢</sup> .

ولما كان التقدير : ففعلت معكم ما هو مقتض لأن تحبوني لأجله ، عطف عليه قوله : ﴿ ولكن ﴾ لم تحبوني <sup>٣</sup> ، هكذا كان الأصل ولكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم وخلقاً لهم مع كل ناصح فقال : ﴿ لا تحبون ﴾ [ أى - ٢ ] حاكياً لحالهم الماضية ﴿ النصحين هـ ﴾ أى ١٥ كل من فعل فعلى من النصح اتمام .

ولما أتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه السورة فى هذا السياق من قصتهم ، أتبعه من بعده <sup>٤</sup> بمن تعرفه العرب كما فعل فيما قبل فقال :

(١) فى ظ : ليعرف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقين من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : بهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٦) فى ظ : منكم (٧) من ظ ، وفى الأصل : لم يحبوني (٨) من ظ ، وفى الأصل : بعدهم .

(ولو طأ اذ قال) ولما كانت رسالته إلى مدن شتى، وكأنهم كانوا قبائل شتى، قيل: كانوا خمسة وهي المؤتفكات، [و-<sup>١</sup>] قيل: كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة الشريفة، قال: (لقومة) وقد جوزوا أن يكون العامل فيه 'أرسلنا' و'اذكر' ولا يلزم من تقدير 'أرسلنا' أن يكون إرساله في وقت تفوهه لهم بهذا القول غير سابق عليه، لأنه كما أن ذلك الزمن - المنطبق على أول قوله و آخره - وقت له فكذلك اليوم - الذي وقع فيه هذا القول - وقت له، بل وذلك الشهر وتلك السنة وذلك القرن، فان من شأن العرب تسمية الايام المشتركة في الفعل الواحد يوما، قالوا: يوم القادسية، وهو أربعة أيام إن اعتبرنا مدة القتال فقط، وعدة شهور i. إن اعتبرنا بالاجتماع<sup>٢</sup> له، وكذا يوم صفين، وقال تعالى في قصة بدر "و اذ يعدمكم الله احدى الطائفتين انها لكم - إلى أن قال: اذ تستغيثون ربكم - إلى أن قال: اذ يغشيكم النعاس امنة منه - اذ يوحى ربك الى الملكة" و كلها إبدال من قوله "و اذ يعدمكم الله احدى الطائفتين" ولا ريب في<sup>٣</sup> أن زمان الكل لم يكن متحدا إلا<sup>٤</sup> بتاويل جميع الايام المتعلقة بالوقعة من سير و قتال وغير ذلك - والله أعلم، وعبر في قصة نوح [عليه السلام -<sup>١</sup>] ب "أرسلنا نوحا الى قومه"، ثم نسق من بعده عليه قليل: "والى عاد اخاهم هودا" "والى مموذ اخاهم ضلحا" "والى مدين اخاهم شعيبا" وعدل عن هذا الأسلوب في قصة لوط [فلم يقل: ١٥ بالوقعة من سير و قتال وغير ذلك - والله أعلم، وعبر في قصة نوح [عليه السلام -<sup>١</sup>] ب "أرسلنا نوحا الى قومه"، ثم نسق من بعده عليه قليل: "والى عاد اخاهم هودا" "والى مموذ اخاهم ضلحا" "والى مدين اخاهم شعيبا" وعدل عن هذا الأسلوب في قصة لوط [فلم يقل:

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : ذلك (٣) في ظ : الاجتماع (٤) سورة ٨ آية ٧

١٢ = (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : لا .



و إلى أهل أدوما<sup>١</sup> أخاهم لوطا، أو إلى أهل سدوم لوطا -<sup>٢</sup> [أو و أرسلنا لوطا إلى قومه و نحو ذلك كما سيأتى فى قصة موسى عليه السلام، لأن من أعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبي صلى الله عليه و سلم فى مخالفة قومه له و عدم استجابتهم و شدة أذاهم و إنذار<sup>٣</sup> قومه أن يحل بهم ما حل بهذه الأمم من العذاب، و قصص من عدا قوم لوط مشابهة لقصة قريش فى ٥

٣١٨/

الشرك بالله<sup>٤</sup> و الأذى لعباده المؤمنين، و أما قصة قوم لوط فرائدة عن ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار و الفحش فعدل عن ذلك النسق تنديها عليه تهويلا للأمر و تبشيعا له، ليكون فى التسلية أشد، و فى استدعاء الحمد و الشكر أتم، و حينئذ يرجح أن يكون العامل 'اذكر' 'لا' أرسلنا<sup>٥</sup>، أى و اذكر لوطا و ما حصل عليه من قومه زيادة على ١ شركهم من رؤيته فيهم هذا الأمر الذى لم يبق للشناعة موضعا، فالقصة فى الحقيقة تسلية و تذكير<sup>٦</sup> بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال، و إنذار لهم سوء المآل مع ما شاركت<sup>٧</sup> فيه أخواتها من الدلالة على سوء جلة هؤلاء القوم و شرارة جوهرهم المقتضى لتفردهم عن أهل الأرض بذلك الأمر الفاحش، و الدليل على أنه أشنع الشنع<sup>٨</sup> بعد الشرك - مع ١٥ ما جعل الله تعالى فى كل طبع سليم من النفرة عنه - اختصاصه بمشاركته للشرك فى أنه لم يحل فى ملة من الملل فى وقت من الأوقات و لا مع

(١) فى تاج العروس: دوما - راجع «افك» (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: انذر (٤) فى ظ: فى الله (هـ - هـ) فى ظ: لارسلنا - كذا (٦) فى ظ: تذكيرا (٧) من ظ، و فى الأصل: شركت (٨) سقط من ظ.

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ٨٠ و ٨١) ج - ٧

وصف من الأوصاف، وبقية<sup>١</sup> المحرمات ليست كذلك، فأما قتل  
النفوس فقد حل في<sup>٢</sup> القصاص والجهاد<sup>٣</sup> وغير ذلك، والوطى<sup>٤</sup> في  
القبل لم يحرم إلا بقيد كونه زنى، ولولا الوصف للحل، وأكل المال  
الأصل فيه الحل، وما حرم إلا بقيد كونه بالباطل - وكذا غير ذلك؛  
هـ قال أبو حيان: ولما كان هذا الفعل معهوداً قبجه ومركوزاً في العقول  
فحشه، أتى معرفاً - أى في قوله بعد إنكاره عليهم وتقريره وتوبيخه لهم:  
(اتاتون الفاحشة) أى أنفعلون السبئة المتهادية في القبح وإن كان بينكم  
وبينها مسافة بعيدة - أو تكون<sup>٥</sup> 'أل' فيه للجنس على سبيل المبالغة،  
كأنه<sup>٦</sup> لشدة قبجه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد  
١٠ للتام، [وذلك -<sup>٧</sup>] بخلاف الزنى فإنه قال [فيه -<sup>٨</sup>] "ولا تقربوا  
الزنى انه كان فاحشة"<sup>٩</sup>.

ولما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم ووقاحتهم أن يقولوا:  
لم تكون<sup>١</sup> فعلتاً منكراً موبخاً عليها؟ قال: (ما سبقكم بها) وأغرق في  
النفي بقوله: (من أحد) وعظم ذلك بتعميمه في قوله: (من العلين<sup>٢</sup>)  
١٥ فقد اخترعتم شيئاً لا يكون مثل فحشه لتذكروا<sup>٣</sup> به أسوأ ذكر، [كما -<sup>٤</sup>]

(١) في ظ: قصة (٢-٢) في ظ: الجهاد والقصاص (٣) من ظ، وفي الأصل:  
لوط (٤) في ظ: الدبر (٥) من ظ والبحر المحيط ٣٣٣/٤، وفي الأصل: يكون.  
(٦) من البحر، وفي الأصل وظ: فانه (٧) يزيد من البحر (٨) - سورة ١٧ آية ٣٢.  
(٩) من ظ، وفي الأصل: يكون (١٠) من ظ، وفي الأصل: ليدكروا (١١) زيد  
من ظ.

أن

أن ذوى الهمم العوال و الفضل و الكمال يستنبطون من المحاسن و المنافع ما يبقى لهم ذكره و ينفعهم أجره، و فى ذلك أعظم إشارة إلى تقييح البدع و التشنيع على فاعليها، لأن العقول لا تستقل بمعرفة المحاسن .  
 و لما أبهم الفاحشة ليحصل التشوف إلى معرفتها، عينها فى استفهام آخر كالآول فى إنكاره و توبيخه ليكون أدل على تناهى الزجر عنها فقال: هـ  
 ( انكم لتاتون الرجال ) أى تغشونهم غشيان النساء، و لما أتى للتشوف مجالا، عين بقوله: ( شهوة ) أى مشتتهن، أو لأجل الشهوة، لا حامل لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التى لا داعى لها من جهة العقل، و صرح بقوله: ( من دون النساء ) فلما لم يدع لبسا، و كان هذا ربما أوم ' إقامة عذر لهم فى عدم وجدان النساء أو عدم كفايتهن لهم، أضرب ١٠ عنه بقوله: ( بل اتم قوم ) .

و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار كان الالىق به الإسراف الذى هو غاية الجهل المذكور فى سورة النمل [ فقال - ٢ ] ( مسرفون هـ ) أى لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها، بل اعتياد المجاوزة للحدود، و لم يسم قوم لوط فى سورة من السور كما سميت عاد و ثمود و غيرهم صونا ١٥ للكلام عن تسميتهم، و أما قوم نوح فأنما لم يسموا لعدم تفرق القبائل اذ ذاك، فكانوا لذلك جميع أهل الأرض ولذا عمهم الفرق - و الله أعلم .  
 و لما كان كأنه قيل : هذا التقريع يوجب غاية الاستحياء، بل أنه

(١) و فى مصاحفنا : انكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد لاستقامة العبارة (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : فانه .

/ يذهب كل من سمعه منهم إلى مكان لا يعرف فيه سترًا لحاله<sup>١</sup>، فبالت  
شعري ما كان حالهم عنده<sup>٢</sup> قليل: كان كأنهم<sup>٣</sup> أجابوه بوقاحة عظيمة  
وفجور زائد على الحد، فما كان جوابهم إلا أذى لوط عليه السلام وآله  
بما<sup>٤</sup> استحقوا منهم به شديد الإنذار الذي هو مقصود السورة، [عطف  
ه عليه -<sup>٥</sup>] قوله: ﴿وما كان جواب قومه﴾ أي الذين كانوا [هم -<sup>٦</sup>]   
أهل قوة شديدة وعزم عظيم وقدرة على القيام بما يحاولونه  
﴿الآن قالوا﴾.

ولما كان المقصود بيان أنهم أسرعوا لإجابته بما ينكيه أضمر  
ما لا يشكل بالإضمار، [أو أنه لما كان السياق لبيان الخيـث بين أنه  
١. لا أخبث من هؤلاء الذين بلغ من رذالتهم أنهم عدوا الظاهرين المتـطهرين  
بما يـصان اللسان عن ذكره -<sup>٢</sup>] فقال [تعالى مشيراً إلى ذلك في حكاية  
قولهم -<sup>٣</sup>]: ﴿أخرجوهم﴾ أي المحدث عنهم، وهم لوط ومن انضم إليه  
﴿من قريـتكم ج﴾ والمراد ببيان الإسراع في هذا تسليـة النبي صلى الله  
عليه وسلم من<sup>٤</sup> رد قومه لكلامه لئلا يكون في صدره حرج من إنذارهم؛  
١٥ ثم عللوا<sup>٥</sup> إخراجهم بقولهم: ﴿إنهم اتـاس﴾ أي ضعفاء ﴿يتـطهرون﴾  
وكأنهم قصدوا بالفعل نسبتهم إلى [حجة -<sup>٦</sup>] هذا الفعل القبيح، وأن  
تركهم له إنما هو تصنع وتكليف لنفوسهم بردها عما هي مائـلة إليه.  
وإقبال على الطهر من غير وجه<sup>٧</sup> وإظهار له رياء بما أشار إليه إظهار تاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: انهم (٣) في ظ: ما (٤) زيد ما بين  
الحاجزين من ظ (٥) في ظ: فيه (٦) في ظ: علل (٧) العبارة من هنا إلى «من  
السخرية» ساقطة من ظ.

التفعل ، وفيه مع ذلك حرف من السخرية ، و حصر<sup>١</sup> جوابهم في هذا المعنى المؤدى بهذا اللفظ لا ينافي آية العنكبوت القائلة ” فما كان جواب قومه الا ان قالوا اتتنا بعذاب الله -<sup>٢</sup> “ - الآية ، لأن إطلاق الجواب على هذا يجوز ، والمعنى : فما كان قولهم في جوابه إلا إتيانهم بما لا يصلح جوابا ، وذلك مضمون هذا القول وغيره مما لا يتعلق بالجواب ، أو أن هذا هـ الجواب لما كان - لما فيه من التكذيب والإيذان بالإصرار والإغلاظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم - مستلزما للعذاب ، كانوا كأنهم نطقوا به فقالوا ” اتتنا بعذاب الله “ ، جعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب ، أو أنهم استعملوا لكل مقام مقالا ، ويؤيده أن المعنى لما اتحدنا وفي النمل حصر الجواب في هذا ، أى فما كان جوابهم لهذا القول إلا هذا ؛ ولما زادهم ١٠ في العنكبوت في التقرير فقال ” ائنكم لتاتون الرجال و تقطعون السيل و تاتون في نادىكم المنكر<sup>٣</sup> “ أتوه بأبلغ من هذا تكذيبا و استهزاء فقالوا ” اتتنا بعذاب الله “ - الآية .

و لما تسبب<sup>٤</sup> عن عنادهم إهلاكهم وإنجاؤه ، وكان الإعلام بانجائه - مع كونه يفهم إهلاكهم - أهم ، قال : (فانجيئه واهله) أى من أطاعه ١٥ (الا امراته ملى) و لما كان كأنه قيل : ما لها ؟ قال : (كانت من الغبرين) أى الباقيين الذين لحقتهم بالعذاب العبرة و التذكير إشارة إلى أنها أصابها مثل عذاب الرجال سواء ، لم تنقص عنهم لأنها كانت كافرة مثلهم .

(١) في ظ : حصرهم (٢) آية ٢٩ (٣) من ظ ، وفي الأصل : سبب (٤) من ظ ، وفي الأصل : لم ينقص .

ولما أفهم هذا إهلاكمهم، بينه دالا على نوعه بقوله: ﴿ و امطرنا ﴾  
 أى حجارة الكبريت بعد أن قلعت<sup>١</sup> مدائنهم و رفعت و قلبت حتى رجم  
 بها مسافروهم و شذابهم<sup>٢</sup> لأنه<sup>٣</sup> عذاب الاستئصال عمن<sup>٤</sup> لا يعجزه شيء،  
 و أوضحه بقصره<sup>٥</sup> الفعل و تعديته بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم ﴾  
 ٥ و أكد كونه من السماء لا من سطح أو جبل و نحوه بقوله: ﴿ مطرا ﴾  
 و أشار إلى عظمه مزيلا للبس [ أصلا - ° ] بما سبب عنه من قوله:  
 ﴿ فانظر كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المجرمين ﴾ و أظهر موضع  
 الإضمار تعليقاً للحكم بوصف القطع لما حققه الوصل بوصل ما حققه القطع  
 من فاحش المعصية دليلاً على أن الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه،  
 ١٠ لأن الحكم يدور مع العلة، و ساقى في سورة هود عليه السلام سياق قصتهم  
 من التوراة بعد أن مضى في البقرة عند<sup>٦</sup> " اذ قال له ربه اسلم<sup>٧</sup> " أوائل  
 أمرهم، و هذا كما سومت<sup>٨</sup> الحجارة لقريش - لما أجمعوا أن يرجعوا بعد  
 توجههم عن غزوة أحد من الطريق - ليفزعوا من النى صلى الله عليه  
 و سلم و أصحابه على زعمهم، كما قال صلى الله عليه و سلم " و الذى نفسى  
 ١٥ بيده! لقد سومت لهم الحجارة، و لو / رجعوا لكانوا كأمس الذاهب، ولكنه  
 صلى الله عليه و سلم لما كان رسول رحمة لم يقض الله برجوعهم ففضوا  
 حتى أسلم بعد ذلك كثير منهم، و كما أمطر<sup>٩</sup> الله الحجارة على أصحاب القبل  
 سنة مولده صلى الله عليه و سلم حماية لبلده<sup>١٠</sup> ببركته.

(١) من ظ، و فى الأصل: فعات (٢) فى ظ: لان (٣) فى ظ: من (٤) فى ظ:  
 بقصر (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: بعد (٧) آية ١٣١ (٨) من  
 ظ، و فى الأصل: سويت (٩) فى ظ: امر (١٠) فى ظ: لبيته.

ولما انقضت هذه القصة العجيبة في القصص . أعاد النسق الأول فقال: ﴿ والى مدين ﴾ أى أرسلنا ، وهى بلد ، وقيل قبيلة من أولاد مدين [ ابن - ١ ] . إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ اخاهم ﴾ أى من النسب .  
 ' و بينه بقوله: ﴿ شعيا ١ ﴾ وهو موصوف بأنه خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه ؛ ثم استأنف قوله على ذلك النسق: ﴿ قال يقوم ﴾ ٥  
 دالا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة ، وبدأ بالأصل المعبر في جميع الشرائع الماثورة عن الانبياء عليهم السلام فقال ٢: ﴿ عبدوا الله ﴾ أى ٣ الذى يستحق العبادة لذاته بما له من الاسماء الحسنى والصفات العلى .  
 ولما كان المراد لإفراده بالعبادة لانه [ لا - ١ ] يقبل الشرك لانه غنى .  
 علل ذلك بقوله: ﴿ ما لكم ﴾ وأغرق في النفي بقوله: ﴿ من اله غيره ٤ ﴾ ١٠  
 ثم استأنف التذكير بما دل على صحة دعواه في نفسها وصدقته في دعوى الرسالة بقوله: ﴿ قد جاءكم ﴾ أى على بدى ﴿ بينه ﴾ ولما كنا عالمين من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه شيخان عن أنى هريز رضى الله عنه « ما من الانبياء نبي إلا أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » أن هذه « بينة معجزة » مثلها كاف في صحة الدعوى ولم تدع ١٥  
 ضرورة إلى ذكرها لنا ، لم تكن ؛ ثم زادهم ترغيبا بقوله: ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم تروا ' إحسانا لإلامنه .

ولما كان إتيانه بالبينات سببا لوجوب امتثال أمره ، قال مسيبا عنه :  
 ﴿ فادفوا الكيل ﴾ أى ٢ المكيل والوزن ﴿ والميزان ﴾ أى ابدلوا ما

(١) زيد من ظ (٢) زيد في ظ : ان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وى لأصل : لم يروا .

تعطون بها بوافيا ، فالآية من الاحتباك ، وكان المحكى عنه هنا من أوائل قوله لهم فترك التأكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط .

و لما كان الأمر بالوفاء يتضمن النهى عن البخس ، صرح به على وجه يعم غيره فقال : ﴿ ولا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا ' أو تفسدوا كما أفسد البخسة ' .  
 هـ ( الناس اشياءهم ) أى شيئا من البخس فى كيل ' ولا ' وزن ولاغيرهما ، والناس - قال فى القاموس - يكون من الإنسان ومن الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه ' أل ' ، وقال أبو عبد الله القزاز : الناس أصله عند البصريين أناس ، ثم أدخلوا الألف واللام على ذلك وحذفوا الهمزة ' وبقى الناس ، وكان أصله فعال من : أنست به ، فكانه قيل :  
 ١٠ أناس - يعنى على القلب ، قال : لأنه يؤنس إليهم - انتهى . إذا علم هذا علم أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن بخس الجمع الذين فيهم قوة المدافعة نهى عن بخس الواحد من باب الأخرى لأن الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه .

و لما نهى عن الفساد بالبخس ، عم كل فساد فقال : ﴿ ولا تفسدوا ﴾  
 ١٥ أى توقعوا الفساد ﴿ فى الارض ﴾ بوضع شئ من حق الحق أو الخلق فى غير موضعه ؛ ولما نهام عن هذه الرذائل ، ذكر بنعمة الله تأكيذا للنهى بما فى ذلك من التخويف و حثا على التخلق بوصف السيد فقال : ﴿ بعد اصلاحها ﴾ أى إصلاح الله لها بنعمة الإيجاد الأول بخلقها وخلق منافعها وما فيها على هذا النظام البديع المحكم ثم بنعمة الإبقاء الأول

( ١-١ ) سقط ما بين الرقین من ظ ( ٢-٢ ) فى ظ : او ( ٣ ) فى ظ : الهمز ( ٤ ) من ظ ، وفى الأصل : انسب ( ٥ ) من ظ ، وفى الأصل « و » ( ٦ ) من ظ ، وفى الأصل : المحكمة .



بأنزال الكتب وإرسال الرسل ونصب الشرائع التي بها يحصل النفع وتم النعمة باصلاح<sup>١</sup> أمر المعاش والمعاد بتعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله، ويجمع ذلك كله التنزه عن الإساءة .

ولما تقدم إليهم بالأمر والنهي، أشار إلى عظمة ما تضمنه ذلك

حثا لهم على امتثاله فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة بما ذكر ٥

في هذه القصة ﴿ خير لكم ﴾ ولما كان الكافر ناقص المدارك / كامل ٣٢١ /

المهلك، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ ان كنتم مؤمنين ٢ ﴾ أى فلا تقصدوا

أو فأتتم تعرفون صحة ما قلته<sup>٢</sup> . وإذا عرقتم صحته عملتم به، وإذا عملتم به

أفلحتم كل الفلاح، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون التقدير : فهو

خير لكم، لأن المؤمن يثاب على فعله لبنائه له على أساس الإيمان، ١٠

والكافر أعماله فاسدة فلا يكون فعله لهذه الأشياء خيرا له من جهة إسماعده

في الآخرة لأنه لا ثواب له .

ولما كان للتعميم بعد التخصيص والتفصيل بعد الإجمال من الموقع

في النفوس ما لا ينبغي، وكان النهى عن الإفساد بالصد عن سبيل الله

هو المقصود بالذات لأنه ينهى عن كل فساد، خصه بالذكر إشارة إلى ١٥

أنه زبدة<sup>٣</sup> المراد بعد التعميم فقال : ﴿ ولا تقعدوا ﴾ أى تفعلوا فعل

المرصد المقبل بكيته ﴿ بكل صراط ﴾ أى طريق من طرق الدنيا والدين

من الحلال والحرام والأوامر والنواهي والمحكم والمتشابه والأمثال

(١) من ظ، وفي الأصل : باصلاحه (٢) من ظ، وفي الأصل : قبله (٣) من ظ، وفي

الأصل : زائدة (٤) من ظ والقرآن الكريم، وفي الأصل : فلا (٥) في ظ : طريق .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ٨٦ و ٨٧) ج - ٧

﴿توعدون﴾ أى تهديدون من يسلكه بكل شر إن لم يوافقكم على ما تريدون .

و لما كان طريق الدين أهم ، خصه بالذكر فقال: ﴿وتصدون﴾  
أى توقعون الصد على سبيل الاستمرار ﴿عن سبيل الله﴾ أى طريق  
من له الأمر كله ؛ و لما ذكر الصدود عنه ، ذكر المصدود فقال:  
﴿من آمن به﴾ أى بالله فسلك سبيله الذى لا أقوم منها ؛ و لما كانوا لا يقنعون  
بمطلق الصد بالتهديد ونحوه . بل يبدون للصدود شيئا توهمه أنه على ضلال ،  
قال عاطفا : ﴿وتبغونها عوجا﴾ أى و تطلبون السبيل حال كونها ذات  
عوج ، أى تطلبون اعوجاجها بالقاء الشبهات والشكوك كما تقول : أريد  
فلانا ملكا ، أى أريد ملكه ، و قد تقدم فى آل عمران أن نصبه على الحال  
أرجح ، وأن قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح : ابغى أحجارا أستفض  
بها ، يرجح نصبه على المفعولية - والله أعلم .

و لما كانت أفعالهم نقص الناس إما فى الأموال بالبخس وإما فى  
الإيمان والنصرة بالصد ، ذكرهم أن الله تعالى فعل معهم ضد ذلك من  
التكثير بعد القلة فى سياق منذر باجتثاثهم عن وجه الأرض وخصهم  
فضلا عن تقليلهم و نقصهم ، فقال عاطفا على قوله ”اعبدوا الله“ وما  
بعده من الأوامر والنواهي : ﴿واذكروا اذ﴾ أى حين ﴿كنتم قليلا﴾  
أى فى العدد و المدد ﴿فكثركم﴾ أى كثر عددكم وأموالكم و كل  
شيء ينسب إليكم ، فلا تقابلوا النعمة بضدها ، فان ذكر النعمة مرغب  
٢٠ فى الشكر .

(١) فى ظ : عليه (٢) فى ظ : يبعونها .

ولما

و لما رغبهم بالتذكير بالنعمة، حذرهم بالتذكير بأهل النعمة فقال:  
 ﴿واَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ أى آخر أمر ﴿المُفْسِدِينَ﴾ أى فى  
 عموم الإهلاك بأنواع العذاب لتحذروا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم  
 كما صرح به فى سورة هود ' لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سيأتى  
 إن شاء الله تعالى .

و لما حذرهم وخامة الفساد الذى نهام عنه . و علق انتباههم عنه  
 بوصف الإيمان، رجع إلى قسم<sup>٢</sup> ما شرط به الانتهاء عن الإفساد فقال:  
 ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ أى جماعة فيهم كثرة بحيث يتخلفون<sup>٣</sup> بمن  
 يريدون ﴿أَمِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتَهُ﴾ : بناء للفعل إشارة إلى أن الفاعل  
 معروف بما تقدم من السياق، وأنه صار بحيث لا يتطرق إليه شك لما  
 نصب من الدلالات ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ أى منكم ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ أى بالذى  
 أرسلى به من أيدى بما علمتم من البينات . و حذرهم سطوته بقوله:  
 ﴿فَاصْبِرُوا﴾ أى أيها الفريقان ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أى الذى له جميع  
 العظمة ﴿بَيْنَنَا﴾ أى بين فريقنا باعزاز المصلح و إهلاك المفسد كما أجرى  
 بذلك عادته ﴿وَهُوَ﴾ أى و الحال أنه ﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه يفصل  
 النزاع على أتم وجه و أحكمه .

(١) زيد بعده فى ظ : لا (٢) فى ظ : قسم (٣) فى ظ : يتخلفون (٤) من ظ ،  
 وفى الأصل : كما (٥) فى ظ : ما .

## خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء السابع من تفسير «نظم الدرر» في تناسب الآيات والسور، للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الخميس الخامس من شهر شوال سنة ١٣٩٣ هـ = أول نوفمبر سنة ١٩٧٣ م، تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها الأديب الأريب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان - نغمد الله بروح منه وريحان ومغفرة ورضوان! إلى تاريخ وفاته ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣، ثم تحت إدارة الحبيب اللبيب السيد محمد علي العباسي - أبقاه الله لخدمة العلم والدين!

وقد عني بتصحيحه والتعليق عليه مصحح الدائرة رفيقي الفاضل محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله! واعتنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له ولوالديه!

وبليه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى وأوله: «ولما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع - الخ» .  
وفي الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه،  
وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين،  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد  
السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد  
(كامل الجامعة النظامية)  
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية